

تراجم مغربية من مصادر مشرقية

جمعها وترتيبها وقدم لها وعلق عليها

الدكتور محمد بن شريف

عضو أكاديمية المملكة المغربية

تراجم مغربية من مصادرها مشرقية

جمعها وترتيبها وقدم لها وعلق عليها
الدكتور محمد بن شريف
عضو أكاديمية المملكة المغربية



الطبعة الأولى 1417/1996
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تقديم^(٥)

أود التذكير في البداية بأن عددا كبيرا من تراجم أعلام المغرب — وأعلام الغرب الإسلامي عامة — يوجد في المصادر المشرقية، ولا سيما كتب الطبقات، سواء منها العامة أم الخاصة. وقد ظهر هذا بوضوح بعد أن نشر معظم هذه الطبقات، ولهذا أكتفي بالإشارة إلى بعضها على سبيل المثال، فمن كتب الطبقات المشرقية العامة: «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وذيولها المتعددة، مثل «وفات الوفيات» لابن شاكر الكتبي، و«الوافي بالوفيات» لخليل بن أتيك الصفدي و«المستوفى بعد الوافي» لابن تَغْرِي بَرْدِي، و«المقفى» للمقريزي وغيرها.

ومن كتب الطبقات العامة أيضا «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي و«العبر في خبر من غير» له أيضا، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي وغيرها.

وأما كتب الطبقات الخاصة فمنها ما هو خاص بأهل علم من العلوم مثل «إنباه الرواة على أنباء النحاة» للقفطي و«إخبار العلماء بأخبار الحكماء» له أيضا، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة و«غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري، وغيرها كثير، ومنها ما هو خاص بأهل قرن من القرون مثل «الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حَجَر العسقلاني، و«الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» للسخاوي وغيرها كثير أيضا، ومنها ما هو خاص بغير ذلك. وقد فصل الكلام في هذا من القدماء السخاوي في كتابه «التوبيخ لمن ذم التاريخ» وغيره.

وفي جميع هذه الطبقات المشرقية نجد أعلاما مغربية بنسب متفاوتة فهم يعدون بالمئات في «الوافي بالوفيات» للصفدي، وهم دون ذلك في كتب الطبقات الأخرى. وأظن أن تجريد التراجم المغربية واستخراجها من كتب الطبقات المشرقية عمل مطلوب، لأن من شأنه أن يقربها إلى الباحثين ويرزها أمام أنظارهم، وأقول — على سبيل المثال — إنه لا يخطر ببال الدارس أن يبحث عن ترجمة المولى إدريس

(٥) أصل هذا التقديم مقالة منشورة في مجلة أكاديمية المملكة المغربية.

الأزهر في «معجم الشعراء» للمرزباني⁽¹⁾، وهي موجودة فيه، أو يلتمس شعر أبي الخطار أمير الأندلس في حماسة البُحْثري وحماسة ابن الشجري، وهو موجود فيهما⁽²⁾. على حين أن الاهتمام إلى مثل هذا يكون سهلاً لو جُرِّدَتْ هذه التراجم وُجِّعَتْ في معجم أو معجم خاصة بها.

وأعود بعد هذا التذكير إلى كتاب ابن الشَّعَّار الذي استخرجت منه ومن غيره هذه التراجم المغربية فأقول إن هذا الكتاب يسمى في بعض المصادر «عقود الجُمان في شعراء هذا الزمان»، وهذا هو العنوان الموجود في غلاف النسخة الخطية الوحيدة، وبهذا العنوان ذكر في «وفيات الأعيان» و«الوافي بالوفيات»⁽³⁾، وذهب ناشر الكتاب الدكتور سيزكين إلى أنه عنوان غير صحيح وأن الصواب هو ما ورد في مقدمة المؤلف إذ يقول: «وقد وسمت هذا الكتاب بقلائد الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان، أعني بذلك زماني، ومن أدركه من الشعراء عياني»⁽⁴⁾. ويذكر ابن الشعار أنه ألفه بعد انتهائه من كتابه «تحفة الوزراء» الذي ذيل به «معجم الشعراء» للمرزباني، ولما كان «الذيل» يشتمل على شعراء من قرون متعددة فقد بدا له أن يخصص «القلائد» لشعراء زمانه، وهو النصف الأول من القرن السابع الهجري، وخرج في عشرة أجزاء مرتبة على حروف المعجم، وقد ضاع منها الثاني والثامن أما الأجزاء الباقية فتحتوي على ما يقرب من ألف ترجمة، يقع بعضها في بعض الحالات في 80 صفحة، ولا يتعدى نصيب بعضها أحياناً صفحة واحدة، وتطول التراجم أو تقصر بحسب ما تيسر لابن الشعار من أخبار وأشعار لأصحابها، وهي أخبار وأشعار «التقطها من الشِّفاه وتلقفها من الأفواه» كما يقول⁽⁵⁾، ومعنى هذا أنه اعتمد كثيراً على الرواية الشفوية وهو ما نجده في معظم التراجم، ويقول ابن الشعار إنه اقتفى في تأليف كتابه أثر من تقدمه في هذا الشأن واقتدى بهم كالثعالبي في «بيتمة الدهر» والباخرزي في «دُمية القصر» والخطيري في «زينة الدهر»

(1) الوافي بالوفيات 8 : 314.

(2) الحماسة الشجرية 1 : 9.

(3) وفيات الأعيان 6 : 65، 138، 7 : 38، 93، 236، والوافي بالوفيات 1 : 54.

(4) قلائد الجمان 1 : 4.

(5) نفسه.

والأصفهاني في «خريدة القصر» وغيرهم من مؤلفي معاجم الشعراء حسب العصور.

أما عدد التراجم المغربية — بالمدلول الجغرافي الواسع لكلمة المغرب — وهو مدلول القرن السابع الهجري، فيبلغ أزيد من 60 ترجمة فيها الطوال وفيها القصار، ومنها المعروف الذي يوجد في مصادر أخرى، ومنها ما لا يوجد إلا في هذه العقود أو القلائد، وهي جميعا غنية بالأخبار المفيدة والأشعار الجديدة، والمترجمون كلهم من أهل القرن السابع الهجري وكلهم لهم أشعار، وهذا هو شرط المؤلف، وهنا نتذكر أن لابن سعيد الأندلسي كتابا خصصه لبعض شعراء المائة السابعة من المغاربة والمشاركة⁽⁶⁾، ولكنه صغير الحجم. وربما كان كتاب «الإشادة» للعزفي كذلك وهو مفقود⁽⁷⁾.

والمترجمون عند ابن الشعار ينتمون إلى مدن مغربية وأندلسية متعددة فمنهم السبتي والمراكشي والسلاوي والفاسي والقصري والآسفي والقيرواني والوهراني والبجائي والقسنطيني والزواوي والتلمساني والقرطبي والإشبيلي والغرناطي والبلنسي والمالقي والجيايبي والشريشي والبيغي والمريبي والميورقي والبجاني، وفي هؤلاء المترجمين يهودي من أهل طليطلة، والقاسم المشترك كما يقال بينهم هو الشعر، وابن الشعار يروي أشعار بعضهم عنهم مباشرة ويروي أشعار آخرين عن مغاربة رووها عن أصحابها في بلاد المغرب قبل أن يرحلوا. وينص ابن الشعار دائما على مكان اللقاء والرواية، فهو دمشق تارة وحلب تارة أخرى ودنيسر مرة وإربل مرات، وبغداد حيناً والموصل حيناً آخر.

فقد ولد مؤلف الكتاب أبو البركات المبارك بن أحمد المعروف بابن الشعار في الموصل سنة 593هـ وتنقل بين المدن المذكورة إلى أن توفي بحلب سنة 654هـ⁽⁸⁾.

(6) هو الفصون اليانعة، في محاسن شعراء المائة السابعة، وهو مطبوع.

(7) كتاب الإشادة، بذكر المشتهرين من المتأخرين بالإجادة آلفه أبو القاسم عبد الرحمن العزفي برسم الوزير أبي عبد الله ابن الحكيم وقد نقل المقرئ شذرات منه في كتابه أزهار الرياض.

(8) انظر ترجمة ابن الشعار في معجم ابن الفوطي 5 ترجمة 485 وتاريخ إربل، ترجمة رقم 292 وانظر حاشية محقق هذا الكتاب (2 : 597-599).

لعلنا نعجب اليوم حين نرى عددا لا بأس به من أعلام الأندلس والمغرب ينتهي بهم المطاف إلى مدن نائية ويلقون عصا الترحال بهذه المدن المذكورة وغيرها في ذلكم الزمن الذي كان السفر فيه مغامرة كبرى، ولكن الشرق كانت له دائما جاذبيته، ولهذا كان مقصد المغاربة في كل العصور، ومن المعروف أن الأسباب التي كانت تدعوهم إلى الرحلة متعددة، منها ما هو ديني، ومنها ما هو علمي، ومنها ما هو تجاري، ومنها ما هو سيفاري، ومنها ما هو سياسي، ونذكر بخصوص هذا السبب الأخير أن القرن السابع الهجري كان مليئا بالأحداث الداعية إلى الهجرة سواء في الأندلس أم في المغرب، ففي الأندلس كانت تُذر السقوط بادية للعيان، وساءت الأحوال في أواخر دولة الموحدين، وقد حمل هذا أعلاما كثيرين على الهجرة إلى المشرق، وأظن أن ارتحال ابن اليسع وابن الأشيري وعبد الواحد التميمي المراكشي وغيرهم من المؤرخين الجغرافيين كان لأسباب سياسية. ولعل مما كان يشجع سفر بعض طلبة العلم إلى المشرق ما كان يتناهى إلى أسماعهم عن المدارس المعدة لسكنى العلماء والجامكيات المخصصة لنفقاتهم، وهذا يذكر في بعض التراجم التي بين أيدينا، فالحاجة كانت أيضا من بواعث الترحال، وكما يقول الشاعر:

يُقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المراميا
وبعض هؤلاء المغترين كانوا يحصلون على مراتب سامية ودرجات عالية لدى الناس وعند الولاة نظرا لعلمهم وكفائتهم وأمانتهم، ومعظمهم كانوا يقومون بالإقراء والتدريس والتأليف، ومنهم من عين على رئاسة المدارس والخانقاهات والبيمارستانات المنتشرة يومئذ في مصر والشام والعراق⁽⁹⁾. ويمكن القول بأن القرنين السادس والسابع الهجريين عرفا انتشارا واسعا لعلماء بلاد المغرب في المشرق، وقد بلغ هؤلاء إلى ما وراء النهر ووصلوا إلى الهند والصين وسبقوا ابن بطوطة إلى دخول تلك الأراضي النائية⁽¹⁰⁾. ومن الغريب أن أخبار التتر الخيفة

(9) من أشهر الأمثلة في هذا ولاية الحافظ أبي الخطاب ابن دحية وأخيه الحافظ أبي عمرو على دار الحديث الكاملية في القاهرة.

(10) نذكر من هؤلاء أبا الحسن سعد الخير بن محمد الأنصاري البلنسي الذي ركب البحار وقاسى المشاق ودخل الصين واشتهر بالبلنسي الصيني وبهذا كان توقيعه وقد سكن أصبهان مدة =

لم تكن تصرفهم عن وجهتهم، وقد سمي ابن الشعار بعض الذين قتلهم التتر⁽¹¹⁾، ويبدو أن من أسباب اقتحامهم تلك المخاطر الوصول إلى مواطن المدّونين الأولين للحديث كبُخَارَى وقَزَوِين ونَسَا ونيسابور وتَرْمِذ وغيرها.

ويمكن القول أيضاً — بالاعتماد على استقراء تراجم ابن الشعار وغيره — أن هؤلاء العلماء كان لهم أثر كبير في الحركة العلمية بالشرق لاسيما خلال القرن السابع الهجري، فابن الشعار يذكر في تراجم بعضهم أنهم حملوا معهم مؤلفات مغربية ونشروها هناك وأقرأوها، ومنها الجَزُولِيَّة المعروفة في النحو وألفية ابن مُعْط الزواوي في النحو أيضاً والشاطبية في القراءات⁽¹²⁾، وفي هذا القرن ألف ابن مالك الجَيَّانِي في دمشق الألفية التي غطت على ألفية ابن مُعْط تلميذ أبي موسى الجزولي، وسيأتي بعد هؤلاء أبو حَيَّان الغرناطي فيملاً المشرق نحواً ولغة وتفسيراً.

ويمكن أن نعرف مبلغ التأثير الذي كان هؤلاء الأعلام إذا ذكرنا أن من بينهم ابن عربي الحاتمي وابن دَحِيَّة وغيرهما من أمثالهما. فالفتح بن موسى بن حَمَّاد الذي شاهده ابن الشعار بِإِزْبِل وهو من القصر الكبير — كابن رُشَيْد صاحب الوَثَرِيَّات⁽¹³⁾ — تولى التدريس بالمدرسة النَّظَّامِيَّة على الْفَرَق الأربع ثم فوض إليه أمر ديوانها، وكان يتقن علوماً كثيرة، وقال ابن الشعار إنه نظم «المفصّل» للزمخشري و«الإشارات» لابن سينا وغير ذلك، وقد أورد بعض شعره وخطبه وهو نموذج لغيره⁽¹⁴⁾.

وقد وقعت الإشارة في بعض الكتابات إلى أن شعر المغاربة لم ينتشر في المشرق، وهذا غير صحيح، فإننا عندما نستقرئ معاجم الأعلام ومعاجم الشعر المشرقية

= وتزوج بها وولدت له بنته فاطمة وهي محدثة معروفة ثم انتهى به المطاف إلى بغداد حيث توفي سنة 541هـ، راجع التكملة رقم 2011 والذيل والتكملة 4 : 16-18. ونفع الطيب 2 : 632.

(11) في ترجمة أبي عبد الله الزهري الاشيلي الآتية أنه استوطن بروجرد وتأهل بها وأقام هناك إلى أن دخل التتر فقتلوه في جملة من قتلوا سنة 617هـ، وفي ترجمة عبد الرحمن بن سعيد العنسي أنه قتل ببخارى حين دخلها التتر.

(12) انظر ص 105، 160 من هذا المجموع.

(13) انظر ترجمة ابن رشيد هذا في الذيل والتكملة 8 : 274-280.

(14) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 105.

بدءاً من «يتيمة الدهر» وما تلاها، نجد أن أشعار الأندلسيين والمغاربة أيضاً رُويت وحُفظت وأثرت تأثيراً ملحوظاً في البيئات الشعرية المشرقية خلال القرن السابع في مصر وغيرها، وهذا شيء قرره النقاد والباحث، ومنهم إحسان عباس في «تاريخ النقد العربي»⁽¹⁵⁾. وأذكر على سبيل المثال أن ابن الشعار قرر أن ابن سنّاء المُلْك «عاش رجلاً مغربياً كان يتعاطى الموشح المغربي والأزجال فوقه على أسرارهما وباحته فيهما وكثر حتى انقذ له في عملهما ما زاد على المغاربة حسنا واتقاناً»⁽¹⁶⁾. وقد روي عن أحد المترجمين وهو أبو الروح التاكرني شيء كثير من أشعار الأندلسيين والمغاربة⁽¹⁷⁾ وجمع بعض هؤلاء للمشاركة مختارات من ذلك في مواضيع مختلفة⁽¹⁸⁾.

ذكر ابن الشعار في ترجمة محمد بن علي البلنسي أنه لقيه بمدينة إربل وقال إنه كانت «على ذهنه قطعة صالحة من أشعار الأندلسيين». ومن تصانيفه «كتاب الروض الممطور، في أوصاف الخمر، وما يتعلق بها من الشذور»⁽¹⁹⁾ ويبدو أنه خاص بأشعار الأندلسيين في هذا الموضوع.

أما أشعار المغاربة والأندلسيين الواردة في معجم ابن الشعار فإنها لو جمعت لكان منها ديوان ضخمة، وهي أشعار تتسم في جملتها بسلامة التعبير ولطافة المعاني.

وثمة طابع طبع جل شعر الأندلسيين والمغاربة الذين أقاموا في المشرق، وهو الحنين والشكوى، وقد سئل أحدهم — وهو أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي المعروف بالقسطار — عن شوقه للأهل كيف هو؟ فقال:

يا سائلي كيف شوقي الأهل والوطنا هَيَّجَتْ والله لي ما كان قد سَكَنَّا
كيف اشتياق غريب الدار مُنْقَطِعٌ عِشْرِينَ عاماً يُقَاسِي غُرْبَةً وَضَنَّا

(15) انظر ص 532، 578.

(16) انظر ص 181 وما بعدها من هذا المجموع.

(17) انظرها من ص 181 إلى ص 187 في هذا المجموع.

(18) ص 62 من هذا المجموع.

(19) ص 122 من هذا المجموع.

شَوْقِي إِلَيْهِمْ شَدِيدٌ لَا أَنْفِصَامَ لَهُ وَالْقَلْبُ ذُو حُرْقٍ مُذْ فَارَقَ السَّكْنََا(20)
ويبدو أن هذا الاشبيلي الذي ترك سكناً له في إشبيلية قَدْ تزوج، ولعله طلق
بعد أن ولد له، فهو يقول حينَ ذهب بابنه كرها إلى جدته وكان يقول له :
دعني عندك اليوم وغدا ابعثني إليهم :

لَهْفِي عَلَى الْوَلَدِ الْعَزِيزِ وَقَدْ غَدَا
وَيَقُولُ يَا مَوْلَايَ : تُسَلِّمُنِي إِلَى
مَوْلَايَ دَعْنِي عِنْدَكُمْ مُتَّعِماً
مَوْلَايَ كَيْفَ تُسَرُّ وَابْنُكَ مُوثِقٌ
فَأَجَبْتُهُ وَالِدَمْعُ مُنْهَلٌ عَلَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ أَدَى جُرْعَتِهِ
كَرَّهَا يُفَارِقُنِي إِلَى بَيْتِ الْعِدَى
مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي وَيُورِدُنِي الرَّدَى
يَوْمِي، وَيَتَّقِمُونَ مِنِّي هُمْ غَدَا
فِي أَسْرٍ بَاغِيَةٍ، عَلَيْهِ تَمَرْدَا
نَحْدُ نَحِيلُ أَصْفَرُ : نَفْسِي أَلْفِدَا
طِفْلاً فَسَاعَدَكَ آلَالُهُ وَأَسْعَدَا(21)

ومن أشعارهم في التغرَّب قصيدةٌ لأبي الوليد يونس بن موسى السلاوي يقول
فيها :

تَغْرَبْتُ وَمَشَيْتُ نَازِلٌ وَأَسَى بَرْحٌ وَفَقْدُ حَبِيبٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ(22)
وقد ألف أحدهم وهو أبو موسى عيسى بن سليمان المالقي كتاباً في الموضوع
سماه : «كتاب الحنين إلى الأحباب والأوطان، الغالب على النفس هواه والهوى
سلطان»(23). وفي وصف هذا الكتاب يقول :

هَذَا كِتَابُ قَصِي الدَّارِ مُتَّحِنٍ
صَبَّ مَشَوْقٍ بَرَّاهُ الْبَيْنُ فَاضْطَرَمَتْ
تَضَنُّيفُ مَنْ قَرَحَتْ بِالِدَمْعِ مُقْلَتُهُ
كَذَلِكَ كُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ مُنْتَزِحٍ
طَالَ الْقَوَاءُ بِأَرْضِ الشَّامِ وَاسْتَفِي
بُفْرِقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَخْدَانِ وَالْوَطَنِ
أَحْشَاؤُهُ فَعَدَا وَالْهَمُّ فِي شَطَنِ
وَحَدَّ فِي الْخَدِّ سَيْلُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ
مَا إِنَّ لَهُ حَيْثُ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ سَكَنِ
مَاذَا مُنِيتُ بِهِ مِنْ غَدَرَةِ الزَّمَنِ

(20) ص 60 من هذا المجموع.

(21) ص 61 من هذا المجموع.

(22) ص 167 من هذا المجموع.

(23) ص 97 من هذا المجموع.

فَالْكَلُّ يَجْبُرُ ثُكْلِي ثُمَّ يَجْمَعُنِي قَبْلَ أَلَمَاتِ بَمَنْ أَهْوَى بِلَا مَحْنٍ (24)

وذكر ابن الشعار أنه جعل هذا الكتاب في عشرين بابا. والباب الأول منها هو باب في ذم الغربة والاغتراب، وبيان كون الغريب أذل من التراب، وقد أورد له أشعارا في الاشتياق إلى شتل (25) وهو اسم ضيعة من ضياع مالقة كان بها أهله وولده. ومن أطرف ما له قوله في كلمة : غربة.

مَنْ لَمْ تَنْلُهُ غُرْبَةً أَمِنْ الرَّدَى فَهَوَ الْفَنَاءُ وَتِلْكَ حَدُّ سِنَانٍ
وَحُرُوفُهَا مِنْ كُلِّ بُوْسٍ رُكِبَتْ لِتَعْمَ مَنْ تَغْشَاهُ بِالْأَشْجَانِ
فَالْعَيْنُ مِنْ غَمٍّ وَغَيْنٍ دَائِمٍ وَالرَّاءُ مِنْ رُزْءٍ عَلَى الْأَوْطَانِ
وَالْبَاءُ مِنْ بَرَحٍ وَبَيْنٍ أَوْ بَلَى وَالْهَاءُ مِنْ هَمٍّ وَهَلْكَ دَانَ (26)

وهذا شاعر طنجي — من المغاربة الذين أقاموا بإربل — يقول متشوقا إلى بلده :

يَا طَنْجَةَ جَمَعْتَ رِيماً وَغَزَلَانَا ثُرَاكَ جَامِعَةً شَمْلِي كَمَا كَانَا
لَقِنْ أَنَا عِشْتُ حَتَّى تَرْتَوِي مَقْلِي مِمَّنْ أُحِبُّ بِهَا أَهْلًا وَجِيرَانَا
لَأَشْكُرَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ خَالِقَنَا وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنَا (27)

وعلى ذكر إربل أقول إن معظم المترجمين عند ابن الشعار استقروا بهذه المدينة التي وصفها أحدهم وهو الفتح بن موسى بن حماد من مواليد القصر الكبير، سماها جنة الدنيا، قال :

يَا إِرْبِلَ مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةٌ خُصِّتْ بِأَكْرَمِ جِيرَةٍ وَقَرَارٍ
لَوْ لَمْ تَكُونِي جَنَّةَ الدُّنْيَا لَمَا كَانَ السَّرَاطُ إِلَيْكَ بَيْتَ النَّارِ
سُلْطَانُهَا الْمَلِكُ الْمَعْظُمُ قَدْرُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُعْظَمٍ جَبَّارٍ

(24) ص 100 من هذا المجموع.

(25) ضبطت في الأصل ثلاث مرّات بضم الشين وفتح التاء مع تشديدها وفتح اللام ولم أجد لها ذكرا أو رسما فيما وقفت عليه من مصادر وخرائط ولعلها هي Sudella.

(26) ص 99 من هذا المجموع.

(27) ص 177 من هذا المجموع.

يَكْفِيهِ عِنْدَ اللَّهِ وَهِيَ عَظِيمَةٌ تَعْظِيمُ مَوْلِدِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ (28)

وقد اجتذبت هذه المدينة التي لا تبعد كثيرا عن الموصل عددا من المغاربة الذين لَقُوا قَبولا عند أهلها وحُظوة لدى سلطانها، ومن ذلك ما ذكره ابن الشعار أن أبا زكرياء يحيى الحُشني ورد إربل بعد سنة 619 هـ وعقد بها مجالس للوعظ وكان له من العامة قبول عظيم، وقد أمر العامة أن يطلبوا من السلطان أن يقيم عندهم فأجابهم إلى ذلك.

وذكر ابن المستوفى معاصر ابن الشعار وصاحبه في كتابه «تاريخ إربل» أن سلطانها كوكبري استخلص لنفسه مغربيا وبقي معه إلى أن توفي ودفن بإربل (29). ونذكر هنا أن المنصور الموحدي وفد عليه قوم من هؤلاء الأتراك فخصص لهم جامكيات كما يقول صاحب «المعجب» وولاهم على ولايات في الأندلس (30).

لقد ترجم ابن خلكان للملك كوكبري — ومعناه الذئب الأزرق — وأطنب في محاسن سيرته وذكر غرائب من أعماله في الخير والإحسان. فقد كان يفرق كل يوم قناطر مقنطرة من الخبز على المحتاجين ويوزع كذلك كساوى حسب الفصول ومعها صلات من الدنانير وَبَنَى خانقاهات للزمني والعميان ودورا للأرامل ودورا للأيتام ودورا للقطاء رتب بها المراضع وبنى بيمارستانا عجيبا وخانقاهتين للصوفية ووقف عليهما أوقافا كثيرة أيضا. وأما احتفاله بالمولد الذي أشار إليه شاعرنا القصري «فإن الوصف يقصر عن الإحاطة به» كما يقول ابن

(28) ص 105 من هذا المجموع، وراجع ما قيل في مدح إربل وهجائها في معجم البلدان لياقوت، وبيت النار الوارد ذكره في الأبيات هو اسم قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، وفي إربل يقول بعضهم هاجيا :

إِرْبِلُ دَارُ الْفِسْقِ حَقًّا فَلَا يَتَمَيَّذُ الْعَاقِلُ تَعْرِيزَهَا
لَوْ لَمْ تُكُنْ دَارَ فُسُوقٍ لَمَّا أَصْبَحَ بَيْتُ النَّارِ دِهْلِيزَهَا
انظر معجم البلدان.

(29) ص 177 من هذا المجموع.

(30) المعجب : 365-368.

خلّكان⁽³¹⁾، وقد أطنب في وصفه. ولهذا السلطان ألف ابن دحية كتابه في المولد النبوي⁽³²⁾، ومن المعروف أن العزقيين بسبته قاموا هم أيضا فيما يقرب من هذا التاريخ بالاحتفال بالمولد النبوي⁽³³⁾.

ولعل في هذا كله ما يفسر لنا سبب إقبال المغاربة على إرّبل في عهد سلطانها العجيب، وقديما قال الشاعر :

يسقط الطير حيث يتثر الحب سُبُ وتُغشى منازل الكرماء
وقد خالف ياقوت الحَمَوِي ابن خلّكان في نظريته إلى سلطان إرّبل. فقد وصف هذه المدينة في وقته وصفا مطولا، ومما جاء في وصفه قوله : «وقصدها الغرباء وقطنها كثير منهم حتى صارت مصرا كبيرا من الأمصار». وقال في السلطان كوكبري : «وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالريعية راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على الفقراء كثير الصدقات على الغرباء، يسير الأموال الجمّة الوافرة يفتك بها الأسارى من أيدي الكفار»⁽³⁴⁾.

وأعود بعد هذا إلى تراجم هؤلاء المغاربة والأندلسيين فأقول إنها تنقسم إلى قسمين : قسم رحل إلى المشرق وأقام به وقسم آخر لم يرحل إلى المشرق ولكن أخباره وأشعاره رويت هنالك بواسطة أولئك الراحلين ومن هؤلاء على سبيل المثال الأمير أبو الربيع سليمان الموحد.

كما أن بعض هؤلاء المترجمين موجود في مصادر أخرى وبعضهم الآخر لا يوجد في أي مصدر آخر، وسأتي بنماذج محدودة، فمن النوع الثاني ترجمة لولد أبي جعفر أحمد بن عطية. ومن المعروف أن هذا الكاتب نكب في عهد عبد المؤمن وأعدم هو وأخوه عقيل وكان لهذا ثلاث وعشرون سنة ولأخيه أبي جعفر ست وثلاثون،

(31) وفيات الأعيان 4 : 117.

(32) ص 76 من هذا المجموع.

(33) البيان المغرب : 446 وأزهار الرياض 2 : 375 والدر المنظم، في مولد النبي المعظم (مخطوط).

(34) معجم البلدان (مادة إرّبل).

ومن جملة ما توسل به إلى عبد المؤمن في استعطافه المشهور أطفاله الذين يقول
فيهم :

وَصِيَّةٌ كَفَرَاخِ الْوُزْقِ مِنْ صَغِيرٍ لَمْ يَأْلُفُوا النَّوْحَ فِي فَرْعٍ وَلَا فَنٍّ (35)

ولم يتحدث أحد من ترجم لابن عطية عن مصير هؤلاء الصبية. وكان الظن
أن بني عطية انقضوا بموت الكاتبين المذكورين لولا أن ابن الشاعر دوّن لنا ترجمة
مفيدة تدل على استمرار هذا البيت، وقد نقلها عن ابن حمويه السفير الذي له
فضل كبير في تعريف المشاركة بأدب المغاربة، قال ابن الشاعر :

«أبو القاسم بن أبي جعفر ابن عطية الوزير الكاتب. حدثني شيخ الشيوخ
ابن حمويه (36) قال :

أبو القاسم هذا كان كاتباً للشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عمر (37)، وكان
أحد أشياخ الموحدين وأركان دولتهم. رأيته — يعني أبا القاسم — بمراكش وهو
يتولى أكثر أموره، إليه الترسل والإنشاء في كتابة رقاعه ودرجه، وولاية نفقات
دخله وخرجه، وهو المستولي على أمره، والمستودع لسره، وله كتابة حسنة،
ورسائل وجيزة، وأشعار يسيرة، وكان من ذوي المروءات، ومن المسارعين إلى
إغاثة الملهوف وقضاء الحاجات، وكان والده أبو جعفر وزير آل عبد المؤمن نهض
بأعباء الدولة في مبادئها، وإحكام قواعدها ومبانيها، وله الكتب البليغة في الجمع
والتأليف والاحتجاج للدولة المستقلة، والادحاض للدولة الماضية، والمبالغات في
الترغيب والترهيب، والاعتدال التام في حسن التدبير وعلى التباعد والتقريب.

وأما وَلَدُهُ هذا فهو متوسط في فنه، موافق طبقة سنه، وكانت بيني وبينه

(35) البيان العرب — قسم الموحدين — : 60.

(36) انظر في ابن حمويه هذا نفع الطيب 3 : 99 وما بعدها.

(37) هو أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر إيتي الذي ولاه الخليفة محمد الناصر على
إفريقية ثم وَلَّاهَا بعد ذلك ولده أبو زكرياء مؤسس الدولة الحفصية، وقد ورد ذكر أبي محمد
عبد الواحد في المصادر التاريخية كالمعجب والبيان العرب وتاريخ الدولتين والعبر وغيرها
وترجم له التيفاشي في كتابه الدرّة الفائدة، في محاسن الأفاقة وهو مفقود الآن. ويبدو أن
استكتاب أبي محمد عبد الواحد المذكور ولد ابن عطية كان لما تيّ قديمة، فمن المعروف أن
أبا جعفر ابن عطية كتب أول الأمر عن أبي حفص عمر إيتي.

بمراكش مجاورة ومزاورة». ثم قال : «وأنشدني يوما لنفسه وقد جرت مفاوضة في اختيار العزلة والحمول وإيثار الانزواء فقال :

تُنَازِعُنِي أَلَنَفْسُ أَعْلَى الْأُمُورِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَزِ لَأَ أُنْشِطُ
وَلَكِنْ بِمَقْدَارِ قُرْبِ الْمَكَانِ تَكُونُ سَلَامَةً مَنْ يَسْقُطُ»⁽³⁸⁾

فهذه ترجمة اشتملت على جملة فوائد تتعلق بابن عطية وولده، وهي تدل على أن المخزن أو الدولة لا تفرط في أبناء خدامها مهما يكن أمر آبائهم. ويدلنا شعر ولد ابن عطية على أن نكبة والده عالققة بذهنه، ولذلك كان يؤثر الحمول على الطموح. وهذه ترجمة كاتب آخر من كتاب الموحدين لا توجد في مكان آخر، وقد رواها ابن الشعار عن ابن حمويه أيضا قال :

«أبو الحسن علي بن أحمد بن فشتال الكاتب الفاضل الأديب أخبرني شيخ الشيوخ قال : «أظنه من أهل الأندلس، رأيته بمراكش وكان متعطلا عن العمل، حاليا بفضائله وإن كان في العطل، وله رسائل حسنة وألفاظ بديعة معتبرة، وكان يميل في رسائله وشعره إلى طريقة أهل المشرق»⁽³⁹⁾، وحصل من عندي كثيرا من ترسل القاضي الفاضل والإمام الكاتب وغيرهما رحمه الله، وكتب إلي بإحسان تجدد لي من السيد أبي يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن، وهو تملك بستان بناحية أغمات»⁽⁴⁰⁾. ثم أثبت المذكور له هذين البيتين، ولعله يشير فيهما إلى إناعام الخليفة :

رَأَيْتُ بِعَيْنِي الْيَوْمَ فِي صُحُفِ الْمُنَى لِمَجْدِكَ مَا تُعْطَى مِنَ الْحِظِّ فِي عَدَدِ
فَصُرْتُ أُمْتِي النَّفْسَ تَجْدِيدَ مَا عَفَا مِنْ عِزِّي لِي فِي عِزِّكَ أَلْمُتَّجِدُ»⁽⁴¹⁾

ونحن لا نعرف عن هذا الكاتب إلا ما ورد هنا نقلا عن ابن حمويه الذي زار المغرب رسولا من مخدومه صلاح الدين في عهد المنصور وبقي في المغرب فترة مكنته من تدوين رحلة ذكر فيها جملة من علماء الأندلس والمغرب لقيهم

(38) راجع ص 111 من هذا المجموع، وفي البيت الثاني إشارة إلى مثل مولد.

(39) في هذا إشارة إلى وجود طريقتين في النثر والشعر إحداهما مشرقية والأخرى مغربية.

(40) هذا يدل على عادة ملوكية مغربية وهي الإناعام على بعض السفراء ونحوهم بمثل ما ذكر هنا.

(41) راجع ص 58 من هذا المجموع.

في هذه الرحلة، وقد وقف المقرّي على هذه الرحلة ونقل عنها في «نفع الطيّب» فوائد متعددة⁽⁴²⁾، ومن جملتها فائدة تتعلّق بالكاتب المذكور أيضاً، وهي قوله : «وحدثني الشيخ أبو الحسن ابن فشتال الكاتب وقد أنشدته :
أَوْحَشْتَنِي وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى الَّذِي لَكَ فِي ضَمِيرِي لَمْ تُكُنْ لِي مُوَحِّشًا
فقال : أنشدت هذا البيت في مجلس السيد أبي الحسن⁽⁴³⁾ فقال لي ولمن حضر، هل تعرفون لهذا البيت ثانيا ؟ فما فينا من عرفه، فأنشدنا :
أُتْرَى رُشِيَّتٌ عَلَى أَطْرَاحِ مُودَّتِي وَلَقَدْ عَهْدَتِكَ لَيْسَ تَثْنِيكَ الرُّشَا
أَوْحَشْتَنِي...»⁽⁴⁴⁾.

ويدل هذا الكلام على عدة أمور منها تقرير الفرق بين طريقة أهل المغرب وطريقة أهل المشرق في الترسّل، ومنها عادة ملوك المغرب في إقطاع السفراء وتمليكهم أملاكا مبالغه في الإكرام، ومنها أخيرا المستوى الثقافي الرفيع لبعض السادة الموحدين كأبي الحسن المذكور وأبي الربيع وغيرهما. ويستفاد من النص الأخير أن الكاتب ابن فشتال كان في خدمة السيد أبي الحسن، ومن المعروف أن هذا كان واليا على تلمسان. أما ما ظنه ابن حمويه من أندلسية ابن فشتال فعلة ليس كذلك لأننا لم نجد له ذكرا في كتب التراجم الأندلسية ولأن فشتال اسم مغربي، وهو قريب من فشتالة التي ينسب إليها الفشتاليون⁽⁴⁵⁾.

ومن هؤلاء الذين انفرد بهم ابن الشعار شاعر من سلا اسمه يونس ابن موسى الأنصاري السلاوي، كان شاعرا نحويا فاضلاً وقد قدفته النوى إلى حَلَب فانتجع بشعره أمراء الشام، وقد أورد ابن الشعار بعض مدائحه فيهم، ويبدو أنه صارت

(42) نفع الطيب 3 : 101-111.

(43) هو السيد أبو الحسن علي بن أبي حفص عمر بن عبد المومن، له ذكر في المصادر التاريخية كالمعجب والبيان المغرب وروض القرطاس وغيرها، وخصّه ابن سعيد بترجمة لطيفة ختم بها الفصوص الياينة وبدأها بقوله : «وقفت على ترجمته في معجم الشقندي ومعجم والدي ورحلة ابن حموية»، الفصوص الياينة : 150-154.

(44) انظر نفع الطيب 3 : 109.

(45) منهم عبد العزيز الفشتالي وغيره من الأدباء والفقهائ الذين ينتسبون إلى قبيلة فشتالة.

له مكانة عندهم أو أنه كان فضوليا، ويبدو هذا مما رواه ابن الشعار، فقال رواية عن بعضهم :

«أنشدني أبو الوليد يونس بن موسى الأنصاري السلاوي لنفسه لما رجع الملك الظاهر غياث الدين غازي بن يوسف من محاصرة دمشق إلى حلب خائبا، وكان معه ابن الحصين الوزير، وابن أخته أبو المؤيد محمد بن الحسين الطغراني، والقاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلية ويعرفه الفقهاء بالأحمر، وكان الوزير ابن الحصين أجهر العينين :

قُلْ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ اسْتَبْصِرْ دُهَيْتَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ تَشْعُرِ
بِالْأَجْهَرِ الْمَطْرُودِ مِنْ وَاسِطٍ وَالْأَحْوَلِ الْمَشْهُومِ وَالْأَحْمَرِ
ثَلَاثَةً لَوْ بَرَزُوا دَفَعَةً لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْبَدْرِ لَمْ تَظْهَرِ
لَوْ تَوَلَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ تَذْيِيرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُنْصَرِ»⁽⁴⁶⁾

وأما التراجم التي نجدها في مصادر أخرى فإنها عند ابن الشعار متميزة ببعض الزيادات والإضافات التي لا توجد عند غيره، فمن ذلك ترجمته لابن عربي الحاتمي فقد اعتمد فيها على ما سمعه منه، سواء من أخباره أم من أشعاره، ولست متحققا الآن من استفادة الدارسين منها، ومن الجديد فيها أن الشيخ الأكبر — كما يُدعى — بدأ حياته جنديا، يقول ابن الشعار :

«وكان أهله أجنادا في خدمة المستولين على البلاد وبقي مدة جنديا ثم رجع عن الجندية في سنة ثمانية وخمسمائة، وحدثني من لفظه قال : كان سبب انتقالي عن الجندية ونبذي لها وسلوكي هذه الطريقة وميلي إليها أنني خرجت صحبة مخدومي الأمير أبي بكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي⁽⁴⁷⁾ بقرطبة قاصدين المسجد الجامع، فنظرته في ركوع وسجود وخشوع كثير الابتهاال إلى الله عز وجل، فخطر في خاطري أن قلت في نفسي إذا كان هذا ملك البلاد خاضعا

(46) راجع ص 168 من هذا المجموع، وذو القرنين هنا هو الاسكندر المقدوني المشهور بفتوحاته وانتصاراته.

(47) لعلهُ السيد أبو يحيى الذي كان في التاريخ المذكور واليا على قرطبة، انظر بعض أخباره في البيان العرب والمعجب.

متذللاً يصنع هذا بين يدي الله تعالى عز وجل فما الدنيا بشيء، ففارقته من ذلك اليوم وما عدت رأيته أبداً ثم لزمته هذه الطريقة»⁽⁴⁸⁾.

وهذا الخبر لا نجده في مصدر آخر، فقد اقتصر ابن عبد الملك في ترجمته — وهي من أوفى الترجمات — على القول بأنه «كتب بالأندلس عن بعض الأمراء، ثم تخلى عن ذلك زهداً فيه ورغبة عنه». وتفصيل هذا المجمل هو ما ورد عند ابن الشعار، وفي ترجمة أبي موسى الجزولي عند ابن الشعار نقف على أنه كان يقرض الشعر، ونجد له عنده ثمانية أبيات من نظمه أو شعره وهي :

أَقُولُ قَوْلًا مَا لَهُ مُتَكَبِّرُ إِلَّا أَمْرُؤُ أَحْمَقُ مُسْتَكْبِرُ
إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مِمَّنْ بِهِ يُسْتَنْزَلُ الرِّزْقُ وَيُسْتَمْطَرُ
بَقِيَّةٌ مِنْ سَلَفٍ صَالِحٍ كَانَ كَمَا كَانُوا فَمَا يَكْدُرُ
كُنْتُ لَعَمْرِي إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ أَظُنُّهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يُذَكَّرُ
وَالْيَوْمَ لَا أَرْتَابُ فِي فَضْلِهِ صَدَقَ عِنْدِي الْخَبَرُ الْمَخْبِرُ
جَالَسْتُ مِنْهُ الشَّمْسَ فِي قَدْرِهِ وَأَبْحُرًا فِي الْعِلْمِ لَا تُعْبَرُ
هَمَّ بَنُو الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى فَلَمْ يَقْدِرُوا
أَبْصَرَ مَا لَمْ يُبْصِرُوا بَعْدَمَا شَارَكَهُمْ فِي كُلِّ مَا أَبْصَرُوا⁽⁴⁹⁾

وهذه القطعة تكشف لنا عن رأي عالم من علماء الشريعة في عالم من علماء الحقيقة هنا هو القنجايري الصوفي المعروف الذي كان أشبه ما يكون بوزير الأوقاف في عهد المنصور، وهو الذي ذكر صاحب «المعجب» أنه أخبره — وهما بحجر الكعبة — أن المنصور لم يكن يقول بعصمة المهدي بن تومرت⁽⁵⁰⁾، ولأبي العباس هذا ترجمة مطولة في «الذيل والتكملة» وغيره⁽⁵¹⁾، وهو جد الأمراء العزفيين أولاد أبي القاسم من جهة الأم⁽⁵²⁾، فإذا أضفنا إلى هذه الأبيات الثمانية

(48) راجع ص 128 من هذا المجموع.

(49) راجع ص 103 من هذا المجموع.

(50) المعجب : 291.

(51) الذيل والتكملة 1 : 58.

(52) نفسه.

أبياتاً أخرى رواها له مشرقى آخر هو ابن خلّكان وهي هذه :
لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
حَلٌّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ أَئِنَّ مَا شَاءَ يَذْهَبُ
أَنَا مَا لِي وَلِإِمْرِي أَبَدَ الدَّهْرِ يَضْرِبُ⁽⁵³⁾

جاز لنا أن نزعّم أن الذي قال هاتين القطعتين لأبد أنه قال غيرهما، وما ذلك منه بغريب، فهو متمرسٌ بتدريس الشعر وتفسيره، فقد شرح «بانت سعاد»⁽⁵⁴⁾، واختصر شرح ابن جني على شعر المتنبي⁽⁵⁵⁾.

وفي ترجمة ابن دحية عند ابن الشعار أيضا نجد إضافات كثيرة من أخباره وآثاره الشعرية والنثرية، فقد أطنب في وصف رحلته في خراسان وزياراته لإربل واتصاله بملكها كوكبري وتأليفه له «كتاب التنوير، في مولد السراج المنير»، وقد انفرد ابن الشعار برواية كلام طويل قبيح لأبي الروح التاكرني في ابن دحية لا يمكن ذكره، وهو يرجع إلى أثر المعاصرة، ويدل على المنافسات والمنافرات التي كانت تقع بين أولئك المغاربة في ديار الغربة، وقد أوصى أحدهم آخر بوصية أشار إليها بقوله :

وَأَوْصَانِي الرَّضِيِّ وَصَاةَ نُصْحٍ وَكَانَ مُهَذَّباً شَهْماً أَيَّاماً
بِأَنْ لَا تُحْسِنَنَّ ظَنّاً بِشَخْصٍ وَلَا تُصَحِّبَ حَيَاثَكَ مَعْرِياً⁽⁵⁶⁾

والرّضيّ المذكور هو رضي الدين الشاطبي المعروف.

ومن الإضافات التي نجدها في ترجمة أبي الربيع سليمان الموحدى قصيدة لا توجد في الديوان المطبوع وهي قصيدة في مدح السيد أبي عمران الموحدى⁽⁵⁷⁾ :

(53) وفيات الأعيان 3 : 490-491.

(54) نشره المستعرب الفرنسي روني باسيه عام 1910.

(55) وفيات الأعيان 3 : 489.

(56) درة الحجال 2 : 253.

(57) هو السيد أبو عمران زكرياء بن عبد المومن كان «من أولاد الخلفاء النجباء الطلبة الأدباء والخطباء الشعراء» ولي على تلمسان مدة واستخلفه أخوه على مراكش لما توجه إلى الجهاد في الأندلس سنة 566هـ وقد توفي في زمن الطاعون الذي نزل بمدينة مراكش سنة 571هـ، راجع البيان المغرب : 117، 126، 136.

لِقَاؤُكَ صَيَّرَ الْأَيَّامَ عِيدَا
وَقَدْ مَسَّ النَّسِيمُ لَهَا مُلَاءً
وَزَانَ مِنَ الظَّلَامِ عُرُوسَ زَنْجٍ
فَقَالَ الْعَاقِلُونَ : أَلَمْ مُوسَى
وَكُلُّهُمْ أَثَارَ قَطَاةٍ صِدْقٍ
تَعَطَّرَ ثَرْبُ مَسْرَاهُ فَدَاسَتْ
وَهَمَّتْ أَنْ تَخْرُ لَهُ الدَّرَارِي
وَلَوْ حُذِثَ مَطَايَاهُ ذُرُوراً
تُحَيِّي مِنْ أَبِي عِمْرَانَ بَدْرًا
تَأْتَقَتِ الْفَضَائِلُ فِيهِ لَمَّا
وَرَامَتْ أَنْ تَرِيدَ فِيهِ حُسْنًا
يُفْنِدُ مَنْ يَرُومُ لَهُ لِحَاقًا
وَمَا عَدِمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ شَيْئًا
لَعَلَّ مُصَيِّرَ الدُّنْيَا جَنَانًا

وَأَنْشَأَ حُسْنَهَا خَلْقًا جَدِيدَا
تَمَاسَّتِ الْمُنَى فِيهَا قُدُودَا
تَحَلَّتْ مِنْ كَوَاكِبِهِ عُقُودَا
وَقَالَ الْجَاهِلُ : الْعِيدُ اسْتُعِيدَا
يُقِيمُ بِهَا لِدَعْوَاهُ شُهُودَا
بِهِ الْفُرْسَانُ مِسْكَاً لَا صَعِيدَا
فَتَلَقَّاهُ رُكُوعاً أَوْ سُجُودَا
وَأَرْضَاهُ حَذَوْنَاهُ حُودَا
يُلْقِي فِي مَطَالِعِهِ السُّعُودَا
أَتَاخَ اللَّهُ مِنْهُ لَهَا الْوُجُودَا
فَلَمْ يَدْعِ الْكَمَالَ لَهَا مَرِيدَا
وَيُعَذِّرُ مَنْ يَبِيتُ بِهِ مَسُودَا
نُسِرَ بِهِ سِوَى الْأُيُودَا
بِهِ يَقْضِي لَهُ فِيهَا الْخُلُودَا⁽⁵⁸⁾

ومن التراجم التي انفرد فيها ابن الشعار بإضافات في الأخبار وزيادات في الأشعار ترجمة ناهض الوادي آشي، قال :

«ناهض بن إدريس الوادي آشي، ينسب إلى وادي آش من أعمال غرناطة، كان شاعر قطره، وأشعر من ذكر في عصره، يقول في قصر أبي يحيى :

أَلَا حَبْدًا الْقَصْرُ الَّذِي آرْتَفَعَتْ بِهِ
عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحِجَارَةِ أَقْوَاسُ
هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفَ الثَّرَى
وَرَفَعَهُ عَنِ لُثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ
فَأَرْكَبَ مَتْنِ النَّهْرِ عِزًّا وَرَفَعَةً
وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ، وَبَابُهُ
يَعْصُ وَصَافِي أَفْقِهِ الدَّهْرُ أَغْرَاسُ»⁽⁵⁹⁾

(58) راجع ص 34، 192 من هذا المجموع.

(59) راجع ص 143 من هذا المجموع، وقد وردت الأبيات أيضا في نفع الطب 1 : 470 نقلا عن ابن سعيد قال : «ومن أبدع القصور خارج قرطبة قصر السيد أبي يحيى بن أبي يعقوب بن عبد المومن، وهو على متن النهر الأعظم تحمله أقواس، وقيل للسيد : كيف تأتقت

فهذه الترجمة وهذه القطعة تغنيان ترجمته القصيرة والوحيدة في «المغرب» لابن سعيد⁽⁶⁰⁾، وفيها قطعة من شعره غير هذه، ولا يخفى ما فيها من فائدة تاريخية وأثرية.

ومن التراجم التي لم ترد إلا عند ابن الشعار وابن المستوفي فيما يظهر ترجمة اليهودي الطليطي يهودا الحريزي، ولا أظن أنها توجد في مصدر آخر، ونظراً لما تشتمل عليه من أخبار وأشعار فسأنقلها فيما يلي :

«يحيى بن سليمان بن شؤول أبو زكرياء الحريزي اليهودي من أهل طليطلة، كان شاعراً قوي القريحة غزير المادة، له شعر كثير في المدح والهجاء، وكان رديء اللسان خبيث الطوية، ما مدح أحداً إلا وعاد هجاءه، وصنف مصنفات باللسان العبري كثيرة منها «كتاب المقامات»، ومقامة سماها «الروضة الأنيقة» باللسان العربي، وكان ذا قدرة في الشعر، وكان يعمل قصائد أنصاف أبياتها الأول بالعبري والأنصاف الأواخر بالعربي، وكان قد طاف البلدان وجال في أقطارها ثم سكن بأخرة حَلَبَ، ولم يزل بها إلى أن مات ليلة الأربعاء لليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستائة ذكره صاحب الوزير أبو البركات المستوفي رحمة الله تعالى، وقال ورد إربل في العشر من محرم من سنة سبع عشرة وستائة، وحدثني أن اسمه بالعبرانية يهودا وإنما نقله إلى العربية وكان طويلاً أشيب ثظاً (أي كوسجاً)، سألته عن مولده فقال عمري إلى هذه السنة خمس وخمسون سنة فانظر متى يكون مولدي، ثم حسب معي فأخطأ في تنزيله. وكان يسكن بين ظهراني الفرنج، وكلامه مغربي قريب عهد بالخروج من بلده، تراه كأنه يعتريه سهو، وكنت أخبرت بوروده، وأثنى عليه رجل من اليهود، وأنشدني قال أنشدني الحريزي لنفسه في التاريخ المتقدم ذكره :

= في ببيان هذا القصر مع انخراك عن أهل قرطبة فقال : علمت أنهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر لما بقي في رؤوسهم من الخلافة الروانية فاحببت أن يبقى لي في بلادهم أثر أذكر به على رغمهم» قال ابن سعيد أيضاً : «واخبرني والذي أن ناهض بن إدريس شاعر وادي آش في عصره أنشده لنفسه في هذا القصر» ثم أورد الأبيات المذكورة، وقد نزل يعقوب المنصور في هذا القصر عند حلوله بقرطبة سنة 586هـ، البيان المغرب — قسم الموحدين —: 203.

أَمَّا إِنَّهُ لَوَلَا مُحَجَّبَةُ الْخِذْرِ
لَمَا فَضَحَتْ أُنْدَى الْمَدَامِيعِ مِنْ سِرِّي»⁽⁶⁰⁾

وهي قصيدة في المدح تتألف من 21 بيتا، وقد أورد له بعدها 9 أبيات في مدح الملك الأشرف الأيوبي :

بِسُوءِ عَزْمَتِكَ الْقَضَاءُ يَصُولُ وَمَضَاءُ بَأْسِكَ فِي يَدَيْهِ نُصُولُ

وختم ترجمته بإيراد قصيدة من 27 بيتا في المدح أيضا مطلعها :

أَرْضٌ سَمَتْ غِيطَانُهَا أَغْصَانُهَا وَزَهَتْ عَلَى كُتُبَانِهَا قُضْبَانُهَا

ولما وصل أبو البركات إلى قول الحريري في القصيدة الأولى :

لَقَمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِييَّةِ الطَّلَى مُدَامِيَّةَ آلَائِي حَبَائِيَةِ الثَّغْرِ

قال : قال أبو البركات هذا منقول من قول المعتمد محمد بن عبَّاد ملك الأندلس :

وَكَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ أَنْعُمَ جُنْحِهَا بِمُخْصِيَةِ الْأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ⁽⁶¹⁾

ويدل هذا التعليق على أمرين :

أولهما أن هذا اليهودي الطليطلي كان متشعبا بأشعار الأندلسيين. وثانيهما أن هذه الأشعار بلغت درجة من الشهرة في المشرق بحيث يكتشف أخذها أو نقلها حسب تعبير أبي البركات. ولا أريد أن أطيل هنا بتحليل ما ورد في هذه التراجم لأني أقصد إلى إيراد التماذج.

ويمكن القول باختصار إن تراجم ابن الشعار هذه وكذلك التراجم التي ألحقها بها نخدم موضوعين كبيرين :

أولهما موضوع التواصل الأدبي بين المغرب والمشرق، وثانيهما موضوع قنوات

(60) انظر ص 148 من هذا المجموع.

(61) البيت من قصيدة المعتمد التي أولها :

أَلَا حَيَّ أَوْطَانِي بِشَلْبِ، أَمَا بَكْرٍ وَسَلَّهْنُ هَلْ عَهْدُ الْوَصَالِ كَمَا أَذْرِي
انظرها في قلائد العقيان وغيرها.

هذا التواصل، وأشير هنا على سبيل المثال إلى عمل رائد في هذا المجال قام به الشيخ المرحوم رضا الشيبسي من خلال الخريدة للعماد الأصفهاني⁽⁶²⁾.

لقد أضفت إلى هذه التراجم المستخرجة من قلائد الجمان لابن الشعار تراجم مأخوذة من تاريخ إربل لابن المستوفي⁽⁶³⁾ وأخرى من بغية الطلب لابن العديم⁽⁶⁴⁾ ومجموعة رابعة مقتطفة من مسالك الأبصار للعمري⁽⁶⁵⁾، وجلّها تراجم جديدة أو فيها شيء جديد وهي في عمومها نماذج من التراجم المغربية التي تشتمل عليها المصادر المشرقية المتعددة، وإني أرجو أن أكون بهذا العمل المتواضع قد قرّبت هذه التراجم إلى القراء المغاربة الذين لا يقرأون الخطوط المشرقية التي طبع بها كتاب ابن الشعار وكتاب ابن العديم وكتاب مسالك الأبصار، والحمد لله أولاً وأخيراً.

(62) انظر دراسته : أدب المغاربة والأندلسيين في أصوله المصرية.

(63) اسم هذا التاريخ نهاية البلد الخامل، بمن ورده من الأمائل، ومؤلفه هو شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد الإربلي المعروف بابن المستوفي (564-637هـ)، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 147-152 وقد طبع الموجود من هذا التاريخ في العراق بتحقيق وتعليق سامي ابن السيد خماس الصقار.

(64) هو الكمال عمر بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المعروف بابن العديم (586-666هـ)، انظر ترجمته في فوات الوفيات 2 : 200-203 ومعجم الأدباء : 2068-2091 وبغية الطلب نشرها بالتصوير فؤاد سزكين ثم أخرجها بعد ذلك سهيل زكّار ولكني كنت نقلت التراجم من النشرة المصوّرة.

(65) هو شهاب الدين أحمد بن يحيى المعروف بابن فضل الله العمري (700-749) وكتابه مسالك الأبصار طبع كاملاً بالتصوير في 27 سَفراً ضمن المنشورات المصورة التي يصدرها فؤاد سزكين.

تراجم مغربيّة
من قلائد العقيان لابن السّغار

1 — إبراهيم بن يعقوب

أبو إسحاق آل الكائمي⁽¹⁾ الأديب النحوي الشاعر الأسود؛ وكانم اسْمُ بلد بنواحي غانة⁽²⁾، وهي دَارُ ملك السودان الذين بجنوب المغرب⁽³⁾. أخبرني شيخُ الشيوخ عبد الله بن عمر الجويني الدمشقي⁽⁴⁾ بِهَا رَحِمَهُ اللهُ تعالى، قَالَ : رَأَيْتُهُ وَقَدْ قَدِمَ إِلَى مُرَاشٍ فِي أَيَّامِ السَّيِّدِ⁽⁵⁾ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَمَدَحَ كُبَرَاءَ الدَّوْلَةِ وَاخْتَلَطَ بِسَادَاتِهِمْ، وَارْتَزَقَ وَانْتَفَعَ بِجَاهَاتِهِمْ⁽⁶⁾، وَكَانَتْ الْعُجْمَةُ فِي لِسَانِهِ، لَكِنَّهُ يُعَرِّبُ عَنْ شِعْرِ فَصِيحٍ، وَلَفْظِ صَحِيحٍ، وَوَزْنِ مُسْتَقِيمٍ، وَمَعْنَى قَوِيمٍ، وَكَانَ يَحْفَظُ الْجُمْلَ⁽⁷⁾ فِي النَّحْوِ وَكَثِيراً مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ. قَالَ : وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ اشْتَعَلَ فِي بَلَدِ غَانَةِ، وَتَخَرَّجَ بِهَا، مَعَ أَنَّهُا بَلَدٌ كُفْرٌ وَجَهْلٌ، وَقَدْ تَرَدَّدَ إِلَيَّ كَثِيراً، وَذَاكَرَنِي، وَجَالَسَنِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ فِي تَعَالِيْقِي حِينَ أَلَفْتُ هَذَا الْمَجْمُوعَ سِوَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي عَلَّقْتُهُ. فَمِنْهُ قَوْلُهُ يَمْدُحُ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ يَعْقُوبَ⁽⁸⁾، وَكَانَ قَدْ انْقَطَعَ إِلَيْهِ وَلَازِمَهُ، وَحَسَدَهُ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى ذَلِكَ :

- (1) انظر دراستنا حول إبراهيم الكائمي، وهي من منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط سنة 1991.
- (2) تعبير غير دقيق، وكانم اسم مملكة مشهورة.
- (3) يقصد أن غانة هي عاصمة المملكة المعروفة بهذا الاسم.
- (4) ترجمته في مرآة الزمان : 748-749 وذيّل الروضتين 174 وشذرات الذهب 5 : 214 وانظر أخبار وفادته على المغرب في عهد الموحدين في نفع الطيب 3 : 99 وما بعدها.
- (5) كانت كلمة السيد في زمن الموحدين لا تطلق إلا عليهم ولكن كان حقه هنا أن يقول : الخليفة.
- (6) جمع جاهة، يقال جاءه وجاهة.
- (7) كتاب الجمل للزجاجي مطبوع بتحقيق ابن أبي شنب وقد عني الأندلسيون والمغاربة بدراسته ولهم عليه شروح متعدّدة.
- (8) انظر التعريف بهذا الأمير الموحدي في معلمة المغرب 1 : 94-95.

ما بَعْدَ بابِ أَبِي إِسْحَاقَ مَنزِلَةً
 — يَسْمُو إِلَيْهَا فَتَى مِثْلِي — وَلَا شَرَفُ
 أَبْعَدَ مَا بَرَكَتْ عَنِّي بِسَاحَتِهِ
 وَصِرْتُ مِنْ بَحْرِهِ اللَّجِّي أَغْتَرِفُ
 هَمًّا بِصَرْفِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ مَعْرِفَةً
 فَكَيْفَ ذَلِكَ وَأَسْمِي لَيْسَ يَنْصَرِفُ ؟

يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ (9). وَقَوْلُهُ يَخَاطِبُهُ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْمُخَاطَبَةِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ (10)،
 وَيَذْكُرُ السَّوَادَ، وَأُثْبِدَهُ لِنَفْسِهِ :

سَمِعْتُ بِأَنْ تُهْدَى الطَّرَائِفُ نَحْوَكُمْ فَسَقْتُ وَلِيداً شَاعِراً، وَهُوَ أَعْجَمُ
 وَأَنَّ الْجِيَادَ الشُّقْرَ أُسْبِقُ خَيْلَكُمْ فَهَآكَ طَيْراً سَابِقاً، وَهُوَ أَذْهَمُ
 وَلَهُ يَتَعَزَّلُ وَيَذْكُرُ زَوْجَتَهُ الَّتِي زَوَّجَهَا لَهُ بَعْضُ السَّادَةِ :

غَيْرِي عَلَيْكُمْ يَا زَهْرَاءُ يَصْطَبِرُ لِأَنَّ صَبْرِي عَلَى ذَاكَ الْهَوَى صَبْرُ
 لَوْنِي بِلَوْنِكَ مُزْدَانٌ إِذَا اجْتَمَعَا كَمَا يَزِينُ سَوَادَ الْمُقْلَةِ الْحَوْرُ
 وَإِنْ شَكَّكَتِ فَقَيْسِي قَيْسَ تَجْرِيَةِ فَنِي آخِتَارِكَ مَا يُنْسَى بِهِ الْخَبْرُ
 وَلَا يَسُوكُ مِنَ الْأَعْمَادِ حَالِكُهَا إِنْ كَانَ كَامِنَهَا الصُّمُصَامَةُ الذَّكْرُ

وَقَالَ : وَأُثْبِدُنِي لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَمِيسٍ (11) :
 وَقَائِلُ : لِمَ لَا تَهْجُو ؟ فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي لَا أَرَى مَنْ خَافَ مِنْ هَاجِي
 فَلَيْسَ ذُمْ كِرَامِ النَّاسِ مِنْ شَيْعِي وَلَيْسَ ذَمُّ لِقَامِ النَّاسِ مِنْهَاجِي
 قَالَ : وَأُثْبِدُنِي [إِحْلَالُ] مُذَاكِرَةٍ [قَالَ] : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَى السَّيِّدِ يَعْقُوبَ بْنِ
 أَبِي يَعْقُوبَ، أَثْبَدْتُ :
 أَزَالَ حِجَابَهُ عَنِّي وَعَيْنِي تَرَاهُ مِنَ الْمَهَابَةِ فِي حِجَابِ

(9) هو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

(10) انظر ما كتبه في هذا الموضوع في كتابنا : أبو المطرف ابن عميرة : 82-183.

(11) في الأعلام أكثر من واحد يعرف بابن خميس ولم أجد بينهم من ينطبق عليه الاسم.

وَقَرَّبَنِي تَفَضُّلُهُ، وَلَكِنْ بَعُدْتُ مَهَابَةً عِنْدَ اقْتِرَابِي⁽¹²⁾
وَأُنْشَدَنِي شَيْخُ الشَّيْخِ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الْكَانِمِي لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْبَاتِ فِي السَّوَادِ :
بِكُلِّ لَوْنٍ يَنَالُ الْمَرْءُ سُودَدَهُ مَهْمَا تَجَرَّدَ مِنْ أَخْلَاقِهِ السُّودِ
(1 : 38-41)

2 — أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ابْنُ أَبِي الْأَصْنَعِ الْكَاتِبُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَرَّاشِي اللَّخْمِي الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
الشَّرِيشِيِّ⁽¹³⁾، عَالِمٌ مُتَقَنَّ بَارِعٌ أَخَذَ فِي كُلِّ جَنْسٍ مِنَ الْعُلُومِ، كَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ
وَالْأَدَبِ وَالتَّفْسِيرِ وَالطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَالنُّجُومِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْأُصُولَيْنِ⁽¹⁴⁾ وَالْخِلَافِ،
وَلَمْ يَرِ مِثْلُهُ فِي تَفَنُّهِ وَكَمَالِ فَضَائِلِهِ.

خَرَجَ عَنْ وَطَنِهِ، وَنَزَلَ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ، وَهُوَ بِهَا مُقِيمٌ يُقْرَأُ الْعُلُومُ.
أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَغْرِبِيُّ الْفَقِيهَ الْقُسْطَنْطِينِيَّ^(14م)، قَالَ :
أَنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ الشَّرِيشِيِّ لِنَفْسِهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ عَمِلَهَا بِدِيَّةٍ :
يُكَلِّفُنِي كَيْتْمَانُ أَمْرِ صَبَابَتِي وَفِي مُقَلَّتِي عُتُونَهَا وَدَلِيلَهَا
وَيَحْشَى عَلَيْهَا إِنْ شَهَرْتُ بِحُبِّهَا مَقَالَةَ أَهْلِ الْحَيِّ: إِنِّي خَلِيلُهَا
فَتَهْجُرْنِي وَالْهَجْرُ لَأَشْكُ قَاتِلِي وَإِنْ مِتُّ قَالُوا: إِنَّ هَذَا قَتِيلُهَا
وَقَالُوا: أَمَا تَشْفِي فَوَادِكَ مِنْ جَوَى وَرَوْحَكَ مِنْ بَلَوَى يُذِيبُ غَلِيلَهَا
وَأَنْتَ — كَمَا قَدْ قِيلَ — فِي الطَّبِّ أَوْحَدٌ ثَبَاسِرُ أَذْوَاءِ الْوَرَى وَتُرِيْلُهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الصَّبَابَةَ حُكْمُهَا — مَعَ السَّقَمِ — أَنْ لَا يَسْتَفِيقَ عَلَيْهَا

(12) ورد هذان البيتان في مصادر متعددة من بينها كتاب الاستقصا.

(13) لم أقف على ترجمته في مصدر آخر.

(14) كذا في الأصل، والمفهوم أنهما أصول الفقه وأصول الكلام.

(14م) ستأتي ترجمته في هذا المجموع (ص 125).

وَعِنْدِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي سَلَوَةً غَرَامَ يُنَافِيهَا وَشَوْقَ يُحِيلُهَا
وَبَايَعْتُهَا طَوْعاً، فَلَسْتُ أَقِيلُهَا وَلَوْ أَنَّهَا جَارَتْ وَلَا أُسْتَقِيلُهَا
وَقَالَ :

يَا غَائِبَا يَنْغِي بِذَلِكَ تَمْنَعُ هَيْهَاتَ ! شَخْصُكَ فِي الْفُؤَادِ مُقِيمٌ
سِرٌّ حَيْثُ شِئْتَ تَكْفَلْتُ بِكَ لَوْعَةً طَيْرُ الْفُؤَادِ بِهَا عَلَيْكَ يَحُومُ
وَقَوْلُهُ مِنْ أَيْيَاتِ :

عُمْرُكَ يَا ذَا التُّهَى قَصِيرٌ فَأَعْلَمَ وَإِنْ طَالَ أَوْ تَمَادَا
يَرِيدُ نَقْصاً إِنْ زِدْتَ يَوْماً وَأَنْتَ تَقْنَى بِأَنْ تُزَادَا
(1 : 206-208)

3 — أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ

أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ الْخَزَرَجِيُّ⁽¹⁵⁾. كَانَ إِمَاماً فَقِيهاً شَافِعِيّاً مُدَرِّساً مُتَفَنِّئاً فِي
عُلُومَ كَثِيرَةٍ، وَلَهُ الْيَدُ الْبَيضاءُ فِي عِلْمِ الْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِ
الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالْكَلَامِ وَالْأُصُولِ مَعَ مَعْرِفَتِهِ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَضُرُوبِ
الْأَدَبِ.

وَصَنَعَ أَرْجُوزَةً فِي الطَّبِّ نَحْوَ ثَمَانِ مِئَةِ بَيْتٍ، وَصَنَفَ كِتَاباً آخَرَ فِي الْأُصُولِ
نَحْوَ ثَمَانِي مِجْلَدَاتٍ سَمَّاهُ : (تَقْرِيبُ الْمَطَالِبِ وَالْقَوَانِينِ، فِي أُصُولِ الدِّينِ) وَلَهُ
كِتَابٌ فِي النَّحْوِ، وَكِتَابٌ سَمَّاهُ (الْأَخْبَارُ، فِي عِلْمِ الْأَخْبَارِ)، نَزَلَ دُتَيْسِرٌ⁽¹⁶⁾
وَسَكَنَهَا، وَاتَّفَعَ بِهِ أَهْلُهَا، وَاسْتَفَادُوا مِنْهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِهَا سَنَةً إِحْدَى وَسِتِّ مِئَةٍ.

(15) له ترجمة في بغية الطلب لابن العديم 3 : 130 ونفع الطيب 2 : 614-615.

(16) قال ياقوت : دنيسر بضم أوله، بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردن، بينهما
فرسخان. وقال ابن خلكان في الوفيات (5 : 147) : «ودنيسر : بضم الدال المهملة وفتح
النون وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وبعدها راء. وهي مدينة بالجزيرة
الفراتية بين نصيبين ورأس عين، تطرقها التجار من جميع الجهات وهي مجمع الطرقات، ولهذا
قيل لها دنيسر، وهو لفظ مركب عجمي، وأصله دنياسر، ومعناه رأس الدنيا».

أُشْدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ مِنْ أَيْتٍ :
وَقَعَ الْمَلَامَ مَوَاقِعَ الْأَشْوَاقِ فَاصَابَ فِيكَ مَقَاتِلَ الْعُشَاقِ
ذَكَرَ قَدَيْتُكَ يَا عَذُولَ مُعَاتِباً إِنَّ التَّذْكَرَ رَاحَةُ الْمُشْتَاقِ
وَمِنْهَا :

جَارَتْ عَلَيْهِ الرَّاحُ، وَهُوَ مُحَادِيثٍ فَكَبَا، وَأَطْرَافُ الْحَدِيثِ بَوَاقِ
وَمِنْ مَدِيحِهَا :
مَا جَادَ حِرْصاً أَنْ يُقَالَ هُوَ الْجَوَا دُ، وَلَا تَوَقَّفَ خَشْيَةً الْأُمْلَاقِ
لَكِنَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ عَالِماً بِمَوَاقِعِ الْإِمْسَاكِ وَالْإِطْلَاقِ
وَقَالَ أَيْضاً :

أَرَى نَفَحَاتِ الرُّوضِ جَاءَتْ بِرِيَاكُمْ لَعَلَّ نَسِيمَ الرِّيحِ مَرَّ بِمَعْنَاكُمْ
إِذَا مَا شَمَمْنَاهَا طَرِبْنَا كَأَنَّهَا نَشَاوَى فَعَلَلْنَا أَلْقُلُوبَ بِذِكْرَاكُمْ
يُذَكِّرُنِي عَرَفَ آصَبَا زَمَنَ الصَّبَا فَأَزْنَاخُ لِلذِّكْرِى أَرْتِيَا حِي لِلْقِيَاكُمْ
أَلَا ضَوْعُوا ذَيْلَ النَّسِيمِ بِنَشْرِكُمْ وَحَيَاوَا لِنَحْيُوا فِي الْهُوَى بَعْضَ قَتْلَاكُمْ
وَالَا أَتَذْنُوا لِي فِي الْكَرَى عِلَّ طَيْفَكُمْ يَزُورُ، فَحَقُّ أَنْ تُعِينُوا مُعْنَاكُمْ
تَمَثَّلْتُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِنَاطِرِي فَحَيْثُ التَّفَتْنَا أَوْ نَظَرْنَا رَأَيْنَاكُمْ
وَكُنْتُ أُمْنِي النَّفْسَ قَبْلَ فِرَاقِكُمْ تَصْبِرُهَا عَنْكُمْ إِلَى جِئِنَ لَقِيَاكُمْ
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الصَّبَرَ عَنْكُمْ يَخُونُنِي وَأَنْ مَنَى آأَمَالِ أَنْ أَتَمْنَاكُمْ

قَالَ أَبُو الْفَتْحِ مَسْعُودُ النَّقَاشُ (17) : أُشْدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ لِنَفْسِهِ فِي يَوْمِ
الْحَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ مِئَةٍ بِظَاهِرِ حَلَبَ :
أَعَانِقُهُ غُصْنَا وَالْثُمَّةُ بَذْرَا وَأَرْشُفُ وَهْنًا مِنْ لَمَى فَمِهِ خَمْرَا
وَأَهْصِرُ مِنْهُ حِينَ تَنْشِيهِ نَشْوَةً تَهَادَثَ بِهِ تَيْهًا وَمَاسَتْ بِهِ سَكْرَا
كَيْتَمَالِ نُورٍ فِي ظَلَامٍ ذَوَائِبِ إِذَا مَا تَوَارَتْ شَمْسُهُ أَطْلَعَ الْبَدْرَا

(17) هو أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل، يعرف بالنقاش الحلبي ويلقب بالتاج، انظر ترجمته في بغية الطلب 10 : 294.

وَمِنْهَا :

وَتَمَّتْ بِنَا فِي اللَّيْلِ أَنْوَارُ وَجْهِهِ فَمَدَّ عَلَيْنَا مِنْ ذَوَائِهِ سِئْرَا
وَقَالَ مِنْ آيَاتٍ :

رَاضٍ بِحُكْمِ هَوَاكَ وَاجِدُ فَعَلَامَ أَنْتَ عَلَيَّ وَاجِدُ
مَا كَانَ لِي ذَنْبٌ سِوَى أَنِّي سَهَرْتُ وَأَنْتَ رَاقِدُ

أُنشِدْنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الصَّقَّارِ المارديني
الشاعر⁽¹⁸⁾، قال : أُنشِدْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَزَرَجِيُّ لِنَفْسِهِ :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرَّوْضِ لَكِنْ لِرَوْقِ زَهْرِهَا مَعْنَى عَجِيبُ
وَأَعْجَبُ مَا التَّعَجَّبُ مِنْهُ أَنِّي أَرَى الْبُسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبُ

وَأُنشِدْنِي، قَالَ أُنشِدْنِي أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ :

يَا ظَهِّي سِنْجَارٍ⁽¹⁹⁾ أَمَا تَرْتِي لِمَنْ قَدْ صَارَ مِنْ أَجْلِكَ فِي كَفِّ الْأَجَلِ
قَدْ كَانَ مَشْغُولًا بِدَرَسِ عِلْمِهِ فَالْيَوْمَ لَا عِلْمَ بَقَى وَلَا عَمَلُ

(1 : 208-211)

4 — أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابْنُ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ أَبُو الْعَبَّاسِ اللَّحْمِيُّ الْفَرِيَانِيُّ، يُنسَبُ إِلَى قُرْيَانَةٍ⁽²⁰⁾
مَوْضِعٍ مِنْ نَوَاحِي الْقَيْرَوَانِ. أُنشِدْنِي أَبُو مُحَمَّدَ عَبْدِ اللَّهِ وَلَكَدُهُ⁽²¹⁾، قال : أُنشِدْنِي
وَالِدِي لِنَفْسِهِ :

(18) من شعراء وكتاب عصره، انظر ترجمته وشعره مع الاحالة على مصادر ترجمته في الوافي
بالوفيات 22 : 347-351.

(19) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، انظر ما قيل فيها من شعر ومن نسب إليها في معجم
البلدان.

(20) جاء في معجم البلدان : «قُرْيَانَة : بضم أوله وتشديد ثانيه وكسره ثم ياء مثناة من تحت،
وبعد الألف نون : قرية كبيرة من نواحي إفريقية قرب صفاقس».

(21) توجد ترجمة لمن اسمه أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الْفَرِيَانِيُّ وهو إشبيلي في الوافي بالوفيات =

أَمَّا رَجَاءٌ فَاسْتَمَ لَا يُبَاحُ بِهِ مَا أَقْسَمَ النَّاسُ بِالْآيَاتِ وَالصُّحُفِ
فَنُقْطَةُ الْجَحِيمِ مِنْ فَوْقِ أَحَقُّ بِهَا وَالرَّاءُ تُنْقَلُ بَيْنَ الْحَاءِ وَالْأَلِفِ (22)
(1 : 292-293)

5 — أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ

ابن مُحَمَّد بن عَبْدِ الْوَهَّابِ الْقَيْسِيُّ أَبُو مُحَمَّد الْجَبَّانِي (23)، كَانَ فِيهِ فَضْلٌ
وَأَدَبٌ، وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، أَتَشَدَّنِي الصَّاحِبُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ، قَالَ : أَتَشَدَّنِي مُحَمَّد بنُ أَحْمَد بنِ يَوْسُفَ، أَتَشَدَّنِي وَالِدِي لِنَفْسِيه :
أَخْبَابَ قَلْبِي وَالْمَزَارَ بَعِيدُ لَمَنْ يَشْتَكِي مِمَّا يَحْنُ عَمِيدُ
كَفَى حَزَنًا أَنِّي عَلَى الثَّأِي عَنْكُمْ فَرِيدُ عَلَى كَرِهِ الْجَلِيسِ وَحِيدُ
وَقُلْتُمْ يَا نَبِي قَدْ تَسَلَيْتُ عَنْكُمْ وَكَيْفَ وَوَدَّي لَا يَزَالُ يَزِيدُ
وَيَأْلَفُ قَلْبِي غَيْرَكُمْ، وَهَوَاكُمُ عَلَيْهِ رَقِيبٌ لَا يَزَالُ عَتِيدُ
فَمَا زِلْتُمْ مَذْ شَطَطِ الدَّارِ بَيْنَنَا يُمَثِّلُكُمْ شَوْقٌ لَدَيَّ شَدِيدُ
نَأَيْتُمْ فَبَانَ الصَّبْرُ مِنْذُ نَأَيْتُمْ وَعِنْدِي عَلَى مَا أَدْعِيهِ شُهُودُ
سَقَامٍ بِجِسْمِي لَا يَزَالُ يَشْفُو وَعَيْنٌ كَمَا شَاءَ الشُّهَادُ تَجُودُ
ظَلِمْتُ لِلْقِيَاكُمُ فَهَاجَ تَشْوِيقِي عَلِيلٌ، وَلَكِنْ لَا يُبَاحُ وَرُودُ
(1 : 293)

= 17 : 248 كما توجد ترجمة أخرى لشاعر آخر يتوافق معه في الاسم والأب والنسب وهو
الذي يقول فيه التجاني في رحلته (83) : «ومن شعراء صفاقس أيضا ثم من الفريانيين
ورؤسائها عبد الله بن عبد الرحمن بن علي الفرياني ممن تقدم عصرنا قليلا، مولده بمالقة من
بلاد الأندلس وأبوه هو المنتقل إليها من صفاقس، له رحلة أبعد التجة فيها شرقا وغربا».
(22) من الواضح أن البيتين في هجاء شخص اسمه رجاء، وهما كقول بعضهم فيمن اسمه رجاء
أيضا (معجم الأدباء : 284) :

أَمَّا رَجَاءٌ فَأَرْجَا مَا أَمَرْتُ بِهِ فَكَيْفَ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَأْمُرْهُ يَا نَبِي
بَادِرْ بِجُودِكَ مَهْمَا كُنْتُ مُقْتَدِرًا فَلَيْسَ فِي كُلِّ حَالٍ أَتْ مُقْتَدِرُ
(23) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

6 — سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن عبد المؤمن بن علي : الأمير السيد الفاضل أبو الربيع⁽²⁴⁾، وجدّه المُستُولي على بلاد المغرب⁽²⁵⁾، تُوفي سنة تسع وِسِت مئة. حَدَّثَنِي شَيْخُ الشُّيوخ ابن حَمُوَيْه بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ سنة أَرْبَعِينَ وَسِت مئة، قَالَ : لَمَّا وَرَدْتُ إِلَى مَرَاكِش كَانَ الْأَمِيرُ أَبُو الرَّبِيعِ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يَلِي مَدِينَةَ سِجْلَمَاسَةَ⁽²⁶⁾ وَأَعْمَالَهَا، وَاجْتَمَعَتْ بِهِ جِئِينَ قَدِمَ إِلَى مَرَاكِش بَعْدَ وَفَاةِ السَّيِّدِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ يَوْسُفَ لِمُبَايَعَةِ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ، وَزُرْتُهُ فِي دَارِهِ لِعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، فَرَأَيْتُ شَيْخًا بَهِي الْمَنْظَرِ، حَسَنَ الْمَخْبَرِ، فَصِيحَ الْعِبَارَةِ بِاللُّغَتَيْنِ، مَتَمَكِّنًا مِنَ الْبَرَاةِ وَالْبَلَاغَتَيْنِ.

بَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ يُمْلِي عَلَى كَاتِبِهِ الرِّسَائِلَ الصَّنِيعَةَ بِغَيْرِ تَوَقُّفٍ، وَإِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ يَحْتَاجُ إِلَى الْخَطَابَةِ اخْتَرَعَهُ بِلَا تَكَلُّفٍ، وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي اللُّغَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْمَعُهُ يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرَبِيَّةِ. فَمِنْ كَلَامِهِ قَوْلُهُ فِي جَوَابِ رِسَالَةٍ إِلَى مَلِكِ السُّودَانِ بِعَانَةِ وَأَعْمَالِهَا يُنَكِّرُ عَلَيْهِ تَعْوِيقَ تِجَارٍ وَرَدُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ، قَالَ لِكَاتِبِهِ : أَجِبْهُ عَنْ كِتَابِهِ، وَاكْتُبْ إِلَيْهِ فِي أَثْنَائِهِ : «نَحْنُ نَتَجَاوَرُ بِالْإِحْسَانِ، وَإِنْ تَخَالَفْنَا فِي الْأَدْيَانِ، وَتَتَفَقَّ عَلَى السَّيِّئَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَنَتَأَلَّفُ عَلَى الرُّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَدْلَ مِنْ لَوَازِمِ الْمُلُوكِ فِي حُكْمِ السِّيَاسَةِ الْفَاضِلَةِ، وَالْجَوْرُ لَا يُعَايِنُهُ إِلَّا النُّفُوسُ الشَّرِيرَةُ الْجَاهِلَةُ، وَقَدْ بَلَّغْنَا احْتِبَاسَ مَسَاكِينِ التُّجَّارِ، وَمَنْعَهُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيمَا هُمْ بِصَدْدِهِ، وَتَرَدُّدِ الْجَلَابَةِ إِلَى الْبِلَادِ مُفِيدٌ لِسُكَّانِهَا وَمُعِينٌ عَلَى التَّمَكُّنِ مِنْ اسْتِيطَانِهَا، وَلَوْ شِئْنَا لاحتَبَسْنَا فِي جِهَاتِنَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ لَكِنَّا

(24) كان هذا الأمير الشاعر موضوع رسالة الزميل الدكتور عباس الجراري، وعنوانها : الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي، وقد طبعت مرتين، ولم تكن ترجمة ابن الشَّعَّارَ معروفةً وقتئذٍ، وانظر كذلك ديوان الأمير أبي الربيع، وهو مطبوع ودراستنا حول ابن عبد ربه الحفيد كاتب هذا الأمير.

(25) يقصد عبد المؤمن بن علي.

(26) كانت ولاية سِجْلَمَاسَةَ من أهم الولايات في عهد الموحدين.

(26) المقصود باللغتين هنا العربية والبربرية.

لَا نَسْتَضِيبُ فِعْلَهُ، وَلَا يَتَّبِعِي لَنَا أَنْ نَنْهَى عَنْ خُلُقٍ وَنَأْتِيْ بِمِثْلِهِ وَالسَّلَامُ» (27).
 وَوَقَعَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ كَثُرَتْ الشَّكََاوِي مِنْهُ : «قَدْ كَثُرَتْ فِيكَ الْأَقْوَالُ، وَاعْضَائِي
 عَنْكَ رَجَاءٌ أَنْ تَنْقِظَ فَتَنْصَلِحَ الْحَالَ، وَفِي مُبَادَرَتِي إِلَى ظُهُورِ الْإِنْكَارِ عَلَيْكَ
 نِسْبَةٌ إِلَى سُوءِ الْإِخْتِيَارِ، [وَعَدَمِ الْإِخْتِيَارِ] (28) فَاحْذَرِ فَإِنَّكَ عَلَى جُرْفٍ هَارٍ».
 وَمِنْ شِعْرِهِ الْمَشْهُورِ قَصِيدَةٌ يَمْدَحُ فِيهَا السَّيِّدَ يَعْقُوبَ بْنَ يُوسُفَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ
 وَوَلِيِّ نِعْمَتِهِ :

هَبْتُ بِبَصَرِكُمْ الرِّيَّاحُ الْأَرْبَعُ وَجَرَتْ بِسَعْدِكُمْ التُّجُومُ الطَّلُعُ
 فَأَمَدَكَ الرَّحْمَنُ بِالْفَتْحِ الَّذِي مَلَأَ الْبَسِيطَةَ نُورُهُ الْمُتَشَعِّشُ
 لِمَ لَا ؟ وَأَنْتَ بَذَلْتَ فِي مَرْضَاتِهِ نَفْسًا تُقَدِّمُهَا الْخَلَائِقُ أَجْمَعُ
 وَمَضَيْتَ فِي نَصْرِ آلِهِ مُصَمِّمًا بِعَزِيمَةٍ كَالسَّيْفِ بَلْ هِيَ أَقْطَعُ
 لِلَّهِ جَيْشُكَ، وَالصُّوَارِمُ تُنْتَضِي وَالْحَيْلُ تُجْرِي وَالْأَسِنَّةُ تَلْمَعُ
 مِنْ كُلِّ مَنْ تَقْوَى إِلَهُهُ سِلَاحُهُ مَا إِنَّ لَهُ غَيْرَ التَّوَكُّلِ مَفْرَعُ
 لَا يُسْلِمُونَ إِلَى التَّوَارِلِ جَارَهُمْ يَوْمًا إِذَا أَضْحَى الْجَوَارُ يُضْبِعُ

يَقُولُ فِيهَا وَيَصِفُ انْهَزَامَ الْعَدُوِّ :
 إِنَّ ظَنًّا أَنْ فِرَارَهُ مُنْجٍ لَهُ
 أَيْنَ الْمَفَرُّ وَلَا فِرَارَ لِهَارِبٍ
 أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الرَّضِي هُنَيْئُهُ
 فَلَقَدْ كَسَوْتَ الدِّينَ عِزًّا شَامِخًا
 هَيْهَاتَ سِرُّ اللَّهِ أَوْدَعَ فِيكُمْ
 لَكُمْ الْهُدَى لَا يَدَّعِيهِ سِوَاكُمْ
 إِنَّ قِيلَ : مَنْ خَيْرُ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا ؟
 إِنَّ كُنْتَ تَتْلُو السَّابِقِينَ فَأَنْمَأَ

فَبِحُجْلِهِ قَدْ ظَنَّ مَا لَا يَنْفَعُ
 وَالْأَرْضُ تُنْشَرُ فِي يَدَيْكَ وَتُجْمَعُ
 فَتَحْ يَمَدُ بِمَا سِوَاهُ وَيُشْفَعُ
 وَلَبَسْتَ مِنْهُ أَنْتَ مَا لَا يُخْلَعُ
 وَاللَّهُ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ
 وَمَنْ أَدْعَاهُ يَقُولُ مَا لَا يَسْمَعُ
 فَإِلَيْكَ يَا يَعْقُوبُ تُؤْمِي الْأَصْنَعُ
 أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَالْخَلَائِقُ تُبْعُ

(27) نقل هذا الكلام المقرئ في نفح الطيب 3 : 105 .

(28) من نفح الطيب 3 : 105 .

خُذَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَدِيحَةً
فَالْمَدْحُ مِنِّي فِي غَلَاكَ طَبِيعَةً
وَاسْلَمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأُمَّةٍ
وَعَلَيْكَ يَا عَلَمَ الْهُدَاةِ تَحِيَّةٌ
مِنْ قَلْبِ صَدِّقٍ لَمْ يَشْبُهُ تَصْنَعُ
وَالْمَدْحُ مِنْ غَيْرِي إِلَيْكَ تَطْبَعُ
أَنْتَ الْمَلَأْدُ لَهَا وَأَنْتَ الْمَفْزَعُ
يَفْنَى الزَّمَانُ وَعَرَفَهَا يَتَضَوُّعُ⁽²⁹⁾

وَأُشَدَّنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرِيَّانِي⁽³⁰⁾، قَالَ :
أُشَدَّنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْجَزُولِيُّ^(30م)، قَالَ : أُشَدَّنِي السَّيِّدُ أَبُو الرَّبِيعِ
لِنَفْسِهِ فِي مَدْحِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى⁽³⁰⁾ :

لِقَاؤُكَ صَيَّرَ الْأَيَّامَ عِيدًا
وَقَدْ هَشَّ النَّسِيمُ لَهَا مُلَاءً
وَزَفَّ مِنَ الظَّلَامِ عَرُوسَ زَنْجٍ
فَقَالَ الْعَاقِلُونَ أَلَمْ مُوسَى
وَكُلُّهُمْ أَثَارَ قَطَاةِ صَدِّقٍ
تَعَطَّرَ ثُرْبُ مَسْرَاهُ فِدَاسَتْ
وَهَمَّتْ أَنْ تُخَرَّ لَهُ الدَّرَارِي
وَلَوْ حُدِثَ مَطَايَاهُ خُذُودًا
تُحَيِّي مِنْ أَبِي عِمْرَانَ بَدْرًا
تَأْتَقَتِ الْفَضَائِلُ فِيهِ لَمَّا
وَرَامَتْ أَنْ تَزِيدَ فِيهِ حُسْنًا
يُفَنِّدُ مَنْ يَرُومُ بِهِ لِحَاقًا
وَمَا عَدِمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ شَيْئًا
وَأُنْشَأَ حُسْنَهَا خَلْقًا جَدِيدًا
تَمَاسَّتِ الْمُنَى فِيهَا قُدُودًا
تَحَلَّتْ مِنْ كَوَاكِبِهِ عُقُودًا
وَقَالَ الْجَاهِلُ: الْعَيْدُ اسْتَعِيدَا
يُقِيمُ بِهَا لَدَعْوَاهُ شُهُودًا
بِهِ الْفُرْسَانُ مِسْكَاً لَا صَعِيدَا
فَتَلْقَاهُ رُكُوعاً أَوْ سُجُودًا
وَأَرْضَاهُ حَدُونَاهُ الْخُذُودَا
مُلْقَى فِي مَطَالِيعِهِ السُّعُودَا
أَنَاحَ اللَّهِ مِنْهُ لَهَا الْوُجُودَا
فَلَمْ يَدْعِ الْكَمَالَ لَهَا مَزِيدَا
وَيُعْذِرُ مَنْ يَبِيتُ لَهُ مَسُودَا
تُسَرُّ بِهِ سِوَى الْأَ يَبِيدَا

(29) القصيدة مما ينسب إليه وهي في الديوان : 20-22، ونفح الطيب 3 : 106 وقد قيلت في تهنة الخليفة يعقوب المنصور بفتح قفصة سنة 583.

(30) هو ولد المُعَرَّف به أنفا، راجع ص 30.

(30م) لم أقف على ترجمة له.

(30) راجع الحاشية رقم 57 في التقديم.

لَعَلَّ مُصِيرَ الدُّنْيَا جَنَانًا بِهِ يَقْضِي لَهُ فِيهَا الْخُلُودَا(31)
وله :

يَا سَائِلِي مَا لِي أَرَاكَ ضَيِّلاً
وَأَرَى فُؤَادَكَ مِثْلَ بَرْقٍ خَافِقٍ
هَذِي شَمَائِلُ مَنْ جَفَاهُ حَبِيبُهُ
أَنْتِ وَالْعَلِيمِ بِمَا تُكِنُّ جَوَانِحِي
وَزُرِ الدَّيَّارُ إِذَا وَصَلْتَ مُسَلِّمًا
وَأَفِرِ السَّلَامَ عَلَى الْوَفِّ(32) وَقُلْ لَهَا
قَتَلْتَهُمْ أَصْنَمُهُمْ لَحِظِكَ الْجَانِي فَمَا
قَالَتْ: فَسِرْ نَحْوَ الْحَبِيبِ، وَقُلْ لَهُ:
إِنِّي أَطْنَكَ بِالْهَوَى مَشْغُولًا
وَأَرَى دُمُوعَكَ قَدْ جَرَيْنَ سُبُولًا
أَتُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَيْهِ رَسُولًا؟
فَاذْهَبْ — هُدَيْتُ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلًا
وَانْدُبْ بِهَا قَلْبِي الصَّدِيعَ طَوِيلًا
بَتَلَطُّفٍ أَحْيَى — فُدَيْتُ — قَتِيلًا
أَبْقَيْنَ فِيهِ سَيِّئَ السَّقَامِ دَخِيلًا
بِي مِثْلُ مَا بِكَ فَاطْرُحْ مَا قِيلَا(33)
(3 : 75-79)

7 — سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَيُّوبَ

ابن مالك أبو الحسن الأزدي الغرناطي الأندلسي(34). كان من العلماء
المتفنين في عصره، الأفاضل، إماماً في البلاغة والخطابة، والشعر والكتابة، قادراً
على إنشاء الكلام نظماً ونثراً، فقيهاً مالكي المذهب، عارفاً بأصول الدين،
وأصول الفقه مقدماً في علم الأدب والعربية، مبرزاً في علم المنطق والجدل.
أنشدني أبو الوليد إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل بن أحمد البلوي القضاعي
البياسي(35) في العشر الآخرة من جمادى الأولى بحلب سنة أربع وثلاثين

(31) لا توجد هذه القصيدة في ديوان أبي الربيع.

(32) ورد هذا الاسم في الديوان أكثر من مرة.

(33) انظر القصيدة بنامها في الديوان : 58.

(34) انظر ترجمته مع الإحالة على مصادرها في الذيل والتكملة 4 : 101-124 وفي ترجمة ابن
الشعار هنا فوائد جديدة.

(35) سيأتي ذكره في ص 54.

وَسِتِّ مِثَّةً، قَالَ : أَنُشَدْنِي أَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ الْغُرْنَاطِيُّ لِنَفْسِهِ فِي سَنَةِ
تِسْعٍ وَسِتِّ مِثَّةٍ وَقَدْ فَارَقَ وَطَنَهُ وَنَزَلَ مَدِينَةَ سَبْتَةَ :

لَمَّا حَطَّطْتُ بِسَبْتَةِ قَتَبَ النَّوَى وَالْقَلْبُ يَرْجُو أَنْ تُحَوَّلَ حَالُهُ
أُبْصِرْتُ مِنْ بَلَدِ الْجَزِيرَةِ مَكْنَسًا وَالْبَحْرُ يَمْنَعُ أَنْ يُصَادَ غَرَالُهُ
كَالشَّخْصِ فِي الْمِرَاقَةِ تُبْصِرُهُ وَقَدْ قُرِبَتْ مَسَافَتُهُ وَعَزَّ مَنَالُهُ⁽³⁶⁾

وَحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ اللَّحْمِي الْفَرِیَّانِيُّ⁽³⁷⁾،
قَالَ : أَخْبَرَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ السَّبْتِيُّ⁽³⁸⁾، قَالَ : كَانَ لِلْفَقِيهِ الْإِمَامِ
الْعَلَّامَةِ أَبِي الْحَسَنِ سَهْلِ بْنِ مَالِكٍ خَطِيبُ غُرْنَاطَةَ — كَلَّاهَا اللَّهُ — ابْنٌ مُذْمَنٌ
عَلَى شَرْبِ الْخَمْرِ وَتَعَشَّقَ جَارِيَةً فَكَانَ أَبُوهُ كَثِيرًا مَا يَنْهَاهُ عَنْهَا وَعَنِ الشُّرْبِ
مَعَهَا، وَهُوَ [لَا يَزْدَادُ] مَعَ ذَلِكَ إِلَّا غَرَامًا، فَلَمَّا لَمْ يُجِبْهُ إِلَى تَرْكِ مَا عَلَّقَ بِهِ
مِنْ ذَلِكَ حَبْسَهُ وَقَيْدَهُ، وَبَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ مُدَّةً طَوِيلَةً، ثُمَّ سَرَّحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ
لِمَوْشَحَةٍ صَنَعَهَا، وَصَنَعَ طَعَامًا، وَأَرَادَ أَنْ يَحْضُرَ أَصْحَابَهُ فَيَأْكُلُونَ ذَلِكَ الطَّعَامَ
فِي مَنْزِلِ ابْنِهِ لِيَطِيبَ قَلْبُهُ، فَتَقَدَّمَ أَبُوهُ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَوَجَدَ الْبَابَ مَفْتُوحًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَوَجَدَهُ يَشْرَبُ مَعَ تِلْكَ الْجَارِيَةِ وَهِيَ تَسْقِيهِ بِفِيهَا خَمْرًا، فَرَجَعَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ
ابْنَهُ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ اسْمَ الْجَارِيَةِ :

يَا مَنْ أَرَاعِيهِ مِلءَ عَيْنِي خَفَ وَصْلَةً أُغْفِبَتْ بَيْنَ
إِذَا تَمَكَّنْتَ مِنْ فُلَاكَةٍ فَمَرَّةً وَائْتَرُكَ انْتَتَيْنِ
فَمَا سَقَتْ خَمْرَةً بِفِيهَا إِلَّا لِتَشْقَى بِسَكْرَتَيْنِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُهُ :

يَا وَاحِدَ الدَّهْرِ دُونَ مَيْنِ وَمَنْ تَحَلَّى بِكُلِّ زَيْنِ
مِثْلُكَ يَنْهَى أَخَا غَرَامٍ عَنْ وَصْلَةٍ أُغْفِبَتْ بَيْنِ ؟

(36) الأبيات أيضا في اختصار القدح : 62 والذيل والتكملة 4 : 106 وزاد المسافر : 54 ونفع
الطيب 4 : 8.

(37) تقدم ذكره في ص 30 وص 34.

(38) لعله الذي تقدمت ترجمته ص 28.

وَقَدْ نَهَيْتُ الْفُؤَادَ لَكِنْ يَرْجِعُ قَلْبِي لِحُكْمِ عَيْنِي⁽³⁹⁾
 قَالَ : فَسَكَتَ عَنْهُ، وَوَصَّلَهُ، وَلَمْ يُعْرَضْ بِذِكْرِ الْجَارِيَةِ أَبَدًا.
 (3 : 122-125)

8 — صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ أَبُو الْبَحْرِ

الْمُرْسِي الأَنْدَلُسِي⁽⁴⁰⁾، كَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا مُتَقِنًا كَثِيرَ الشُّعْرِ أَدِيبًا مُفْتَدِرًا
 عَلَى النَّظْمِ وَالتَّنْثِيرِ وَافِرَ الْمُحْفُوظَاتِ، حَسَنَ الْمَعْرِفَةِ لَهُ رَسَائِلُ وَخُطَبٌ وَدِيَوَانٌ
 مُشْتَمِلٌ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْقَرِيضِ⁽⁴¹⁾. وَكَانَ ذَا تَمَكُّنٍ مِنَ الْعُلُومِ الْأَدَبِيَّةِ،
 وَأَفَرَّدَ مِنْ شِعْرِهِ مُجَلَّدَةً فِي أَهْلِ أَلْبَيْتِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ⁽⁴²⁾. وَكَانَ

(39) لم أقف على هذه المجابوة الشعرية في مكان آخر، ولسهل بن مالك أشعار متفرقة في الذيل
 والتكملة واختصار القدح والإحاطة ونفع الطيب وغيرها. هذا وقد خلف سهل بن مالك
 أولاداً وإليهم وجه الكاتب ابن الجنان تعزيتة البليغة ونعرف منهم أبا عبد الله محمد المتوفى
 سنة 670هـ ولهذا ولدان ترجم لهما ابن حجر في الدرر الكامنة أحدهما أبو القاسم محمد
 ابن محمد بن سهل الذي حج وطاف ببعض بلدان المشرق ومات بمصر عام 730هـ والثاني
 هو أبو عبد الله محمد المتوفى بغرناطة عام 731هـ، الذيل والتكملة 4 : 108 والدرر الكامنة
 4 : 178-179.

(40) توجد ترجمة صفوان بن إدريس مع الإحالة على مصادرها في الوافي بالوفيات 16 : 321
 والذيل والتكملة 4 : 140-143.

(41) لا يوجد من آثاره الآن إلا كتابه زاد المسافر وبعض رسائل وأشعار متفرقة.

(42) لم يبق من هذه المجلدة بين أيدينا الآن إلا قصيدتان وردتا في كتاب إعمال الاعلام لابن
 الخطيب (مخطوط خ.ح) وقطعة من قصيدة عارض بها الحريري في قوله :
 خَلَّ آذَكَارَ الْأَرْبَعِ.

ومطلع قصيدة هو :

يَا عَيْنَ سَحْيٍ وَلَا تَسْحِي وَلَوْ يَدْمَعُ بِحَذَفِ عَيْنٍ
 وهما في نفع الطيب (5 : 69-70) وتخميس قصيدة امرئ القيس :

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي

وهو في المجموع المخطوط المحفوظ في خزانة الاسكوريال رقم 470.

قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنْ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّ مِئَةٍ (42م) فِيمَا أُخْبِرْتُ، أَنُشِدَنِي مِنْ شِعْرِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ الْبَلَنْسِيِّ (43)، وَذَكَرَ لِي أَنَّهُ أَذْرَكَ آخِرَ أَيَّامِهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُ شَيْئًا، وَهُوَ الْقَائِلُ :

يَا حُسْنُهُ وَالْحُسْنُ بَعْضُ صِفَاتِهِ	وَالْحُسْنُ مُؤَفَّقٌ عَلَى حَرَكَاتِهِ
بَدَّرَ لَوْ أَنَّ الْبَدْرَ قِيلَ لَهُ: اقْتَرَحْ،	أَبْدَأْ، لَقَالَ: أَكُونُ مِنْ هَالَاتِهِ
يُعْطِي ارْتِيَاخَ الْحُسْنِ غُصْنًا أَمْلَدًا	حَمَلَ الصَّبَاحَ، فَكَانَ مِنْ زَهْرَاتِهِ
وَالْحَالُ تَنْقُطُ مِنْ صَحِيفَةٍ يَحْدُهُ	مَا خَطَّ جَبْرُ الصُّدُغِ مِنْ نُونَاتِهِ
وَإِذَا هِلَالُ الْأَفْقِ قَابِلٌ وَجْهَهُ	عَافَيْتُهُ كَالشَّمْسِ فِي مِرَاتِهِ
مَا زِلْتُ أُخْطِبُ لِلزَّمَانِ وَصَالَهُ	حَتَّى دَنَا، وَالْبُخْلُ مِنْ عَادَاتِهِ
غَفَلَ الرَّقِيبُ فَنِلْتُ مِنْهُ نَظْرَةً	يَا لَيْتَهُ لَوْ دَامَ فِي غَفَلَاتِهِ
بِتَنَا نُشْعَشِعُ، وَالْعَفَافُ نَدِيمُنَا	خَمْرَيْنِ مِنْ غَزَلِي وَمِنْ كَلِمَاتِهِ
وَضَمَمْتُهُ ضَمَّ الْبَخِيلِ لِمَالِهِ	أَخْنُو عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ
حَتَّى إِذَا اغْتَلَقَ الْكَرَى بِجُفُونِهِ	وَاشْتَدَّ فِي عَضْدِي طَوْعُ سِنَاتِهِ
عَزَمَ الْعَرَامُ عَلَيَّ فِي تَقْبِيلِهِ	فَتَفَضُّتُ أُيْدِي الطَّوْعِ مِنْ عَزَمَاتِهِ
وَأَبَى عَفَافِي أَنْ يُقْبَلَ ثَغْرُهُ	وَالْقَلْبُ مَطْوِيٌّ عَلَى جَمَرَاتِهِ
فَاعْجَبْ لِمُلْتَهَبِ الْجَوَانِحِ غُلَّةً	يَشْكُو الظَّمَا، وَالْمَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ (44)

وَأَنُشِدَنِي الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى (45)، قَالَ :

أَنُشِدَنِي أَبُو الْرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الْجِمِيرِي الشَّاكِرُ تَنِي

(42م) ذكر ابن الأثير أنه توفي ليلة يوم الاثنين السادس عشر من شوال سنة 598.

(43) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 122 وما بعدها.

(44) أورد ابن سعيد في المغرب أبياتا من هذه القصيدة وقال أنه كان يُعْنَى بها في الآفاق، وقد وردت القصيدة بتمامها في الوافي بالوفيات.

(45) هو مؤلف تاريخ إربل الذي انتقينا منه بعض التراجم لهذا المجموع.

الْقُرْطُبِيُّ (46)، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو بَكْرٍ يَزِيدُ بْنُ صِفْلَابٍ الْمَرْيِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ (47)،
وَقَالَ : أُنْشَدَنِي صَفْوَانُ بْنُ إِدْرِيسَ لِنَفْسِهِ :
سَلَّمَ إِذْ مَرَّ بِنَا شَادِنَ يَا لَيْتَهُ مِنْ لَحْظِهِ سَلَمًا
وَقَبْلَ الْأُصْبَعِ مِنْ نَحْوِهِ كَأَنَّهُ يَسْتُرُ عَنَّا الْقَمَا (48)
(3 : 170-177)

9 - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّاطِطِيُّ الْبُوتِيُّ (49)، وَبَوَّتَ حِصْنَ بِشَرْقِي شَاطِطَةَ (50)، كَانَ
شَاعِرًا مُتَأَدِّبًا حَافِظًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقِيهًا عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَهُ شِعْرٌ مَبْلِغٌ.

أُنْشَدَنِي (51) أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى الْبُوتِيُّ لِنَفْسِهِ فِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ
ابْنِ حَرْبٍ (52) الشَّاعِرِ يَمْدَحُهُ :

مَا حَبِيبٌ أَوْ أَلْوَلِيدُ (53) إِذَا مَا صُغْتُ مِنْ جَوْهَرِ الْقَرِيضِ نِظَامًا
لَمْ نَحُلْ فِي الْأَنَامِ قَبْلَكَ شَخْصًا فِكْرُهُ بِالنُّهَى يَصُوبُ غَمَامًا

(46) انظر ترجمته في هذا المجموع ص 103 وص 179.

(47) انظر ترجمته مع الإحالة على مصادرها في تحفة القادِم : 178-180 وراجع أيضا كتابنا :

ابن عبد ربه الحفيد : 42-43، وستأتي ترجمته أيضا ضمن هذا المجموع ص 168.

(48) أوردهما الشاعر في كتابه زاد المسافر بعد قول سهل بن مالك في آخر قطعة له :

وَأَوْمًا لِتَوْدِيعِي بَلْثَمِ بِنَانِهِ فَلَمْ أَذِرْ هَلْ أَوْمًا بِهَا أَمْ تَحْتَمَا

(49) لم أقف له على ترجمة له في مصدر آخر.

(50) راجع في البوت المغرب لابن سعيد ومعجم البلدان والروض المعطار.

(51) المتحدث هو ابن الشعار.

(52) ستأتي ترجمة ابن الشعار له في هذا المجموع ص 53.

(53) يقصد أبا تمام والبحري.

إِنَّمَا أَنْتَ فِي الْبَلَاغَةِ فَذُّ وَأَرَى مِنْ سِوَاكَ فِيهَا تَوَامَا⁽⁵⁴⁾
لَكَ فِي الْكَيْمِيَاءِ سِرٌّ عَجِيبٌ فَتٌ فِيهِ الْوَرَى فَصِرَتْ إِمَامَا
تَنْفُتُ الْقَوْلَ مِنْ جَنَانِكَ سِحْرًا يَسْتَفْزُ الْحِجَا فَيُدْعَى كَلَامَا
(3 : 277)

10 — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو مُحَمَّدٍ الشَّاطِئِي⁽⁵⁴⁾

كَانَ مِنْ أَعْيَانِ أَهْلِ شَاطِئَةِ وَفُضِّلَتْهَا الْمُشْتَهَرِينَ بِالْفَضْلِ وَالْآدَابِ، شَاعِرًا
فَقِيهًا مُتَرَسِّلًا.

أُنشِدَنِي⁽⁵⁵⁾ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ لِنَفْسِهِ فِي عَامِلٍ جَائِرٍ لَهُ وَلَدٌ جَمِيلٌ حَسَنُ
الصُّورَةِ :

عَدَا جَوْرٌ مُوسَى وَجَوْرٌ آيْنُهُ عَلَى كُلِّ خَلْقٍ بَدَا أَوْ حَضَرَ
فَهَذَا يَجُورُ بِسُمْرِ الْبِرَاعِ وَهَذَا يَجُورُ يَبْيِضُ الْحَوْرُ
وَأُنشِدَنِي — قَالَ — لِنَفْسِهِ :

أُشْبِهْتُ وَجْهَكَ الْغَزَالَةَ حُسْنًا وَحَكَكَ الْغَزَالَ طَرْفًا وَلَيْثًا⁽⁵⁶⁾
وَوَلِيْتُ الْجَمَالَ مَلَكًا عَظِيمًا فَتَوَلَيْتُ مُعْرِضًا إِذْ وَلَيْثًا
(3 : 277-278)

(54) أي توأما.

(54) لعلّه المذكور في تحفة القادِم : 239.

(55) المتحدث هو ابن الشعَار أيضا.

(56) الليت — بكسر اللام — : صفحة العنق.

11 — عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ يَخْلِفَتْنِ

ابنُ أَحْمَدَ أَبُو زَيْدٍ الْفَارَازِي الْمَغْرِبِي⁽⁵⁶⁾ السَّاكِنُ بِمَدِينَةِ مُرَّاكُشَ، فَاضِلٌ عَالِمٌ مُقَدَّمٌ فِي الْأَدَبِ، كَبِيرُ الْمَحَلِّ فِي الْفَضْلِ، شَاعِرٌ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْكَلَامِ، صَاحِبُ فَصَاحَةٍ فِي الْإِنْشَاءِ، نَزَلَ مُرَّاكُشَ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ مَلِيكِهَا، وَحَظِيَ لَدَيْهِ، وَقَلَدَهُ الْوِزَارَةَ وَكِتَابَةَ الْإِنْشَاءِ⁽⁵⁷⁾. وَلَهُ شِعْرٌ كَثِيرٌ فِي كُلِّ نَوْعٍ⁽⁵⁸⁾. أَنشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ طَلْحَةَ الْأَنْصَارِي السَّبْتِيُّ⁽⁵⁹⁾ بِمَدِينَةِ إِرْبِلَ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، قَالَ : أَنشَدَنِي الْوَزِيرُ أَبُو زَيْدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَارَازِي لِنَفْسِهِ :

أُرِيدُ اسْتِنَافًا كُلَّمَا زِدْتَنِي بَعْدًا
وَتَشَفَّعَ عِنْدِي فِي صُدُودِكَ لَوْعَةً
وَمَا مَرَّ يَوْمٌ مِنْ شَدِيدِ مَوَدَّتِي
كَأَنَّ الْهَوَى جِسْمَ ثَوَى بَيْنَ أَضْلَعِي
أَرَى نَارَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَ جَوَانِحِي
وَمَا جَزَعَنِي لِلْمَوْتِ إِلَّا لِعِلَّةٍ
عَجِبْتُ لِأَهْلِ الْوَجْدِ مَاثُوا بِوَجْدِهِمْ
فَلَوْ أَنَّ مَنْ أَهْوَاهُ فِي عِلْمٍ مِنْ مَضَى
وَلَا مَشَتْ أَلْحُنْسَاءُ تَسْحَبُ ذَيْلَهَا

وَأَلْفَ وَجْدًا حِينَ أَطْرَحُ الْوَجْدَا
تُجَادِثْنِي لَا أَسْتَطِيعُ لَهَا رَدًّا
— وَحَقِّكَ — إِلَّا زِدْتُ فِي عَدِّهِ وَدًّا
فَضَمَّ عَلَيْهِ الشَّوْقُ مِنْ جَسَدِي بَرْدًا
تَشُبُّ، وَلَكِنْ لَا سَلَامًا وَلَا بَرْدًا
إِذَا لَمْ تَقَرَّ الْعَيْنُ لَا تَشْمُتْ الْأَعْدَا
وَمَا اعْتَنَقُوا غُصْنًا وَلَا ارْتَشَفُوا شَهْدَا
لَمَّا عُشِقْتُ بُنْيَ، وَلَا مُدِحْتُ سَعْدَى
وَلَا عَلَقْتُ غَفْرَاءُ فِي جِيدِهَا عِقْدَا

(56) ترجمته في الوافي 18 : 302-303 مع الإحالة على مصادر أخرى في الحاشية. ويبدو من نسبة المترجم الفارازية أنه مغربي ولكن ابن الأبار عدّه في الأندلسيين، وذكر ابن عبد الملك أخاه أبا عبد الله في قسم الغرباء عن الأندلس ولعله ذكره فيهم كذلك، انظر أيضا الذيل والتكملة 8 : 362-364 وقد عدّه مؤلف المفاخر من أعلام البربر.

(57) الملك المشار إليه هو أبو العلاء إدریس بن المنصور الملقب بالمامون.

(58) للمترجم أشعار وموشحات في أغراض مختلفة، وقد انصرف في آخر حياته إلى القول في الزهد والتوسل والمدح النبوي.

(59) انظر ترجمة والده في الذيل والتكملة 1 : 377.

إِذَا ظَفَرْتُ عَيْنَايَ مِنْكَ بِنَظَرَةٍ فَقَدْ مُلِثَ عِزًّا وَجَاوَرَتِ الْخُلْدُ (60)
(3: 359-361)

12 — عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ

ابْنُ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ بْنِ عِمْرَانَ الْأُمَوِيِّ الْعُمَارِيِّ السَّبْتِيِّ (61). وَمَوْلَدُهُ فِي شَوَّالِ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بَيَادِيَّةِ سَبْتَةٍ. الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْمُدَرِّسُ الْمُفْتِي، تَفَقَّهُ بِفَاسَ وَبِهَا تَأَدَّبَ عَلَى الْأُسْتَاذِينَ: ابْنِ رِيْدَانَ وَابْنِ خُرُوفٍ (62)، الْأُدَيْبُ النَّحْوِيُّ، وَبِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِبَغْدَادَ وَالشَّامِ. وَسَمِعَ الْبُخَارِيَّ وَالْمَوْطَأَ وَالسُّنَنَ (63) وَمُسْلِمَ بَفَاسَ، وَتَفَقَّنَ فِي عُلُومِ شَيْئٍ مِنَ الْأُصُولَيْنِ وَالْخِلَافِ وَالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَعُلُومٍ أُخْرَى. وَقِيلَ: إِنَّهُ اسْتَظْهَرَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ نَيْتٍ مِنَ الْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ. فَمِنْ شِعْرِهِ:

وَافَى بِلَيْلٍ، وَلَيْلُ الشَّعْرِ سَاتِرُهُ	طَبِّي غَرِيرٌ غَضِيضُ الطَّرْفِ فَاتِرُهُ
عَلَى قَوَامٍ يَكَادُ اللَّيْلُ يَمَحَقُهُ	لَوْلَا الْكَثِيبُ الَّذِي ضَمَّتْ مَازِرُهُ
حُلُوُ الشَّمَائِلِ مَكْحُولٌ مَدَامِعُهُ	وَلَمْ تُعْمَضْ عَلَى كُحْلِ نَوَاطِرُهُ
كَفَرَّةُ الْبَدْرِ إِشْرَاقًا مَحَاسِنُهُ	وَلَمَحَةُ الْبَرْقِ إِيمَاضًا سَوَافِرُهُ
إِذَا ذَكَا فَسَيُوفُ الْهِنْدِ نَابِيَةٌ	[تَنْبُو السُّيُوفُ] وَلَا تَنْبُو بَوَائِرُهُ
وَأَنْ سَطَّتْ فَعَلَى الْأَجْسَادِ سَطَوْتُهَا	وَسَيَفُهُ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ شَاهِرُهُ

(60) لم أقف على هذا الشعر في غير هذا المصدر.

(61) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

(62) ابن ريدان هو أبو محمد عبد العزيز بن علي السَّمَّانِي القرطبي. له ترجمة في التكملة رقم 1769 وصلة الصلة 3 : 250 (ط. 1993) والوافي بالوفيات 18 : 530-531 وغاية

النهاية 1 : 395 وبغية الوعاة : 308 ونفح الطيب 2 : 634.

وابن خروف هو أبو الحسن علي بن محمد شارح الكتاب وترجمته — مع الإحالة على مصادرها — في الذيل والتكملة 5 : 319-323، وستأتي ترجمته ضمن هذا المجموع ص 63.

(63) يقصد بالسُّنن هنا سنن النسائي.

كَأَنَّمَا بَابِلٌ مِنْ سِخْرِ مُقَلَّتِهِ
كَأَنَّ فَاجِمَهُ — وَالطَّيِّبُ غَامِرُهُ —
تُقْبَلُ الْأَرْضُ مِنْ أَجْلَالِ سَاحِبِهِ
وَوَجْتَتَاهُ كَرُوضِ الْوَرْدِ بَاكِرِهِ
وَالثَّغَرُ كَالدُّرِّ لَا بَلَّ مِنْ مَلَاَحَتِهِ
وَالرَّبِيقُ كَالشَّهْدِ أَوْ طَعْمِ الْعَقَارِ إِذَا
لَوَّ أَنْ مَنْ فِي حَبِيسِ الدَّيْرِ أَسْمَعُهُ
أَوْرًا مَيْتًا، وَذَلِكَ الْمَيْتُ فِي كَفِّهِ
وَأُشْدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْحَمَى :

أَوْ قَدْ حَشَاَهَا بِهِ هَارُوثُ سَاحِرُهُ
رِيشُ الْعُرَابِ إِذَا التَّفْتُ غَدَائِرُهُ
إِذَا تَعَثَّرَ فِيهِ وَهُوَ نَاشِرُهُ
طَلَّ فَلَمْ يَعُدَّ أَنْ وَافَتْ بَشَائِرُهُ
الدُّرُّ النَّفِيسُ إِذَا مَا عُدَّ فَاجِرُهُ
مَا عَاقَرَ اللَّبَّ يَوْمًا فَهُوَ عَاقِرُهُ
مِنْهُ حَدِيثًا لِأَضْحَى وَهُوَ آسِرُهُ
فِي قَعْرِ لَحْدٍ لِأَمْسَى وَهُوَ نَاشِرُهُ

سَرَتْ كَالْحَيَالِ، لَا حَبِيسٌ وَلَا نَبْحُ
وَقَدْ سَمَحَتْ بِالْوَصْلِ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ
وَالْقَتَّ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا التَّوَى
تُعَانِقُنِي بِالرَّغْمِ لَا عَنْ مَوَدَّةٍ
وَقَدْ صَارَ وَصْفِي الْخَفْضُ وَالضَّمُّ وَصْفُهَا
وَأَصْبَحْتُ مَنْكُوحًا لَهَا، وَهِيَ نَاكِحٌ
أَجَارَتْ نِكَاحَ الْعَهْرِ مِنْ غَيْرِ شُرْعَةٍ
وَأُشْدَنَّا لِنَفْسِهِ :

فَوَافَتْ فِرَاشِي عِنْدَمَا اتَّضَحَ الصُّبْحُ
وَنَجْمُ الشَّمَالِ طَاحَ مِنْ كَفِّهِ الرُّمَحُ
وَحَلَّتْ بِجِسْمِي فَاسْتَبَانَ لَهَا الرُّبُحُ
عِنَاقًا يُرَى كَالذَّبْحِ أَوْ دُونَهُ الذَّبْحُ
وَلَمْ يَقْتَرِبْ مِنَّا سُكُونٌ وَلَا فِتْحُ
وَيَا مَنْ رَأَى أَتْنَى يَكُونُ لَهَا نَكْحُ
كَفَعِلِ النَّصَارَى لَا طَلَّاقَ وَلَا صَلْحُ (64)

عَبَثَ النَّسِيمُ بِيَانِهِ وَبَهَارِهِ
وَجَلَا عَرُوسًا طَيِّبًا وَحُلِيِّهَا
فَسَوَّارَهَا وَعُقُودَهَا وَحُجُولَهَا
مِنْ أَحْمَرِ شَرْقٍ وَأَبْيَضِ نَاصِعِ
مِنْ تَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ وَبَنَفْسَجِ

وَاسْتَقَطَرَ الْكَافُورُ مِنْ نُوَارِهِ
مِنْ مُزْنِهِ وَرَبِيعِهِ وَقُطَارِهِ
وَبَزِيمُهَا مِنْ رَاحَتِي آذَارِهِ
ظَهَرَتْ صِفَاتُ الْحَقِّ فِي أُنْوَارِهِ
تَجْلُو ثِيَابَ الْعُجْبِ مِنْ أَرْهَارِهِ

(64) من أشهر ما قيل في الحمى أبيات المتنبي التي أولها :

وزائرني كأن بها حياء فليس تزور إلا في الظلام
وأبيات المتنبي هي التي حذا حذوها هذا الشاعر الأندلسي.

وَالْيَاسِمِينَ بِهَا إِلَى ثُلُوفٍ
عَرَسَ جَنَّتْ نَمَرَ السُّرُورِ شُهُودُهُ
فَالْمِسْكُ وَالْجَادِي مِنْ مَشْمُومِهِ
وَعَدَا بِهِ الشُّخُرُورُ يُنْشِدُ مُعْرِباً
يَشْدُو عَلَى غُصْنِ الْأَرَاكِ تَعَجُّباً
حَتَّى بَكَى قُمْرِيَّةً لِلْبُعْدِ عَنْ
فَبِكُلِّ قُطْرِ جَنَّتْ مِنْ أَقْطَارِهِ
وَتَرَى الْحَبَابَ عَلَى الْجَدَاوِلِ مَائِساً
يَجْلُو عَلَيْنَا الرَّاحُ أَخَوْرُ شَادِنٌ
فَالْمِسْكُ مِنْ أَنْفَاسِهِ وَكَأَنَّهَا
بَذَرٌ يَرَى بَذَرَ الدُّجَى مِنْ دُونِهِ
لَا تَهْتَدِي إِنْ تَغْلِقِ الشَّمْسُ الْمُتَيِّدُ —
وَأَلْفَكُرٌ إِمَّا قَامَ بَيْنَ نِيَابِهِ
فَالرِّيُّ كُلُّ الرِّيِّ فِي أُرْدَافِهِ
يَفْتَرُّ عَنْ بَرْدٍ نُضِيدُ نَظْمُهُ
فَأَفَادَهُ فَالْسَيْفُ يَقْصُرُ فِعْلُهُ
فَمَحَا بِهِ حَتَّى إِذَا وَخَطَ الدُّجَى
قَرَمَى بِسَنَمٍ مَا تَكَامَلَ نَزْعُهُ
وَمَضَى هَزِيعُ اللَّيْلِ يَنْهَضُ خَلْفَهُ
فَجَلَا أُدِيمَ اللَّيْلِ عَنْ شَمْسِ الضُّحَى
حَتَّى إِذَا طَلَعَتْ بِفَرَّةٍ أَيْكِهِ

تَرُؤْ لَوَاحِظُهُ عَلَى أَنْهَارِهِ
لَمَّا تَشَابَهَ لَيْلُهُ بِنَهَارِهِ
وَالدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ بَعْضُ نَسَارِهِ
بِلُحُونِهِ مَا رَقَّ مِنْ أَشْعَارِهِ
مِنْ صَوْتِهِ وَمُجَابِباً لِهَزَارِهِ
مَغْشُوقِهِ أَوْ إِلْفِهِ أَوْ جَارِهِ
دَاوُودَ مُعْتَكِفاً عَلَى مِزْمَارِهِ
فَعَلَ الْمُتَمِّمُ مِنْ شَذَا أَطْيَارِهِ
طَلَعَتْ شُمُوسُ الْحُسْنِ مِنْ أَرْزَارِهِ
مِنْ طَيْبِهَا وَقَفَ عَلَى أَغْصَارِهِ
بِأَفْوَلِهِ وَكُسُوفِهِ وَسِرَارِهِ
رَأَتْهُ مِنْ مَلَاَحَتِهِ بِذَيْلِ غُبَارِهِ
مُسْتَعْرِقٌ عَنْ حُمْرِهِ بِخِمَارِهِ
وَالْمَجْدُ بَيْنَ نِطَاقِهِ وَإِزَارِهِ
كَالْبَرْقِ حَالٌ وَمِیْضِهِ وَمَطَارِهِ
حَالُ الضَّرِيَّةِ عَنْ مَجَالِ شِعَارِهِ
بِالشَّيْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ وَعِذَارِهِ
حَتَّى أَصَابَ الْقَلْبَ فِي أَغْشَارِهِ
جَيْشُ الصَّبَاحِ فَعَاثَ فِي أَقْطَارِهِ
فَمَحَا بِهِ مَا اخْتَطَّ مِنْ آثَارِهِ
شَمْسُ الضُّحَى أَخَذَ النَّهَارُ بِثَارِهِ
(3 : 506-510)

13 - عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن يونسُ أبو مُحَمَّدٍ الفرياني (65)، من أهل المغرب، حَدَّثَنِي الصَّاحِبُ أَبُو
الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي (66) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِإِزْبِلَ، قَالَ : كَانَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَنْسُخُ
وَيَكْتُبُ وَاضِحًا، قَدِمَ إِزْبِلَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَتُوْفِيَ بِهَا سَنَةً أَرْبَعَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَأَخَذَ
عَامِلُ التَّرِكَاتِ تَرْكَتَهُ (67). وَكَانَ شَاعِرًا قَصَدَ بِشِعْرِهِ الْمُلُوكَ، أَتَشَدَّنِي رَحِمَهُ
(اللَّهُ) لِنَفْسِهِ فِي شَهْرِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ بِإِزْبِلَ، وَهِيَ
أُولَى قَدَمَاتِهِ :

<p>رُؤْيَدَكَ أَهْهَا الرِّشَاءُ الْغَرِيرُ وَبَرِّدْ يَا فَدَيْتُكَ حَرَّ وَجْدِي أَمَّا إِنْ أَنْ تَرْتِي فَتُخَيِّي إِذَا جَنَّ الدُّجَى جُنَّ اسْتِيْقَا حَكَى بَغُفُوبَ فَيْكَ أَسَى وَوَجْدًا وَأَقْسَمَ لَا يَذُوقُ التَّوَمَ حَتَّى فَوَالْهَيْفَى عَلَى زَمَنِ تَقْضَى سَقَى صَوْبَ الْعِهَادِ عُهُودَ لَهْوٍ دِيَارَ لِلْفُؤَادِ بِهَا غَرَامُ قَضَى صَرَفَ الْقَضَا عَنْهَا بِصَرْفٍ تَرَى الْأَيَّامَ تَسْمَحُ وَاللَّيَالِي فَقَدْ ضَاقَ الصَّبِيُّ عَلَى حَتَّى</p>	<p>فَكَمْ أَغْرَى بِغُرَّتِكَ الْغُرُورُ بِوَصْلِكَ إِنْ هَجَرَكَ لِي هَجِيرُ قَتِيلَ هَوَى رِضَاكَ لَهُ نُشُورُ فَلَيْسَ سِوَى النُّجُومِ لَهُ سَمِيرُ إِلَى أَنْ جَاءَ يُنْذِرُهُ التَّنْذِيرُ يَجِيءُ بِتُوبٍ يُوسِفُهُ بَشِيرُ (68) وَعَصْنُ شَبِيَّتِي غَضُّ نَضِيرُ عَهْدَنَاهَا وَعَاهَدَهَا السُّرُورُ مُقِيمٌ مَا لَهُ عَنْهَا مَسِيرُ وَلِلْأَقْدَارِ أَحْكَامُ تَجُورُ فَيَقْضَى لِي إِلَى مِصْرٍ (69) مَصِيرُ كَأَنِّي بَيْنَ أَسْرَتِهِ أُسِيرُ</p>
---	--

(3 : 524-525)

(65) نسبة إلى فريانة وقد تقدم ذكرها.

(66) هو مؤلف تاريخ إربل وغيره، ولا توجد ترجمة المذكور هنا في الموجود من تاريخ إربل.

(67) عامل التركات هو صاحب الموارث في اصطلاح المغاربة.

(68) من الواضح أنه يشير إلى ما ورد في سورة يوسف وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾.

(69) المقصود بمصر القاهرة.

14 — عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عُمَرَ

ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَضِرٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حَسَّانِ أَبُو الْفَضْلِ الْعَسَائِيُّ السَّنْدِيُّ (70) الْجَلِيلِيُّ (71) الْحَكِيمُ الْأَدِيبُ، كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِقَرْيَةِ تُدْعَى جَلِيلَانَةَ (72) مِنْ قُرَى غَرْنَاطَةَ مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ فِي سَابِعِ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَكَانَ صَاحِبَ رِيَاضَةٍ وَحِكْمٍ وَمَعْرِفَةٍ قَوِيَّةٍ بِالطَّبِّ وَالْأَدَبِ وَالْعُرُوضِ وَالنَّحْوِ، وَلَهُ تَصَانِيفٌ فِي عِلْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ وَالتَّشْرِيحِ، وَكَانَ شَاعِرًا مُطِيلًا مُتَوَسِّعًا فِي الشَّعْرِ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْقَوْلِ، طَافَ الْبُلْدَانَ، وَاخْتَرَقَ الْآفَاقَ، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَقٍ دِمَشْقَ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ أَبِي الْمُظَفَّرِ يُوسُفَ ابْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّ مِئَةٍ. أَنْشَدَنِي شَيْخُنَا أَبُو الْخَيْرِ ابْنُ أَبِي الْمُعَمَّرِ (73) التَّبْرِيْزِيُّ الْمُحَدِّثُ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَضْلِ عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عُمَرَ بْنِ حَسَّانِ الْعَسَائِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ، وَيُهْنِئُهُ بِفَتْحِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَانَ فَتَحَهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ (74) حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَحَمَاهُ بِمَنِّهِ وَلُطْفِهِ :

لَقَدْ أَوْسَعَ اللَّهُ الْفُتُوحَ بِعَامِنَا وَخَيَّسَ مِنْهَا الْمُصْعَبَ الْمُتَابِدَا
أُمُورَ تَبَّتْ عَنْهَا الْعُقُولُ وَأَدْعَنْتْ بِأَنَّ اخْتِصَاصَ الْحِظِّ لِلَّهِ مُوجِدَا
فَحَرَكُ شَخْصًا حَرَكَ الْأَرْضَ جَائِلًا وَهَزَّ مِنَ الشُّهْبِ الذُّوَابِ مُصْعِدَا

(70) السَّنْدِيُّ نسبة إلى سَنَدَوَادِي آش، والجليلاني نسبة إلى جليانة، وهي أيضا من أعمال وادي آش، راجع فيهما معجم البلدان لياقوت.

(71) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 57 وتحفة القادم : 128-129 وانظر فيهما الإحالة في الحاشية على مصادر أخرى.

(72) في معجم البلدان والمغرب أنها من أعمال وادي آش.

(73) هو أبو الخير بدل بن أبي المعمر التبريزي ت. 601هـ له ترجمة في تاريخ إربل رقم 59 وانظر كشف الظنون : 363 ومعجم المؤلفين رقم 3169.

(74) شهد هذا الفتح عدد من الأندلسيين والمغاربة وقد كان الإمام الذي عينه صلاح الدين في المسجد الأقصى بعد الفتح أندلسيا، انظر الذيل والتكملة 5 : 315-316.

وَلَقَبَهُ بِالنَّاصِرِ الْمَلِكِ يُوسُفَ
وَالْهَمَّهُ حُسْنَى الشَّمَائِلِ مُجْمَلًا
يَزِيدُ عَلَى عَظَمِ الْمَرَامِ تَوَاضُعًا
أَتَتْهُ وَفُودُ الْخَافِقِينَ فَعَايُنُوا
يُزَوِّغُ أَثْنَاءَ النَّهَارِ سِيَّاسَةً
وَيَزِمُّ أَحْوَالَ الْمَدَائِنِ حَافِظًا
أَحَاطَ بِمَلِكِ الْأَرْضِ خَيْرًا وَقُوَّةً
فَوَفَّى بِفَضْلِ مَنْ قَضَايَاهُ مُتَرَعًا
وَأَزَوَّتْ نَفُوسُ السَّائِلِينَ بَنَانُهُ
سَقَا بِحُسَامٍ، وَاسْتَرْقَى بِأَنْعَمِ
فَتَمَدَّحُهُ حُبًّا، وَيُعْطِي تَبَرُّعًا
رَأَيْتُ عَلَيْهِ مَا لَهَا حِلْيَ مِثْلُهَا
فَقَلَّدَتْهُ سِلَكًا عَزِيزًا وَجُودُهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ صَوْنُ الْفَرِيضِ مُسَمَّطًا
وَلَفْظًا كَمَا تُجَلَّى الدَّرَارِيُّ تَحْتَهُ
قَرَائِنُ أَحْوَالٍ، وَمَعْلَمُ سِيرَةٍ
إِذَا الشُّعْرُ لَمْ يَحْكِ الْعُلُومَ فَقَدْ حَكَى
وَلَوْلَا اصْطِنَاعُ الْحِلْمِ لَمْ يَكْ بَاقِلُ
لَأَوْجِهِ أَرْبَابِ السَّمَاحِ طَلَاوَةٌ
وَقِيَمَةُ قَدْرِ الشَّيْءِ قِيَمَةُ ذِكْرِهِ
وَهَذَا مِلِكُ أَمْرِهِ غَيْثُ عَصْرِهِ
فَيَسْقَى بِهَا الظَّمَانُ لِلْعِلْمِ مُسْتِنَاً
يَتَأَلَّ الْفَتَى بِالصَّبْرِ مَقْسُومَ حَظِّهِ
عَجِبْتُ مِنْ الْأَيَّامِ تَطْوِي كَمَاثِنًا
وَكُنْتُ أَرَى ذَا الْفَتْحِ مِنْ قَسَمِ يُوسُفَ
وَلِلَّهِ يَوْمَ هَلْ فِيهِ وِلَادَةٌ

وَلَقَبَهُ نُورَ الْمَهَابَةِ سَيِّدَا
وَفَهَّمَهُ أَسْنَى الْفَضَائِلِ مُحَمَّدَا
وَيَذْنُو عَلَى بُعْدِ الْمَقَامِ تَوَدُّدَا
حَلَّى مَلِكٍ قَدْ أَطْلَعَ الْبَرَّ فَرَقْدَا
وَيَقْطَعُ آثَاءَ الدُّجَى مُتَهَجِّدَا
وَيُنْفِقُ أُمُورَ الْخَزَائِنِ مُنْفِدَا
وَحَاطَ ضُرُوبَ الْخَلْقِ خَيْرًا وَمَرْفِدَا
وَأَصْفَى لِكُلِّ مِنْ عَطَايَاهُ مَوْرِدَا
فَلَمْ أَدْرِ بَحْرًا مَدَّ لِلنَّاسِ أَمْ يَدَا
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا فِي الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَا
فَيُعْجِزُنَا شُكْرًا وَيَشْأَى مُحَمَّدَا
بَدَائِعِ نَظْمٍ وَامْتِدَاحًا مُخَلَّدَا
كَمَا لَمْ نَجِدْ مَلَكًا يُضَاهِي الْمُقَلَّدَا
تَفَاصِيلَ أَعْجَازٍ وَوَشْيَا مُنْجَدَا
مَعَانٍ كَمَا تَرْمِي الْأَشْيَعَةُ أُنْجَدَا
وِحِكْمَةً أَمْثَالٍ وَعِلْمًا مُنْضَدَا
جَعَّاجِعَ أَصْوَاتٍ وَلَعْوًا مُفْنَدَا
لِيَحْضُرَ فِي مَيْدَانِ سَخْبَانٍ مُنْشِدَا
تُعَلِّمُ طُلَّابَ النَّجَاحِ التَّرْدَدَا
فَمَا رَاقَ وَصْفًا فَاقَ صِينًا مُنْدَدَا
فَسِيرَتُهُ تَبْقَى جَبِينًا مُوْرَدَا
وَيَرْقَى لَهَا الدِّيَانُ فِي الْحُكْمِ مُسْنَدَا
وَكَمْ جَاهِدٍ فِي الْجِرْصِ مَا نَالَ مَقْصِدَا
إِذَا انْتَشَرَتْ أَعْيَتْ مُخِبًّا وَمُنْجَدَا
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْقَسَمُ مَا كَانَ أَسْعَدَا
لَقَدْ طَابَ مَوْلُودًا وَبُورِكَ مَوْلَدَا

كَفَى مَظْهَرًا مَنْ طَهَّرَ الْقُدْسَ وَاحْتَوَى
هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، وَهُمْ شَوْكَةُ الْوَعْيِ
هَنِيئًا لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الْآنَ طَهْرُهُ
فَيَا خَيْرَ مَمْدُوحٍ وَأَطْهَرَ مُجْتَبَى
مَدِيحِكَ أُحْلَى فِي فَمِي مِنْ جَنَى الْمُنَى
وَأَشْهَى سَمَاعًا مِنْ حَدِيثِ حَبَائِبِ
أَسَامِرٍ فِيكَ الشَّعْرُ مُسْتَمْتَعًا بِهِ
أَوْدُ لَوْ أَنَّ الْبَيْتَ أَلْفَ قَصِيدَةٍ
وَكَيْفَ اقْتِصَادٌ فِي مَدَائِحِ يُوسُفَ
سَرَى وَهُوَ نُورٌ قَاهِرٌ بِلَطَافَةٍ
وَلَوْ لَمْ يَلُحْ لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوا مَتَى
فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ فِي مَعَالِيهِ مُنْتَهَى

بَنِي أَصْفَرٍ سَبِيًّا وَقَتْلًا تَعْمُدَا
فَمَا كَانَ لَوْلَا اللَّهُ يَخْلُصُ مَعْبَدَا
وَلِلنَّاصِرِ الْمَنْصُورِ غِبْطَتُهُ عَدَا
وَأَسْعَدَ مَمْنُوحٍ وَأَبْهَرَ مَحْتَدَا
وَمِنْ طَعْمِ بَرْدِ الْمَاءِ عَذْبًا عَلَى الصَّدَا
يُذَكِّرُنَا عَهْدَ الصَّبَا مُتَجَدِّدَا
فَأُبْسُطُهُ بَسْطَ الْحَمِيلَةِ فِي النَّدَا
وَكُلَّ قَصِيدِ أَلْفِ حِزْبٍ تَرَدَّدَا
وَقَدْ بَدَّ غَايَاتِ السَّوَابِقِ فِي أَلَمَدَا
وَحَلَّ بِنَا صَوْتُ الْعُلَا فَتَجَسَّدَا
سَمَا كُلَّ عَالٍ، وَهُوَ يَرْتَادُ مَصْعَدَا
وَكُلَّ انْتِهَاءٍ فِي مَعَالِيهِ مُبْتَدَا

وَأُشْدَقَ قَاضِي الْيَمَنِ⁽⁷⁵⁾ لِعَبْدِ الْمُنْعَمِ

يَا سَاهِرًا فِي اقْتِنَاءِ عِلْمٍ
لَا تَطْلُبِ الْعِلْمَ فِي كِتَابٍ
وَالْبَسْ مِنَ الْبَرِّ طِيلَسَانًا
وَأَقْعُدْ مَعَ الْقَوْمِ فِي جَدَالٍ
إِلَّا صَيَّاحًا وَتَفَضَّ كُفًّا
وَمَا أَرَى بَيْنَهُمْ عُلُومًا

تَخْطُبُ مِنْهُ مَقَامَ مُحْكَمٍ
بَلْ وَسَّعَ الْكُفُّ ثُمَّ عَمَّ
وَاعْقِدْهُ بِالْمُنَكِّيَيْنِ وَاخْتِمْ
لَا بِالْبَحَّارِيِّ وَلَا بِمُسْلِمٍ
وَجَمْعَ لَا لَا، وَعَقْدَ لَمْ لَمْ
أَكْثَرَ مِنْ لَا وَلَا أُسْلِمَ

وَقَالَ أَيْضًا :

عَجِبْتُ لِحُظُوفِ حَصَلَتِ لِقَوْمٍ
لَهُمْ زِيٌّ وَالْقَابُ عِظَامٌ
وَنَالُوا مَا أَرَادُوا بِالْذِّعَاوِي
فَقَدْ ضَاعَ اجْتِهَادُ أَخِي التَّحْرِي

تَعَاَفَ سُلُوكُهُمْ هِمُّ الرِّجَالِ
وَهُمْ فِي الْجِدِّ مِنْ هَمَجِ الرِّجَالِ
كَمَا نَالَ الْمَبْرُورُ فِي الْخِصَالِ
إِذَا حَصَلَ التَّقْدُّمُ بِالْمُحَالِ

(75) كذا في الأصل ولم أتمكن من معرفته.

وَقَالَ : وَأُنْشَدَنِي عَنْهُ الشَّيْخُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ
الْبَغْدَادِيِّ (76)، قَالَ : أَنُشَدَنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ إِعْرَاضٍ [بِهِ عَنْ]
زِيَارَةِ الْأَكَابِرِ وَالرُّؤَسَاءِ :

قَالُوا تَرَكَ عَنِ الْأَكَابِرِ تُعْرِضُ وَسِوَاكَ زَوَّارٌ لَهُمْ مُتَعَرِّضُ
قُلْتُ الزِّيَارَةُ لِلزَّمَانِ إِضَاعَةٌ وَإِذَا مَضَى وَقْتُ فَمَا يُتَعَوَّضُ
إِنْ كَانَ يَوْمًا لِي إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَبِقَدْرِ مَا ضَمِنَ الْقَضَاءُ تُقَيَّضُ

أُنْشَدَنِي شِهَابُ الدِّينِ الْقُوصِي (77) بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ بِدِمَشْقَ فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةِ
أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، أَنُشَدَنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ الْحَكِيمُ لِنَفْسِهِ :

أَشَدُّ بَلَاءَ الرِّجَالِ النِّسَاءُ بِهِمْ أَبَدُ الدَّهْرِ مِنْهُنَّ دَاءُ
إِذَا مَا بَعْدَنَ فَعِيشٌ يَسُوءُ وَمَهْمَا قَرَبَنَ فَنَفْسٌ تُسَاءُ
يُكَلِّفَنَّ ذَا الْمَالِ مَا لَا يُطِيقُ وَيُلْزِمَنَّ ذَا الْمَالِ مَا لَا يَشَاءُ
وَيَقْضِينَ — لَا بَدَّ — مَا يَشْتَهِينَ وَلَوْ كَانَ حَارِسُهُنَّ الْقَضَاءُ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

قَالُوا تَرَى بَقَرًا عِنْدَ الْمُلُوكِ سَمَوًا وَمَا لَهُمْ هِمَّةٌ تَسْمُو وَلَا وَرَعُ
وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ فِي الْفَضْلِ عَالِيَةٌ فَلِمَ ظَمِئْتَ وَهُمْ فِي الْجَاهِ قَدْ كَرَعُوا؟
فَقُلْتُ بَاغُوا أَنْفُسًا وَاشْتَرَوْا ثَمَنًا وَصُنْتُ نَفْسِي، فَلِمَ أَنْضَعُ كَمَا خَضَعُوا
قَدْ يُكْرَمُ الْفِرْدُ اعْجَابًا بِخِسَّتِهِ وَقَدْ يُهَابُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبْعُ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ : أَنُشَدَنِي مِنْ شِعْرِهِ :

إِنْ قِيلَ: مَنْ فَحَلَ الرِّجَالُ؟ فَقُلْتُ: فِي مُسْتَحْكَمِ الْأَقْوَالِ وَالْآرَاءِ
دَرْبٍ بِتَقْلِيلِ الْقُلُوبِ مُجَادِبٍ لِلنَّافِرَاتِ بِالطَّلَفِ اسْتِهْوَاءِ
وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي الْعَنَائِمِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ الْبَغْدَادِيِّ (78)، قَالَ :

(76) هو ممن ترجم لهم المؤلف ابن الشعار في قلائد الجمان (6 : 434).

(77) له معجم في الرجال ينقل عنه الصفدي في الوافي بالوفيات.

(78) هو أيضا ممن ترجم لهم ابن الشعار في قلائد الجمان (10 : 569).

أُشْدَنِي عَبْدُ الْمُنْعِمِ بْنُ عُمَرَ الْجَلِيلِيُّ لِنَفْسِهِ بِحَلَبَ :
 وَصَفَرَاءَ، لَوْلَا تَفْحُهَا وَمَذَاقُهَا لَقُلْتُ نُضَارَّ فِي الْأَبَارِيقِ ذَائِبُ
 مِنَ الْمَاءِ فِيهَا لِلْحَبَابِ عَمَائِمُ وَلِلنُّورِ مِنْهَا فِي الْأَكُفِّ ذَوَائِبُ
 وَقَالَ أَيْضاً :

حَاوِلْ مَفَارِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَحَوَّلَا
 إِنَّ الْمَنِيَّ مِنَ الْمَيِّةِ لَفُظُهُ
 وَمِنْ شِعْرِهِ يَقُولُ :

وَقَائِلِي: كَيْفَ اسْتَطَعْتَ تَجُلُداً
 فَقُلْتُ لَهَا: يَا هِنْدُ، لَوْ كُنْتُ نَاطِراً
 جَعَلْتُ بَيْنِي الدُّنْيَا جَمِيعاً كَوَاحِدٍ
 وَمَاذَا عَسَى أَنْ يُفْنِيَ الْمَوْتُ وَهُوَ فِي
 فَشَمَّرْتُ ذَلِيلِي عَنْهُمْ مُتَحَلِّياً
 وَلَمْ أَلْتَفِتْ إِنْ أَعْرَضُوا أَوْ تَعَرَّضُوا
 أَرَى مَذَحَهُمْ سَهْواً، وَذَمَّهُمْ سُدَى
 فَلَوْ حَصَّنُوا الْأَوْقَاتَ كَانَ سُلُوكُهُمْ
 وَلَوْ شَعَرُوا فِي خَصَلَةٍ بِفَضِيلَةٍ
 وَقَالَ أَيْضاً :

قَالَتْ : رَمَوْكَ بِبُهْتَانٍ، فَقُلْتُ لَهَا :
 مَا الْعَاقِلُ الْحُرُّ مَنْ يَنْسَى مَعَايِبَهُ
 قَالَتْ: فَمَا لَكَ لَا تَنْفِي اعْتِرَاضَهُمْ
 فَقُلْتُ لِي شُغْلُ عَنْهُمْ، وَلَوْ شِغْلَتْ
 إِنْ كَانَ دَيْنُهُمْ يَقْضِي لَهُمْ حَسَداً
 إِنْ أَذْرَكَ الْمَرْءُ بِالْإِحْسَانِ مَا وَعَدَا
 وَلَيْسَ مِنَّا فَتَى لِلْعُرْضِ مُنْتَهَزٌ
 وَكُلُّ نَفْسٍ لَهَا شَأْنٌ وَمُنْبَعَثٌ
 يَا هِنْدُ، لَوْ عَقَلُوا لَمْ يَرْتَضُوا الْفَنَدَا
 — وَقَدْ حَضَرَنَ — وَيَعْتَابُ الَّذِي بَعْدَا
 وَتَدْفَعُ الْوَهْمَ مِنْ سَاءِ مُعْتَقَدَا
 نَفْسِي بِهِمْ صُرِفَتْ عَنْ نَهْجٍ مَنْ رَشَدَا
 فِدِينُنَا يَقْتَضِي أَنْ تَنْفِي الْحَسَدَا
 فَمَا يُيَالِي بِمَنْ رَامَ الْأَذَى وَعَدَا
 بِسُوءِ سَعْيِي، وَلَا مِنَّا فَتَى جَحَدَا
 وَغَايَةَ نُصِبَتْ تَجْرِي لَهَا أَمَدَا

وَقَالَ أَيْضاً :

قَالُوا: تَحُجُّ الْبَيْتَ ؟ قُلْتُ: يَجُوزُ
لَوْلَا الرِّيَا مَا حَجَّ أَكْثَرُ مَنْ تَرَى
فِي الْحَجِّ أخطَارَ غَيْبِي رَبَّنَا
حُشِرَ اللُّصُوصُ لَهُ كَحُشْرِ حَاجِيهِ
فِي يَرْبٍ جَهْرًا، وَفِي أُمِّ الْقَرْيِ
وَعَلَى الطَّوَافِ ... وَالْوَرَى
حُرْمَ لَدَى حَرَمٍ
وَعَزِيزُ وَفِرْ جَاءَ مَكَّةَ فَانْتَنَى
وَتَشَاغَلَ وَقَتَ الصَّلَاةِ وَفَتَنَةُ
وَلَوْ أَنَّهُ أَمِنَ وَبِرٌّ خَالِصٌ

قَالُوا: مَتَى ؟ قُلْتُ: الْقَضَاءُ عَزِيزُ
مَنْ ذَا بِإِخْلَاصِ الضَّمِيرِ يَفُوزُ
عَنْ فِعْلِهَا وَالشَّرْعُ وَالتَّمْيِيزُ
فِي كُلِّ شَيْءٍ قَاطِعٌ مَرَكُوزُ
يُسَيِّ كَرِيمُ الْمَالِ وَهُوَ حَرِيزُ
وَقُفُوا، قَتَالَ لِلْصُّوَصِ حَفِيزُ
فَقَصَّدُ عَنْ صَدْرِ الْكَعَابِ عَجُوزُ
وَالْعِزُّ عَنْهُ وَالْغَنَى مَحْجُوزُ
وَتَقَاطَعُ وَتَدَابُرُ وَتَشُوزُ
فَبِعِشْرَةِ الْجَمَالِ لَيْسَ يَجُوزُ

وَرَأَيْتُ لَهُ كِتَابًا مُشَجَّرًا تَرْجَمُهُ بِمَنَادِحِ الْمَمَادِحِ وَرَوْضَةِ الْمَآثِرِ وَالْمَفَاحِرِ
مِنْ خَصَائِصِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ، يَعْنِي صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ يَخْتَوِي عَلَى نَظْمٍ وَنَثْرٍ جَعَلَهُ مُنْطَوِيًّا عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
مَدِيحَةً، وَهُوَ غَرِيبٌ فِي وَضْعِهِ جَدًّا (78).

حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْحَنْفِيُّ (79) أَنَّهُ
أَلَّهُ تَعَالَى، قَالَ : أَخْبَرَنِي الشَّدِيدُ بْنُ عُمَرَ الْقَفْصِيُّ (80)، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ
الْحَلَبِيُّ قَلِيلًا مَا يَمْتَدِّحُ النَّاسَ، وَكَانَ يَمْدَحُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ جَالِسًا، وَعَمِلَ لَهُ
كِتَابًا فِي مَدَائِحِهِ مُشَجَّرًا، وَكَانَ السَّبَبُ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى عَمَلِهِ أَنَّهُ لَزِمَهُ دِينَ مَقْدَارُهُ
ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ، وَعَمِلَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مُشَجَّرَاتٍ فِي مَدْحِهِ، وَحَمَلَهُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا
وَقَفَ عَلَيْهِ لَمْ يَهْتَدِ إِلَى قِرَائَتِهِ، فَطَلَبَ عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِيَحْلِلَ الْمُشَجَّرَاتِ، وَكَانَ

(78) توجد منه نسخ خطية في مكتبات غربية وعربية.

(79) ترجمته في معجم الأدباء : 2085 وفيات الوفيات 2 : 200 وقلائد العقيان 5 : 203،
وهو مؤلف بغية الطلب في تاريخ حلب.

(80) له ترجمة عند المؤلف ابن الشعر (5 : 425).

بِحَضَرْتِهِ إِنْسَانٌ يَقْصِدُهُ، فَلَمْ يَسْعُهُ عِنْدَ طَلَبِهِ إِلَّا إِحْضَارُهُ، فَلَمَّا حَضَرَ حَلَّ لَهُ
الْمُسْجَرَاتِ، فَاسْتَحْسَنَهَا، وَسَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَالَ : عَلَيَّ دَيْنٌ أُطْلُبُ قَضَاءَهُ،
فَتَقَدَّمَ إِلَى الدِّيَّوَانِ أَنْ يَقْبَلُوا بِدَيْنِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَقْصِدُهُ :
هَذَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ، فَأَمَرَ الدِّيَّوَانُ أَنْ يَقْبَلُوا ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ، وَيُطْلَقَ لَهُ
ثَلَاثَ مِئَةِ دِينَارٍ أُخْرَى، فَأَرَادَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْ يَضُرَّهُ فَنَفَعَهُ.

وَقَالَ الْقَاضِي : وَسَأَلْتُ الشَّدِيدَ عُمَرَ عَنْ حَالِهِ، فَوَصَفَهُ بِالْفَضْلِ وَالْعِلْمِ . قَالَ
لِي : كَانَ يَمِيلُ إِلَى الْحِكْمَةِ . وَكَانَ كَاتِباً فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ لِلْوَزِيرِ عُمَرَ⁽⁸¹⁾
فَوَجَدَ عَلَيْهِ، فَضَرَبَهُ ثَمَانِينَ سَوْطاً، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ خُرُوجِهِ إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ.
وَحَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ⁽⁸²⁾، قَالَ : حَدَّثْتُ عَنْ عَبْدِ الْمُنْعِمِ أَنَّهُ كَانَ فِي
مَجْلِسِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ لِيَغُضَّ مِنْ قَدْرِهِ
يَنْسَبِيهِ إِيَّاهُ إِلَى قَرَّتِيهِ : كَمْ بَيْنَ جِلْيَانَةَ وَالْمَرْيَةِ ؟ فَقَالَ مُجِيباً لَهُ فِي الْحَالِ : مِثْلُ
مَا بَيْنَ بَيْسَانَ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ .

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَرَكَاتٍ بْنُ شَحَّاتَةَ⁽⁸³⁾ : سَمِعْتُ الْأَمِيرَ أَبَا
الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ إِدَاشٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ الْمُنْعِمِ الْجَلْيَانِيَّ يَقُولُ : لَبِسْتُ
الْبَلَّاسَ⁽⁸⁴⁾، فَعَاتَنِي بَعْضُ أَهْلِي عَلَى ذَلِكَ، فَقُلْتُ :

وَقَائِلَةٌ لِمَ لَبِسْتَ الْبَلَّاسَا وَلَمْ تَرَهُ قَبْلَ هَذَا لِبَّاسَا
فَقُلْتُ لَهَا : لَوْ رَأَيْتَ الَّذِي رَأَيْتُ لَخَالَفْتُ هَذَا الْقِيَاسَا
فَلِي بِالرِّيَاضِ وَعِنْدَ الْحَمَى حَبِيبٌ حَمَى مُقْلَتِي النَّعَاسَا
أَخَافُ إِذَا مَا رَأَى لِبْسَتِي سَوَى جُبَّةٍ أَنْ يَرَاهَا الْبِتَّاسَا
وَيَحْسِبُنِي نَاسِيَا عَنْهُ وَبَسَ الْحَبِيبُ حَبِيبٌ نَاسَى

(81) لا نستطيع تعيين هذا الوزير، ولعله أحد السادة من الموحدين الذين كانوا يحكمون الأندلس،
وفيهما أكثر من واحد يتسمى بعمر ويكنى بأبي حفص.

(82) هو ابن أبي جرادة المتقدم الذكر.

(83) له ترجمة عند المؤلف ابن الشعار (3 : 490).

(84) في شفاء الغليل : بلاس : المسوح تلبس.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَطِيعِيُّ (85) : أَنشَدَنَا عَبْدُ الْمُنْعِمِ لِنَفْسِهِ فِي الشُّوقِ :
 عَيَّرُونِي بِأَنْبِي مُسْتَهَامَ وَلِيْمِلِي يَلْدُ فَيْكَ الْهَيَامَ
 شَوْقُونِي إِلَيْكَ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَجَبًا ! كَيْفَ أَقْطُونِي وَنَامُوا ؟
 وَتَدِيمِ سَقَانِي السَّرَّ صِرْفًا فَسَكِرْنَا، وَلَيْسَ ثُمَّ مُدَامَ
 حَتَّى كَأَسَا مِمَّا هُنَاكَ دِهَاقًا فَاسْتَطَارَتْ لِدَوْرَهَا الْأَحْلَامَ
 أَيْنَ أَهْلُ الْأَذْوَاقِ ؟ قُومُوا فَشُقُوا كُلَّ جَيْبِ الْآنَ طَابَ الْمَقَامُ
 نَسَمْتُ مِنْ حَبِيبِنَا تَفَحَّاتَ فَعَلَى الْعَيْشِ بَعْدَهُنَّ السَّلَامُ
 (4 : 127-139)

15 — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن عبد الرحمن بن زيد — كَذَا — المعروف بابن حريق الكاتب أبو الحسن
 البلسنسي (86)، شاعرٌ مفلقٌ وأديبٌ مُحققٌ، قِيمَ بالشَّعْرِ وَالْأَدَبِ، عَارِفٌ بِاللُّغَةِ
 وَأَيَّامِ الْعَرَبِ، عَالِمٌ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَالْقِرَاءَةِ، حَافِظٌ لِجُمْلَةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ
 وَالْحِكَايَاتِ. وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَجْوَدَ مِنْهُ شِعْرًا، وَلَا أَحْسَنَ نَظْمًا وَتَشْرًا. مَدَحَ
 مُلُوكَ الْأَنْدَلُسِ (87)، وَأَخَذَ صِلَاتِهِمْ، وَانْتَشَرَ ذِكْرُهُ هُنَاكَ، وَتَوَلَّى التَّصَرُّفَ فِي
 الْأَعْمَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ مَعَ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ لِبَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَوْلِينَ عَلَى الدِّيَارِ
 الْأَنْدَلُسِيَّةِ.

أَنشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الشَّاطِئِيُّ الْأَنْصَارِيُّ (88)،
 قَالَ : أَنشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنُ حَرِيقٍ لِنَفْسِهِ فِي غُلَامٍ أَعْوَرَ

(85) هو محمد بن أحمد بن عمر المتوفى سنة 634 هـ له ذيل على تاريخ ابن السمعاني، ترجمته في الوافي بالوفيات 2 : 130 ولسان الميزان 5 : 46.

(86) ترجمة ابن حريق مع الإشارة إلى بعض مصادر ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 275-277.

(87) المقصود بهم بنو عبد المومن بن علي.

(88) لم أقف على ترجمة له.

وَأَحْسَنَ فِيمَا قَالَ، وَأَبْدَعَ فِي الْمَعْنَى :
لَمْ يَعْكَ الَّذِي بَعَيْنِكَ عِنْدِي أَنْتَ أَعْلَى مِنْ أَنْ تُعَابَ وَأُسْنَى
لَطَفَ اللَّهُ رَدَّ سَهْمَيْنِ سَهْمًا رَافَةً بِالْعِيَادِ وَازْدَدَتْ حُسْنًا

وَأُشْدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَهْجُو كَاتِبًا :
وَكَاتِبِ الْفَاطِلُ وَكُتِبُهُ بَغِيضَةً إِنْ خَطُّ أَوْ تَكَلَّمَا
تَرَى أَنَسًا يَتَمَنُّونَ الْعَمَى وَآخِرِينَ يَحْمَدُونَ الصَّمَمَا (٨٨م)

وَأُشْدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّاطِئِي (٨٩)، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي
الْحَسَنِ ابْنِ حَرِيقٍ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلَهُ :

يَا وَنِجَ مَنْ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ثَوَى حَذَرَ أَلْعَدَى وَحَبِيْبُهُ بِالْمَشْرِقِ
لَوْلَا الْحِذَارُ عَلَى الْوَرَى لَمَلَأْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنْ زَفِيرٍ مُحْرِقِ
وَسَكَبْتُ دَمْعِي ثُمَّ قُلْتُ لِسَكْبِهِ مَنْ لَمْ يَذُبْ مِنْ زَفَرَتِي فَلْيَغْرِقِ
لَكِنْ خَشِيتُ عِقَابَ رَبِّي إِنْ أَنَا أُحْرِقْتُ أَوْ أُغْرِقْتُ مَنْ لَمْ أُخْلِقِ

وَأُشْدَنِي قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ حَرِيقٍ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ إِلَى مُتَنَزَّهِ
لَهُ مَعَ مَنْ يُحِبُّهُ إِلَى خَارِجٍ، فَجَاءَ السَّيْلُ، وَمَنَعَ مَحْبُوبَهُ مِنَ الْعَوْدِ إِلَى الْبَلَدِ فَبَاتَا
جَمِيعًا :

يَا لَيْلَةً جَادَتِ الْأَمَانِي فِيهَا عَلَى رَغَمِ أَنْفِ دَهْرِي
بَسِيلٍ فِيهَا عَلَيَّ نُعْمَى يَقْصُرُ عَنْهَا طَوِيلُ شُكْرِي
إِذْ بَاتَ فِي مَنَزِلِي حَبِيبِي وَقَامَ لِي أَهْلُهُ بِعُذْرِي (٩٠م)

وَأُشْدَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْبَيَّاسِي (٩٠م) بِمَحْرُوسَةٍ حَلَبَ
فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ ابْنُ حَرِيقٍ

(٨٨م) هذا من قول المتنبي : قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمَ.

(٨٩) هو المعروف بابن سُرَاقَة، وستأتي ترجمته للمؤلف ضمن هذا المجموع (ص ١٢٣)، وقد ذكره ابن عبد الملك في عداد الآخذين عن ابن حريق، راجع الذيل والتكملة ٥ : ٢٧٥.

(٩٠) هذه الأبيات والتي قبلها موجودة في نفح الطيب ٣ : ٤١٠-٤٦٤.

(٩٠م) لعله من الذين أخرجوا من بياسة وتفرقوا في الأرض بعد غلبة الروم عليها.

الْبَلْسِيُّ لِنَفْسِهِ بِيَّاسَةً⁽⁹¹⁾، وَكَانَ مُشْرِفَهَا⁽⁹¹⁾ :

يَا صَاحِبِي - وَمَا الْبَخِيلُ بِصَاحِبِي - هَذِي الدَّيَّارُ، فَأَيْنَ تِلْكَ الْأَذْمُعُ
أَمُرُّ بِالْعَرَصَاتِ لَا تُبْكِي بِهَا وَهِيَ الْمَنَارِلُ مِنْهُمْ وَالْأَرْبُعُ؟!
هَيْهَاتَ لَا رِيحُ الصَّبَايَةِ بَعْدَهُمْ وَلَا طَيْرُ التَّشْوِيقِ وَقَعُ
خَلَفُوا عَلَى قَلْبِي بِسِحْرِ جُفُونِهِمْ لَأَزَالَ يَنْزِفُهُ الْهَوَى وَيُصَدِّعُ
وَأَبَى الْهَوَى إِلَّا الْحُلُولَ بِلَعْلَعِ وَيَحُ الْمَطَايَا أَيْنَ مِنْهَا لَعْلَعُ؟
لَمْ أَذِرْ أَيْنَ نَوَّزَا؟ فَلَمْ أَسْأَلْ لَهُمْ رِيحاً تَهُبُّ، وَلَا بَرِيقاً يَلْمَعُ
وَكَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ مَذْرَجٍ نَاسِمٌ فَعَلَيْهِ مِنْهُمْ رِقَّةٌ وَنَضْوَعُ
وَإِذَا مَنَحْتَهُمُ السَّلَامَ تَبَادَرَتْ تَبْلِيغُهُ عَنِّي الرِّيحُ الْأَرْبَعُ
(4 : 367-370)

16 - عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنُ وَرْيَاشٍ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ مُوسَى بْنِ يَزْكُوكَ أَبُو الْحَسَنِ الْوَهْرَانِيُّ
الْأَنْصَارِيُّ⁽⁹¹⁾، نَزِيلُ دِمَشْقَ، الْخَطِيبُ الصَّالِحُ الْفَاضِلُ. كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِوَهْرَانَ
فِي رَجَبِ سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، وَتُوفِّيَ رَجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ
عَشَرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةٍ بِدَارِيَا مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ، كَانَ

(91) بياسة BAEZA من المدن الأندلسية المعروفة، ينسب إليها عدد من الأعلام، والمشرف هو
متولى خطة الإشراف وكان يشرف على الجبايات والمداخيل (راجع في بياسة المغرب ومعجم
البلدان والروض المعطار وانظر في المشرف وخطة الإشراف قاموس دوزي). ويبدو أن ابن
حريق كان يتولى الخطة المذكورة مع السيد أبي عمران موسى بن محمد بن يوسف بن عبد
المومن (انظر الذيل والتكملة 5 : 276 والإحاطة 3 : 275-276 والمعجم :
293-356).

(91) له ترجمة في بغية الوعاة 2 : 172 وقد نقلها السيوطي عن الذهبي، ويبدو من تاريخ ولادته
أنه كان من الأطفال الذين نجوا من محنة أهل وهران عند حصار مدينتهم وفتحها من طرف
الموحدين. (البيان المغرب : 22) وكان من الذين نجوا وهاجروا إلى المشرق أيضاً أبو عبد
الله محمد بن محرز الوهراني الأديب صاحب المقامات والرسائل الهزلية المنشورة.

حَظِيْبَهَا، وَكَانَ قَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ الْوَافِرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، لَهُ تَصْنِيفٌ وَأَشْعَارٌ
كَانَ يَقُولُهَا، وَفَضْلُهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أُنْبَاءِ زَمَانِهِ، وَكَانَ تَقِيًّا فِي نَفْسِهِ ذَا وَرَعٍ
وَخَيْرٍ، سَدِيدَ الطَّرِيقَةِ، جَمِيلَ الْأَمْرِ، خَرَجَ عَنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَنَزَلَ الشَّامَ، وَتَوَلَّى
خُطَابَةَ دَارِيَا⁽⁹²⁾، وَأَوْطَنَهَا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ بِهَا. وَصَنَّفَ تَفْسِيرًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى
أَجَادَ فِي تَصْنِيفِهِ وَأَحْسَنَ. أُنْشَدَنِي نَجِيبُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ نَصْرُ اللَّهِ ابْنُ أَبِي
الْعِزِّ ابْنُ أَبِي طَالِبِ الصَّفَّارِ الشَّيْبَانِيُّ الدَّمَشْقِيُّ⁽⁹²⁾ بِهَا فِي أَوَائِلِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ
وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الصَّالِحُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ وَرِيَّاشِ بْنِ الْمُبَارَكِ الْوَهْرَانِيُّ لِنَفْسِهِ فِي الْوَحْدَةِ :

أَصْبَحْتُ — وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ — مُنْفَرِدًا
مَا لِي أُنِيسَ سِوَى أَنِّي أَمْرُو عَكَفْتُ
أُومِي إِلَيْهَا بِطَرْفِي، وَهِيَ تُخْبِرُنِي
وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَمَّا فِي ذَا الزَّمَانِ أَخٌ شَفِيقُ
يَرُدُّ بِفَضْلِهِ الْأَزْمَاتِ عَنِّي
فَقَدْ كَثُرَتْ حَوَادِثُهُنَّ عِنْدِي
تَهْدُ بِخُطْبِهَا الشَّمَّ الرَّوَاسِي

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْحَرِّ :
وَيَوْمَ تَمَجُّ الشَّمْسُ فِيهِ لُعَابُهَا
يُنْضِجُ أَفْرَاحَ الْقَطَا جَوْفَ بَيْضِهَا
فَلَوْ حُطَّ شِلْوُ فَوْقَ أُمْعَزْ شَاهِقُ

(92) ولي الخطابة بداريا قبله الوهراني المذكور آنفاً فهل يكون المترجم هنا هو الذي خلفه ببلديه،
وداريا قرية على باب دمشق في الغوطة.

(92) له ترجمة في قلائد الجمان لابن الشعار 9 : 86.

(93) من أقدم ما قيل في صحة الكتب أبيات ابن الأعرابي التي أولها :
لنا جلساء ما نمل حديثهم ألباء مامنون غيأ ومشهدا

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي حَالِهِ بِدَمَشَقَ :
 عَلَيَّ ثِيَابٌ بَالِيَاتٌ لَوْ أَنَّهَا تَقُومُ لَمْ تَبْلُغْ بِقِيمَتِهَا فَلَسْتِنِ
 وَإِنِّي أُرَانِي عِزَّةً وَجَلَالَةً إِذَا سِرْتُ فِيهَا أَسْحَبُ الذَّلِيلَ ذَا الْقَرْنَيْنِ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا الْعِلْمُ يَسْمُو بِرَبِّهِ فَيَسْتَصْغِرُ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعَتْ مِنْ عَيْنِ
 وَيُصِيرُ مَا فِيهَا مِنَ الْمَالِ وَالْعُلَى مَعَ الْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ الْمِلْمُ بِهَا سَبَبَيْنِ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الشَّمْعَةِ :
 وَرَاهِبٌ بَاتَ طَوْلَ اللَّيْلِ مُتَتَصِبًا يَبْكِي وَفِي رَأْسِهِ طُرْطُورٌ مِنْ ذَهَبِهِ
 يَشْكُو إِلَى اللَّهِ إِحْرَاقَ الْجَحِيمِ لَهُ يَأْفُوقُهُ وَاحْتِكَامَ الْبَرْدِ فِي ذَنْبِهِ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَرْغَشِ (93) :
 لِلَّهِ لَيْلَتُنَا مَا كَانَ أَطْوَلَهَا ظَلَلْتُ أَفْخَصُ وَالْبَرْغُوثُ يَرْتَفِصُ
 وَبَاتَ يَزْمُرُ طَوْلَ اللَّيْلِ بَرْغَشَهَا وَبِثُ الطِّمِّ وَجْهِي وَهُوَ يَمْلِصُ

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مِنْ أُبَيَاتٍ فِي الْعُرْبَةِ :
 هَبَّتْ لَهُ مِنْ ثِيَابِ الْعُيُونِ صَبَا فَحَنَ وَجَدًا لِأَيَّامِ الصَّبَا وَصَبَا
 وَذَابَ مِنْ ذِكْرِ وَهْرَانٍ وَمَنْزِلَةٍ قَدْ شَبَّ فِيهَا قَدِيمًا عَظْمُهُ وَحَبَا
 لِلَّهِ أَيَّامُنَا وَالشَّمْلُ مُلْتَمِسٌ بِسَاحَتِيهِ وَدَهْرٌ بِالسُّرُورِ حَبَا
 إِذْ أَسْحَبُ الذَّلِيلَ مِنْ غَارِ الْحَمَامِ إِلَى طَوْدِ الشَّرَائِعِ أَسْعَى وَالْهَوَا حَبَابًا (94)
 لَا أَعْرِفُ الْهَمَّ أَنَّى سَارَ مُتَجَهًّا وَلَا أَوَافِقُ دَاعِيِي الْعَمِّ إِنْ وَثَبَا
 فَشَتَّتَ الدَّهْرُ شَمْلِي مِنْ مَعَالِمِهَا كَصَاحِبِ السَّدِّ إِذْ يُغْنِي بِهِ سَبَابًا (95)
 وَبَدَّلَتْ عَيْشَتِي بَعْدَ النِّعَمِ بِهَا كَمَا تَبَدَّلَ جَنَاتُ بَارِضٍ سَبَا
 وَقَدْ تَرَدَّيْتُ تَوْبَ الدُّلِّ بَعْدَهُمْ وَبَعْدَ عِزٍّ وَتَوْبُ الدُّلِّ لِلْعُرْبَا
 إِذَا رَأَيْتُ غَرِيبًا سَحَّ أَدْمَعُهُ وَافَقْتُهُ فِي الْبُكَاءِ إِذْ كُلُّنَا نُسَبَا (95)

(93) البرغش : البعوض اللساع.

(94) غار الحمام وطود الشرائع موضعان بوهران.

(95) السد هو سد مأرب.

(95) هذا من قول الآخر : وكل غريب للغريب نسيب.

وَمَا تَوَادَّعَ قَوْمٌ يَوْمَ بَيْنَهُمْ
أُغَارِضُ الرُّكْبَ عَلَيَّ أَنْ أَرَى رَجُلًا
لَا تِيَأْسَنَ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ
قَدْ فَازَ يَعْقُوبُ فِي الدُّنْيَا بِبُعْثِهِ
إِلَّا تَوَقَّدَ قَلْبِي وَالْحَشَا لَهَا
مِنْ آلٍ وَهَرَانٍ أَوْ الْقَيِّ بِهِ كُتِبَا
وَرُبَّمَا أَغْتَبَ الدَّهْرُ الَّذِي عَنَّا
مِنْ بَعْدِ مَا عَاشَ فِي أَحْزَانِهِ حَقًّا (96)
(4 : 370-374)

17 — عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَشْتَالٍ

أَبُو الْحَسَنِ (97) الْكَاتِبُ الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ. أَخْبَرَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ (98)، قَالَ :
أَظَنُّهُ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ، رَأَيْتُهُ بِمُرَاكُشَ، وَكَانَ مُتَعَطِّلًا عَنِ الْعَمَلِ، حَالِيًا بِفَضَائِلِهِ
وَإِنْ كَانَ فِي الْعَطَلِ، وَلَهُ رِسَائِلُ حَسَنَةٌ، وَالْفَاطَ بَدِيعَةٌ مُعْتَبَرَةٌ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي
رِسَائِلِهِ وَشِعْرِهِ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ، وَحَصَلَ مِنْ عِنْدِي كَثِيرٌ مِنْ تَرْسُلِ
الْقَاضِي الْفَاضِلِ وَالْعِمَادِ الْكَاتِبِ وَغَيْرِهِمَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وَكَتَبَ إِلَيَّ بِإِحْسَانٍ
تَجَدَّدَ لِي مِنَ السَّيِّدِ أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ ابْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ تَمْلِيكَ بُسْتَانٍ
بِنَاحِيَةِ أَغْمَاتٍ، وَتَقَدَّمَ إِلَيَّ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ الْغُرَبَاءِ وَالْفُقُودِ عِنْدَهُ.
رَأَيْتُ بَعْنِي الْيَوْمَ فِي صُحُفِ الْمُنَى لِمَجْدِكَ مَا تُعْطَى مِنَ الْحِظِّ فِي غَدٍ
فَصِرْتُ أُمْنِي النَّفْسَ تَجْدِيدَ مَا عَفَا مِنْ الْعِزِّ لِي فِي عِزِّكَ الْمُتَجَدِّدِ
(4 : 380)

(96) يشير إلى قصة يعقوب مع ولده يوسف.

(97) انفرد ابن الشعار بتدوين ترجمة هذا الكتاب نقلا عن ابن حمويه، وقد نقل المقرئ عنه أيضا خبراً قد يستفاد منه أنه كان كاتباً عند السيد أبي الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن والي بجاية وتلمسان (نفتح الطيب 3 : 109).

(98) هو ابن حَمَوِيه، وقد تقدم ذكره.

18 - عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابن أحمد بن علي أبو الحسن المراكشي⁽⁹⁹⁾، متفقه على مذهب مالئ بن أنسر رضي الله عنه، نزيل بغداد، أنشدني وجيه الدين الأسكندري⁽¹⁰⁰⁾، قال : أنشدني أبو الحسن لنفسه : يُعرف بالكردى والعربي أيضاً :

خَلَعْتُ عِذَارِي فِي الْحَبِيبِ تَطَرُّفًا عَلَيَّ أَنِّي مِنْ أَخْلَعِ النَّاسِ فِي الْخَلَعِ
وَمَا [هو] فِي التَّحْقِيقِ مِنِّي تَطَبُّعًا بَلَى هُوَ فِي أَصْلِ الْخَلِيقَةِ بِالطَّبْعِ
فَمَنْ رَامَ مِنْ قَلْبِي سُلُوءًا فَإِنَّمَا يُكَلِّفُنِي بِالْجَهْلِ مَا لَيْسَ فِي وَسْئِي
يَقُولُونَ : لَا تَهْوَاهُ، هَلَّا سَلَوْتُهُ وَهَذَا إِذَا حَقَّقْتَهُ فَاسِدُ الْوَضْعِ
وَهَلْ شَاهَدْتَ عَيْنَايَ إِلَّا جَمَالَهُ دَنَا أَوْ تَأَى فِي حَالَةِ الْفَرْقِ وَالْجَمْعِ
فَمَحْبُوبُ قَلْبِي مَا تَعَلَّلْتُ بِاسْمِهِ وَلَا وَقَعَ لِلْعُدَالِ فِي الْقَلْبِ وَالسَّمْعِ
فَلَسْتُ مُطِيعَ الْعَدْلِ [فيه ومَرَحِبًا] بِقَتْلِي أَمَامَ الْعَدْلِ بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ
فَإِنْ قِيلَ مَجْنُونٌ، وَقِيلَ مُمَوَّةٌ وَأُكْثِرَتِ الْأَقْوَالُ بِالظَّنِّ وَالْقَطْعِ
فَعَرَضِي مَبْذُولٌ وَمَالِي مُبَذَّرٌ وَقَتْلِي وَخَتْلِي مُسْتَبَاحَانِ فِي شَرْعِ
(381-380 : 4)

19 - عَلِيُّ بْنُ حُمَيْرٍ أَبُو الْحَسَنِ السَّبْتِيُّ⁽¹⁰¹⁾

كَانَ فِقْهِيًّا مَالِكِيًّا شَاعِرًا مُفْلِقًا أَصُولِيًّا عَالِمًا أَدِيبًا لَعُونًا تُوُفِّيَ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ، أَنَشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ

(99) لم أقف عليه في مصدر آخر.

(100) لم أقف عليه.

(101) راجع دراستنا حول هذا العالم المؤلف السبتي في مجلة دار الحديث الحسنية (العدد العاشر 1992).

الْوَالِدِ الْأَوْسَى السَّيِّئِ (102) بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، قَالَ : أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ حُمَيْرٍ لِنَفْسِهِ :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْكِي فَقِيداً مِنَ الْوَرَى
فَحَامِلُ عِلْمٍ عَالِمٌ مُتَوَرِّعٌ
وَحَاكِمٌ عَدْلٍ بِالشَّرِيعَةِ قَائِمٌ
وَصَاحِبُ مَالٍ فَاضِلٌ مُتَفَضِّلٌ
وَسَاهِرٌ لَيْلٍ شَافِعٌ مُتَشَفِّعٌ
وَصَاحِبُ سَيْفٍ لِلْعَدُوِّ مُرَابِطٌ
هُمْ خَمْسَةٌ يُكُونُ حَقّاً وَغَيْرُهُمْ
فَتَنَدُّهُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَكْرَمِ
خَرِيصٌ عَلَى التَّحْرِيزِ لِلْمُتَعَلِّمِ
يَقُولُ بِحُكْمِ اللَّهِ لَا بِالتَّحْكَمِ
يَجُودُ بِهِ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُعْدِمِ
بِكُلِّ نَوْمٍ شَابِعٍ مُتَبَشِّمِ
يُسَدُّ بِهِ فِي كُلِّ ثَغْرِ مُثْلَمِ
إِلَى حَيْثُ أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعِمِ
(4 : 387-388)

20 — عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو الْحَسَنِ

الإِسْبِيلِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْقُسْطَارِ (103)، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ، وَلَهُ نَظْمٌ، أَقَامَ بِدِمَشْقَ مُدَّةً يَسْمَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَشَايِخِهَا. أَنَشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْقُرْطُبِيُّ (104) الدَّمَشْقِيُّ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ :

أَنَشَدَنِي الْقُسْطَارُ لِنَفْسِهِ :
سَقَانِي، وَلَمْ يَشْرَبْ، وَذَلِكَ تَأْدُباً
فَمَا اسْطَعْتُ إِلَّا أَنْ أَبْرَّ يَمِينَهُ
وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ شَوْقِهِ لِلْأَهْلِ كَيْفَ هُوَ :
يَا سَائِلِي، كَيْفَ شَوْقِي الْأَهْلَ وَالْوَطَنَا
كَيْفَ اشْتِيَاقُ غَرِيبِ الدَّارِ مُنْقَطِعِ
شَوْقِي إِلَيْهِمْ شَدِيدٌ لَا انْفِصَامَ لَهُ
وَأَقَسَمَ أَنِّي قَبْلَهُ سَوَفَ أَشْرَبُ
وَكُنْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي السُّورِ أَرْغَبُ
هَيِّجَتْ — وَاللَّهِ — لِي مَا كَانَ قَدْ سَكَنَا
عِشْرِينَ عَاماً يُقَاسِي غُرْبَةً وَضَنَا
وَالْقَلْبُ ذُو حُرْقٍ مُذْ فَارَقَ السَّكَنَا

(102) انظر الوافي بالوفيات 3 : 369.

(103) له ترجمة في التكملة رقم 1906 والذيل والتكملة 5 : 175.

(104) لم أقف عليه.

وَأُشْدِنِي أَيْضاً، قَالَ : أُنْشَدْنِي لِنَفْسِيهِ، وَكَانَ يَوْمًا عِنْدَ شَيْخِهِ خَزْعَلِ بْنِ عَسْكَرِ النَّحْوِيِّ⁽¹⁰⁵⁾، وَسَأَلَهُ أَبُو مُوسَى عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ الرَّعِنِّيُّ⁽¹⁰⁶⁾ أَنْ يُجِيزَهُ، فَوَعَدَهُ الشَّيْخُ بِذَلِكَ فَقَالَ :

جَرَّتِ الْعَوَائِدُ إِذْ يُجَازُ مُحَدَّثٌ فَحُضُورُ آخَرَ لَمْ يُجَزْ يَتَعَيَّنُ
وَعَوَائِدُ الْمَوْلَى التَّقِيِّ بِفَضْلِهِ جَبُرَ الْقُلُوبِ، وَجَبُرَ قَلْبِي هَيْنُ
وَأُشْدِنِي، قَالَ : أُنْشَدْنِي لِنَفْسِيهِ، وَقَدْ ذَهَبَ بِأَيِّهِ كَرَاهًا إِلَى جَدَّتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ

لَهُ : دَعْنِي عِنْدَكَ الْيَوْمَ وَغَدًا أَبْعَثْنِي إِلَيْهِمْ فَقَالَ :

لَهْفِي عَلَى الْوَلَدِ الْعَزِيزِ، وَقَدْ غَدَا
وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ تُسَلِّمُنِي إِلَى
مَوْلَايَ دَعْنِي عِنْدَكُمْ مُتَتَعِّمًا
مَوْلَايَ كَيْفَ تُسَرُّ، وَإِنَّكَ مُوثِقٌ
فَأُجِبْتُهُ - وَالْدَّمْعُ مَنَهْلٌ عَلَى
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مِنْ أَدَى جُرْعَتِهِ
كَرَاهًا يُفَارِقُنِي إِلَى بَيْتِ الْعِدَى
مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُنِي، وَيُورِدُنِي الرَّدَى
يَوْمِي، وَيَتَتَّقُمُونَ مِنِّي هُمْ غَدَا
فِي أَسْرِ بَاغِيهِ عَلَيْهِ تَمَرَّدَا
خَذُّ نَحِيلِ أَصْفَرٍ : نَفْسِي الْفِدَا
طِفْلًا، فَسَاعَدَكَ الْإِلَهُ وَأُسْعَدَا

(4 : 390-392)

21 - عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ حَمَامَةَ

أَبُو الْحَسَنِ الصَّنَهَاجِيُّ التَّلْكَاتِي⁽¹⁰⁷⁾ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، كَانَ شَيْخًا فِيهِ فَضْلٌ
وَأَدَبٌ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِعِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي، وَعِنَايَةٌ بِتَأْلِيفِ الْأَشْعَارِ وَجَمْعِهَا
وَتَرْبِيئِهَا، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ ذَلِكَ، تَزَلَّ حَمَامَةً، وَانْقَطَعَ إِلَى سُلْطَانِهَا الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ تَقِيٍّ

(105) ترجمة خزعل في الوافي 13 : 309 مع الإشارة إلى مصادر أخرى في الحاشية، ويضاف إليها بغية الطلب 7 : 285.

(106) ستأتي ترجمة ابن الشعار له ضمن هذا المجموع (ص 96).

(107) انظر التكملة، لوفيات النقلة 2 : 132 وقد ذكر د. بشار عواد المصادر التي وردت فيها ترجمته.

الدِّينَ أَبِي الْمَنَاقِبِ عُمَرَ بْنَ شَاهِنْشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي⁽¹⁰⁸⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَجَمَعَ بِاسْمِهِ كِتَاباً سَمَّاهُ (نَفَائِسُ الْأَعْلَاقِ، فِي مَآثِرِ الْعُشَّاقِ)، وَعَمَلَهُ مَبُوباً عِشْرِينَ بَاباً، أُوْدَعَ فِيهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحِكَايَاتِ وَتَوَادِرِ الْأَشْعَارِ.

وَوَظَّفَرْتُ لَهُ بِكِتَابِ آخَرَ لَقَبَهُ بِ(رِزَاذِ الْمُقْتَبَسِ، فِي مُلَحِّ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ)، فَقَيَّ الْأَشْعَارَ الَّتِي ضَمَّنَهَا الْكِتَابَ عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ بِغَرِيبٍ مِنَ الشَّعْرِ، وَكَانَ شَاعِراً مُكْثِراً مِنَ النَّظْمِ، وَعَمِلَ الْمُوشَّحَاتِ، قَادِراً عَلَى إِنْشَائِهَا وَارْتِجَالِهَا يَصْنَعُ مِنْهَا⁽¹⁰⁹⁾ مَا شَاءَ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ بِغَيْرِ فِكْرَةٍ وَلَا رَوِيَّةٍ.

وَوَفَدَ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ ثَوْرِ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ زَنْكِي بْنِ أَقْسَنْقُر⁽¹¹⁰⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَمْتَدَحَهُ بِقَصَائِدَ شَتَّى، وَمَدَحَ بَعْدَهُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ⁽¹¹¹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ بِعِدَّةٍ قَصَائِدَ.

وَبَلَغَنِي أَنَّهُ أُسِرَ أَوَائِلَ الْمَقَةِ السَّابِعَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. كَذَا أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ الْقَاضِي الْأَكْرَمُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقِفْطِيُّ⁽¹¹²⁾ أَسْعَدَهُ اللَّهُ بِحَلَبَ، أَنُشِدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ فَيَاضَ بْنِ عَلِيٍّ الْمَقْرِيُّ الْحَلَبِيُّ⁽¹¹³⁾، قَالَ :

أُنُشِدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ سَعْدٍ بْنُ حَمَامَةَ الصَّنْهَاجِيُّ التَّلْكَاتِيُّ لِنَفْسِهِ، وَقَدْ رَأَى فَاحِشَةً عَلَى شَجَرَةٍ تَارُجٍ وَهِيَ تُعْرَدُ :
وَلَا بَسَةَ ثَوْباً مِنَ الرِّيشِ أَذْكَأَ ثُرُوقَكَ مَرَأَى فِي الْغُصُونِ وَمَسْكَنَا
بَنَتْ فِي أَعَالِي الدَّوْحِ وَكُرّاً مُحْصِناً تَفِيّاً أَوْرَاقاً لِدَاناً وَأَغْصِناً

(108) ترجمته في الوافي بالوفيات 22 : 484 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر ترجمته.

(109) في الأصل : قادراً على إنشائه وارتجاله يصنع منه.

(110) ترجمته في وفيات الأعيان 5 : 184-189 وفي الحاشية تعداد لمصادر أخرى.

(111) هو أشهر من أن يعرف به وترجمته على سبيل المثال في وفيات الأعيان 7 : 139-218.

(112) هو صاحب التصانيف المفيدة مثل الإنباه وغيره، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 22 :

338-341 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر متعددة.

(113) لم أقف له على ترجمة.

أَرْتَنَا بِأَفْسَانِ الْأَرَاكَةِ قَنِصَرًا
وَأُنْشَدْتَ الْحَنَاءَ كَسَجْعِ مُخَارِقِ
بَكَتَ طَرِبًا لَمَّا بَكَيْتُ صَبَابَةً
وَقَدْ حَلَّ أَغْلَى قُبَّةِ الْمُلْكِ وَالسَّنَا
إِذَا مَسَّ أَوْتَارًا وَعَرَّدَ مُغْلِنَا
وَكَمْ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَنْ يَشْتَكِي الْضَنَى

وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا أَوَّلُ قَصِيدَةٍ :

غَنَى الْحَمَامُ عَلَى أَغْصَانِهِ طَرِبًا
هَاجَتْ لِي الشُّوقُ فِي الْأَغْصَانِ صَادِحَةً
مَا إِنْ رَأَيْتُ جَهُولًا قَبْلَ رُؤُوتِهَا
تُبْكِي وَمَا فَارَقْتُ إِلَّا وَلاً وَطَنًا
يَا قَاتِلَ اللَّهِ صَدَّاحَ الْحَمَامِ إِلَى
هَاجَ الصَّبَابَةِ مِنْ أَغْنَانِ كَاظِمَةٍ
وَمِنْ شِعْرِهِ أَيْضًا فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِـ (نَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ) :

بَاتَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ حَتَّى بَدَا
صُبْحٌ تَالِقٌ كَالْأَغْرِ الْأَشْفَرِ
فَقَلَّزَمَا عِنْدَ الصَّبَاحِ صَبَابَةً
أَخَذَ الْغَرِيمُ بِفَضْلِ ذَيْلِ الْمُغْسِرِ⁽¹¹⁴⁾
(4 : 396-398)

22 - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ

ابْنُ مَسْعُودٍ أَبُو الْحَسَنِ الْقُرْطُبِيُّ الْقَيْسِيُّ الْقُبْدَاقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ
خُرُوفٍ⁽¹¹⁵⁾. خَرَجَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ، وَقَدِمَ بِلَادَ الشَّامِ، وَنَزَلَ حَلَبَ، وَاسْتَوْطَنَهَا
فِي أَيَّامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ غِيَاثِ الدِّينِ غَازِي بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ⁽¹¹⁶⁾، وَانْقَطَعَ
إِلَيْهِ، وَامْتَدَّحَهُ بَعْدَهُ قَصَائِدَ وَمَاتَ فِي أَيَّامِهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتٍّ مِئَةٍ. وَكَانَ مِنْ

(114) قرأتهما في مكان آخر لا أتذكره الآن.

(115) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 396-399 وفي الحاشية إحالات على مصادر أخرى.

(116) انظر ترجمة هذا الملك في الوفيات 4 : 6-10 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخباره.

الْمَطْبُوعِينَ فِي الشُّعْرِ وَظُرَافِ النَّاسِ فِي وَقْتِهِ، وَكَانَ مِنَ الْمَطْبُوعِينَ فَصَاحَةً
وَدَمَانَةً قِيَمًا يَعْلَمُ الْعَرَبِيَّةَ وَالْأَدَبَ حَسَنَ الشُّعْرِ يَتَخَالَعُ فِيهِ، وَلَهُ مَكَاتِبَاتٌ وَرَسَائِلُ،
وَيَذُ بَاسِطَةً فِي عَمَلِ الْمُوشِحِ وَالْأَزْجَالِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَقْدَرِ النَّاسِ فِي
صَنَعَتِهِمَا.

وَكَانَ صَدِيقًا لِابْنِ لَهَيْبِ الشَّاعِرِ⁽¹¹⁷⁾، وَبَيْنَهُمَا انْبِسَاطٌ يَقْتَضِي الْاسْتِرْسَالَ،
وَيُسَوِّغُ مَعَهُ الْمُدَاعَبَةَ، وَمِمَّا كَتَبَهُ إِلَيْهِ وَقَدْ اسْتَدْعَاهُ ابْنُ لَهَيْبٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو
الْحَسَنِ الْجَوَابَ :

ابْنُ اللَّهَيْبِ دَعَانِي دُعَاءَ غَيْرِ النَّبِيِّ
إِنْ صِرْتُ يَوْمًا إِلَيْهِ فَوَالِدِي فِي أَبِيهِ
وَأُنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْقَيْرَوَانِيُّ⁽¹¹⁸⁾، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَبُو
الْحَسَنِ ابْنُ خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ مِنْ صَدْرِ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَى الْقَاضِي أَبِي الْمَحَاسَنِ
يُوسُفَ بْنِ رَافِعِ بْنِ شَدَادٍ⁽¹¹⁹⁾ الْمُوصِلِيُّ قَاضِي حَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَةً :

بِهَاءِ الدِّينِ وَالذُّنْيَا وَنُورَ الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا ءٍ مِنْ حَسَنَّاكَ جِلْدَ أَبِي
فَقَضْلُكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعُ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلْبِي

وَأُنْشَدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ عَفِيفٍ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ سُكْرَةَ
الْحَلَبِيِّ الْإِسْرَائِيلِيُّ⁽¹²⁰⁾ بِحَلَبٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي ابْنُ خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ فِي الْمُهَذَّبِ
ابْنِ الدُّنْخَوَارِ الدِّمَشْقِيِّ⁽¹²¹⁾ :

(117) لم أقف على ترجمته.

(118) سنأتى ترجمة ابن الشَّاعِرِ له في هذا المجموع (ص 71).

(119) أسهب ابن خلكان في ترجمة القاضي ابن شداد (7 : 84-100). وقد ذكر المحقق مصادر
متعددة في ترجمته، وانظر الأبيات المذكورة مع الرسالة في الوفيات (7 : 95).

(120) لابن سكرة الحلبي ترجمة في عيون الأنباء 2 : 164.

(121) هو الطبيب الأديب عبد الرحيم بن علي الدمشقي (565-628هـ) له ترجمة في سير أعلام
النبلاء 13 : 128-199.

إِنَّ الْأَعْيَرَ حَازَ الطَّبَّ أَجْمَعَهُ
وَلَيْسَ يَجْهَلُ شَيْئاً مِنْ غَوَامِضِهِ
فِي حِيلَةِ الْبَرِّ (122) قُلْتُ عِنْدَهُ حَيْلُ
الرُّوحِ يَسْكُنُ جُثْمَانَ الْعَلِيلِ عَلَى
وَقَالَ يَصِفُ النَّيْلَ :

مَا أُعْجِبَ النَّيْلَ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ
مِنْ جَنَةِ الْخُلْدِ فَيَاضَ عَلَى ثُرْعِ
لَيْسَتْ زِيَادَتُهُ مَاءً كَمَا زَعَمُوا
وَأُنْشِدَنِي الْحَكِيمُ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الْقَاهِرِ ابْنُ سُكْرَةَ (123)، قَالَ أُنْشِدَنِي ابْنُ
خُرُوفٍ لِنَفْسِهِ :

أَنْتَ بِطَبِّ الْوَرَى عَلِيمٌ لَكِنَّهُ إِنْ عَكَسَتْ طَبًّا
وَقَالَ فِي رَجُلٍ مَغْرِبِي يُقَالُ لَهُ : ابْنُ السُّمَيْلِ :
أَيَا نَجْلَ السُّمَيْلِ سَمَلْتُ حَتَّى
عِجَانُكَ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ أَوْدَى
ثَنَّاكَ وَأَنْتَ أَقْرَعُ ذُو قُرُونٍ
أَيُّ : هُوَ أَقْرَعُ، وَلَهُ قُرُونٌ، وَثَنَّاكَ.

وَقَالَ، وَكَانَ أَمِيناً بِبِمَارِسَتَانِ دِمَشْقَ، وَكَانَ لَهُ بَوَّابٌ اسْمُهُ السَّيِّدُ :
مَوْلَايَ مَوْلَايَ أَجْرَنِي فَقَدْ
وَكَيْفَ لِي صَبْرٌ عَلَى مَنْزِلِ
السَّيِّدُ : الذُّبُّ. وَلَهُ يَصِفُ سِنْدِيًّا، وَالسَّنْدِيُّ : لَاعِبُ الْخُفِّ الَّذِي يَلْعَبُ
بِالسُّيُوفِ وَغَيْرِهَا :

وَمُنَوَّرِ الْحَرَكَاتِ يَلْعَبُ بِالنُّهَى لَيْسَ الْمَحَاسِنِ عِنْدَ خَلْعِ لِبَاسِهِ

(122) حيلة البرء هو اسم كتاب لجالينوس.

(123) هو الذي تقدم ذكره آنفاً.

مُتَأَوِّدٌ كَالْعُصْنِ فَوْقَ كَثْبِهِ
بِالْعَقْلِ يَلْعَبُ مُقْبِلًا أَوْ مُدْبِرًا
وَيَضُمُّ لِلْقَدَمَيْنِ مِنْهُ رَأْسَهُ
وَقَالَ فِي زَرْبَانَةِ (125) :

لِلَّهِ لَافِظَةٌ مِنْ جَوْفِهَا دُرَرًا
مِثْلُ الْبَرَّاحِ، وَلَكِنْ مَا لَهَا عُقْدٌ
أُبْصَرْتُ رَامِيَةً فِي شَكْلِ طَاعِنَةٍ
نَفَحَتْ فِيهَا وَقَدْ سَوَّيْتُهَا، جَمْدًا
يَا مُشْرِفًا تَشْرُفُ الدُّنْيَا بِسُودِدِهِ
تُعْطَلُ الرُّوْضَ مِنْ شَادٍ وَصَدَاحٍ
إِذَا تُسَدَّدُ بِالْأَفْوَاهِ وَالرَّاحِ
فَتُسَمَّى لِقْسِيٍّ أَوْ لِأَرْمَاحِ
رُوحًا فَتَقْبِضُ أَرْوَاحًا بِأَرْوَاحِ
هَبْهَا قَنَاءَ وَخُذْ آيَاتِ أَمْدَاحِ

وَلَهُ يَسْتَهْدِي خَمْرًا :
يَا مَنْ يَهْزُ الْمَدِيحُ مِنْهُ
تُحَدَّ جَسَدًا لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ
وَلَهُ فِي كَأْسِهِ :

أَنَا جِسْمٌ لِلْحُمَيَّا
بَيْنَ أَهْلِ الظَّرْفِ أَغْدُو
وَالْحُمَيَّا لِي رُوحٌ
كُلُّ وَقْتٍ وَأَرْوَحُ
وَلَهُ فِي الْحَكِيمِ الْأَعْرَجِ الْمُهَذَّبِ ابْنِ عَلِيٍّ الْكَحَّالِ الْمَعْرُوفِ بِالذُّخْوَارِ
الدَّمَشَقِيِّ :

تُجَرَّرُ يَا أَعْيَرُجُ ذَيْلُ كَبِيرٍ
وَتَمْشِي مِشْيَةَ الْخَيْلَاءِ زَهْوًا
وَتَعْلَمُ لَوْمْ وَغَدِ أَنْتَ نَجْلُهُ
أَمَامَ السَّامِرِيِّ وَأَنْتَ عِجْلُهُ

(124) الأبيات موجودة أيضا في الذيل والتكملة 5 : 397 وصلة الصلة : 115.

(125) في شفاء العليل : زربانة لما يرمى به.. قال ابن حجاج :
بِهِ تَرْمِي لِحَى مُعَشَّقِيهَا كَمَا يَرْمِي أَلْفَتِي بِالزَّرْبَانَةِ
وانظر في الكلمة أيضا قاموس دوزي.

السَّامِرِيُّ رَجُلٌ كَانَ بِدِمَشَقَ، وَكَانَ شَرِيكاً لِلْأَعْرَجِ [وَلَهُ فِيهِ] (126) :
لَكَ يَا مُهَذَّبُ فِي الْجُسُومِ مَلَاحِمٌ حَسَدَ الْحُسَامِ كِفَاحَهَا وَاللَّهْذُمُ
يُعْجِي أَخُوكَ وَأَنْتَ تَقْتُلُ دَائِماً «لَأَخُوكَ ثُمَّ أَرُقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ» (127)
(4 : 410-415)

23 — عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ

ابن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن يُونُس بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن سَهْم
من وَلَدِ عَمْرِو بنِ الْعَاصِرِ الْقُرَشِيِّ ثُمَّ السَّهْمِيِّ أَبُو الْحَسَنِ بنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ شَهْرُ
بَابِنِ الْبِيَّانِيِّ الْغُرْنَاطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ (128)، شَاعِرٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ
مُحَمَّدُ بنُ بَدَلِ التَّبْرِيزِيِّ (129) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بنُ
الْبِيَّانِيِّ لِنَفْسِهِ بِإِزْبِلَ — قَدِمَهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلَى مِنْ شُعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ
مُجْتَازاً إِلَى دَارِ السَّلَامِ — يَمْدَحُ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا الْإِمَامَ الْمُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (130) :
حَرَمُ الْخِلَافَةِ قَصْدُ كُلِّ مُيَمِّمٍ وَمَحَلُّ مَوْتُوقِ الْعَقِيدَةِ مُسْلِمِ
شَرَفَتْ قَوَاعِدُهُ قَبَانَ [مِثْلَانَا] (131) فِي جَوْفِ قُبَّةٍ سَمَكِيهِ كَالدَّرْهِمِ

(126) زيادة ليست في الأصل، ويقتضيها السياق.

(127) هذا شطر بيت للمتنبي.

(128) لم أقف على ذكره في غير هذا المصدر.

(129) تقدم ذكره.

(130) حوالي هذا التاريخ كانت دعوة ابن هود للعباسيين وتوصل بتقليد من الخليفة المستنصر العباسي يوليه به على الأندلس، وهو مكتوب في العشر الأوسط من ذي القعدة سنة 629 هـ وكان السفير الذي حمل هذا التقليد هو أبو علي حسن بن علي بن حسن بن الحسين الكردي الملقب بالكمال. فهل هذا الأندلسي الوافد على دار السلام ومادح الخليفة المستنصر كان سفيراً عن ابن هود إلى هذا الخليفة ؟

(131) كلمة غير واضحة في الأصل.

وَكَاثِمًا الْعَافِي الْمِلْمُ بِبَابِهِ
 دَمِنْ سَمَتْ شَرَفًا بِسَاكِنِ أَفْقِهَا
 أَسْنَى الْخَلَائِفِ وَالْخَلَائِقِ مَحْتِدًا
 مُسْتَنْصِرَ بِاللَّهِ فِي أَفْعَالِهِ
 دَارَ السَّلَامِ لِقَاصِدِيهَا قِبْلَةً
 شَهِدَتْ بِبَهْجَتِهَا بِهِ أُمُّ الْقُرَى
 وَالْبَيْتُ يَشْهَدُ بِالْفَخْرِ لِقَطْرِهَا
 وَكَذَا الْمَشَاعِرُ لَمْ يَزَلْ يَتْلُو بِهَا
 فِيكُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ عِصْمَةَ دِينِنَا
 أَنْتُمْ خَلَائِفُ رَبَّنَا فِي أَرْضِهِ
 وَبِفَضْلِكُمْ نَطْلُقُ الْكِتَابَ لِأَنْتُمْ
 وَإِذَا آمَرُوا حَادَثَ بِهِ سُبُلُ الْهَوَى
 فَإِذَا اسْتَيْبَ قَتَابَ كَانَ مُؤْمِنًا
 أَمَامَ أَهْلِ الْأَرْضِ بُلُغْتَ الْمُنَى
 وَبِلَادَ أُنْدُلُسٍ أَدِيلَتْ دَوْلَةً
 شَبَّ الْوَلِيدُ بِهَا سُرُورًا وَانْكَسَتْ
 فَتَعُورُهَا أَقْصَرَتْ بِطَاعَةِ أَهْلِهَا
 تَبَدُّوا ضَلَالَ خَوَارِجٍ قَدْ أَثْقَلَتْ
 وَاسْتَبَشَرُوا بِكَمَالِ بَيْعَةِ دِينِهِمْ
 وَمَلِكُهُمْ سَعْدُ بْنُ هُوْدٍ (134) مَالِكُ
 مَلِكٌ لَكُمْ مَلَكَتْ يَدَاهُ مَعَاقِلًا
 فَازَّارَهَا أُسْدًا وَكَانَ شِعَارَكُمْ

(132) دار السلام هي بغداد.

(133) يشير إلى بيعة محمد بن هود للعباسيين.

(134) كان ابن هود الداعي للعباسيين يلقب بالتوكل على الله ولعل العامة كانت تلقبه بالسبع أو هي تحريف سينط.

يَخْطُو إِلَيْهِ عَلَى جَبِينِ الْمَرْزَمِ
 مِنْ آلِ أَحْمَدَ سِرٌّ صِفْوَةَ آدَمِ
 وَأَجْلَهُمْ ذِكْرًا لَدَى نُطْقِ الْقَمِ
 مَاضِي الْعَرِيْمَةِ فِي الْمُهْمِ الْمُتَرَمِ
 كَالْبَيْتِ مِنْ مَثَرٍ يَحْجُجُ وَمُعْدِمِ (132)
 لَوْ حَلَّهَا فَرِحَتْ بِأَشْرَفِ مَنْسِمِ
 ثُمَّ الْمَقَامُ مَعَ الْحُطِيمِ وَزَمَرِ
 آيِ الْمَآثِرِ كُلِّ أَشْعَثَ مُحْرِمِ
 فِي عَصْرِنَا ذَا وَالزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
 طَرًّا وَمَنْ يَأْبَى فَلَيْسَ بِمُسْلِمِ
 آلِ النَّبِيِّ وَفَحْرُكُمْ لَمْ يُكْتَمِ
 عَنْ قَصْدِكُمْ يُدْعَى بِأَجْهَلِ مُحْرِمِ
 وَإِذَا أَبَى فَمَتَابُهُ سَفْكُ الدَّمِ
 فَمُعْرَبٌ فِي طَوْعِكُمْ كَالْمُشْتَمِ
 لَكُمْ بَيْعَةٌ مُخْلِصٌ لَمْ تُكْتَمِ (133)
 شَرَحَ الشَّبَابُ الشَّيْبَ لِلْمُتَوَسِّمِ
 لِلَّهِ ثُمَّ لَكُمْ بِصِدْقِ مُسْلِمِ
 مِنْهُمْ ظُهُورٌ بِالشَّقَاقِ الْمُؤْلِمِ
 وَنَعِيمِ دُنْيَاهُمْ وَفَيْضِ الْأَنْعَمِ
 مِنْهُمْ أَرْمَةٌ طَاعَةٍ لَمْ تُتْهِمِ
 بَعْدَتْ عَنِ الْفُتُخِ الشَّدَادِ الْحُومِ
 غِيْلًا لَهَا تَحْتَ الْعَجَاجِ الْأَقْمِ

وَسَمَا إِلَيْهَا بِالسَّوَابِقِ شَرْباً
وَأَذَانَهَا صِدْقَ الطَّعَانِ فَأَذَعَنْتْ
يَطْوِي الْبِلَادَ بِجَحْفَلِ خَافِ الْمَلَا
تَخَفَقَتْ بُنُودُ سُعُودِكُمْ فِيهِ عَلَى
وَلَقَدْ غَزَا أَرْضَ الْفِرْنَجِ بِعُصْبَةٍ
فَأَمَامَهُمْ مُسْتَنْصِرٌ وَمَلِيكُهُمْ
وَإِذَا هُمْ أُمُو الْعِدَا صَدَقُوهُمْ
وَعَلَيْهِمْ سَرْدُ الدَّلَاصِ كَأَنَّهُ
وَطَلَتْ سَنَابِلُكَ حَيْلَهُمْ هَامَاتِهِمْ
وَاسْتَعْجَلَتْ قُضْبُ الْوَشِيحِ عَلَيْهِمْ
وَجَرَتْ مَذَانِبُ مِنْ نَجِيعِ نُحُورِهِمْ
مَلَأُوا الْفَلَاةَ مُجَدِّلِينَ تَنُوشُهُمْ
فِيهَا هَهَا قَدْ عَاقَهَا مُتَطَهَّرٌ
وَقَدْ اسْتَقَامَ الدِّينُ فِي أَقْطَارِهَا
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُفِيضِ عَلَيْهِمْ
فَتَشَابُهُمْ فِي غِبْطَةٍ وَنِسَاؤُهُمْ
تَالُوا الْمُنَى لَمَّا آنَجَلَتْ عَنْ أَرْضِهِمْ
وَاسْتَوْضَحُوا نَوْرَ الْهُدَى وَتَيَمَّنُوا
غَمَرَ الْبَسِيطَةَ عَذْلُهُ فَيَكَادُ أَنْ
لَا زَالَ سَحْبُ نَوَالِهِمْ يَهْجِي عَلَى
وَسُيُوفُهُ تُنْمِسي رِقَابَ عِدَائِهِ
وَرِمَاحُهُ فِي صَدْرِ كُلِّ مُعَانِدٍ
يَا ابْنَ الْأَيْمَةِ مِنْ قُرَيْشٍ أَنْتُمْ
قُطْبُ الدِّيَانَةِ وَالْأَمَانَةِ فِيكُمْ

تُزْرِي بِكُلِّ مُدْجَجٍ مُسْتَأْنِمٍ
بِالطُّوْعِ دُونَ مُهْنَدٍ وَمَقُومٍ
مِنْ بَحْرِهِ الطَّامِي الْعُبَابِ الْخَضِرِ
أَعْدَائِكُمْ فَاسْتَسْلَمُوا لِلْمَغْنَمِ
فُطِرَتْ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ الْأَقْوَمِ
مُتَوَكِّلٌ يَا نَصْرُ هَبْ لَا تَعْدَمِ (135)
بِالْمَشْرِقِي وَكُلُّ أَسْمَرٍ لَهْذَمِ
سَيْلٌ تَلَاظَمَ فِي غَدِيرٍ مُفْعَمِ
وَالسَّيْفُ يَرْسُمُ اسْطِطْرَافاً لَمْ تُفْهَمِ
خُرِقُوا بِهَا مِنْ قَبْلِ نَارِ جَهَنَّمَ
وَتَجَلَّلَتْ شُهْبُ السَّوَابِقِ بِالْدَّمِ
عُصَبُ الْوُحُوشِ وَكُلُّ نَسْرٍ قَشَعَمِ
وَتُرَابُهَا مَا حَلَّ لِلْمُتَيْمِّمِ
شَرْقاً وَغَرْباً وَالْعَدُوُّ بِمَرْغَمِ
بِإِمَامِ أَهْلِ الْحَقِّ أَسْبَغَ أَنْعَمِ
فِي حَوَاطِئِهِ وَشَيُوعُهُمْ لَمْ تَهَرَمِ
ظَلَمُ الْجَهَالَةِ مِنْ زَنِيمٍ مُجْرِمِ
بِالدَّوْلَةِ الْعَرَاءِ فِي ...
تُلْفَى الذَّقَابُ مَعَ الطَّبَائِ بِمَجْتَمِ
أَهْلِ الْوَلَاءِ بِكُلِّ نَوِيٍّ مُسْجَمِ
أَجْفَانُهَا يَوْمَ الْوُطَيْسِ الْمُلْحَمِ
أَمْضَى وَأَنْفَذَ مِنْ قَضَائِهِ مُبْرَمِ
خَيْرُ الْبَرَايَا وَالْجَمَى لِمُيْتَمِ
إِزْتُ لَكُمْ مِنْ أَكْرَمِ عَنْ أَكْرَمِ

(135) يشير إلى المستنصر العباسي والمتوكل ابن هود.

صَلَّى عَلَى تِلْكَ الْعَنَاصِرِ رَبُّكُمْ
وَأَدَامَكُمْ لِلْمُسْلِمِينَ مُوْطِئاً
وَحَبَاكُمْ الْعُمَرَ الطَّوِيلَ تَمْتَعاً
فَالْدُّنْيَا وَالْإِسْلَامَ لَمَّا اسْتَمْسَكَا
فَعَلَى مَوَاقِفِكُمْ أَنتُمْ تَحْيِيهِ
وَكَسَاكُمْ ثَوْبَ الْفَخَارِ الْأَعْظَمِ
أَرْجَاءَهُمْ بِمُقْتَفٍ وَبِمَحْذَمِ
وَأَمَدَكُمْ نَصراً بِكُلِّ مُسَوِّمِ
مِنْكُمْ بِعُرْوَةِ عِصْمَةٍ لَمْ تُفْصَمِ
مَاذَا بَيِّتُ اللَّهِ قِبْلَةَ مُسْلِمِ
(4 : 539-543)

24 - عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَاسْمُهُ عَتِيقٌ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَيُّوبَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْصَارِيُّ (136) مِنْ أَهْلِ
بَلَنْسِيَّةَ. كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ.
الْفَقِيهُ الْفَاضِلُ الْمُقْرَأُ، قَرَأَ الْقُرْآنَ بِالسَّبْعِ، وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ النَّبَوِيَّ كَثِيراً بِالْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَهُوَ
رَجُلٌ يَفُوقُ أَهْلَ أَهْلِهِ دِيناً وَفَضْلاً وَخَيْراً وَعِلْماً، مُقِلٌّ مِنْ قَوْلِ الشُّعْرَى سَكَنَ حَلَبَ،
وَقَرَّ بِهَا، رَأَيْتُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى بَنِي عَصْرُونَ وَلَهُ بِهَا جَامِعِيَّةٌ (137)
يَتَنَاولُهَا وَهُوَ مُتَّصِدٌّ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ بِالْجَامِعِ أَيْضاً، أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ :
ثِقَى بِالْإِلَهِ، وَكُنْ بِهِ مُسْتَنْصِراً يَرْعَاكَ رَبُّكَ فِي الْأَفْعَالِ وَيُرْشِدُ
وَأَقْنَعُ بِمَا أَعْطَاكَ رَبُّكَ رَاضِياً إِنَّ الْفَنَاءَةَ كَنْزُهَا لَا يَنْفَدُ
إِنَّ الْوُثُوقَ بِذِي الْمَعَالِي رِفْعَةً يَحْطِي بِهَا الْعَبْدُ الرَّشِيدُ الْأَسْعَدُ
وَدَعِ الْمَطَامِعَ جَانِباً فَلَرَبَّهَا ذَلَّتْ رِقَابُ أَعَزَّةٍ فَاسْتَعْبَدُوا
وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ لَا تَدْعُهَا فَإِذَا فَعَلْتَ فَأَنْتَ أَنْتَ الْأَمْجَدُ
إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ الْمُثِيرَ عَدَاوَةً إِنَّ الْكَذُوبَ مِنَ الْإِلَهِ مُبْعَدُ

(136) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

(137) كلمة فارسية وهي عبارة عن مبلغ من المال، وقد استعملت في المغرب أيضاً منذ عصر
الموحدين، انظر المعجب، وقاموس دوزي.

وَالصَّدْقُ أَوَّلُ مَا سَلَكَتَ طَرِيقَهُ
وَالْغِيَّةَ احْذَرُهَا، وَلَا تَكُ آكِلًا
إِنَّ التَّمِيمَةَ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ
لَا تَحْسُدَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا عِنْدَهُ
وَإِذَا غَضِبْتَ فَكُنْ لِعَظْمِكَ كَاطِمًا
وَأَحْلَمْ، فَإِنَّ الْجَلَمَ خَيْرٌ مَطِيَّةٍ
إِنَّ التَّوَاضُعَ لِلْمُكَلَّفِ رِفْعَةٌ
وَذَرِ الرِّيَاءَ، فَإِنَّهُ شِرْكٌ وَدَغٌ
وَأَجْعَلْ طَعَامَكَ مِنْ حَلَالٍ خَالِصٍ
دَغٌ مَا يَرِيكَ إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَةً
وَاشْغَلْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَقَتِكَ وَارِدًا
وَاحْفَظْ جَمِيعَ وَصِيَّتِي وَاعْمَلْ بِهَا
وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ بِنِيَّةٍ
فَعَسَاهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَنَا وَيُنِيلَنَا
وَأَشْدِنِّي أَيْضًا لِنَفْسِيهِ :

فَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الْأَقْصَدُ
مِنْ جِيْفَةٍ، إِنَّ الْمَكَارَةَ تَنْقُدُ
يَسْعَى بِهَا النُّدُلُ اللَّئِيمُ الْأَوْغَدُ
فَالْعَاقِلُ الْمَغْبُوطُ مَنْ لَا يَحْسُدُ
فَالْعِظُ نَارَ جَمْرِهِ يَتَوَقَّدُ
مَنْ كَانَ رَاكِبَهَا يُجَلُّ وَيُحْمَدُ
وَكَذَا التَّكْبُرُ ذِلَّةٌ تَنْزِيدُ
ظُلَمَ الْعِبَادِ، فَإِنَّهُ يُتَعَوَّدُ
فَمَطَاعِمُ الشُّبُهَاتِ سُمٌّ أَسْوَدُ
وَأُخِذِ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ تُسَدَّدُ
نَهْرَ الْحَيَاةِ بِهِ، فَنِعْمَ الْمَوْرِدُ
إِيَّاكَ تَتْرُكُهَا وَعَنْهَا تَرْفُدُ
وَقَرِيحَةٍ، فَهُوَ الْكَرِيمُ الْأَوْحَدُ
دَارَ السَّعَادَةِ حِينَ يَأْتِي الْمَوْعِدُ

مَهْلًا عَلَيْكَ لِبَعْلِ عَرْسِكَ تَجْمَعُ
طُولَ الْحَيَاةِ فَلَسْتُ تَنْوِي تَشْبَعُ
رَدَّ عَلَيْكَ، فَهَلْ لِرُشْدِكَ تَرْجِعُ
(5 : 177-179)

يَا جَامِعَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ تُجْرُهَا
يَزْدَادُ حِرْصُكَ عِنْدَ شَيْبِكَ أَمَلًا
مِمَّا يَغُرُّكَ نَفْعُهُ، وَحِسَابُهُ

25 — عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَمِيرَوَانِيُّ الْكَاتِبُ الْمَعْرُوفُ
بِابْنِ الرِّيَّاتِ (138) وَلَدَ بِسُوسَةَ، مَدِينَةَ بِالْغَرْبِ، مِنْهَا يَسِيرُ الْقَاصِدُ إِلَى السُّوسِ

(138) لم أقف على ترجمته في مصدر آخر وإنما وقفت في رحلة التجاني (52-53) والفارسية =

الْأَقْصَى⁽¹³⁹⁾ وَنَشَأَ بِثُوْنَسَ وَتَأَدَّبَ بِهَا، ثُمَّ خَرَجَ عَنْهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَبِلَادِ الشَّامِ، ثُمَّ أَلْقَى [عَصَاهُ] بِالْمَوْصِلِ، وَنَزَلَ الْمَدْرَسَةَ الْبَذْرِيَّةَ الْمُطْلَّةَ عَلَى دِجْلَةٍ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا مُقَامُهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ بِهَا آخِرَ نَهَارِ يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَدُفِنَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ بِمَقْبَرَةِ الْجَامِعِ الْعَتِيقِ فَبَلَّتَهُ تَعَمُّدُهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَكَانَ رَجُلًا قَصِيرًا أَسْمَرَ اللَّوْنِ، خَالَطَهُ الْمَشِيبُ، عَفِيفًا مُتَصَوِّنًا لَهُ عِنَايَةً بِإِنْشَاءِ الرِّسَائِلِ وَقَرَضِ الشُّعْرِ، وَحَفِظَ مِنَ الْأَشْعَارِ جُمْلَةً وَاقِرَةً، وَمِنْ أَقَاوِيلِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَهُ فُصُولٌ مِنْ إِنْشَائِهِ، وَمُكَاتَّبَاتٌ مَلِيحَةٌ، وَنَظْمٌ حَسَنٌ وَبَلَاغَةٌ، وَسَمِعَ كَثِيرًا مِنَ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَكَانَ فِي أَخْلَاقِهِ زَعَارَةٌ، حَادَّ الْمَزَاجِ، يَتَعَصَّبُ لِأَهْلِ الْعَرَبِ تَعَصُّبًا مُفْرِطًا، صَحْبَتُهُ بِالْمَوْصِلِ مُدَّةً، وَكَتَبَتْ عَنْهُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ، وَشِعْرَ غَيْرِهِ. أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ الْوُزَرَاءِ وَاسْمُهُ يُوسُفُ وَيَصِفُ قَلَمَهُ، وَيَهْتِنُّهُ بِعِيدِ النَّحْرِ فِي أَثْنَاءِ رِسَالَةٍ :

أَبْطَرَفِهِ، أَمْ ثَغْرِهِ، أَمْ رِيقِهِ شَبَّ الْهَوَى فِي الْقَلْبِ نَارَ حَرِيقِهِ
أَمْ لَيْلِهِ الْغَاشِي صَبَاحَ جَبِينِهِ أَمْ خَدَّهُ أَوْرَى شُعَاعَ رَحِيقِهِ
نَشْوَانُ أَوْلَعَ رَذْفُهُ بِقَوَامِهِ وَلَعَ الْفُؤَادِ إِذَا بَدَأَ بِخُفُوقِهِ
يَا نَاطِرًا بِعُقُوقِهِ هَبْ نَاطِرِي سِنَةُ الْكَرَى لَمَّا سَحَا بِعَقِيقِهِ
إِنْسَانُ عَيْنِي قَدْ قَضَى مِنْ دَمْعِهَا فِي بَحْرِهِ، وَارْحَمْنَا لِغَرِيقِهِ
وَمِنْهَا يَصِفُ الْقَلَمَ :

وَبِمُهْجَتِي الْأَلْمَى الَّذِي فِي كَفِّهِ كَأَنْتُمْ مُعْتَدِلُ الْقِيَامِ رَشِيقِهِ
إِذْ عَيْشُنَا مِنْ سُحْبِهِ، وَمَقِيلُنَا فِي ظِلِّهِ، وَحَيَاتُنَا مِنْ رِيقِهِ

= (126) وبرنامج الوادي آشي : 222 وبغية الوعاة 2 : 153. على ترجمة وذكر أخيه أبي عبد الله محمد بن عبد الجبار، وسيتحدث عنه بعد قليل.

(139) السوس الأقصى بعيد جداً من سوسة ولعل ما ورد هنا محل التقارب بين الاسمين، وللتجاني صاحب الرحلة حديث طويل عن سوسة وأخبارها وأدبائها وشعرائها (من ص 25 إلى ص 55).

وَمِنْهَا فِي وَصْفِهِ أَيْضاً :

عَلَّمَ لَدَى كُلِّ الْمَكَارِمِ فِي يَدِ
بَلْ صَيَّبَ تَهْمِي الْمَنَايَا وَالْمَنَى
يَا مَالِكاً أَوْلَى فَأَظْهَرَ صُنْعُهُ
هُنَّتْ بِالْعِيدِ الْمُبَارِكِ بِالْغَا
مَا بَيْنَ نَحْرِ عِدَى، وَعَرِفَ فَاتِحاً
أَبداً لِشَتَى الْخَالِدَاتِ مُجْمَعاً
مَا زَادَ مَنْ صَدَقَ الثَّنَاءَ لِيُوسُفَ

تَعْلُو فَيَعْلُو الْقَصْدُ عِنْدَ خُفُوقِهِ
بُاساً وَجُوداً فِي خِلَالِ بُرُوقِهِ
فَرَحاً عَلَى ضَنْكِ الزَّمَانِ وَضَبِقِهِ
أَملاً رَجَوْتُ اللَّهَ فِي تَحْقِيقِهِ
مِنْ سِرِّكَ الْمَشْكُورِ عَرَفَ خَلُوقِهِ
مَا تَعَجَّزُ الْأَيَّامُ عَنْ تَفْرِيقِهِ
فِي الْحَمْدِ بَلْ أَتَى عَلَى صَدِيقِهِ

وَأُشْدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ نَجْمَ الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ يُوسُفَ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ
الْمُجَاوِرِ⁽¹⁴⁰⁾ الدَّمَشَقِيِّ بِمِصْرَ وَزَيْرَ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ عِمَادِ الدِّينِ عُثْمَانَ بْنِ يُوسُفَ
ابْنِ أَيُّوبَ⁽¹⁴¹⁾ صَاحِبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ :

مَنْعَتْ رَقِيبَ الْحَيِّ أَنْ يَتَرَقَّبَا
طَلَعَتْ فَقُلْنَا الشَّمْسُ لَأَحْتِ مَشْرِقاً
مَا سَتْ فَكَانَ الْعُصْنُ طَيِّ وَشَاحِهَا
سَحَبَتْ عَلَى جِوْنِ الْوَفَا أَذْيَالَهَا
وَنَظَرْتُ مِنْ خِلَالِ الْبُرُودِ مُفَضَّضاً
عَاهَدْتَنَا أَنْ لَا صُدُودَ، وَقَلَمَا
وَرَأَتْ بَيَاضَ الْفَجْرِ لَأَحْ فَأَعْرَضَتْ
أَفْرَقَتْ أَنْ تَمَّ الصَّبَاحُ بِمَفْرِقِي
لَا تَعْتَبِي شَيْئاً أَلَمْ يَلْمِئِي
أَصْحَبَتْ وَصَلَ إِلَهُمْ ثُمَّ صَدَّقْتَنِي
عَذَابَتْ فَرَعِكَ يَا سَعَادَ لِعَاشِقِ
كَمْ قَدْ بَدَلَتْ عَذَابُهُ فِي هَجْرِهِ

وَبَدَتْ وَحْشُو نِقَابِهَا لَنْ يُحَجِّبَا
وَأَنْتِ فَقُلْنَا الْبَدْرُ أَمْ الْمَعْرِبَا
وَرَنْتِ فَخِلْنَاهَا تُحَاكِمِي الرَّبْرَبَا
جَرَّ الرِّيَّاحِ ذُبُولَهُنَّ عَلَى الرَّبَا
لِبَنَانِهَا قَدْ صَيَّرْتُهُ مُذْهَبَا
يُحْظِينَ مَنْ وَصَلَ لَهُنَّ مُعَذِّبَا
فَرَقَا، وَطَلَّقَ الْحُسْنِ مِنْهُ مُقْطَبَا
وَزَجَرَتْ لِلتَّفْرِيقِ كَافُورَ الصَّبَا
إِنَّ الْمَشِيبَ غَبَارُ مُعْتَرِكِ الصَّبَا
فَرَدَدْتَهُ هَمّاً بِهِ إِذْ أَصْحَبَا
لَوْ لُحْنُ أَنْوَارٍ لِحَالِ الْغَيْهَبَا
وَمَنْعَتِهِ عَذْباً بَرُوداً أَشْتَبَا

(140) انظر وفيات الأعيان 6 : 20، 7 : 342. وهو أيضا المدوح بالقصيدة قبل هذه.

(141) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 251-253 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

وَلَّتْ وَقَدْ ضَمَّتْ فُضُولَ إِزَارِهَا
عَطَفَتْ عَلَى بَابِ الْوَزِيرِ... (142)
تَشْكُو بَنِي الْأَيَّامِ لِابْنِ مُجَاوِرٍ
أَعْنِي أَبَا الْفَتْحِ الَّذِي دَانَتْ لَهُ
الْعَالَمُ الْفَطْنُ الْجَوَادُ الْمُرْتَضَى
لِلَّهِ يُوسُفُ فِي صِفَاتِ سَمِيهِ
صَدَقَتْ يَا خِدْنَ الْعَزِيزِ مَحَاسِنًا
وَدُعِيَتْ نَجْمَ الدِّينِ لَمَّا كُنْتُهُ
فَأَذَعَتْ دِينَ الْجُودِ عِنْدَ حُمُولِهِ
بِضْيِيلِ أَقْلَامٍ جَعَلَتْ مِدَادَهُ
وَجَرَّرَتْهُ كَيْمَا يُقَالُ مُتَقَفًا

نِيهَا يَزِيدُ الْمُعْرِمِينَ تَعَجُّبًا
غَادَزَنَ قَلْبِي بِالسَّقَامِ مُقَلِّبًا
كَيْمَا يُؤْتَبُ مِنْهُمْ مَنْ أَدْنَبَا
رُبُّ الْوِزَارَةِ مَذْ بَلَتْهُ فَأَغْرَبَا
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ سَيِّدٍ مَا أُخْطَبَا
لَمَّا أَرَانَا مِنْهُ خَلْقًا مُذْهَبَا
تَبْدُو مَخَايِلُهَا لِعَيْنِكَ خُلْبَا
وَطَلَعَتْ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي كَوْكَبَا
وَنَسَحَتْ شَرَعَ الْبُحْلِ لَمَّا أُرْهِبَا
حَدًّا يُقْلَمُ فِي الْخُطُوبِ الْمُقْضِيَا
وَهَزَزَتْهُ كَيْمَا يُقَالُ مُشْطَبَا

وَمِنْ نَثَرِهِ مِنْ كِتَابِ كَتَبَهُ جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ وَصَلَ مِنْ أَخِيهِ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَكَانَ
بَلَّغَهُ أَنَّ صَاحِبَ إِفْرِيقِيَّةٍ أَحْضَرَهُ مَجْلِسَهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ جَوَابَ كِتَابِهِ، فَكَانَ مِنْهُ :
«وَكُلَّمَا اطْمَأَنَّتِ النَّفْسُ بِعَافِيَتِهِ وَرَكَعَتْ إِلَى الْإِقَامَةِ نَادَاهَا التَّزَوُّعُ إِلَيْهِ : ﴿يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾، وَكُلَّمَا أَفَاضَتْ الذِّكْرَى الْعَبْرَةَ قَالَ كِتَابُهُ الْكَرِيمُ
لِسَحَابِ الْجُفُونِ : ﴿يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾، وَكُلَّمَا عَاوَدَتْ الْمُلَاحَظَةَ لِحَطِّهِ السَّعِيدِ
أَسْمَعَ النَّازِظُ السَّمْعَ : يَا أذنُ شَوْقِي لِحَطِّ صَوْتِهِ اسْمَعِي. وَرَدَتْ أَخْبَارُهُ الْكَرِيمَةُ
عَلَى أَلْسِنِ الْوَارِدِينَ اللَّطْفِ مِنْ نَسِيمِ الْأَسْحَارِ، وَاسْتَقَرَّتْ وُجُوهُ وَجَاهَتِهِ فَلَا
كَرَامَةَ لِلنَّهَارِ الْمُنْهَارِ، فَهَيَّجَتْ ذِكْرَى، وَأَوْجَبَتْ حَمْدًا وَشُكْرًا، وَقَالَ بِهَا الشَّوْقُ
لِلْقَلْبِ : ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، وَجَدَّدَتْ شُكْرَ النُّعْمَةِ الْمُتَحَدِّثِ بِهَا
عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ مَوْلَايَ الْأَخَ مِنْ الْعُلُومِ الَّتِي كُلُّ وُجُوهِهَا حَسَنَةٌ، وَأَهْلُهُ بِهَا
لِحُضُورِ الْمَجَالِسِ الَّتِي هِيَ صُدُورٌ لَا حَرِجَةَ وَلَا خَشْيَةَ، وَخَصَّهُ بِالْفَوْزِ مِنْهَا
بِمَجَانِي الْفَضْلِ الَّتِي كُلُّهَا عِيُونَ لَا يَأْخُذُهَا نَوْمٌ وَلَا سِنَةٌ، لَا يَرْحَ مَجْدُهَا دَافِعًا

(142) نقص في الأصل، ونفتح : فِي رَبِّهِ.

فِي صُدُورِ الْمَوَاكِبِ، وَعَرَفَهَا مُحْجَلًا مَا هَتَنَ مِنَ السَّوَاكِبِ، وَتُرَابِ مَوَاكِبِهَا
صَارِفًا طَرَقَ التَّوَائِبِ، وَالْحَدِيثُ عَنْ جُودِهَا مَعَ كَثَرَتِهِ مَعْدُودٌ مِنَ الْعَجَائِبِ.

وَأُشَدَّنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

ظَلَمْتُ كَجَفْنِي فِي الْهَجِيرِ رَبِيعَهُ
لَا تُسْتَقَلُّ مَعَ الزَّمَانِ دُمُوعُهُ
فَالْعَيْنُ تُبْصِرُ وَالْفُؤَادُ يُطِيعُهُ
خُلُوعًا، وَقَلْبُ جَرِيحِهِ مَلْسُوعُهُ
مِنِّْي، وَقَوْلِي كُلُّهُ مَمْنُوعُهُ
أَمْ أَصْلُهُ قَدْ خَالَفَتْهُ قُرُوعُهُ
وَبِنْفُضِهِ نَظَرَ الْهَوَى مَقْطُوعُهُ
لَمَّا تَرَجَّحَ فِي الدَّلِيلِ شُرُوعُهُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَكُونُ صَنِيعُهُ

شَفَقَ الْحَيَاءُ بِوَجْتَتِيهِ طُلُوعُهُ
قَدْ حَلَّ مِنْهُ سَوَادُهُ وَلِشَوْقِهِ
فِيحْسِنِهِ يَنْهَى وَيَأْمُرُ مُهْجَتِي
يَكُونِي مُعَافَى الْقَلْبِ مِنْ بُرَحَائِهِ
دَرَسَ الْخِلَافَ فَمَا يَقُولُ مُسَلِّمٌ
أَفْسَادَ وَضَعِ فِي سُؤَالِ مُجِبِهِ
تَقْرِيرُ فَتَوَى الْحُبِّ مِنْهُ مُعَارِضُ
أُزْهِقْتُ بَيْنَ دَلِيلِهِ وَدَلَالِهِ
أَفَلَا قِصَاصَ لِعَبْدِهِ فِي رَأْيِهِ

وَأُشَدَّنِي أَيْضًا قَوْلَهُ :

لِدَاثَ يُوسُفَ مِنْ أَذْنَى صَوَاحِبِهِ
وَمَالَ لِلتُّرْبِ جِسْمِي مِنْ تَرَائِبِهِ
إِلَّا رَمَاهَا بِنَبْلٍ قَوْسُ حَاجِبِهِ
(5 : 244-250)

وَأَعْيَدَ مِنْ طِبَاءِ الشَّامِ ذِي دَعَجٍ
أَذَابَ قَلْبِي مَضْفُورًا ذَوَائِبُهُ
مَا شَامَ عَنْ مُهْجَتِي هِنْدِي تَقْلَدُهُ

26 — عُمَرُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرَجٍ، بَنِي خَلْفٍ بَنِي قَوْمَسَ بْنِ مَزَلَالٍ بَنِي مَلَالٍ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ
بَدْرِ بْنِ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ بْنِ قُرُوءَةَ الْكَلْبِيِّ (143) صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَكَذَا

(143) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 448 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى، ويضاف إليها :
الذيل والتكملة 8 : 215-220، وترجمة ابن الشعار هنا تشتمل على فوائد وزوائد
متعددة.

تَسَبَّ نَفْسَهُ، وَيَقُولُ أَيْضاً سَيِّطُ أَبِي الْبَسَامِ (144) مُوسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ
 أَبِي جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ، يُكْنَى أَبُو الْخَطَّابِ ابْنُ أَبِي عَلِيٍّ، وَيُعرفُ بِذِي النَّسَبَيْنِ، كَذَلِكَ يَكْتُبُ
 بِحِطِّ يَدِهِ فِي الْكُتُبِ، وَهُوَ فَقِيهٌ شَافِعِيٌّ الْمَذْهَبِ مُحَدِّثٌ حَافِظٌ إِمَامٌ فَاضِلٌ عَارِفٌ
 بِالْقُرْآنِ وَاللُّغَةِ، وَتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَصِيحٌ فِي إِيرَادِهِ. رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ
 إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَصَنَّفَ كِتَاباً سَمَّاهُ : «مَرَجُ
 الْبَحْرَيْنِ» فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدِيثِ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي مُحَمَّدٍ
 أَبِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ (145). قَدِمَ بَعْدَ عَوْدَةٍ مِنَ الْبِلَادِ الْخُرَاسَانِيَّةِ مَدِينَةَ ارْبَلٍ،
 وَاتَّصَلَ بِسُلْطَانِهَا الْمَلِكِ الْعَظِيمِ مُظَفَّرِ الدِّينِ أَبِي سَعِيدٍ كُوكَبُورِيِّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
 بَكْتِكَيْنِ (146) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَبَالَغَ فِي أَكْرَامِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ إِنْعَاماً عَظِيماً،
 وَصَنَّفَ لَهُ كِتَاباً سَمَّاهُ (كِتَابُ التَّنْوِيرِ فِي مَوْلِدِ السَّرَاجِ الْمُنِيرِ)، وَيَتَضَمَّنُ ذِكْرَ
 وَلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُ مُغْرَى بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، وَشِدَّةَ شَغْفِهِ بِذَلِكَ، وَاصْغَائِهِ إِلَيْهِ.

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمُعْظَمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ ائْتَفَدَ بِشَيْءٍ مَا سَبَقَهُ
 أَحَدٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمُلُوكِ الْمَاضِينَ وَالْخُلَفَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَاخْتَصَّ بِهِ ذُوهُمْ تَبَرُّكاً
 بِوَلَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِنَصَبِ الْقِبَابِ مِنَ الْخَشَبِ مُتَّصِلَةً مُنْتَظِمَةً
 مِنَ الْخَانِقَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْقَلْعَةِ الْمَخْرُوسَةِ إِلَى الْخَانِقَاهِ الَّتِي تَقْرُبُ مِنْ دَارِ السُّلْطَانَةِ
 بِالْمَدِينَةِ مِنْذُ مُسْتَهْلِ شَهْرِ صَفَرٍ، وَتُزَيْنُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْهُ بِآلَاتِ الثِّيَابِ وَأَنْوَاعِ
 السُّلَاحِ وَالْأَقْمِشَةِ الْفَاحِشَةِ، وَيُحْلَقُ فِيهَا التَّعَالِيقُ، وَيُغْنَى فِيهَا الْمُعْتُونُ وَأَرْبَابُ
 الطَّرَبِ وَيَقْصِدُهَا النَّاسُ لِلتَّفَرُّجِ مِنْ أَقْطَارِ الْبُلْدَانِ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى ثَانِي
 عَشَرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَهُوَ مَوْلَدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ تَرَفَّعَ الْقِبَابُ، وَيَخْلَعُ
 عَلَى الْوُعَاظِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْقُرَّاءِ، وَيُخْرِجُ الصَّدَقَاتِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْعُرَبَاءِ الْوَارِدِي
 الْبَلَدِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ بِلَادِ شَتَّى، وَيُنْفِقُ عَلَى ذَلِكَ أَمْوَالاً جَمَّةً.

(144) ترجمة أبي البسام في الصلة : 579 وصلة الصلة 3 : 56-57.

(145) ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 79-92.

(146) ترجمة السلطان مظفر الدين في وفيات الأعيان 4 : 113-121.

وَلَمْ يُسْمَعْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفَةِ وَالسَّلَاطِينِ الْعَابِرَةِ
مَنْ انْتَدَبَ لِهَذَا الْأَمْرِ وَبَالَغَ فِيهِ سِوَى هَذَا السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ، فَرَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَبَلَّغَهُ فِي آخِرَتِهِ مَا يَتَمَنَّاؤُهُ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُ، وَأَحْسَنَ مُنْقَلَبَهُ وَمَا بِهِ
بِمُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ أَجْمَعِينَ الْأَبْرَارِ الطَّاهِرِينَ (147).

وَهَذَا كِتَابُ (التَّنْوِيرِ) كُنْتُ أَحَدُ مَنْ سَمِعَهُ عَلَى الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ مُظَفَّرِ الدِّينِ
نُورَ اللَّهِ ضَرِيحَهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتٍّ مِائَةٍ بِرِبَاطِ
الصُّوفِيَّةِ الْمَعْرُوفِ بِرِبَاطِ الْمُنَاطَرَةِ قَرِيباً مِنَ الْقَلْعَةِ الْمَنْصُورَةِ بِحَقِّ رِوَايَتِهِ عَنْ
مُصَنِّفِهِ الْإِمَامِ أَبِي الْخَطَّابِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

مَلِكٌ يَلُوحُ عَلَيْهِ مِنْ شَمْسِ الضُّحَى	سَيِّمًا، وَمِنْ بَذْرِ التَّمَامِ مَحَابِلُ
لَا يُفْتَنِي غَيْرَ الثَّنَا دُخْرًا وَلَا	يُفْنِي لَدَيْهِ الْمَالُ إِلَّا النَّائِلُ
انْظُرْ لِإِرْبِلَ، صَاحٍ، قَدْ لَبَسَتْ بِهِ	ظِلًّا كَمَا وَشَتْ الرِّيَاضَ خَمَائِلُ
لَوْ تَسْتَطِيعُ لَصَافَحْتُهُ يَمِينُهَا	لَمَّا أَتَاهَا مِنْهُ مُزْنٌ هَامِلُ
فَأَفَاضَ فِيهَا الْعَدْلُ ثَرًّا سَلْسَلًا	تَرَوَى الْمُنَى فِيهِ، وَهَنْ هَوَاطِلُ
بُشْرَى لَهَا، فَلَقَدْ ثَقَّلَتْ مُلْكُهَا	مَلِكٌ حُلَاهُ مَكَارِمَ وَفَوَاضِلُ
وَمَوَاهِبَ وَسَلَابِيبَ وَرَغَائِبَ	وَمَقَانِبَ وَكَتَائِبَ وَجَحَافِلُ
يَا وَيْحَ أَرْضِ الرُّومِ، سَوْفَ يَزُورُهَا	مِنْ نَجْلِ زَيْنِ الدِّينِ هَوَلٌ هَائِلُ
وَتَضِلُّ دَارُ الشَّرِكِ خَصْرًا أَهْيَأُ	فِيهِ وَشَاحٌ لِلْكَتَائِبِ جَائِلُ
وَيُطِيفُ فِيهَا لِلْإِسَارِ وَلِلْجِصِّ	سَارِ دَمَالِجٍ وَأَسَاوِرَ وَخَلَاخِلُ
لَا زَالَ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الضُّحَى	وَعِدَاهُ فِي الْهَيْجَاءِ ظِلُّ زَائِلُ

وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ كِتَابُ : (الْإِنْدَارَاتِ)، وَهُوَ فِي مُجَلَّدَيْنِ سَمَّاهُ بِ(مَرَجِ
الْبَحْرَيْنِ، فِي فَوَائِدِ الْمَشْرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ)، وَكِتَابُ : (الْعِلْمُ الْمَشْهُورُ، فِي فَوَائِدِ
الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ)، وَكِتَابُ : (النَّبَرَسُ، فِي ذِكْرِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ) وَكِتَابُ :

(147) لا بأس من الإشارة هنا إلى أن العزفين في سبته قاموا بمثل ما قام به سلطان إربل وكتبوا
إلى الخليفة المرتضى الموحيدي فصار يحتفل بالمولد النبوي ثم عظم الاحتفال به بعد ذلك.

(جَمِيعُ الْعُلُومِ الْكَمِّيَّاتِ، فِي قَوْلَةِ الْأَعْمَالِ بِالنِّيَّاتِ)، وَكِتَابُ : (الْأَرْثِقَا، إِلَى أَفْضَلِ الرُّقَى)، وَكِتَابُ : (الْإِيْتِهَاجِ، فِي أَحَادِيثِ الْمِعْرَاجِ)، وَكِتَابُ : (مَنْ الْقِمِّ الْحَجَرِ، إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ)، وَكِتَابُ : (نَثْرُ الدَّرَرِ، فِي فَضْلِ مَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّةِ سَيِّدِ الْبَشَرِ)، وَكِتَابُ : (آدَابُ مَا وَجَبَ، فِي بَيَانِ وَضْعِ مَا وَرَدَ فِي رَجَبٍ) وَكِتَابُ : (الْمُسْتَوْفَى، فِي شَرَفِ الْمُصْطَفَى)، وَكِتَابُ : (الْمُطَرَّبِ، فِي أَشْعَارِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ)، وَكِتَابُ : (الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، فِيمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَعْضَاءَ نَبِيِّهِ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ)، وَكِتَابُ : (وَهْجُ الْجَمْرِ، فِي تَحْرِيمِ الْخَمْرِ)، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَةَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ الْمُعْزِيَّةَ، وَبَنَى لَهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ دَارَ حَدِيثٍ، وَلَمْ يَزَلْ يُسْمِعُ الْحَدِيثَ فِيهَا، وَيَنْفَعُ النَّاسَ بِالْعُلُومِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ، وَيُكْرِمُ الْوَارِدِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُلْدَانِ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَعَجَمًا وَغَرْبًا إِلَى أَنْ تُوُفِيَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ آخِرَ اللَّيْلِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ جَنَازَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمُنَادٍ يُنَادِي أَمَامَ نَعْشِهِ : «هَذَا الَّذِي كَانَ يَدُبُّ الْكَذِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرَّيَانِي اللَّخْمِيُّ، وَقَالَ : كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ بِأَعْمَاتٍ مِنْ أَعْمَالِ مَرَاكُشَ وَنَشَأَ بِسَنَةِ، وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِبَرِّ الْأَنْدَلُسِ بِمَدِينَةِ دَانِيَّةَ، ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا إِلَى الْمَشْرِقِ.

حَدَّثَنِي الْقَاضِي الْإِمَامُ بَهَاءُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَشَّابِ أَسْعَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : جَمَعَ أَبُو الْيُمْنِ الْكِندِيُّ⁽¹⁴⁸⁾ وَأَبَا الْخَطَّابِ ابْنَ دِحْيَةَ مَجْلِسًا، وَكَانَ بَيْنَهُمَا عَدَاوَةٌ، فَتَهَاتَرَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ دِحْيَةَ : أَنْتَ مِمَّنْ يُزْنَ بِالْهَنَاتِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْيُمْنِ مُجَابَوًّا : أَحْسَنًا، أَنْتَ نُسِيتَ إِلَى كَلْبٍ، فَتَبَحْتَ، فَعَمِلَ ابْنُ دِحْيَةَ كِتَابًا [وَسَمَهُ] بِالْهِنْدِيِّ إِلَى ضَلَالِ الْكِندِيِّ⁽¹⁴⁹⁾. وَحَدَّثَنِي

(148) هو تاج الدين زيد بن الحسن المكنى بأبي اليمْن، وله ترجمة موسعة في وفيات الأعيان 2 : 339-342 والوفاء بالوفيات 15 : 50-57.

(149) كذا في الأصل، وفي الوافي : الصارم الهندي، في الرد على الكندي وفيه أن أبا اليمْن رد عليه بمصنف سماه : تنف اللحية، من ابن دحية.

القاضي أبو القاسم⁽¹⁵⁰⁾ أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ : ابْنُ دِحْيَةَ. كَانَ يُسَمِّي نَفْسَهُ بِذِي النَّسَبَيْنِ : ابْنِ دِحْيَةَ وَالْحَسَنِ، ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ بَنِي دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَلِيَ قَضَاءَهَا وَهُوَ شَيْخٌ فَاضِلٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالنَّحْوِ حَافِظٌ لِلْحَدِيثِ وَمَعَانِيهِ وَرِجَالِهِ فَقِيهٌ مُتَقِنٌ، كَانَ يَقُولُ : أَحْفَظُ صَحِيحَ مُسْلِمٍ جَمِيعَهُ، وَقَرَأْتُهُ مِنْ حِفْظِي بِالْمَغْرِبِ عَلَى بَعْضِ الشُّيُوخِ، خَرَجَ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَحَجَّ وَدَخَلَ إِلَى بِلَادِ الْعَجَمِ، وَسَمِعَ بِهَا صَحِيحَ مُسْلِمٍ مِنْ أَصْحَابِ الْفَرَاوِي⁽¹⁵¹⁾، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَغْدَادَ، وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ، وَقَدِمَ عَلَيْنَا حَلَبَ، وَسَمِعْنَا عَلَيْهِ مَوْطَأَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رِوَايَةً عَنْ يَحْيَى وَغَيْرِهِ ثُمَّ تَرَدَّدَ بَعْدَ ذَلِكَ مِرَارًا إِلَى حَلَبَ آخِرُهَا بَعْدَ أَنْ تَقَدَّمَ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَسِيرَ رَسُولًا مَرَّ بِهَا مُجْتَازًا، وَحَصَلَ لَهُ خَطْوَةٌ عَظِيمَةٌ وَتَقَدَّمَ رَأْيُهُ بِمِصْرَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ. قَالَ : وَأَخْبَرَنِي أَبُو الرُّوحِ الْجَمِيرِيُّ⁽¹⁵²⁾ الْأَنْدَلُسِيُّ، قَالَ : هَذَا ابْنُ دِحْيَةَ لَيْسَ بِصَحِيحِ النَّسَبِ، وَأَصْلُهُ يَهُودِيٌّ، وَكَانَ يُلقَّبُ بِالْكُوءَةِ وَكَانَ فِي صِغَرِهِ يَرْمَى بِمَا لَا يَجُوزُ، وَأَبُوهُ حَسَنٌ كَانَ يُلقَّبُ بِالزَّعْبُطُورِ، وَالزَّعْبُطُورُ هُوَ الْمُشَوَّهُ الْخَلْقِ الْعَظِيمُ الْخِلْقَةِ بِلُغَةٍ الْأَنْدَلُسِ، الْمُقَطَّعِ السَّرْمُوزِ، أَوْ تَكُونُ نِيَابُهُ مُقَطَّعَةً وَسِخَةً.

أَبُو عَلِيٍّ : وَيُلقَّبُ بِالْقُنُوطِ لِفَرَاغِهِ، وَقَلَّةِ عَقْلِهِ، يُرِيدُ الْقَصَبَةَ الْفَارِغَةَ⁽¹⁵³⁾.

أَبُو يُوسُفَ : وَلَقَبَهُ الْجَمِيلَ تَصْغِيرُ الْجَمَلِ بِلُغَةِ الْعَامَّةِ، قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ عَقِيبَ كِتَابِ صَنْفَعُ لِلْمَلِكِ الْكَامِلِ صَاحِبِ الذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَخَتَمَ آخِرَهُ [بِقَوْلِهِ] : «وَأَسْمُ الْكِتَابِ مِنَ الْقِمَمِ الْحَجَرِ، إِذْ كَذَبَ وَفَجَرَ، وَأَسْقَطَ عَدَالَةَ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فَمَا لَهُ أَهْجَرُ». ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ : «هَذِهِ مَسْأَلَةٌ بَدِيعَةُ النِّظَامِ، مُسْتَوْفِيَّةٌ شُرُوطِ التَّمَامِ وَالْكَمَالِ، قَدْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْفَصَاحَةِ فِي أَرْجَائِهَا، وَفَاقَتْ فِي أَفْقِ الْبَلَاغَةِ

(150) هو ابن العديم صاحب بغية الطلب.

(151) هو أبو عبد الله محمد بن الفضل الْفَرَاوِي النِّسَابُورِي، انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 290-291.

(152) انظر ترجمته في هذا المجموع (ص 103، 179).

(153) كلام أبي الروح تشتم منه رائحة العداوة، ولا نعلم سببها.

بِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الذَّبِّ عَنِ الصَّحَابَةِ عَلَى أَكْفَائِهَا، فَهِيَ رَوْضَةٌ تَنْتَزُهُ مَقَلُ الْخَوَاطِرِ فِي أَنْحَائِهَا :

فَرَجَسُهَا يَحْكِي عُيُونًا وَوَرَدُهَا خُذُودًا جَرَتْ أَجْفَانُ عُشَّاقِهَا دَمًا
وَأَنَّ هَبَّ مُعْتَلِّ النَّسِيمِ تَأَرَّجَتْ وَفَاحَ بِمِسْكِ نَشْرِهَا وَتَنَسَّمَ
وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَطَوْلِهِ، وَسَعَادَةِ مَنْ آسْتَنْبَطَتْ مِنْ أَجْلِهِ :

أَعَمَّ الْوَرَى جُودًا وَأَرْفَعَهُمْ ذُرًّا وَأَرْجَحَهُمْ عَقْلًا وَأَمَّنَّهُمْ جِمَى
وَأَعْظَمَهُمْ مُلْكًا، وَأَنْدَاهُمْ يَدًا وَأَجْدَرَهُمْ عَفْوًا إِذَا مَا تَحَكَّمَا
وَأَتَقَى وَأَتَقَى سِيرَةَ وَسَرِيرَةَ وَأَجْمَلَ بَلَّ أَبْهَى وَأَعْلَى تَعْظُمَا

وَصَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ : (الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ، فِي فَوَائِدِ فَضْلِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ).
وَذَكَرَ فِي آخِرِهِ هَذَا الْكَلَامَ الْمَثُورَ الْمَسْجُوعَ، وَهِيَ مُنَاجَاةٌ [كَتَبَهَا] عِنْدَمَا زُمْتُ
إِلَى الْحَجِّ رِحَالُ الرُّكَّابِ : «يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَبْعُوثُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ،
وَالْمَخْصُوصُ بِطَهَارَةِ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، قَرِيْبُكَ بَلَّ عَبْدُكَ ذُو النَّسَبَيْنِ أَسْرَعَ بِهِ إِلَى
بَيْتِكَ الْمُعْظَمِ، وَإِلَى قَبْرِكَ الْمُكَرَّمِ الشَّقِيقِ، وَيُقْعِدُهُ وَجُودُ الشَّائِخَةِ وَعَدَمُ الطُّوْقِ.
وَإِذْ رَحَلَ الْمُسْتَطِيعُ، وَبَادَرَ الْمُتَمَثِّلُ الْمُطِيعُ، ذَرَفَتْ دُمُوعُهُ أَنْسِكَابًا، وَوَدَّ لَوْ قَدْ
أَعْمَلَ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمُعْظَمَةِ وَالثَّرِيَةِ الْمُكَرَّمَةِ أَقْدَامًا أَوْ رِكَابًا. وَلَمَّا ظَنَّ الرُّكْبُ
وَأَسْتَقْلَوْا، وَرَحَلُوا بَعْدَ مَا حَلُّوا، تَشَبَّثَ بِهِمْ تَشَبَّثَ الْعَرِيقِ بِمَا يَجِدُ، وَوَدَّعَتْهُمْ
وَأَنَا مِنْهُلُ الْمَدَامِيعِ مَصْدُوعُ الْكَيْدِ، فَكَمْ لَيْلَةٌ بَثَّ بِهَا بِذَيْنِكَ الْحَرَمَيْنِ، قَرِيرَ
الْعَيْنِ، فَطَاوَلْتُ انْتِخَاءً بِهَا سَامِي الشَّعْرَيْنِ، وَأَنَا أَنْشِدُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمَازَمِينِ :
لَمَّا رَأَيْتُ مُنَادِيَهُمُ أَلَمَ بِنَا شَدَّدْتُ مِقْزَرَ إِحْرَامِي وَلَبَّيْتُ
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: جِدِّي الْآنَ وَاجْتَهِدِي وَسَاعِدِينِي، فَهَذَا مَا تَمَنَيْتُ
لَوْ جِئْتُكُمْ قَاصِدًا أَسْعَى عَلَى بَصْرِي لَمْ أَقْضِ حَقًّا، وَأَيُّ الْحَقِّ أَذِيتُ ؟

وَلَمَّا مَسَّنِي الْآنَ الْكِبَرَةُ وَالشَّائِخَةُ، وَأَنَاخَ الزَّمَانُ عَلَيَّ أَيُّ إِنَاحَةٍ خَاطَبْتُ
وَقَدِيمِي، تَوَدُّ لَوْ سَبَقَتْ قَلَمِي، وَاشْتَدَّادِي، يَتَمَنَّى لَوْ يَعْدُمُ مِدَادِي، وَنَفْسِي،
تَحْرُصُ عَلَيَّ أَنْ تُعَاجِلَ طَرَسِي، لَكِنَّ الْكِبَرَةَ أَبَتْ، فَكَانَ قُصَارَايَ عَيْنٌ دَمَعَتْ،
وَكَفَّ كَيْفَتْ وَقَدْ أَلْفَتْ هَذَا الْكِتَابَ مُحْتَسِبًا لِلْأَجْرِ، وَمُسْتَبِقًا بِهِ لِلسُّلْطَانِ

الْمَلِكِ الْكَامِلِ أَحْمَدَ الذَّكِرِ، فَأَوْدَعْتُهُ مِنَ الْعُلُومِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ صَاحِبُ كُلِّ شَأْنٍ،
 مِنْ حَدِيثٍ وَفَقْهِ، وَلُغَةٍ وَنَحْوٍ وَأَصُولٍ وَتَارِيخٍ وَشِعْرِ وَحِسَابٍ وَبَيَانٍ؛ وَقَصْدَنَا
 تَأْلِيفَ كِتَابٍ فِي مَعْنَى فَجِئْنَا بِمَعَانٍ، حَتَّى نُنَشِطَ قَارِئُهُ بِخُرُوجِهِ مِنْ لَوْنٍ إِلَى
 الْوَانِ، وَيَتَوَبَّ لَهُ عَنْ كُلِّ حَدِيقَةٍ وَبُسْتَانٍ، فَفِيهِ تَذَكُّرَةٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَفَقْهٌ لِأَهْلِ
 اللَّبِّ وَالرُّجَحَانِ، مِمَّا يَعْزُ وَجُودُ نَظْمِهِ فِي تَأْلِيفٍ وَاحِدٍ، وَتَوْجَدُ فُتُوهُ مَجْمُوعَةً
 فِي تَصْنِيفٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِعَوْنِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَطَوْلِهِ، وَسَعَادَةِ مَنْ أَلْفَ مِنْ
 أَجَلِهِ. وَأَمْنَعْتُ فِي الشَّرْحِ وَالتَّفْسِيرِ، وَلَمْ أَرْضَ بِاللَّمَحِ الْيَسِيرِ.

ثُمَّ أُنْشَدَ بَعْدَ خَبَرِ أَسْنَدِهِ إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ
 يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ الْكَامِلَ الَّذِي صَنَّفَ الْكِتَابَ لِأَجَلِهِ (154) :

هَذَا كِتَابٌ لَسْتُ تُبْصِرُ مِثْلَهُ	بِمُتَّقِفٍ مِنْ أَجَلِهِ وَمُقَيَّدٍ
أَلْفَتُهُ لَكَ مِنْ فَوَادٍ أَنتَ فِي	أَثَاءِ أَضْلَعِهِ تَرْوُحٌ وَتَعْتَدِي
تَحْتَالُ بَيْنَ مَفْصَلٍ وَمَوْصَلٍ	وَمُطَرِّزٍ وَمُنْظَمٍ وَمُقَصَّدٍ
وَلِكُلِّ جُزْءٍ حِكْمَةٌ أَوْ مَنَحَةٌ	أَوْ بِدْعَةٌ لِمُرْمَلٍ وَمُقَصَّدٍ
فَقَرِيكَ كُلِّ بَدِيعَةٍ فِي تَوْعِهَا	لَمْ تُخْتَرَعْ وَغَرِيبَةٍ لَمْ تُعْهَدِ
مَا شِئْتَ مِنْ شِعْرِ أَرْقَ مِنَ الصَّبَا	وَحَطَايَةِ أَزْهَى مِنَ الزَّهْرِ النَّدِيِّ
شَرَفُهُ بِالْكَامِلِ الْمَلِكِ الَّذِي	وَرِثَ السِّيَادَةَ سَيِّدًا عَنْ سَيِّدِ
عِزِّ الْمُلُوكِ أَبِي الْمُظَفَّرِ ذِي النَّدَى	وَسَمِيِّ خَيْرِ الْعَالَمِينَ مُحَمَّدٍ
أَوْ لَيْسَ مِنْ قَوْمٍ غَدَوَا بِفَخَارِهِمْ	بِيضَ الْمَعَالِي فِي الزَّمَانِ الْأَسْوَدِ
يُرْوَى سِوَاهُ فَخَارُهُ عَنْ مَرْسَلٍ	أَبْدَأَ وَيُرْوَى عَنْ صَحِيحٍ مُسْنَدٍ
وَبِكَادٍ يَعْلَمُ فِطْنَةً وَتَبْقِظًا	فِي تَوْمِهِ مِنْ حَادِثٍ مَا فِي غَدٍ
يُخَيِّ عُلُومًا إِذْ يُبَيِّثُ جَهَالََةً	وَيُعِيدُ بَرًّا فِي الْآثَامِ وَيَتَّسِدِي
مَلِكٌ فَعَايِهِ يُمْلِكُهُ النَّدَى	وَلَهُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَ الْأَعْبَدِ

(154) جرت عادة ابن دحية أن يبدأ تصانيفه ويختتمها بذكر ولي نعمته الملك الكامل كما فعل
 في آخر هذا الكتاب والكتاب الذي يليه وكما فعل في بداية المطرب وخاتمه وكذلك في
 آخر التنوير الذي صنفه للملك مظفر الدين صاحب إربل.

صَافِي رِذَاءِ الْأَمْنِ صَافِي الْمَوَدِّ
بَذَرُ إِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ لِمُهْتَدِي
مِنْ وَجْهِهِ كَالْكَوْكَبِ الْمُتَوَقِّدِ
بِمَعَايِدِ الْقَمَرَيْنِ هَامَ الْفَرْقِدِ
عَدْلًا وَذَلَّ لَهُ الزَّمَانُ الْمُعْتَدِي
عَنْ قَدَحٍ مُعْتَرِضٍ وَذَمَّ مُفْنِدِ
أُزِرْتُ بِكُلِّ مُعْظَمٍ وَمُمَجَّدِ
بِصَلَاحِهِمْ اصْلَاحَ رُوحِ الْمُفْسِدِ
فِرْدَاءُ ثُورِكَ فِي الْمَمَادِحِ تَرْثِدِي
فِي قُبْضَةِ الْإِسْلَامِ مَقُولُ الْيَدِ
لَمَّا رَأَيْتَ الشَّخْصَ غَيْرَ مُحَلَّدِ
فِيمَا تُحِبُّ وَمَقْصِدِي لَكَ مَقْصِدِي

سَحَاحُ مَنْهَلٍ كُلُّ مَنْهَلٍ أَلْحِيَا
بَحْرٌ إِذَا اشْتَدَّ الْأَوَامُ لَا يَبِي
يَجْلُو دَيَاجِيرَ الْخُطُوبِ بِغُرَّةِ
ذُو أُخْمَصٍ عَقَدْتُ مَوَاقِعَ عِزِّهِ
يَا خَيْرَ مَنْ عَزَّتْ بِهِ فَتَةُ الْهَدَى
قَدَسَتْ ذَاتُكَ بِالْكَمَالِ وَصَنَّتْهَا
وَسَمَتْ إِلَى أَفْقِ الْعُلَا بِكَ هِمَّةُ
وَرَعَيْتُ أَحْوَالَ الرُّعْيَةِ مُوجِدًا
وَرَفَعْتُ مِنْكَ مَنَارَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَعَدَا بِكَ الْإِشْرَاكَ بَعْدَ عِيَانِهِ
وَسَعَيْتُ لِلْعَلَيَاءِ فِي تَحْلِيدِهَا
أَنَا طَوْعُ كَفْكَ نَيْتِي لَكَ نَيْتِي

وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كِتَابِ (النَّبَاسِ)، فِي تَارِيخِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ) وَانْتَهَى بِهِ إِلَى
ذِكْرِ النَّاصِرِ لِإِدِينِ اللَّهِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُسْتَضِيِّ لِأَمْرِ اللَّهِ (154م)، أَشْنَدَ
لِنَفْسِهِ :

تَرْتَاخُ أُتْدِيَةُ التَّدَى وَالْبَاسِ مِنْ ذِكْرِ مَوْلَانَا أَبِي الْعَبَّاسِ
تَجَلُّ الْخَلَائِفِ، وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
وَأُشْدَنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى أَبِي
الْخُطَّابِ مِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ الْمَلِكَ الْمُعْظَمَ مُظَفَّرَ الدِّينِ (155) قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ :
لَوْلَا الْوُشَاةُ وَهُمْ أَغْدَاؤُنَا مَا وَهَمُوا
وَفَاضَ دَمْعِي وَهَمِي بِالْدَّمْعِ لَمَّا حَكَمُوا
فَخَاطِرِي مُضْطَرِبٌ وَنَاطِرِي مُضْطَرِمٌ

(154م) هو أطول حلفاء بني العباس مدة، ببيع سنة 575هـ وتوفي سنة 622هـ.

(155) ذكر ابن خلكان أن هذه القصيدة التي نسبها ابن دحية لنفسه توجد منسوبة إلى الأسعد بن ممتي في ديوانه، وقد ختم ابن خلكان كلامه في هذه المسألة بقوله : «وبالجملة فالله أعلم لمن هي منها»، وفيات الأعيان 1 : 212، 3 : 450.

يَكْتُبُ دَمْعِي كُلَّمَا لَهُ الْفُؤَادُ يَكْتُمُ
هَلْ يَتَسَاوَى السَّاهِرُو نَ فِي الْهَوَى وَالْتَّوَمُ ؟

وَمِنْهَا :

يَا مُعْرِضاً عَنْ مُقْبِلِ فِي الْحُبِّ لَا يُتَّهَمُ
سُلُوءُهُ مُنْفَصِلِ وَصَبْرُهُ مُتَفَصِّمُ
إِنْ كُنْتَ لَا تَنْصِفُ فِي حُكْمِ الْهَوَى مَنْ تَنْظِلُ
فَاللَّهُ يَفْضِي بَيْنَنَا وَالْمَلِكُ الْمُعْظَمُ
مُظْفَرُ الدِّينِ الَّذِي يُنْمَاهُ بَحْرُ مُفْعَمُ
مَلِكٌ عَمِيمٌ طَوْلُهُ وَفِيهِ طَوْلٌ عَمَمُ
يَشْقَى الْمُنَاوِي بِشَقَا هُ، وَالْمُوَالِي يَنْعَمُ
وَجُودُهُ وَجُودُهُ مَا مِنْهُمَا لِي عَدَمُ
تَرَى قَوَافِي الشَّعْرِ فِي الْمَا — ذَحْ لَهُ تَخْتَصِمُ
لَوْ لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ الشَّيْمُ
وَقَالَ عَنْهُ السَّيْفُ مَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْقَلَمُ

وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :
أَلَا تَرَى كُلَّ مَنْ عَادَاكَ فِي قَلْتِ
قَدْ ضَمَّهُ الْجَذْعُ ضَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ
وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي قَوْلَهُ :

بِفَتْحِكَ جَاءَ السَّعْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
عَلَيْمٌ بِتَدْيِيرِ الْأُمُورِ مُوَفَّقُ
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَيَلْبِسُ لِلْهَيْجَا ثِيَابَ أَسَاوِدِ مِنَ الرُّقْشِ حَاكَتْهَا عُيُونُ الْجَنَادِبِ
وَأُنْشِدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْقُرْبَانِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي
الْإِمَامَ أَبُو الْحَطَّابِ لِنَفْسِهِ، وَكَتَبَهَا إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَيُّوبَ (156) :

فَدَيْتُكَ هَلْ عَلِمْتُ بِمَنْ رَجَاكَ
وَأَشَدَّ بَعْدَ بَيْنٍ وَاغْتِرَابٍ :
وَأُمِّلَ فِي ثَرَاكَ وَفِي ذَرَاكَ
أَتَأْذُنُ لِابْنِ دِحْيَةَ أَنْ يَرَاكَ

وَكَتَبَ إِلَى الْمَلِكِ فِي صَدْرِ كِتَابٍ صَنَعَهُ لَهُ :

فَوَاللَّهِ، مَا أُذِرِي، وَإِنِّي لَشَاعِرٌ
وَجَدْتُ التُّهَى وَالْبَاسَ وَالْفَضْلَ وَالتَّنْدَى
وَإِنْ قِيلَ: مَنْ لِلْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْعِلَا
وَعَذْلِكَ فِي الدُّنْيَا بَسِيطٌ لِأَهْلِهَا
إِلَى أَيْ مَعْنَى فِي مَدِيحِكَ أَقْصِدُ
إِذَا ذُكِرَ الْأُمَلَاكُ نَحْوَكَ تَسْجُدُ
وَمَنْ لِقِرَاعِ الْحَيْلِ قِيلَ: مُحَمَّدٌ
عَلَى أَهْلِهَا مِنْهُ رَوَاقٌ مُمَدَّدُ

وَأَشَدُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ النَّصِيبِيِّ (157)
بِحَلَبَ، قَالَ : أَتَشَدَّنِي الْإِمَامُ أَبُو الْخَطَّابِ ابْنُ دِحْيَةَ لِنَفْسِهِ :

أَيُّهَا السُّلْطَانُ، فَاسْمَعْ قَوْلَ مَنْ
أُمُّهُ الزُّهْرَاءُ بِنْتُ الْمُصْطَفَى
وَأَبُوهُ مُشَبَّهٌ جَبْرِيلَ فِي
مَا زَجَّتْ جِسْمَ الْمَعَالِي رُوحَهَا
حَسْبُهُ مَذْحُكٌ فَخْرًا دَائِمًا
أَنْتَ سُلْطَانُ الْوَرَى قَاطِبَةً
كُلُّهُمْ مِنْ شُكْرِ كَفِّكَ غَدَوًا
فَإِذَا أَسْمَعَكَ النَّاسُ حُلًى
فَلْيُرْخَرْفَ كُلُّ شَيْءٍ حَدَّثُوا
فَاقْبِ وَأَسْلَمْ فِي سُعُودٍ مَا لَهَا
دَائِمًا مَهْمَا تَعَالَتْ قَيْنَةٌ
قَوْلُهُ فِي كُلِّ خَطْوٍ يُتْبَعُ
وَالَّذِي فِي النَّاسِ حَقًّا يَشْفَعُ
صُورَةً مِنْهُ عَلَيْهِ تُخْلَعُ
حَبْدًا الْجِسْمِ وَرُوحَ تَجْمَعُ
أُذُنُ الْخَلْقِ لَهُ تَسْتَمِعُ
بِكَ يَسْمُو النَّاهِضُ الْمُضْطَلَعُ
فِي رِيَاضٍ مِنْ صِفَاتٍ تَرْتَعُ
عَنْ مُلُوكٍ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا
أَنْتَ أَنْتَ الدَّهْرُ لَا مَا أَسْمَعُوا
مِنْ أَقْوَالٍ فِي نُجُومٍ تَطْلُعُ
فَرَعَ أَيْكَ وَسَطَ رَوْضٍ تَسْجَعُ

(156) انظر ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 79-92 والوافي بالوفيات
1 : 193-197.

(157) له ترجمة في قلائد الجمان لابن الشعار 7 : 309.

(157) فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ : « مِنْ عَبْدِ اللَّهِ الْمَأْمُونِ (158) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَالَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ الطَّاهِرِينَ أَهْلَ مَهَبِطِ الْوَحْيِ، وَمَصْنَعِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَمَدَارِ فَلَكِ الْغَلَاءِ، وَمَزَارِ أُمَلَاكِ السَّمَاءِ، وَمَوْطِنِ التَّنْزِيلِ، وَمَوْطِئِ الرُّوحِ الْأَمِينِ جِبْرِيلَ، وَمَقَرِّ الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ، وَمَوْضِعِ الْكَرَامَةِ، وَلَنَا تَحُجُّ مَلُوكِ الْأَرْضِ، وَذَلِكَ وَاجِبٌ عَلَيْهِمْ وَجُوبُ الْفَرَضِ، فَإِنْ شَرَفْنَا بِالسَّبْقِ فَاتٌ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يُدْرَكَ شَأُونَا هَيْهَاتَ.

كُلُّ ذَلِكَ بَيْرَكَةِ ابْنِ عَمَّنَا، الَّذِي بِالْبَرَكَةِ عَمَّنَا، الْإِسْمَاعِيلِيِّ النَّسَبِ، الْإِبْرَاهِيمِيِّ الْمُتَنَسِّبِ، الْمُنِيفِ الطَّرْفَيْنِ، الشَّرِيفِ السَّلَفَيْنِ، الْمُتَلَقَّى بِالرَّسَالَةِ، وَالْمُنْتَقَى لِلْإِدَاءِ وَالذَّلَالَةِ، الْمَبْعُوثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ وَمَا وَلَدَ، الَّذِي أُيِّدَ بِكِتَابِ أَنْزَلَ مِنَ الْمَلَكُوتِ الْأَعْلَى عَلَيْهِ، وَأَوْصَلَ عَلَى يَدَيِ الرُّوحِ الْأَمِينِ إِلَيْهِ، أَعْجَزَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ حِينَ تَحَدَّاهُمْ بُرْهَانُهُ، وَأَعْجَبَ الْجِنِّ لَمَّا سَمِعُوهُ بَيَانُهُ، فِيهِ تَبَيَّنَ كُلُّ شَيْءٍ وَتَفَصَّيْلُهُ، وَبُرْهَانَ كُلِّ شَيْءٍ وَدَلِيلُهُ، قَدْ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ بِتَقْدِيرِ وَتَوْجِيدِ، وَوَعْدِ وَوَعِيدِ، وَحِكْمِ وَأَحْكَامِ وَنَقْضِ وَإِبْرَامِ، وَقَصَصِ وَأَخْبَارِ، وَسِيَرِ وَأَسْرَارِ، وَالْحَضُّ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ سَبَبُ دُخُولِ النَّارِ، فَهُوَ بَحْرٌ لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْفَدُ غَرَائِبُهُ، وَالَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَهَتَفْتُ بِمَبْعَثِهِ الْكُهَّانَ، وَقَامَ عَلَى صِدْقِهِ الْبُرْهَانُ، وَرَدَّ اللَّهُ بِبِرَكَّتِهِ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلِ، وَأَرْسَلَ عَلَى الْمَلِكِ الَّذِي جَاءَ وَعَلَى أَصْحَابِهِ طَيْرَ أَبَايِلَ، وَالَّذِي خَمَدَتْ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ نَارُ فَارِسَ وَلَمْ تَحْمَدَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَلْفِ عَامٍ، وَكَانَتْ تَعْبُدُهَا الْمَجُوسُ كَعِبَادَةِ الْكُفَّارِ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ، وَرَأَتْ أُمَّهُ حِينَ وَلَدَتْهُ نُوراً أَضَاءَ لَهَا قُصُورَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَانْشَقَّ إِيوَانُ كِسْرَى وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَهُوَ الْقَصْرُ الْأَبْيَضُ الْبَاهِرُ بِحُسْنِهِ أَبْصَارَ

(157) بياض في الأصل مقداره نصف صفحة.

(158) هو الخليفة المأمون العباسي ويبدو أن هذه رسالة وجهها إلى من سيذكر فيما بعد باسم دُهمي عظيم عظماء الهند، ونظراً للبتر الحاصل في الأصل فإني لم أتمكن من معرفة علاقة ابن دحية بهذه الرسالة، وهي تشبه في عدد من فصولها مولداً من الموالد، فهل هي جزء من التنوير.

الْمُبْصِرِينَ، وَنَزَلَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنَ الْأَفْقِ الْمُبِينِ، وَرَجَعَتْ بِالشُّهْبِ جَمِيعَ الشَّيَاطِينِ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةَ سَاوَةَ، وَذَهَبَ مَاوُهَا الْمَعِينُ، وَفَاضَ وَادِي السَّمَاءِ آيَةً حَصَلَ بِهَا - لَمَّا حَامَ الشُّكُ - الْيَقِينِ، وَالَّذِي يُظَلِّلُهُ ظِلُّ الْعَمَامِ، وَيُخَاطِبُ الْمُتَّهَمَ بِفَصِيحِ الْكَلَامِ، وَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ بِالتَّبَوُّةِ الْأَحْجَارُ، وَتَسْجُدُ لَهُ الْأَشْجَارُ، وَيَدْعُو الشَّجَرَ فَتَأْتِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ بِالرُّجُوعِ فَيَرْجِعُ سَامِعاً مُطِيعاً بِقُدْرَةٍ مِّنْ أَعَانَةِ عَلَيْهِ، وَيُسَبِّحُ الطَّعَامُ عِنْدَ أَكْلِهِ لَهُ، وَذَلِكَ آيَةٌ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا وَفَضِيلَةٌ.

وَالَّذِي أُسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لَيْلًا، وَجَرَّ عَلَى الْمَجْرَةِ فِي دَرَجِ الْمِعْرَاجِ ذَيْلًا، عَلَى دَائِيَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبَرَّاقُ، لَا يُسْتَطَاعُ رُكُوبُهَا وَلَا يُطَاقُ، إِلَّا لِمَنْ سَخَّرَهَا لَهُ إِلَهُ الْخَلَاقِ، حَتَّى اتَّهَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَيْثُ تَعْنُو وَجُوهُ الْمَلَائِكَةِ الطَّائِعَةِ، وَيَعْشَاهُمْ سَنًا الْأَنْوَارِ السَّاطِعَةِ، فَسَارَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعَةِ آلَافِ سَنَةٍ، صَاعِدًا وَنَازِلًا فِي بَعْضِ لَيْلَةٍ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ مِنْ غَيْرِ نَوْمٍ وَلَا سِنَةٍ، وَاسْتَوَى بِمُسْتَوَى تَسْمَعُ فِيهِ صَرِيرُ الْأَقْلَامِ عَلَى الْأَلْوَاحِ، وَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ عِنْدَمَا كَادَ جَبِينُ الشَّرْقِ يَرْشَحُ بِنُورِ الصَّبَاحِ، وَأَصْبَحَ يُحَدِّثُ بِأَخْبَارِ الْمَلَكُوتِ فِي أَمِّ الْقُرَى يَسْنُدُهُ مَنْ حَفِظَ : ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.

وَالَّذِي انشَقَّ لَهُ الْقَمَرُ الْمُتَبَيِّرُ، وَتَبَعَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِرَاراً عِدَّةَ الْمَاءِ الثَّمِيرِ، وَزَكَا بَيْنَ يَمِينِهِ الطَّعَامُ الْيَسِيرُ، فَأَكَلَ مِنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ آيَةً، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَكَاتِبِهِ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَنَّ لَهُ بِهِ عِنَايَةً. وَالَّذِي حَدَرَهُ الْكُرَاعُ الْمَسْمُومَ عَنْ أَكْلِهِ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لُقْمَةً لِعِصْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ.

وَالَّذِي حَنَّ الْجَذْعُ الْيَاسَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ لَهُ صَوْتٌ كَأَصْوَاتِ الْعِشَارِ. وَهَذِهِ آيَةٌ نَظَرْتُ بِعَيْنِ الصَّحَّةِ وَطَارَتْ بِجَنَاحِ الْإِنْتِشَارِ. وَرَجَفَ بِهِ وَبِخُلَفَائِهِ الْجَبَلُ، فَرَاغَهُ بِرَجْلِهِ وَقَالَ : اسْكُنْ فَسَكَنْ وَامْتَثَلْ، وَبَثَّ لَهُ الشُّكُوى الْجَمَلَ.

وَالَّذِي قَرَنَ اللَّهُ تَعَالَى اسْمَهُ بِاسْمِهِ وَأَعْلَنَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَجْرَى ذِكْرَهُ بِأَنْوَاعِ الْمَحَامِدِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ.

وَالَّذِي كَانَ يُنْصَرُّ وَيُوَيَّدُ فِي الْحُرُوبِ، بِرِيحِ الصَّبَا وَهِيَ ذَاتُ الْهُبُوبِ،

فَهَزَمَتْ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ جَمِيعَ أَعْدَائِهِ وَكَانُوا قَدْ حَاصَرُوهُ فِي عِدَّةِ الْوُفِ، فَأَقْلَعَتْ
الْحَيَامَ وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ وَرَحَزَحَتْ جَمِيعَ الصُّفُوفِ؛ وَتَصَيَّرَ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ
شَهْرَيْنِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنَزَلَتْ السَّكِينَةُ مِنْ آلِهِ عَلَيْهِ، وَانْكَسَرَ سَيْفُ عُكَاشَةَ بْنِ
مُحْصِنٍ يَوْمَ بَدْرٍ فَأَعْطَاهُ عُرْجُونًا أَوْ عُودًا فَصَارَ بِيَدِهِ سَيْفًا يَوْمَئِذٍ يَفْرِي الْجَمَاجِمَ،
وَيَبْرِي الْأَغْضَاءَ وَالْبَرَاجِمَ، وَكَذَلِكَ انْفَطَعَ سَيْفُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ يَوْمَ أُحُدٍ
فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عُرْجُونٌ نَحْلَةً، فَصَارَ فِي يَدِهِ سَيْفًا يُقَالُ إِنَّ
قَائِمَهُ مِثْلُهُ، وَلَمْ يَزَلْ يُتَنَاوَلُ حَتَّى يَبِيعَ مِنْ بَعَا التُّرْكِيِّ بِمِثْنَيْ دِينَارٍ، وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ
قَدْ بَقِيَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَهِيَ وَاضِحَةٌ الْمَنَارِ.

وَالَّذِي خَصَّهُ اللَّهُ بِالْحَوْضِ وَالشُّفَاعَةِ، وَأُخْبِرَ بِمَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ
السَّاعَةِ، وَهَذَا الْحَوْضُ هُوَ نَهْرُ الْكَوْثَرِ الْمُفْعَمِ الْمَلَانِ، الَّذِي سَاحَتْهُ مِنْ بُصْرَى
إِلَى عَمَّانَ، أَوْ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى عَمَّانَ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنْ
الْعَسَلِ فِي الْمَدَاقِ، وَأَبَارِيقُهُ عَلَى عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ ذَوَاتِ الْإِشْرَاقِ.

وَالَّذِي رَوَى اللَّهُ لَهُ الْأَرْضَ فَأَرَاهُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَاهُ كُنُوزَهَا
وَمَطَالِبَهَا، وَأُخْبِرَهُ جَلَّ وَعَلَا أَنَّ مُلْكَ أُمَّتِهِ سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لَهُ مِنْهَا، وَلَقِيَ رَبَّهُ
جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَهُوَ مُغْرَضٌ إِبْرَاضَ الرَّاهِدِ عَنْهَا، وَقَبِضَ ﷺ بَعْدَ أَنْ خَيَّرَهُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ، لِرَغْبَتِهِ فِيمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَحُبِّهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ مُلْكِ
الدَّارَيْنِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ جَزِيلَ النُّعْمَتَيْنِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَكَسَّرَ
بِدَعْوَتِهِ شَوْكَةَ الْأَكَاسِرَةِ، وَجَبَّرَ الدِّينَ وَقَصَمَ ظُهُورَ الْجَبَابِرَةِ، فَفَشَتْ دَعْوَتُهُ فِي
الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ كَمَا وَعَدَ وَشَاعَتْ، وَأُخْبِرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَسْتَحْلِفُ
فِي أَرْضِهِ مَنْ آمَنَ بِهِ فَكَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَهَذِهِ مُعْجَزَةٌ دَاعَتْ، فَاسْتَحْلَفَ اللَّهُ
أَصْحَابَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ فَسَمِعَتِ الْأُمَّةُ لَهُمْ وَأَطَاعَتْ، فَكَانُوا خُلَفَاءَ الْخَلْقِ،
وَقَسَحَتِ الْغَرْبَ وَالشَّرْقَ، يُقَاتِلُونَ عَبْدَةَ الْأَوْتَانِ وَالنَّيْرَانِ عَزْلًا، وَيَسُوقُ الْوَاحِدُ
مِنْهُمْ الْأَلْفَ كَمَا يُسَاقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ عَزْلًا، وَطَارَتْ قُلُوبُ الْمُلُوكِ
رُغْبًا مِنْهُمْ وَطَاشَتْ، وَخَفَقَتْ أَفْعِدَّتُهُمْ خَوْفًا مِنْ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَجَاسَتْ،
وَتَمَنَّتْ أَنَّهَا إِلَى زَمَنِ مَا عَاشَتْ، فَبِهَذَا النَّبِيِّ أَفَاخِرُ مَنْ يَفْخَرُ، وَأَكَابِرُ مَنْ تَقَدَّمَ
وَتَأَخَّرَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَدَدَ الرَّمْلِ، وَمَدَدَ التَّمْلِ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْكَرِيمِ، الْجُدَرَاءِ

بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، إِلَى ذُهْمِي عَظِيمِ عَظَمَاءِ الْهِنْدِ وَرُكْنِ أَرَاكِينِ السِّنْدِ شَرَحَ
 اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَجَعَلَهُ مَعْنٍ دَعَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ،
 وَقَالَ: ﴿وَوَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ﴾ أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّهُ وَصَلَ كِتَابُكَ جَالِيًا عَرَائِسَ خَصَائِصِكَ عَلَيْنَا، وَجَالِيًا
 نَفَائِسَ خَصَائِصِكَ إِلَيْنَا، فَفَضَضْنَا عَنِ الْجَوَاهِرِ مِنْهُ خَتَامًا، وَأَمَطْنَا عَنِ الْأَزَاهِرِ مِنْهُ
 كِمَامًا، وَاسْتَجَلَيْنَا مِنْ مَعَانِيهِ مَا لَوْ كَانَتْ خُدُودًا لَكَانَتْ مُضَرَّجَةً، أَوْ نُغُورًا
 لَكَانَتْ مُفْلَجَةً، وَاسْتَدَلَّلْنَا بِفُحْوَى خِطَابِهِ عَلَى مَا تُضْمِرُهُ لَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ لَا كَذِبَ
 فِيهَا، وَمَحَبَّةٍ نِيَطَتْ بِعُرَى الصَّدْقِ أَوَاحِيهَا، فَأَمَّا مَا صَدَّرْتُهُ فِي كِتَابِكَ مِنْ تَعْظِيمِ
 مُلْكِكَ وَتَفَيْسِ ذَخَائِرِكَ، وَطِيبِ رَائِحَةِ قَصْرِكَ وَفُخْرِكَ أَجَائِكَ، فَإِنَّكَ
 فَخَرْتَ بِأَعْرَاضِ الْجَوَاهِرِ الْفَانِيَةِ الْقَلِيلَةِ الْبَقَاءِ، وَزَخَارِفِ الدُّنْيَا الَّتِي لَا يَحْصُلُ
 الْوَاقِعُ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ النَّصَبِ وَالشَّقَاءِ، وَمُلْكُهَا وَإِنْ عَظُمَ دَوَامُهُ سَحَابَةٌ صَيْفٍ،
 وَمَالُكُهَا، وَإِنْ طَالَ مَقَامُهُ فَعَجَالَةٌ ضَيْفٍ. فَإِنَّا لَا نَفَاحِرُكَ بِأَمْثَالِهِ مِمَّا مَلَكَتَاهُ مِنْ
 سَهْلِ الْأَرْضِ وَجِبَالِهَا، وَاخْتَوَتْ عَلَيْهِ خَزَائِنُنَا مِمَّا أَخَذْنَاهُ بِسَيُوفِنَا مِنْ ذَخَائِرِ
 الْمُلُوكِ وَأَمْوَالِهَا، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، وَالْإِيمَانِ بِهَذَا النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ
 خَاتِمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلُ مَنْ مَشَى تَحْتَ السَّمَاءِ، وَالتَّزَامِ شَرِيعَتِهِ، وَالْعَدْلِ فِي
 الرَّعِيَّةِ، وَالْحُكْمِ بِالسُّوِيَّةِ، بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالشَّرِيفِ وَالْمَشْرُوفِ، وَذَلِكَ
 التَّزَامُ شَرِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا، وَأَنْ يَتَّقِيَ كِتَابًا
 عِنْدَ اللَّهِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، فَكَيْفَ كَفَفَتْ عَنِ الْبَصَرِ
 إِذْ سَطَعَ نُورُ الْبَرْهَانِ، وَجَنَحَتْ عَلَى مَا أُوتِيَتْ مِنْ فِطْنَةٍ ذَكِيَّةٍ، وَفِطْرَةٍ زَكِيَّةٍ
 إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَاتَّخَذَتْ أَلْبَدَ الْمَصْنُوعِ لِصَانِعِ الْمَصْنُوعَاتِ نِدَاءً، وَلَمْ تَرِ
 لَكَ مِنْهُ تَقْلِيدًا لِمَنْ سَلَفَ مِنَ آلِهَاءِ بُدْءًا، وَأَنَا أَدْعُوكَ دُعَاءَ الْمُشْفِقِ النَّاصِحِ،
 إِلَى سُلُوكِ السَّنَنِ الْوَاضِحِ، وَقَلْعِ الْأَبْدَادِ، وَمُعَاتَقَةِ دِيَانَةِ الْأَنْتَدَادِ، وَالتَّوَجُّهِ لِمَنْ
 وَجَّهَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ، وَقَامَ عَلَى وُجُودِهِ وَوُجُوبِ وَحْدَانِيَّتِهِ الدَّلِيلُ،
 زَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَائِبِ، وَأَظْهَرَ فِي الْأَرْضِ أَنْوَاعَ الْعَجَائِبِ، وَالْإِقْرَارِ
 بِنُبُوَّةٍ مِنْ ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ مَا ذَكَرْنَا آتِفًا مِنْ آيَاتِ، الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، فَإِنَّهُ
 لَا يَسْمَعُ بِهِ أَحَدٌ وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ

الْعَذَابِ فِي دَارِ الْبَوَارِ، فَأَسْلِمَ إِلَيْهَا الْمَلِكُ تَسْلِمًا، وَيَكُونُ لَكَ مَا لَنَا وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْنَا، فَإِنْ اسْلَمَكَ إِنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ مِنْ أَسْتَى التَّحَفِ الْوَاصِلَةِ إِلَيْنَا، وَأَمَّا مَا أَتَّخَفْتَنَا مِنْ هِدْيَةٍ، وَأَطْرَفْتَنَا بِهِ مِنْ طُرْفَةِ سِنِّيَّةٍ، ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ إِلَّا أَنَّا اتَّبَعْنَا نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبُولِهِ الْهَدْيَةِ لِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ، وَطَمَعًا فِي أَنْ يَهْدِيكَ اللَّهُ بِطُفْهِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَابَلْنَاهَا بِالْقَبُولِ وَثَنَيْنَا عَنْكَ النَّظَرَ إِلَيْهَا، وَاقْتَدَيْنَا بِأَيْنِ عَمَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الْإِنَابَةِ عَلَيْهَا، وَبَعَثْنَا إِلَيْكَ كِتَابًا يُسَمِّي (بُسْتَانَ الْأَلْبَابِ)، يَفْتَرُّ عَنْ جَوَاهِرِ الْحِكْمِ وَزَوَاهِرِ الْأَدَابِ، وَمُطَالَعَتُكَ لَهُ تُطْلِعُكَ عَلَى أَنَّ اسْمَهُ لِمَسْمَاهُ مُوَافِقٌ، وَنَعْتُهُ لِمَعْنَاهُ مُطَابِقٌ، وَشَفَعْنَاهُ بِمَا تيسَّرَ تَنَاوُلُهُ عَلَيْنَا، مِنْ الْخَزَائِنِ الْحَاضِرَةِ لَدَيْنَا، مُعْتَذِرِينَ إِلَيْكَ مِنَ التَّفْصِيرِ، وَمُقَابِلَةً مَجَادَتِكَ بِالتَّرْرِ الْيَسِيرِ، لَكِنَّ الْمُلُوكَ لَوْ تَهَادَثَ عَلَى قَدْرِ أَقْدَارِهَا، وَعَظَمِ أخطَارِهَا، لَضَاقَتْ عَنْ ذَلِكَ مُتَسَعَاتُ أحوَالِهَا، وَفَنِيَتْ سُوقُ أُمُوالِهَا، وَإِنَّمَا الْهَدْيَةُ — وَإِنْ قُلْتَ — دَلِيلُ الْاِخْتِفَالِ، بِالْمُهْدَى إِلَيْهِ وَالْاِخْتِفَالِ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ، وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(5 : 310-335)

27 — عُمَرُ بْنُ عَبْدِ النَّوْرِ بْنِ مَاحُوخَ

ابْنِ يُوسُفَ بْنِ لِيَانَ بْنِ بَادِيسَ بْنِ صَوْلِي بْنِ يُلُولِ الْهَوَارِيِّ أَبُو حَفْصٍ الزُّرْنِي (159) الْبَجَائِيُّ الصَّنَهَاجِيُّ (160)، كَانَ فَقِيهًا شَافِعِيًّا مُنَاطِرًا أَصُولِيًّا قَارِئًا

(159) فِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ أَنَّهَا بَفَتْحِ اللَّامِ وَسُكُونِ الزَّايِ بَعْدَهَا نُونٌ. نِسْبَةٌ إِلَى لُزْنَةِ قَبِيلَةٍ مِنَ الْبَرَبَرِ تَسْكُنُ بِالْقُرْبِ مِنْ بَجَايَةِ.

(160) لَهُ تَرْجُمَةٌ أَيْضًا فِي مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ وَبَغِيَةِ الْوَعَاةِ 2 : 220، وَوَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ 5 : 316.

شاعراً لَهُ يَدٌ بَاسِطَةٌ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ. أُنْشِدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي النَّجَبِ
ابْنُ أَبِي زَيْدٍ التَّبَرِيزِيُّ قَالَ : أُنْشِدَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ النَّوْرِ لِنَفْسِهِ :
وَبِعَقْرَبِ الصَّدْعَيْنِ خِلْتُ عِدَارَهُ نَوِيّاً أَتَأْفِي رَسْمِهِ الْخِيلَانَ
فَوَقَفْتُ أَبْكِيهِ بَعْنِي عُرْوَةَ (161) حُزْناً عَلَيْهِ كَأَنِّي غِيلَانُ (162)

وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أُنْشِدَنِي مِنْ شِعْرِهِ فِي غِلَامٍ اسْمُهُ إِبْرَاهِيمَ :

كَسْتَنِي — وَلَمْ أَشْعُرْ — جُفُونُكَ سَقَمَهَا

وَمِنْ قَبْلُ لَمْ أُعْرِفْ وَصَالاً وَلَا صَدّاً

وَأَلْفَيْتَنِي فِي نَارِ شَوْقٍ كَأَنِّي

سَمِيكَ لَكِنْ لَا سَلاماً وَلَا بَرْداً

وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ :

قَصَدَ الْمُصَلَّى لَا لِزُهْدٍ إِنَّمَا أَيْنَ اسْتَقْبَلَ اسْتَقْبَلَتْهُ أَوْجُهُ
صَمَّ الصَّبَابَةِ عَظُمَتْ أَبْنَاؤُهَا فَالْظُّنَى شَمْسٌ وَالْوَرَى حِرْبَاؤُهَا
عِثْمٌ عَلَى التَّيْرِ السُّجُودَ إِذَا بَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى وَسَبْتُكُمْ نَظْرَاؤُهَا
وَقَالَ أَيْضاً :

هَبْنِي صَبَوْتُ كَمَا تَرُونَ بِرَغَمِكُمْ وَظَفَرْتُ فِيهِ بِلَثْمٍ نَحْدُ أَزْهَرِ
إِنِّي اعْتَرَلْتُ، فَلَا تَلُومُوا إِنَّهُ أَضْحَى يُقَابِلُنِي بِحَدِّ أَشْعَرِي

وَقَالَ فِي غُلَامَيْنِ تَحَابَّأَ أَحَدُهُمَا يُعْرِفُ بَابِنِ صَفَرٍ وَالْآخَرُ بَابِنِ فَهْدٍ :

الْبَيْسَ عَجِيباً جَارِحَانِ تَصَافِيَا وَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يَكَادُ يُرَامُ
يُقَالُ : أَبْنُ صَفَرٍ بَابِنِ فَهْدٍ مُتَيِّمٌ فَكَيْفَ؟ عَلَى أَنَّ الْفُهْودَ تَنَامُ

وَقَالَ فِي الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ كَمَالِ الدِّينِ أَبِي الْمَعَالِي مُوسَى بْنِ يُوسُفَ (163)

الْفَقِيهِ الْمُدَّرِّسِ وَهُوَ يُلْقِي الدَّرْسَ بِحَضْرَةِ الْمُتَطَهِّلِينَ ارْتِجَالاً بِالْمَوْصِلِ :
كَمَالُ كَمَالِ الدِّينِ بِالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ

(161) هو عروة بن حزام العذري.

(162) غيلان هو ذو الرمة.

(163) له ترجمة حافلة في وفيات الأعيان 5 : 311.

إِذَا اجْتَمَعَ النَّظَارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَلَا تَحْسِبُوهُمْ عَنْ عِنَادٍ تَطْلِسُوا
وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

تَجُرُّ الْمَوْصِلُ الْأَذْيَالَ فَحُرّاً
فَدَجَلُهُ وَالْكَمَالُ هُمَا شِفَاءٌ
فَذَا بَخْرٌ تَدْفُقُ، وَهُوَ عَذْبٌ

وَقَالَ :

أَغْرَاكَ زُورٌ مِنْ مُجَدٍّ وَمَازِحِ
هَوَاكَ حَشَا الْأَحْشَاءِ، وَأَظْهَرَ غَيْرِهِ
وَعَيْنِيكَ مَا أَبْدَيْتُ حُبّاً، وَإِنَّمَا
فَيَلْحَظُنِي الْحُسَادُ فِيكَ كَأَنَّمَا
وَتَفْخَصُ عَنْ وَدِّي، وَإِنِّي لَكَائِمٌ
فَقَلْبِي خَفَاقٌ وَجِسْمِي نَاجِلٌ
وَلَوْلَاكَ لَأَسْتَعَصَيْتُ كِبَرًا، وَإِنَّمَا
وَكُنْتُ أَبِي النَّفْسِ صَغَبًا مَقَادَرِي
وَقَدْ صَارَ إِحْسَانِي شِعَارَ قَنَاعَةٍ
وَكُنْتُ - لَعَمْرِي - أَمْلَأُ الْقَلْبَ رَغْبَةً
فَمَا زَالَ بِي حُبِّكَ يُوقِدُ جَمْرَهُ
فَاغْرَقَ طَوْرًا فِي بُحُورٍ مَدَامِجِي
فَإِنْ كُنْتُ تَهْوَى أَنْ أَمُوتَ فَحَبِّدَا

فَعَايَةُ كُلِّ أَنْ تَقُولَ وَيَسْمَعُوا
وَلَكِنْ حَيَاءٌ وَاعْتِرَافاً تَقْنَعُوا

عَلَى كُلِّ الْمَنَازِلِ وَالرُّسُومِ
لِيهِمْ أَوْ لِيذِي فَهَمٍ سَقِيمِ
وَذَا بَخْرٌ، وَلَكِنْ مِنْ غُلُومِ

فَتَقَبَّلَ قَوْلَ الْكَاذِبِ الْمُتَوَاقِحِ
فَقُلْ فِي إِيَّائِي - لَا بِمَا فِيهِ - رَاشِحِ
تَجِيشُ بِيحْرِ الشُّوقِ فِيكَ قَرَائِحِي
بُعَاثُ رَنْتُ تَحْشَى انْقِضَاضَ الْجَوَارِحِ
وَلَكِنْ طَرَفِي فِي الصَّبَابَةِ فَاضِحِي
وَعَيْنِي غَرَفِي بِالْذُمُوعِ السَّوْفِحِ
يُذِلُّ الْفَتَى إِضْمَارَ شُوقِ الْجَوَارِحِ
قَرَاضُ جِمَاحِ الْقَلْبِ صَيْدُ الْجَوَارِحِ
وَقَدْ صُنْتُ إِلَّا عَنْكَ وَجْهَ مَدَائِحِي
وَأَسْحَبُ ذَيْلِي فَوْقَ قِمَّةِ رَامِحِ
عَلَى الْوَجْدِ فِي نِيرَانٍ وَجِدَ لَوَافِحِ
فَهَا أَنَا أَطْفُو بَيْنَ أَنْفَاسِ كَاشِحِ
وَإِنْ كُنْتُ تَهْوَى أَنْ أَعِيشَ فَصَالِحِ
(4 : 352-355)

28 - عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ

أَبْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّفَرِيِّ الشَّاطِئِيِّ الْقَصَّارِ أَبُو مُحَمَّدٍ

الْمُرَاكُشِيُّ⁽¹⁶⁴⁾، كَانَ رَجُلًا جَلِيلًا ذَا نِعْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَثَرَوَةٍ ظَاهِرَةٍ يَرْحَلُ إِلَى الْمُلُوكِ، فَيَسْتَرْفِدُهُمْ بِأَشْعَارِهِ، وَلَدَيْهِ فَضْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ، وَلَهُ قَصَائِدٌ مُطَوَّلَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ شِعْرُهُ سَائِعًا بَلْ مُتَوَسِّطًا يَظْهَرُ فِيهِ التَّعَسُّفُ.

أُنشِدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ الْفَرْيَانِيَّ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، قَالَ : أُنشِدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ شَمَائِلُهُ أَجْلَى مِنَ الْقَمَرِ
سَمَوْتُ قَدْرًا، قُلْتُ : النَّجْمُ فِي فَلَكِ
يَا أَخُوذِي الْوَرَى، وَالْأَلْمَعِي وَمَنْ
أَمَّا التَّوَادِي فَقَدْ عَمَّرَتْ سَاحَتَهَا
مَاذَا أَقُولُ وَقَدْ أَلْبَسْتَنِي حُلُلًا
أَفْضَتْ أَفْضَلَتْ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
حَسَنْتُ أَحْسَنْتُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ
أَوَّلَيْتُ مِنْ مَنِي جَلَّتْ جَلَّتْ كُرْبِي
مَاذَا لِيَمْنَاكَ مِنْ يُمْنٍ وَمِنْ مَنِي
جَادَتْ عَلَيَّ سَحَابٌ مِنْ أَكْفُكُمْ
مَا زَالَ وَاكِفَهَا يَنْصَبُ فِي صَبَبٍ
يَا مُحْسِنًا كُلَّ إِحْسَانٍ بِلَا كَذِبٍ
فُقْتُ الْأَكَارِمَ فِي سِرٍّ خُصِصْتُ بِهِ
هَذِي أَيَادِيكَ لَا أُحْصِي لَهَا عَدَدًا
قَدْ أَحْدَقْتُ وَأَحَاطْتُ بِبِي إِحَاطَةً مَنْ
وَالشُّكْرُ قَرْضٌ عَلَيْهِ لَارِمٌ، فَأَصْبَحُ
مَا شَابَهُ دَخَلَ، كَلًّا، وَلَا خَلَّلُ

وَمَنْ فَضَائِلُهُ أَجْلَى مِنَ السَّمَرِ⁽¹⁶⁵⁾
وَطِبْتُ ذِكْرًا، قُلْتُ : الرُّوضُ بِالزَّهَرِ
قَدْ بَدَّ جَمْعَهُم بِالذَّاتِ وَالْقَدْرِ
بَطِيبِ ذِكْرِكَ فِي الْأَمْسَاءِ وَالسَّحَرِ
أَبْهَى وَأَتْقَى مِنْ دَوْحٍ عَلَى نَهَرٍ
أُحْيَيْتُ أُكْسِبْتُ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ صُفْرِ
مَنْحَتْ أُنْحَلْتُ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ بَدْرِ
نَمَتْ وَتَمَّتْ كَرُوضٍ مُزْهِرٍ نَضِيرٍ
مَاذَا لِيُسْرَاكَ مِنْ يُسْرِ وَمِنْ يَسْرِ
فَأَنْبَتَتْ فِي أَكْفِي دَوْحَةُ الْبَدْرِ
حَتَّى أَسَالَ بَنَانِي بِالنَّدَى الْهَمِيرِ
وَمُعْنِيًا كُلَّ إِغْنَاءٍ بِلَا قَدْرِ
فَأَنْتَ مِنْ مَلِكٍ مَا أَنْتَ مِنْ بَشَرٍ
مَا يَنْقُضِي سَرْدُهَا أَوْ يَنْقُضِي عُمْرِي
لَبِي وَطَافَ بَيْتُ اللَّهِ وَالْحَجَرِ
لِسَمْعِ شُكْرِ كَمِثْلِ السَّمِطِ بِالذَّرَرِ
صَفَا صَفَاءَ تَجْمِيرِ الْمَاءِ فِي الْعُدْرِ

(164) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

(165) هذه القصيدة في مدح الكاتب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن نخيل، واسمه مذكور في صلب القصيدة.

شُكْرِي لِنِعْمَاكَ شُكْرُ الرُّوضِ لِلْمَطَرِ
أَوْ شُكْرُ عَبْدٍ لِمَوْلَى كَانَ أَعْتَقَهُ
أَوْ كَالْعَرِيقِ لِمَا أَتَجَاهُ مِنْ خَطَرِ
أَوْ كَالسَّقِيمِ لِإِثْرِهِ فَجَرَجَ
أَوْ كَالْمُحِبِّ لِمُحْبُوبٍ يُؤْتِسُّهُ
وَالْحَمْدُ يَتَّبِعُهُ عَجَلَانِ فِي مَهَلٍ
لَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَا مُنَى أُمَلِي
حَتَّى تَرَاهُ وَتُدْرِي أَنَّنِي رَجُلٌ
السَّمْعُ يَشْكُرُ لِلْأَصْوَاتِ مَا حَسُنَتْ
لَكِنَّهُ فِي ضَمِيرِي وَالْكَلَامُ [كَذَا]
لَوْ حَلَّ شُكْرِي وَسَطَ الْبَحْرِ فِي مَدَدٍ
أَوْ حَلَّ فِي فَلَوَاتٍ تُرْبُهَا حَجَرٌ
الشُّكْرُ أَحْسَنُهُ مَا كَانَ قَائِلُهُ
يَنْصُهُ بِكَلَامٍ مُرْتَضًى حَسَنٍ
وَقَائِلٌ قَالَ : فِيمَنْ ذَا الثَّنَاءِ فَقَدْ
فَقُلْتُ : فِي التَّدِيرِ أَلْفُ الَّذِي شَهَرْتُ
مُحَمَّدُ بْنُ نُحَيْلٍ (166) مَنْ سَمَا قَدْرًا
لِلْعَالِمِ الْعِلْمُ الصَّنِيدُ مَنْ شَرُفَتْ
فَاقَ الْبَدِيعِ بِمَا قَدْ حَازَ مِنْ بَدْعٍ
وَالصَّاحِبُ الْمَلِكُ، وَالصَّابِي قَبْلَهُمْ

أَوْ مُقْتَرٍ لِنِعْمَى وَافَى عَلَى وَطَرٍ
أَوْ شُكْرُ حَامٍ لِصَفْوِ السَّلْسَلِ الْخَصِيرِ
أَوْ كَالطَّلِيحِ لِمَنْ نَجَّاهُ مِنْ ضَرَرٍ
أَوْ كَالكَرِيمِ لِضَيْفٍ جَاءَ مِنْ سَفَرٍ
أَوْ كَالْتَزْيِفِ زَمَانَ الثَّوْرِ لِلسَّكْرِ
حَقًّا بِلَا مَهَلٍ، نَصًّا عَلَى الْأَثَرِ
يُرى لَجِئْتُ بِهِ فِي أَحْسَنِ الصُّورِ
شُكْرِي لَكَ الدَّهْرُ شُكْرُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَالْعَيْنُ تَشْكُرُ طَوْلَ الدَّهْرِ لِلنَّظَرِ
مُحَرِّكَ بِلِسَانِ الْخُبَرِ وَالْحَبَرِ
لَصَارَ مِنْ حِينِهِ أُحْلَى مِنَ السَّكْرِ
لَأُنَبِّتَ الْأَبَّ وَالشَّجَرَاءَ بِالثَّمَرِ
يُثْنُهُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
نَصَّ الْحَدِيثِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ
نَظَّمْتُ شُكْرًا لَهُ نَظْمًا عَلَى صُورِ
أَوْصَافِهِ كَاشْتِهَارِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
تَجَلَّ لِأَحْمَدَ ذِي الْأَثَارِ وَالْأَثَرِ
بِهِ الْكِتَابَةُ فِي الْإِيرَادِ وَالصَّدْرِ
وَأَبْنِ الْعَمِيدِ وَمَا يَخُويهِ مِنْ غُرَرِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ، وَكُلُّ مَالٍ لِلْخَصَرِ

(166) كان كاتب أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص والي افريقية وقد اشتهر بالجود وقضاء
الحوائج، انظر فيه اعتبار الكتاب : 235-249 ورحلة التجاني : 108-147 والغصون
اليانعة : 98 والفارسية : 105 وتاريخ الدولتين : 3، 7، 18، 24 والبيان المغرب — قسم
الموحدين — : 18، 20، 22، 23، 25، 173 والروض المعطار : 605 والحلل الموشية :
100، 110 والعبر : 6، 338، 342، 404، 465، 578، 584، 589. ولنا بحث
معدّ للنشر حول هذا المؤرخ المغمور.

بِمَا أَثَارَتْ مِنَ الْإِبْدَاعِ وَالْغُرْرِ
 عَلَتْ مُجَاجَتْهَا لِلْبَيْضِ وَالسُّمْرِ
 أُرْزَى بِوُشْيِ الرُّبَا وَالرَّوْضِ وَالْحَبَرِ
 وَهُوَ النَّهَايَةُ فِيمَا شَاعَ مِنْ خَبَرِ
 خَطَّتْ أُنَامِلُهُ خَرْفًا مَعَ الْكَبِيرِ
 كَمَا اللَّالِيَةُ بَعْضُ مِنْ نَدَى الْبَحْرِ
 مَنْ قَدْ سَمَا وَعَلَا دَابًّا عَلَى الصُّورِ
 وَمُخْرِجُ الضَّرِّ بِالْإِسَارِ وَالْيُسْرِ
 صِنُو الْعِمَامَةِ فِي صَوْبٍ وَفِي هَمَرِ
 بَدَّرَ أَحَاطَ بِهِ جَيْشٌ مِنَ الزُّهْرِ
 وَجَالِبَ الْيُسْرِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ
 وَارْبَعٌ بِهَا تَأْمَنُ مِنْ سَطْوَةِ الْغَيْرِ
 بُسْتَانُ أَمْنٍ بِلَا شَيْءٍ مِنَ الدُّعْرِ
 فَلَيْسَ يُدْرِكُهَا شَيْءٌ مَدَى الْعُمُرِ
 وَفَقِ الْمُرَادِ بِلَا شَيْءٍ مِنَ الْكَدْرِ
 أَلْقَى عَصَاهُ فَلَمْ يَرَّخْ وَلَمْ يَسِرِ
 يَتَرَى عَلَيْهِ مَعَ الْأَصَالِ وَالْبُكْرِ
 مَا عَرَّدَ الطَّيْرُ يَوْمًا فِي ذُرَى الشَّجَرِ

رَاعَتْ يِرَاعَتُهُ الْكُتَابَ قَاطِبَةً
 أَنْ أُشْرَعَتْ فِي مَجَالِ الطُّرُسِ عَامِلَهَا
 وَأَنْ أَقَرَّ عَلَى صَفْحِ مَرِيئِهَا
 أُنْسَى ابْنَ مُقْلَةٍ فِي إِعْمَالِ أُنْمِلِهِ
 لَوْلَا هَيَامُ يَدَيْهِ بِالْبِرَاعِ لَمَّا
 إِنَّ الْكِتَابَةَ بَعْضُ مِنْ مَنَاقِبِهِ
 الطَّيِّبُ الْخِيمِ، وَالْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
 مُفَرِّجُ الضِّيقِ وَاللَّوَاءُ قَدْ حَمِيَتْ
 الْكَامِلُ الذَّاتِ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقِ
 كَانَ طَلَعَتْهُ وَالسَّعْدُ حَفَّ بِهَا
 يَا طَالِبَ الْخَيْرِ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرِ
 يَمَّمْ لِيَتَوَسَّسَ فِيهِ الْآنَ مَرْبَعَهُ
 رَوْضٌ أَرِيضٌ فَلَا رَوْضَ بِأَمَانِهَا
 أَنْوَارُ أَسْعِدِهِ حَلَّتْ بِسَاحَتِهَا
 إِنَّ ثَلَقَهُ ثَلَقَ آمَالًا مُكَمَّلَةً
 مَنْ أُمُّهُ مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً
 لَأَزَالَ يَصْعَدُ فِي سَعْدٍ يُسَاعِدُهُ
 ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ صَيًّا عَدَقًا

ثُمَّ خَتَمَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

بِالشُّكْرِ تَنْطَلِقُ وَالشَّنَا
 طَرَفًا كَحِيلًا قَدْ رَنَا
 بَعْدَ التَّبَاعِدِ قَدْ دَنَا
 إِلَّا نَدَاكَ الْمُقْتَنَى

خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً
 قَدْ أَشْبَهَتْ فِي حُسْنِهَا
 أَوْ حَبِّ صَبٍّ مُذْنِفٍ
 كَلًّا، وَمَا إِنْ أَشْبَهَتْ

وَقَالَ :

يَهْمِي عَلَى قَاصِدِيهِ هَمِّيَا
 وَأَقْبَلْتُ بِالشَّبَابِ لَمِيَا

لَأَزَالَ ذَاكَ الْمَقَامُ الْأَسْمَى
 مَا اكْتَحَلْتُ مُقْلَةً بِضَوْءِ

وَأُشَدَّنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ النَّصِيبِيِّ بِحَلَبَ،
 قَالَ : أُشَدَّنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ :
 اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الزَّمَانِ وَعَظْهُ فَالصَّبْرُ أَحْسَنُ مَكْسَبِ الْكُسَابِ
 وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِالْفَتَى وَفِعْلِهِ وَالْحُرُّ لَا يَرْضَى بِغَيْرِ صَوَابِ
 كَمْ مِنْ فَتَى فِي الْأَرْضِ حُرٌّ مُقْتَرٍ مُتَظَلِّمٌ مِنْ ظَالِمٍ غَضَابِ
 لَمْ يَتْرِكْ مِنْ مَالِهِ مِنْ تَالِدٍ أَوْ طَارِفٍ شَيْئاً مِنَ الْأَنْشَابِ
 مِنْ بَعْدِ ذَا جَبَرِ الْإِلَهِ مُصَابِهِ فَأَتَابَهُ ضِعْفَيْنِ مِنْ أَسَابِ
 فَاصْبِرْ - هَدَيْتَ - وَلَا تَخَفْ مِنْ عُسْرَةٍ فَالصَّبْرُ يَنْتَحُ مُغْلَقَاتِ الْبَابِ
 فَالصَّابِرُونَ هُمْ غَدَاً فِي فُرْجَةٍ يُعْطَوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابِ (١٦٦م)
 (5 : 399-404)

29 - عُمَرُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

أَبُو حَفْصٍ الْقَفْصِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ التَّنْسِي (١٦٧)، وَتَنَسَّ مَدِينَةَ مِنْ مُدُنِ
 إِفْرِيقِيَّةَ.

حَدَّثَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ بِحَلَبَ أَيْدَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى قَالَ : كَانَ شَيْخاً حَسَناً دَمَتْ الْأَخْلَاقُ طَيِّبَ الْمُحَاضَرَةِ، أَقَامَ عِنْدَنَا بِحَلَبَ
 سِنِينَ عِدَّةً، وَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَرَوَى لَنَا شَيْئاً مِنْ شِعْرِ عَبْدِ الْمَنِّعِ
 الْجَلِيلِيِّ عَنْهُ، وَأُشَدَّنَا مَقْطَعَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ لَهُ وَلِغَيْرِهِ؛ وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْحِكْمَةِ
 وَالْهَنْدَسَةِ؛ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ وُلِدَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ
 وَخَمْسِمِائَةٍ.

(١٦٦م) بعد هذا بتر في الأصل، ولعل المتنور يشتمل على بقية الشعر وتمتة الترجمة، ويدعو أن
 المخاطب بهذا الشعر هو ابن نخيل لما نكب وحبس.

(١٦٧) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر ولعله من الذين هاجروا من قفصة بعد استيلاء
 الموحيدين عليها وتنكيلهم بأهلها بسبب عصيانهم وفي القصيدة الآتية ما يشير إلى شيء من
 هذا، وانظر في تنس كتاب الاستبصار : 133 وكتاب الروض المطار : 138.

قَالَ : وَجَدْتُهُ كَذَلِكَ بِحَظِّ وَالِدِي؛ قَالَ : وَتَوَجَّهَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ بَعْدَ الْعِشْرِينَ
وَالسِّمَّائَةِ، فَبَلَغَنِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ تُوفِّيَ بِهَا.

وَأُشْدِنِي لِنَفْسِهِ :

أَمِنْ قَرِطٍ وَجِدَ صَارَ لَوْتُكَ أَصْفَرَا
فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجَلَامِيدِ أَثَرَا
بِمَا هُوَ أَوْ مَا كَانَ قَدَمًا وَمَا جَرَى
فَإِنَّ الَّذِي أُبْلَى يُفَرِّجُ مَا تَرَى
أَحَالَ عَلَى الْأَحْوَالِ حَالِي فَقِيرَا
فَصِرْتُ فَقِيرًا بَعْدَمَا كُنْتُ مُوسِرَا
فَهَذَا الَّذِي أَهْدَى لِحِجْسِي التَّعْيِرَا
وَقَلْبِي قَتِيلُ الْحَالَتَيْنِ مُعَفَّرَا
وَلَا مُسْعَدٌ يُلْفَى لِنَصْرِي مُيسَّرَا
وَلَمْ أَلَقْ إِلَّا مَنْ إِذَا قَالَ قَصْرَا
فَمَا حِيلَتِي فِيمَا سَمِعْتَ وَمَا تَرَى
(5 : 425-426)

وَقَائِلَةٍ مَا لِي أَرَاكَ مُعِيرَا
فَقُلْتُ كِلَيْنِي يَا هُنَيْدَةُ وَاعْلَمِي
فَقَالَتْ رَعَاكَ اللَّهُ هَلْ أَنْتَ مُحْبِرٌ
لَعَلَّ بِرَائِي يُحْدِثُ اللَّهُ رَاحَةً
فَقُلْتُ لَهَا: صَرَفَ الزَّمَانِ وَجَوْرُهُ
وَشَتَّتَ أَحْبَابِي وَأَذْهَبَ ثَرَوَتِي
تَنَاءَتْ دِيَارِي وَاضْمَحَلَّتْ أُحْيَتِي
فَدَمَعِي سَفُوحٌ وَالْجَوَى حَلٌّ فِي الْحَشَا
وَلَا حَاكِمٌ يَقْضِي فَيَحْكُمُ بَيْنَنَا
فَمَنْ مَانِعِي مِنْ ظُلْمِ دَهْرِي وَجَوْرِهِ
وَقَدْ صَارَ وَهْمِي مِنْ عَظِيمٍ يَلْتَنِي

30 — عِيسَى بْنُ سُلَيْمَانَ

ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّعْنِي الرُّنْدِي (168)،
أَبُو مُحَمَّدٍ — وَقِيلَ أَبُو مُوسَى — الأَنْدَلُسِيُّ، مِنْ أَهْلِ مَالَقَةَ، كَانَ مِنْ طَلَبَةِ
الْحَدِيثِ، وَسَمِعَ مِنْهُ كَثِيرًا، وَكُتِبَ بِحَظِّهِ، وَلَقِيَ رِجَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ،

(168) توجد ترجمته أيضا في التكملة رقم 1929 وصلة الصلة 4 : 55-56 والذيل والتكملة
5 : 495-497 وأعلام مالقة : 177 (مصورة خاصة) وتاريخ الإسلام للذهبي رقم
114، وتتميز ترجمة ابن الشعار بفوائد وزوائد. وقد نقل المقرئ ترجمة صاحبنا من تاريخ
إبريل لابن المستوفى (نفع 2 : 380-381).

وَأَخَذَ عَنْهُمْ، وَسَافَرَ وَاجْتَهَدَ وَحَصَلَ بَعْدَ أَنْ طَافَ قِطْعَةً مِنَ الْبِلَادِ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ
مُقَامُهُ بِدِمَشْقَ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً إِلَى مَالِقَةَ مَدِينَتِهِ، فَلَمَّا وَصَلَهَا بَقِيَ بِهَا مُدَّةً يَسِيرَةً
وَمَاتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ
إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْأَنْدَلُسِ يُقَالُ لَهَا بِلْمَالَةَ مِنْ كُورَةِ
بِشْقَرِ⁽¹⁶⁹⁾، تَوَعَّلَ فِي دِيَارِ مِصْرَ، وَأَقَامَ مُدَّةً بِلَادِ الشَّامِ، وَطَوَّفَ قِطْعَةً مِنَ
الْبِلَادِ الْجَزْرِيَّةِ⁽¹⁷⁰⁾، ثُمَّ عَادَ إِلَى وَطَنِهِ فَمَاتَ بِهِ، وَكَانَ حَافِظاً لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ،
شَاعِراً فَاضِلاً، وَعَمِلَ كِتَاباً سَمَّاهُ (الْحَيْنُ إِلَى الْأَوْطَانِ، الْعَالِبُ عَلَى النَّفْسِ هَوَاهُ،
وَالْهَوَى سُلْطَانُ). وَنَظَّمَ مَعْشَرَاتٍ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ
ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ⁽¹⁷¹⁾، ثُمَّ الدَّمَشْقِيُّ بِهَا سَنَةَ أَرْبَعِينَ
وَسِتِّ مِئَةٍ فِي الْمُحَرَّمِ قَالَ : أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عِيسَى بْنُ
سُلَيْمَانَ الرُّعَيْنِي لِنَفْسِهِ، وَذَكَرَ بَعْضَ مَا أَتَى بِهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
آيَاتٍ :

لَكَ الْحَمْدُ يَا اللَّهُ وَالشُّكْرُ دَائِباً	كَثِيراً عَلَى كُلِّ الَّذِي أَنتَ فَاعِلٌ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، أَنتَ هَدَيْتَنِي	لِنَظْمٍ بِهِ تَزْهَوُ - لَعْمَرِي - الْمَحَافِلُ
مَنْنْتَ بِنَظْمٍ فِي الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ	فَمَنْ بَتَرَحَالِي، فَقَلْبِي رَاحِلُ
وَهَيَّنْتَ أَصْحَاباً كِرَاماً أَعْفَةً	لَهُمْ قَدَمٌ فِي الْجِدِّ وَالْعَزَمِ طَائِلُ
تَشَدُّ بِهِمْ أَرْزِي، فَأَنِّي مُذْنَفٌ	حَلِيفُ اسْتِيَاقِي لِلرُّسُولِ وَتَاجِلُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورُ مُحَمَّدًا	أَمْ عَاجِلُ مَوْتٍ دُونَ ذَلِكَ حَائِلُ
لَعْمَرِي لَئِنْ طَالَ الْمَقَامُ وَلَمْ أَزُرْ	بِلَاداً بِهَا بَدَرُ الْهَدَايَةِ كَامِلُ
لَأَيَقُنْتُ أَنِّي بِالذُّنُوبِ مُقَيَّدٌ	وَأَنِّي عَنِ الْإِرْشَادِ وَالْخَيْرِ غَافِلُ
تَوَسَّلْتُ لِلرَّحْمَنِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ	بِخَيْرِ الْوَرَى طَرّاً وَنَائِي سَائِلُ
بِمَنْ نَبَعَ الْمَاءُ الْقَرَّاحُ يَكْفُهُ	بِمَنْ أَوْرَقَتْ فِيهِ الْعُصُونُ الذَّوَابِلُ

(169) كذا في الأصل وفي نفع الطيب : «يقال لها يلمالتين من كورة بشتغير»، ولعل كل ذلك تحريف، ويمكن أن تكون الكلمة الأخيرة تحريفاً لكلمة بِيَشْتَر وهو المكان المشهور.

(170) لعله يقصد البلاد الواقعة في جزيرة أقور كالوصل وأمد وغيرها.

(171) يعرف هو ووالده بإمام مسجد الكلاسة انظر فيهما : الوافي بالوفيات 2 : 118.

يَمَنْ وَجْهُهُ يَزْهُو عَلَى الْبَدْرِ فِي الدُّجَى
يَمَنْ كَلِمَتُهُ الشَّاةُ وَهِيَ سَمِيطَةٌ
يَمَنْ حَنْ جِدْعُ النَّحْلِ شَوْقاً لِمُصْرَتِهِ
يَمَنْ كَلِمَ الضَّبِّ الْبَهِيمِ حَقِيقَةٌ
يَمَنْ أَخْبَرَ الْكُهَّانُ ذَهْراً بِبَغْيِهِ
يَمَنْ أُرْتَجِيَ فِي الْحَشْرِ مِنْهُ شِفَاعَةٌ
يَمَنْ خَصَّهُ الرَّحْمَنُ بِالنَّصْرِ فِي الْوَعَى
فَذَاكَ الَّذِي أُسْرَى بِهِ اللَّهُ لَيْلَةً
وَذَاكَ الَّذِي قَدْ كَلِمَ اللَّهُ رَبَّهُ
وَذَاكَ الَّذِي قَدْ جَاءَ بِالنُّورِ وَالْهُدَى
وَذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ يَا صَاحِبَ — أَحْمَدُ —
وَذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الشَّمْسُ أُشْرِقَتْ
تَوَسَّلْتُ يَا رَبِّي إِلَيْكَ بِفَضْلِهِ
فَمَا أَبْلُغُ أَلْمِغْشَارَ مِنْ عَشْرِ فَضْلِهِ
لِتَغْفِرَ زَلَاتِي، وَتَرْحَمَ ذَلَّتِي
وَبَلِّغْنِي يَا اللَّهُ — قَبْرِ مُحَمَّدٍ —
وَهَبْ وَالِدَيَّ مِنْكَ أَعْظَمَ رَحْمَةٍ
وَلِلْمُسْلِمِينَ اغْفِرْ، فَأَنْتَ مُؤَمِّلٌ
وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ
وَزِدْنِي شَوْقاً لِلرُّسُولِ وَصَحْبِهِ
عَلَيْهِمْ سَلَامِي مَا تَرْنَمُ طَائِرٌ

يَمَنْ جُمِعَتْ حَقّاً لَدَيْهِ الْفَضَائِلُ
وَذَلَّتْ لَهُ أُسْدُ الشَّرِّ وَالْمَقَاوِلُ
وَأُخْصِبَ عَصْرُ النَّاسِ إِذْ هُوَ مَاجِلُ
يَمَنْ كَلِمَتُهُ الْجَامِدَاتُ الْجَنَادِلُ
يَمَنْ بَشَّرَتْ حَقّاً بِذَاكَ الْأَوَائِلُ
نَعَمْ وَالرِّجَالُ الصَّالِحُونَ الْأَفَاضِلُ
وَذَلَّتْ لَهُ يَا صَاحِبِي الْجَحَائِلُ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَمَا إِنْ يُسَاجِلُ
إِذْ أُسْرَى بِهِ حَقّاً وَمَا هُوَ بَاطِلُ
وَذَاكَ الَّذِي تُرْجَى لَدَيْهِ الرُّوَاجِلُ
وَذَاكَ الَّذِي تُطَوَّى إِلَيْهِ الْمَرَاجِلُ
وَلَاخَ هِلَالُ الدِّينِ إِذْ هُوَ آفِلُ
فَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ
فَإِنَّ لِسَانِي بِالْمَآثِمِ عَاطِلُ
فَإِنِّي أَنَا الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمُوَاضِلُ
وَلَا تُخْزِنِي رَبِّي إِذَا سَالَ سَائِلُ
تَعْمُهُمَا دَأْباً، فَمَجْدُكَ شَامِلُ
وَفَضْلُكَ مَعْلُومٌ وَجُودُكَ سَائِلُ
وَأَصْحَابِهِ طُراً فَذَمُّعِي هَامِلُ
فَحُبُّهُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ حَاصِلُ
وَمَا قَطَعْتَ أَفْقَ السَّمَاءِ الْمَنَازِلُ

وَأُشَدَّنِي أَيْضاً، قَالَ : أُنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُ مَشَائِخِهِ بِدِمَشْقَ شَيْئاً
مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَصْحَابِ الْحَدِيثِ :

قُلْ لِلَّذِينَ يَعْلَمُونَ الرَّأْيَ قَدْ وُلِعُوا
مَسَائِلًا جَمَّةً مَا مِثْلُهَا وَرَدَتْ
وَأَهْمَلُوا السَّنَةَ الْعَرَاءَ وَاخْتَرَعُوا
فِي الشَّرْعِ لِكِنَّهُمْ فِي وَصْفِهَا ابْتَدَعُوا

أَنْ لَيْسَ عِلْمٌ سِوَى هَذَا الَّذِي صَنَعُوا
خَيْرَ الْأَنْامِ رَسُولُ اللَّهِ، فَاسْتَمِعُوا
هُمْ الرِّجَالُ وَأَنْتُمْ خَلْفَهُ تَبِعُوا
تُعْنَى بِتَقْصِيرِ أَهْلِ الْفَضْلِ يَا لَكُمُ
لِنَقِيلِ قِيلَ رَسُولُ اللَّهِ، فَاتَّبِعُوا
مُسْتَمْسِكِينَ لِرِوَاءِ الْعِلْمِ قَدْ رَفَعُوا
فِي سَبِيلِكَ إِسْنَادَ خَيْرِ الْخَلْقِ قَدْ جُمِعُوا
أَمْ مَنْ يُفَاخِرُهُمْ يَوْمًا وَقَدْ رَتَعُوا
أَزْهَارَهَا، وَجَنَّاها الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ
تَمَسَّكُوا بِعُرَى مَا لَيْسَ يَنْتَقِطِعُ
خَيْرَ الْأَنْامِ الَّذِي طَاحَتْ بِهِ الْبِدْعُ
شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا حَ الْبَرْقِ يَلْتَمِعُ

وَصَوَّبُوا رَأْيَهُمْ حَتَّى لَقَدْ رَعَمُوا
الْعِلْمُ - وَنَحَكُم - مَا فِيهِ حَدَّثَنَا
وَالْقَائِلُونَ بِهِ، وَالنَّاقِلُونَ لَهُ
يَا شَانِئًا لَهُمْ مَهْلًا عَلَيْكَ فَكَمْ
اللَّهُ فَضَّلَهُمْ حَقًّا وَأَهْلَهُمْ
آثَارُهُ فَعَدُّوا وَاللَّهُ يَكْلُوهُمْ
كَفَاهُمْ شَرَفًا - وَاللَّهُ - أَنْهُمْ
مَنْ ذَا يُضَاهِيهِمْ أَمْ مَنْ يُسَاجِلُهُمْ
فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْعِلْمِ مُوَيْقَةٍ
فَالْيَهْنِ أَهْلُ الْحَدِيثِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
حَتَّى يُيَوِّزَهُمْ دَارَ الْخُلُودِ عَلَى
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهَ الْخَلْقِ مَا طَلَعَتْ

وَأُنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ الْقُرْطُبِيِّ، قَالَ :
أُنْشَدَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّعِينِيُّ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي
بَكْرٍ لِنَفْسِهِ بِدِمَشْقَ :

مَنْ لَمْ تَنْلُهُ غُرْبَةٌ أَمِنْ الرَّدَى فَهَوَّ الْقَنَاءُ، وَتِلْكَ حَدُّ سِنَانِ
وَحُرُوفُهَا مِنْ كُلِّ بُوسٍ رُكِبَتْ لَتَعْمَ مَنْ تَعَنَّاهُ بِالْأَشْجَانِ
فَالْغَيْنُ مِنْ غَمٍّ وَغَبْنٍ دَائِمٍ وَالرَّاءُ مِنْ رُزْءٍ عَلَى الْأَوْطَانِ
وَالْبَاءُ مِنْ بَرْحٍ وَبَيْنٍ أَوْ بِلَى وَالْهَاءُ مِنْ هَمٍّ وَهَلْكَ دَانِ

وَأُنْشَدَنِي تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ
إِسْمَاعِيلَ الْقُرْطُبِيِّ الدَّمَشْقِيِّ بِهَا، قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَيْسَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الرَّعِينِيِّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ
تَأْلِيْفِهِ الَّذِي سَمَّاهُ : (كِتَابُ الْحَبِينِ إِلَى الْأَحْبَابِ وَالْأَوْطَانِ، الْعَالِبِ عَلَى النَّفْسِ
هَوَاهُ وَالْهَوَى سُلْطَانًا) (172)، فَمِنْ ذَلِكَ مَا أُنْشَاهُ فِي وَصْفِهِ، وَهُوَ عِشْرُونَ بَابًا :

(172) هذا كتاب ممتع في بابه لو وصل إلينا، ومن حسن الحظ أن بقي من تصانيف هذا المحدث
الرحالة كتاب عنوانه : الجامع، لما في المصنفات الجوامع، وهو في أسماء الصحابة (خ.ح)،
رقم (6908).

بُفْرَقَةِ الْأَهْلِ وَالْأَحْدَانِ وَالْوَطَنِ
أَحْشَاؤُهُ، فَقَدْ أَوَّاهَ فِي شَطَنِ
وَحَدٍّ فِي الْحَدِّ فَعُلِ الْعَارِضُ الْهَتَنِ
مَا إِنْ لَهُ حَيْثُ مَا قَدْ حَلَّ مِنْ سَكَنِ
مِنْ سُوءِ فَعِلِ النَّوَى فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ
مَاذَا مُنِيتَ بِهِ مِنْ عَذْرَةِ الزَّمَنِ
قَبْلَ الْمَمَاتِ بِمَنْ أَهْوَى بِلَا مَحَنِ
سُبْحَانَهُ جَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ وَالْمَنَنِ

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ بَابٌ فِي ذِمِّ الْعَرَبِيَّةِ
وَالْإِعْتِرَابِ، وَبَيَانِ كَوْنِ الْعَرِيبِ أَذَلَّ مِنَ التُّرَابِ :

سَوَى حِفْظِ الْمَوَدَّةِ وَالْإِحْوَائِ
أَدِينُ لِسَاكِينِهَا بِالْوَفَاءِ

هَذَا كِتَابُ قَصَبِ الدَّارِ مُنْتَحَنِ
صَبَّ مَشُوقِ بَرَاهِ الْبَيْنِ فَاضْطَرَمَّتْ
تَصْنِيفُ مَنْ قَرَحَتْ بِالذَّمْعِ مَقْلَتُهُ
كَذَلِكَ كُلُّ غَرِيبِ الدَّارِ مُنْتَزِحِ
يَشْكُو الْبِعَادَ وَمَا قَدْ ظَلَّ يَرْمُقُهُ
طَالَ النَّوَاءُ بِأَرْضِ الشَّامِ وَأَسْفِي
فَالْلَّهُ يَجْبُرُ ثَكْلِي ثُمَّ يَجْمَعُنِي
بِرَحْمَةٍ مِنْهُ مَا أَرْجُو سِوَاهُ لَدَا

أَبَتْ لِي هِمَّتِي، وَأَبَى انْتِحَائِي
أَلَا إِنِّي بِشَتْلٍ مُسْتَهَامِ

شَتْلُ (173) : اسْمُ ضَيْعَةٍ مِنْ ضِيَاعِ مَالِقَةٍ بِهَا أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ.

وَنَأْيُهُمْ — بِلَا مَنِي — شَقَائِي
سَأْفِي فِي وَدَادِهِمْ دَمَائِي
فَدَهْرِي لَا أَمَلُ مِنَ الْبُكَاءِ
وَلَيْلِي قَدْ فَرَعْتُ إِلَى الدُّعَاءِ
إِلَآهَ الْعَالَمِينَ اتَّخِ شِفَائِي
نُزُوحَ أَجْبَتِي وَالْهَمُّ دَائِي
إِلَى كَمِّ ذَا التَّعْرُبِ وَالتَّنَائِي
أَذَلَّ مِنَ التُّرَابِ بِلَا امْتِرَاءِ
عَسَاهُ بِفَضْلِهِ يُدْنِي لِقَائِي

أَهِيمُ بِمَنْ بِشَتْلٍ قَدْ أَقَامُوا
إِذَا الْأَقْدَارُ لَمْ تَسْمَحْ بِقُرْبِ
أَنُوحٍ لِعُرَّتِي، وَلَفَقْدِ أَهْلِي
أَبِيتُ حَلِيفَ وَجْدٍ وَاشْتِيَاقِ
أُنَادِي فِي بِلَادِ الشَّرْقِ جَهْرًا
أَذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ إِلَيْكَ أَشْكُو
أَلَا إِنِّي غَرِيبُ الدَّارِ صَبَّ
أَلَا إِنَّ الْعَرِيبَ مَدَى اللَّيَالِي
إِلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ شَكُوتُ حَالِي

وَأُنْشَدَنِي قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :
خَلِيلِي إِنِّي قَدْ نَصَحْتُكَمَا جُهْدِي

(173) لعلها التي تدعى اليوم Sedella.

فَذَاكَ حَدَّانِي أَنَّ أُبْتُ الَّذِي عِنْدِي
وَحَتَّى مَتَى لَا تَنْزِعَانِ إِلَى الرَّشِيدِ
لأَوْطَانِهِ اللَّائِي بِهَا كَانَ فِي الْمَهْدِ
وَأَنْ زَعَمُوا أَنَّ الْفَوَائِدَ فِي الْبُعْدِ
ذَوُو الدِّينِ وَالْدُّنْيَا ذَوُو الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
ذَلِيلًا حَقِيرًا لَا يُعِيدُ وَلَا يُبِيدُ
فَلَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى كَثِيرًا مِنَ الْجَهْدِ
وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ الْهِنْدِ
فَلَا يَلْتَفِتُ يَوْمًا إِلَى الْعِلْمِ الْفَرْدِ
وَلَا يَصْبُونُ لِلْسَّاكِينِ رَبِّي نَجِدِ
يَوْمٌ بِهِ الْأَوْطَانُ بِالنَّصِّ وَالْوَحْدِ
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَشُوقٌ وَمُسْتَجِدِي
فَيَا بُوسَ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَيَكْسِبُ فِي ذَاكَ النَّاءَ مَعَ الْحَمْدِ
(5 : 450-458)

وَلَكِنْ نُصَحَ الْخَلْقَ فِي الشَّرْعِ قَدْ أَتَى
فَدُونُكُمْ، كَمْ ذَا التَّعَرُّبُ فِي الْوَرَى
أَلَا إِنَّ سَبْلَ الرَّشِيدِ لِلْمَرْءِ أَوْبَةٌ
فَلَا تَسْمَعَا مِمَّنْ يُنْهَرِجُ قَوْلُهُ
وَيَكْفِيكَ أَنَّ الْبُعْدَ يَشْنَأُ لَفْظُهُ
فَكُلُّ غَرِيبٍ الدَّارِ لَا بُدَّ أَنْ يُرَى
وَلَوْ كَانَ ذَا مَالٍ عَرِيضٍ وَتُرُوقِ
وَمَا إِنْ يَزَالُ الدَّهْرُ حِلْفَ صَبَابَةٍ
فَمَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ غَزِيرٍ وَهَمَةٍ
وَلَا يَحْفَلُنَ بِالظَّالِعِينَ إِلَى الْحِمَى
وَلَكِنْ طَرَفَ الْعِزِّ يَرْكَبُ مَتْنُهُ
وَيَتَحِفُّ أَهْلِيهِ بِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ
إِلَى اللَّهِ يَشْكُونُ الْغَرَامَ وَوَقْدُهُ
فَلِلَّهِ مَنْ يَرَعَى قُلُوبَ أَهْلِيهِ

31 — عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَبْنِ يَلْبَحْتُ الْيَزْدَكَنِي، خَطِيبُ الْجَامِعِ بِمُرَّاكَشَ، أَبُو مُوسَى
الْجَزُولِيُّ⁽¹⁷⁴⁾، مَنْسُوبٌ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْبَرَبَرِ مَشْهُورَةٍ تُسَمَّى جَزُولَةَ، أَصْلُهَا بَيْنَ
الْكَافِ وَالْقَافِ، فَعَرَّبَهَا الْكِتَابُ وَكَتَبُوهَا بِالْجِيمِ، مِنْ أَهْلِ مُرَّاكَشَ، الشَّيْخُ
الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ الْفَقِيهُ الْخَطِيبُ، رَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَأَدْرَكَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ

(174) له ترجمة موسعة في الذيل والتكملة 8 : 246-254 ووفيات الأعيان 3 : 488-491
وفي حاشية التحقيق ذكر لمصادر أخرى.

بَنَ بَرِّي (175) النَّحْوِيُّ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ أُصُولُ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ السَّرَّاجِ (176)، وَقَرَأَ عَلَى أَبِي الْمَنْصُورِ ظَافِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الْمَالِكِيِّ الْيَمِينِيِّ (177) كِتَاباً فِي أُصُولِ الدِّينِ، فَقَالَ عِنْدَهُمْ حُطُوءٌ، وَتَقَبَّلُوهُ، وَحَسَنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، وَقَاسَى مُدَّةَ إِقَامَتِهِ بِمِصْرَ ضَرّاً مِنَ الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ، وَلَمْ يَدْخُلْ مَدْرَسَةً (178)، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى الضِّيَاعِ، فَيَحْصِلُ مَا يَقُومُ بِتَفَقُّهِ، وَهُوَ غَايَةٌ فِي الْقِلَّةِ وَضَيْقِ الْمَعِيشَةِ.

ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَقِيراً مُدْقِعاً، فَوَصَلَ إِلَى الْمِرْيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ، وَصَاحَبَ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَوَلِينَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ، فَقَالَ عِنْدَهُمْ حُطُوءٌ وَتَقَبَّلُوهُ، وَحَسَنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، فَمَشَتْ أحوَالُهُ مَعَهُمْ، وَاکْتَسَبَ رِزْقاً مُتَوَفِراً مِنْ صُحْبَتِهِمْ، وَكَانَ قَدْ نَذَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِكَشْفِ أحوَالِ الْقَضَاةِ وَالْوَلَاةِ عَلَى الْبِلَادِ ثِقَةً بِعَدَالَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، فَتَوَفَّى فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ فِي دَوْلَةِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ قَبْلَ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ وَالسِّتِّ مِئَةٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ (179). وَكَانَ نَحْوِيّاً حَازِئاً بِصِيرٍ يَعْلَمُ الْعَرَبِيَّةَ إِمَامَ زَمَانِهِ فِي مَعْرِفَتِهَا وَثِقَاتِهَا. وَهُوَ صَاحِبُ الْمُقَدِّمَةِ الْجَزُولِيَّةِ الْمَشْهُورَةِ فِي عِلْمِ الْإِعْرَابِ الَّتِي سَارَتْ وَانْتَشَرَتْ فِي الْإِفَاقِ، وَاسْتَجَادَهَا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ، وَاسْتَحْسَنُوهَا غَايَةً الْإِسْتِحْسَانَ، وَشَهِدُوا لِمُصَنِّفِهَا بِالتَّبَرُّيزِ وَالسَّيْقِ عَلَى أَنْبَاءِ جَنْسِهِ وَاسْتَجَازُوهَا عَلَى مُصَنَّفَاتِ الْقَدَمَاءِ مِنَ النَّحَاةِ، وَكُتِبَتْ مِنْهَا النُّسخُ لِكَوْنِهَا فَرِيدَةً فِي مَعْنَاهَا (180).

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّ مِئَةٍ بِهَسْكَورَةَ مِنْ بَلَدِ مُرَّاكَشَ.

(175) ترجمته في وفيات الأعيان 3 : 108.

(176) ترجمة أبي بكر ابن السراج في وفيات الأعيان 4 : 339-340 وكتابه الأصول في النحو طبع في العراق سنة 1973.

(177) هو شيخ المالكية بمصر في وقته، توفي سنة 597هـ، انظر ترجمته في نيل الابتهاج : 130 وحسن المحاضرة 1 : 193.

(178) أي أنه لم يسكن في المدارس المخصصة لطلبة العلم.

(179) حدّد ابن عبد الملك وفاته وقال إنها كانت ليلة السبت الثالثة عشرة من شعبان سبع وستائة.

(180) طبعت المقدمة الجزولية وطبع كذلك بعض شروحها، وانظر بعض ما قيل في شأنها الذيل والتكملة : 8 : 248 ح 277.

أُنشَدَنِي الْقَاضِي الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ (181) الْفَقِيهُ الْمُدْرَسُ الْحَنَفِيُّ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتٍّ مِئَةٍ، قَالَ : أُنشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ الْمَعْرِي النَّحْوِيُّ (182)، قَالَ : أُنشَدَنِي أَبُو مُوسَى لِنَفْسِهِ يَذْكُرُ فَضْلَ شَيْخٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا يُعْرَفُ بِأَبِي الْعَبَّاسِ الْفَقِيهِ (183) :

أَقُولُ قَوْلًا مَا لَهُ مُنْكَرُ إِلَّا أَمْرُ أَحْمَقٍ مُسْتَكْبِرُ
 إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ مِمَّنْ بِهِ يُسْتَنْزَلُ الرِّزْقُ وَيُسْتَمْطَرُ
 بَقِيَّةٌ مِنْ سَلَفِ صَالِحِ كَانَ كَمَا كَانُوا فَمَا يَكْدِرُ
 كُنْتُ - لَعْمَرِي - إِنْ جَرَى ذِكْرُهُ أَظُنُّهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَذْكُرُ
 وَالْيَوْمَ لَا أَرْتَابُ فِي فَضْلِهِ صَدَّقَ عِنْدِي الْخَبَرَ الْمَخْبَرُ
 جَالَسْتُ مِنْهُ الشَّمْسَ فِي قَدْرِهِ وَأَبْحَرًا فِي الْعِلْمِ لَا تُعْبَرُ
 هُمْ بَنُو الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ فِي الْعِلْمِ وَالتَّقْوَى فَلَمْ يَقْدِرُوا
 أَبْصَرَ مَا لَمْ يُبْصِرُوا بَعْدَمَا شَارَكَهُمْ فِي كُلِّ مَا أَبْصَرُوا

(5 : 458-461)

32 - عِيسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى

ابْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِيلِ الْحِمَيْرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ التَّائِكُرِيِّ

(181) هو المعروف بابن العديم وقد تقدّم ذكره.

(182) ترجمة ابن معطى في بغية الوعاة 2 : 344 وستأتي ترجمة ابن الشّعار له ضمن هذا المجموع (ص 158).

(183) أظنّ أنّه أبو العباس الفنجاري الصّوفي المعروف الذي أخذ بضيع الجزولي لما حلّ بالمرية. انظر ترجمة أبي العباس هذا في الذيل والتكملة 1 : 46-58 ورسالة صفى الدين : 57-59، وانظر حكايته مع الجزولي في «الفلاكة والمفلوكون» : 92.

أَبُو الرُّوح (184) وَتَأَكَّرْنَا مِنْ أَعْمَالِ قُرْطُبَةَ (185)؛ قَدِمَ إِرْبِلَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ لِلْإِسْتِجْدَاءِ، وَلَمْ أَكُنْ ذَلِكَ الْوَقْتُ مُقِيمًا بِهَا. كَتَبَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَكَانَ يَرْوِي شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَهُ عِنَايَةٌ بِحِفْظِهَا وَأَنْسَابِ قَائِلِيهَا، ثُمَّ سَافَرَ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ آمِدَ، فَلَمْ يَمَكُثْ بِهَا إِلَّا مُدَّةَ قَرِيبَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِأَرْزَنَ مِنْ دِيَارِ بَكْرِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ عَائِدًا مِنْ آمِدَ.

كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي الْبَدْرُ أَبُو الْوَفَاءِ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ابْنِ الْمُوصِلِيِّ الْكَاتِبُ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ، وَلَهُ أَشْعَارٌ أَنُشِدَنِي مِنْهَا الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي، قَالَ : أَنُشِدَنِي أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ لِنَفْسِهِ :

سَلَامٌ كَسَاعَاتِ التَّلَاقِي مِنَ الْهَوَى مَحَلًّا، وَأَيَّامِ الشَّبَابِ مِنَ الْعُمُرِ
أَخْصُرُ بِهِ مَعْنَى الْكَمَالِ وَشَخْصَهُ وَسَبَّاقَ غَايَاتِ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ
أَبَا الْبَرَكَاتِ الْأَلْمَعِيِّ الَّذِي غَدَا لَهُ شَرَفٌ يُرَبِّي عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ

وَأَنُشِدَنِي، قَالَ : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ :

يَا رَبِّ أَضْحِيَّةٍ سَوْدَاءَ حَالِكَةِ لَمْ تَرَعْ فِي الْبَيْدِ إِلَّا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
تَحَالَ بَاطِنَهَا فِي آلَوْنِ ظَاهِرَهَا فَهِيَ الْغَدَاةُ كَرْنُجِي إِذَا كَفَرَا

وَأَنُشِدَنِي قَالَ : أَنُشِدَنِي قَوْلُهُ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْهَوَى أَوْ مَا يَقْرُ بِكَ الزَّمَانَ قَرَارُ
الْكُلِّ ذِي وَجْهِ جَمِيلٍ حَنَّةً وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ

وَأَنُشِدَنِي، قَالَ : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ :

إِنْ أَوْدَعَ الطُّرْسَ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ أَبْدَى لِعَيْنَيْكَ أَزْهَارًا وَأَسْحَارَا

(184) له أيضا ترجمة في تاريخ إربل لابن المستوفي وهي موجودة ضمن هذا المجموع (ص 179) وقد نقل المقرئ جلها في نفع الطيب 2 : 606-609.

(185) ذكر ابن سعيد في المغرب (1 : 330) أن مدينة تآكرنا كانت مقبلة كورة رندة ثم خربت، وفي معجم البلدان والروض المعطار أنها كورة أو إقليم ومن مدن تآكرنا مدينة رندة. أما قول ابن الشعار إنها من أعمال قرطبة وقول ياقوت مرة أخرى إنها من أعمال شدونة، وقول الحميري إنها مضافة إلى أعمال استجة فإنها أقوال تقريبية.

وَأَنَّ يُهْدِّدَكَ فِيهِ أَوْ يَعِدُكَ كَرَمًا بَثَّ الْبَرِيَّةَ آجَالًا وَأَعْمَارًا
(474-473 : 5)

33 - الْفَتْحُ بْنُ مُوسَى بْنِ حَمَادٍ

أَبْنُ عَلِيٍّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ أَبُو نَصْرِ⁽¹⁸⁶⁾ الْأُمَوِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ مِنْ أَهْلِ
الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ أَصْلًا، وَمَوْلَدُهُ بِقَصْرِ كُتَامَةَ، بَيْنَ فَاسٍ وَسَلَا⁽¹⁸⁷⁾، فِي الثَّلَاثِ
عَشَرَ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ، كَذَلِكَ أَخْبَرَنِي مِنْ لَفْظِهِ.

فَقِيَّةٌ شَافِعِيٌّ الْمَذْهَبِ أُصُولِيٌّ عَالِمٌ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَنَظَرٌ فِي عِلْمِ
الْحِكْمَةِ، وَالْمَنْطِقِ، قَرَأَ الْمُقَدِّمَةَ الْجَزُوءِيَّةَ عَلَى مُصَنَّفِهَا قِرَاءَةً إِثْقَانٍ وَفَهْمٍ، وَنَظَّمَ
كِتَابَ الْمُفَصَّلِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الرَّمَحْشَرِيِّ أَرْجُوزَةً، وَعَمِلَ كِتَابَ الْإِشَارَاتِ لِأَبِي
عَلِيٍّ ابْنِ سَيْنَا شِعْرًا، وَنَظَّمَ كِتَابًا فِي الْعُرُوضِ لَطِيفًا، وَرَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَسَمِعَ بِهَا الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي الْفَضْلِ الدَّاهِرِيِّ
وغيره، نَزَلَ بِرَأْسِ عَيْنٍ، وَتَوَلَّى بِهَا تَدْرِيسَ الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ عَلَى الْفِرْقِ الْأَرْبَعِ،
ثُمَّ قُوِّضَ إِلَيْهِ أَمْرُ دِيَوَانِهَا. شَاهَدْتُهُ بِإِرْبِلَ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ
مِئَةٍ فِي صُحْبَةِ فَلَكٍ الدِّينِ أَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَسِيرِيِّ
الْمِصْرِيِّ⁽¹⁸⁸⁾، وَكَانَ حَبِيبٌ قَدْ وَرَدَهَا رَسُولًا. أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ إِرْبِلَ
وَيَصِفُهَا :

يَا إِرْبِلُ، مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةٌ خُصِّتْ بِأَكْرَمِ جِيرَةٍ وَقَرَارِ

(186) له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 348 وبغية الوعاة 2 : 262 وحسن المحاضرة
1 : 415، ويبدو أنه لا صلة له بالقاضي موسى بن حماد المعروف لأن هذا صنهاجي
والترجم هنا أموي.

(187) قد يصح هذا حسب مسلك ما، ولكننا نقول اليوم إن قصر كتامة أو القصر الكبير يقع
بين طنجة وفاس أو بين طنجة وسلا.

(188) ترجمته في الوافي بالوفيات 18 : 294-295 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

لَوْ لَمْ تَكُونِي جَنَّةَ الدُّنْيَا لَمَا كَانَ السَّرَاطُ إِلَيْكَ بَيْتَ النَّارِ (189)
سُلْطَانُهَا الْمَلِكُ الْمُعْظَمُ قَدْرُهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُعْظَمٍ جَبَّارٍ
يَكْفِيهِ عِنْدَ اللَّهِ — وَهِيَ عَظِيمَةٌ — تَعْظِيمُ مُؤَلِّدِ أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ
فَلْيَحْمَدَنَّ إِذَا التَّقَى بِمُحَمَّدٍ آثَارَ مَا أَوْلَاهُ مِنْ آثَارِ

وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ إِنْشَائِهِ، وَتَلَاهَا بِالْقَصِيدَةِ الدَّلَالِيَةِ يَمْدَحُ بِهَا الْقَاضِي زَيْنَ
الدِّينِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَسَدِيِّ الْحَلَبِيِّ (190) قَاضِي حَلَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.
وَذَلِكَ حِينَ أُنْفِذَ رَسُولًا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ رَحِمَهُ
اللَّهُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَشَفَ عَنِ الْأُمَّةِ ظُلْمَةَ الْغَمَّةِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مَا اسْتَفَاضَ
مِنْ سَوَائِغِ النَّعْمَةِ، وَسَوَائِغِ الطَّعْمَةِ، وَمَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلَالِ الْعِصْمَةِ، وَكَمَالِ
النَّعْمَةِ، وَظِلَالِ الرَّحْمَةِ، وَأَفَاءَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَمَانِي أَمَانِيهِ ظِلًّا ظَلِيلًا، وَخَلَقَ الْمَوْتَ
وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » وَقَضَى لِحَلْفِهِ أَجَلَيْنِ، أَجَلًا اخْتِارِيًّا مُسَمًّى
عِنْدَهُ، وَأَجَلًا مُسْتَفَادًا بِتَقْدِيرِهِ مُوَجَّلًا، فَأَمَاتَ وَأَخْيَى بِالْأَجَلَيْنِ الْاِخْتِارِي
وَالْمُسْتَفَادِ دَوْلًا وَحَوْلًا « سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِ، وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا » اخْتَرَمَ النَّفْسَ النَّفِيسَةَ الْمَلَكِيَّةَ الْعَزِيزَةَ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَتَوَرَّضَ بِرَحْمَتِهَا
لَأَجْلِهَا الْمَحْتُومِ، وَالْحَقَّ خَبَّرَهَا الْحَقِيقِيُّ الْمَوْجُودَ بِالْخَبَرِ الْمَجَازِيِّ لَا بَلْ بِخَبَرِ
الْمَعْدُومِ، وَكَأَنَّ تَصَوُّرَاتِ الْمَحْنِ وَتَصْدِيقَاتِ الْإِخْنِ تَلْبَسُ الْمَجْهُولَ بِالْمَعْلُومِ،
وَتَتَخَاذَلُ الْعَزَائِمُ الْإِنْسَانِيَّةُ، « وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا »، فَصَدَعَتِ الْعَزَائِمُ
الصَّاحِبِيَّةَ الْقَاضِيَّةَ الدِّينِيَّةَ الْأَسَدِيَّةَ عَنْ أَنْوَارِ الْهِدَايَةِ، وَسَطَعَتِ إِيَّاهُ آيَاتُهَا بِبَوَارِقِ
سَوَائِقِ الْحِمَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، وَأَشَارَتِ الْعِنَايَةَ الصَّرِيحَةَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنَ الْاِخْتِصَاصِ
بِاصْطِفَاءِ الْعِنَايَةِ، فَبَعَثَ رَسُولًا، كَرِيمًا كَفِيلًا بِسَعَادَتِهِ أَنْ يَبْلُغَ مَا شَاءَ أَمَلًا وَسَوْلًا،
فَنَهَضَ أَيْدُهُ اللَّهُ — بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ نُهوضًا وَاجِبًا، وَاتَّبَتْ أَسْبَابَ الْمَلِكِ الصَّلَاحِيِّ

(189) بيت النار : قرية كبيرة من قرى إربل من جهة الموصل، بينها وبين إربل ثمانية أميال، معجم البلدان.

(190) ترجمته في الوافي بالوفيات 17 : 246 وجاء فيها : « ونبل مقداره عند الملوك والسلاطين وعلاجه وارتفع شأنه وترسل إلى ملوك الشام ومصر مرّات » وانظر تعداد مصادر ترجمته في حاشية المحقق.

يَسْلُبِ مَوَاعِيهِ عَنْهُ فَكَانَ بِحُكْمِيهِ الْمُتَقَابِلَيْنِ مُوجِباً وَسَالِباً، وَأُسْفَرَ صَبَاحَ سِفَارَتِهِ عَنْ صَلَاحِ بَشَارَتِهِ وَتَجَاحَ رِسَالَتِهِ آتِياً وَذَاهِباً، ﴿فَقَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، وَبَعَثَنِي رَسُولاً، فَأَمَّنَ مَنْ سَبَقَتْ لَهُ الْحُسْنَى وَمَنْ رَأَى آيَاتِ صِدْقِهِ الْبَاهِرَةِ، وَصَفَتْ مَوَارِدُ سُعُودِ الرَّعَايَا بِتَسْخِيرِ اللَّهِ لَهُ مُلُوكاً قَبِلَتْ إِشَارَتَهُ وَامْتَثَلَتْ أَوْامِرَهُ، وَأُسْبَغَ اللَّهُ عَلَى الْكَافَّةِ بِحُسْنِ تَدْيِيرِهِ، وَحُسْنَى تَقْدِيرِهِ نِعْمَهُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَهَدَى بِهِ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾، فَالْفَ اللَّهُ بِهِ الْكَلِمَةَ عَلَى أَحْسَنِ نِظَامٍ وَاثْبَتَ أُسَاسٍ، وَاسْتَقَرَّ بِهِ أَمْرُ أُمْنِ الرَّعِيَّةِ وَتَمَزَّقَ عَنْهُمْ لِبَاسُ الْيَاسِ، وَكَفَلَ تَأْيِيدَ الْمَلِكِ وَتَأْيِيدَهُ فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، فَلِسَانُ حَالِ الْمُلُوكِ يَقُولُ وَكَفَى بِهِ قَائِلاً وَبِكَافِئِهِ كَفِيلاً.

وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ :

وَعَدَّ عَنْ فَصْدٍ مُقْصُودِي وَلَا تُعِدِّ
وَحُذِّ أَمَانُكَ عَنْ خَوْفٍ يَدَا يَبِيدِ
جَمَى كُلِّبٍ لِأَضْحَى فِي جَمَى الْأُسْدِي
بِهِ عَلَا أَمِدُّ أَرْبَى عَلَى أَمِدِّ
مُؤَسَّسَاتٍ مِنَ التَّقْوَى عَلَى عَمَدِ
أَنَافٍ فَوْقَ شَتَاخِيْبِ التُّهَى الْجُدِّ
فَتَنَجَّلِي الْحِكْمَ الْقُدْسِيَّةَ الْمَدِّ
فَكَمْ أَيَادٍ لَهُ عِنْدَ الْوَرَى وَيَدِ
فِي صَدْرِهَا فَانْتَنَتْ عَنْ ذَلِكَ الْأَوْدِ
لِلْخَلْقِ فِي صَبَبٍ مِنْ ذَلِكَ الصَّعْدِ
عَنِ الْعُقُولِ بِرَأْيِ صَائِبِ سَدِّ
فِي دَرِّ ضَرْعِ الْمُنَى كَالْوَقْرِ فِي الصُّدِّ
بِيضاً تَقْدُّ قُلُوبَ الْأُسْدِ فِي الرَّدِّ
فَارْسَلُوهُ لَهَا فِي طَالِعِ السُّعْدِ
فِيَمَا تُتَالُ بِهِ الْأُخْرَى عَلَى أَحَدِ

مَا شَيْتَ يَا ذَهْرُ فَاصْنَعْ غَيْرَ مُقْتَصِدِ
وَاسْتَجْلِبِ الْعُدْرَ عَنْ غَدْرِ وَقَيْتَ بِهِ
فَقَدْ خَلَلْتَ جَمَى لَوْ يَسْتَجِيرُ بِهِ
الصَّاحِبُ الصَّدْرُ زَيْنُ الدِّينِ مَنْ بَلَغَتْ
قَاضِي الْقَضَاةِ الَّذِي أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ
يَهْدِي عُقُولَ الْوَرَى مِنْ عَلَيْهِ عِلْمُ
تُضْيِءُ أَنْوَارُهُ مِنْ نَارِ فِكْرَتِهِ
وَتُسْتَقِلُّ أَيَادِيهِ، وَإِنْ كَثُرَتْ
صَدْرٌ أَقَامَ قَنَاءَ الْمُلِكِ مِنْ أَوْدِ
نَائِي الْمَحَلِّ تَرَاهُ مِنْ تَوَاضُعِهِ
سَدَّ الثُّغُورَ وَقَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُهَا
وَمَهَّدَ الْمُلُوكَ حَتَّى أَصْبَحَتْ حَلَبُ
مَضَى لِمِصْرَ، فَأَمَضَى مِنْ عَزَائِمِهِ
بَدَتْ لَهُمْ مُعْجَزَاتُ مِنْ مَنَاقِبِهِ
فَقَامَ بِالْحَقِّ لَا يُلَوِي مُتَاصِحَةً

فَأُمِنْتُ بِهُدَاهُ أُمَّةً سَبَقَتْ
فَاسْتَوْسَقَ الْمُلْكُ وَانْجَابَتْ بِهَمَّتِهِ
وَعَاشَ مَنْ كَانَ يَخْشَى الْمَوْتَ فِي حَلْبٍ
وَكَانَ أَكْبَرَ عِيدٍ يَوْمَ مَقْدَمِهِ
تَبَاشَرَ النَّاسُ فِي لُقْيَاهُ وَاحْتَشَدُوا
قُلُوبًا لِلْمُحَدَّثِ عَنْ أَخْبَارِ سُودِهِ
وَأَثَرُ عَلَى صَفَحَاتِ الدَّهْرِ مِنْ مَدْحِي
وَقَابِلِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ أَجْمَعَهُ
وَعَفْرِ الْوَجْهِ فِي نَادِيهِ إِنْ بِهِ
وَرَاجِعِ الْفِكْرِ وَارْجِعْ عَنْ مَهَائِتِهِ
تَلَحَّظْ جَلَالَ جَنَابٍ تَقْشَعُرُ لَهُ
وَهَمَّةٌ ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ
وَقَاضِيَا أُحْكِمْتَ أَحْكَامَهُ حِكْمًا
مُؤَيَّدًا حُكْمَ دِينِ اللَّهِ مُجْتَهِدًا
يَا ذَا الَّذِي صَبَّغَ مِنْ طَيْبٍ وَمِنْ زَبَدٍ
تَبَارَكَ اللَّهُ مَا أَوْلَاكَ مِنْ رَجُلٍ
كَمْ اجْتَهَدْنَا عَلَى غَيْبِ نُعِيدٍ بِهِ
لَفْظُ الْفَضِيلَةِ لَمْ تَوْضَعْ حَقِيقَتَهُ
وَحُلَّةُ الْمَجْدِ مُذْ أَلْبَسَتْهَا يَفْعًا
أُعِيدُ — يَا وَاحِدَ الدُّنْيَا وَصَاحِبَهَا —
وَنِلْتَ فِي قُرْتِي عَيْنِ الْفَضَائِلِ مَا
فَفِي الْكَمَالِ كَمَالٌ جَلَّ مُبْدِعُهُ
فَلِلَّهِ حَرَكَةٌ أَوْجَبَتْ سُكُونََ مَا انْتَرَعَجَ مِنَ الْخَوَاطِرِ، وَبَرَكَتُهُ رَدَّتْ سَحَابَ

لَهَا مِنَ اللَّهِ حُسْنَى الْفَوْزِ وَالرَّشْدِ
دُجَى الْخُطُوبِ وَدَامَ الْمُلْكُ لِلْأَبَدِ
وَمَاتَ أَعْدَاؤُهُ مِنْ شِدْقَةِ الْكَمْدِ
مُهْنًا بِالْمُنَى فِي التَّنْفِيسِ وَالْوَلَدِ
لَهُ بِأَجْمَلِ مَا يُلْقَى مِنَ الْحَشْدِ
حَدَّثَ حَدِيثًا صَحِيحًا عَالِي السِّنْدِ
فِيهِ بَدِيعُ نِظَامِ اللُّوْلُو الْبَدَدِ
مِنْهُ بِكَلِّي فَضْلٍ فِيهِ مُتَّحِدِ
مِسْكِي تَرَبَّ بِه يُشْفَى مِنَ الرَّمْدِ
حَسِيرَ طَرْفِكَ وَالْحَظَّ لَحَظَ مُتَّحِدِ
جُلُودُ كُلِّ عَظِيمِ الْجَاشِرِ وَالْجَلْدِ
عَنْ حَمَلِهَا وَسَطَا الصَّنَمَامَةِ الْفَرْدِ
جَلَّتْ فَأَجَلَّتْ ظِلَامُ الظُّلَمِ وَالْفَنْدِ
فِيهِ بِمَا يَرْتَضِيهِ كُلُّ مُجْتَهِدِ
وَعَفْرُهُ صَبَّغَ مِنْ طَيْبٍ وَمِنْ زَبَدٍ (191)
بِفَضْلٍ مَا خُزَّتْ مِنْ سَمْتٍ وَمِنْ رَشْدٍ
كَمَالٍ مَجْدِكَ مِنْ عَيْنٍ فَلَمْ تَجِدِ
إِلَّا عَلَيْكَ فَمَنْ يَنْقُلُهُ لَمْ يُفِدِ
سَاوَتْ غَلَكَ فَلَمْ تَقْصُصْ وَلَمْ تَزِدِ
فَضْلًا تُحْصِصَتْ بِهِ بِالْوَاحِدِ الصَّمْدِ
تَخْتَارُ مِنْ أَمَلٍ يَنْقَى مَدَى الْمُدِّ
وَفِي الْبَهَاءِ بَهَاءٌ غَيْرُ مُتَّقَدِ
فَلِلَّهِ حَرَكَةٌ أَوْجَبَتْ سُكُونََ مَا انْتَرَعَجَ مِنَ الْخَوَاطِرِ، وَبَرَكَتُهُ رَدَّتْ سَحَابَ

(191) لعله يقصد بالأول الطيب الذي يعتمر من السنور المعروف أما الثاني فهو القدي الذي يطفو فوق الماء.

الْفِتْنِ وَهِيَ قَوَاطِرُ مَوَاطِرُ، وَهَمَّةٌ أَسَدِيَّةٌ قَامَتْ مَقَامَ الْقَنَا وَالْقَنَابِلِ وَالْبَوَاتِكِ الْبَوَاتِرِ،
 حِينَ كَادَتْ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيْبًا مَهِيْلًا، فَعَلَبَ
 بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا أَرَادَهُ مِنْ إِصْلَاحِ الدَّوْلَةِ الصَّلَاحِيَّةِ وَكَانَ حِزْبُ اللَّهِ غَالِبًا،
 وَأَحْكَمَ مَا حَكَمَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ النَّصَائِحِ شَهِيدًا وَغَائِبًا، وَقَضَى لِلْغَائِبِ وَعَلَيْهِ
 قَضَاءٌ نَافِذًا وَاجِبًا، وَالْقَاضِي إِذَا قَضَى لِلْغَائِبِ وَعَلَيْهِ كَانَ قَضَاؤُهُ جَائِزًا مَقْبُولًا.

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ مُهْنًا الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ يَفْتَحُ دَمِيَاطَ مِنْ قَصِيْدَةٍ أَوَّلُهَا :
 اللَّهُ أَكْبَرُ هَذِي أَكْبَرُ الرُّتَبِ شَهِتَ لَهَا أَوْجُهُ الْأَوْنَانِ وَالصُّلْبِ
 وَخَصَّصَ الْحَقُّ وَانْجَابَتْ غِيَاهُهَا وَاجْتَثَ دَابِرُ أَهْلِ الشَّرِكِ وَالرَّيْبِ
 وَصَدَّقَتْ عَزَمَاتُ السَّيْفِ مَا كَتَبَتْ أَيْدِي الْغُيُوبِ مِنَ الْآيَاتِ فِي الْكُتُبِ
 كَادَتْ تَثُوبُ نَبِيَّ الْإِسْلَامِ نَائِبَةً مِنَ الْفَرْنَجِ فَكَادَتْهُمْ يَدُ الثُّوبِ
 مِنْ بَعْدِ مَا شَامَ أَهْلُ الشَّامِ قَاطِبَةً مِنْهُمْ بِمِصْرَ بَرْوَقِ الْأَيْنِ وَالْوَصْبِ
 وَغَادَرُوا ثَغَرَ دَمِيَاطَ وَبَرَزْخُهُ تَبْكِي عَلَيْهِ جُفُونَ الدِّينِ وَالْحَسَبِ
 طَمَتْ عَلَيْهِمْ بِحَارَ مِنْكَ زَاخِرَةٌ فَلَجَجَتْ بِهِمْ فِي لُجَّةِ الْعَطَبِ
 غَضِبْتَ لِلَّهِ يَا مُوسَى، وَمَا عَلِمُوا بِأَنَّ رِضْوَانَهُ فِي ذَلِكَ الْعَضَبِ
 وَأَجَجَتْ يَدُكَ الْبَيْضَاءُ بَيْنَهُمْ تَارًا، فَكَانُوا لَهَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَطَبِ
 هُمْ الْفَرَّاشُ، فَمَهُمَا أَلْهَبَتْ لَهَا أَنْوَارُهَا سَقَطُوا فِي ذَلِكَ اللَّهَبِ
 يَا لِلْعَجَائِبِ، عَيْسَى، وَهُوَ عِنْدَهُمْ رَبٌّ دَعَاهُمْ إِلَى التَّقْوَى، فَلَمْ يُجِبِ
 وَلَمْ يَزَلْ - وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ - يُنْذِرُهُمْ آيَاتِ مُوسَى، وَمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَبِ
 فَجَاءَ عَيْسَى رَسُولًا مِنْ مُحَمَّدِهِ إِلَى أَبِي الْفَتْحِ مُوسَى الْبَطْشِ وَالرَّهَبِ
 عَلِمًا بِأَنَّ يَدَ الْبَيْضَاءِ مَا بَرَحَتْ تُبْذِرُ لِمُوسَى لِدَمِيَاطَ عَلَى قَدْرِ
 فَجَاءَ مُوسَى لِدَمِيَاطَ عَلَى قَدْرِ وَحَالَ مَا بَيْنَ دَمِيَاطَ وَبَيْنَهُمْ
 بِكُلِّ قَلْبٍ كَانَ السُّمَرُ أَضْلَعُهُ لَمْ يَهْفُ قَلْبٌ لَهُ يَوْمًا وَلَمْ يَجِبِ
 فَجَاءَ فِرْعَوْنُ عَكًّا خَائِفًا وَجَلًّا يَنْغِي أَمَانًا يُنَجِّيهُمْ مِنَ الرُّعْبِ
 مُسْتَيْقِيزِينَ بِأَنَّ اللَّهَ نَحَاذِلُهُمْ وَأَنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلْسَّيْفِ وَالْهَرَبِ

وَأَيْنَ يَهْرُبُ مِنْ مُوسَى وَفِي يَدِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَخِيلَ اللَّهُ فِي الطَّلَبِ (192)
فَسَلَّمُوها، وَمَا جَادُوا بِها كَرَمًا لَكِنَّهُمْ قَدُوا الْمَسْلُوبَ بِالسَّلَبِ
(5 : 509-517)

34 — أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ

ابْنُ عَطِيَّةَ (193) الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ. حَدَّثَنِي شَيْخُ الشُّيُوخِ ابْنُ حَمُوَيْه، قَالَ : أَبُو الْقَاسِمِ هَذَا كَانَ كَاتِباً لِلشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عُمَرَ (194)، وَكَانَ أَحَدَ أَشْيَاخِ الْمُوحِّدِينَ وَأَرْكَانَ دَوْلَتِهِمْ رَأَيْتُهُ بِمُرَّاكُشَ وَهُوَ يَتَوَلَّى أَكْثَرَ أُمُورِهِ، وَإِلَيْهِ التَّرْسُلُ وَالْإِنْشَاءُ فِي كِتَابَةِ رِقَاعِهِ وَدَرَجِهِ، وَوَلَايَةِ نَفَقَاتِ دَخْلِهِ وَخُرْجِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَوَلِي عَلَى أَمْرِهِ، وَالْمُسْتَوْدَعُ لِسِرِّهِ، وَلَهُ كِتَابَةٌ حَسَنَةٌ، وَرَسَائِلُ وَجِيزَةٌ، وَأَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ.

وَكَانَ مِنْ ذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْهَيَّاتِ، وَمِنْ الْمُسَارِعِينَ إِلَى إِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَكَانَ وَالِدُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَزِيرُ آلِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ نَهَضَ بِأَعْبَاءِ الدَّوْلَةِ فِي مَبَادِيهَا، وَأَحْكَمَ قَوَاعِدَهَا وَمَبَانِيهَا، وَلَهُ الْكُتُبُ الْبَلِيغَةُ فِي الْجَمْعِ وَالتَّالِيفِ وَالْإِحْتِجَاجِ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ وَالْإِدْحَاضِ لِلدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ، وَالْمُبَالَغَاتِ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالْإِقْتِدَارِ التَّامِّ فِي حُسْنِ التَّدْبِيرِ، وَعَلَى التَّجْعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ. وَأَمَّا وَلَدُهُ هَذَا فَهُوَ مُتَوَسِّطٌ فِي فَنِّهِ مُوَافِقٌ طَبَقَةً سِنِّهِ، وَكَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بِمُرَّاكُشَ مُجَاوَرَةً، وَمُزَاوَرَةً وَمُحَاوَرَةً، ثُمَّ قَالَ : وَأُنْشِدُنِي يَوْماً لِنَفْسِيهِ، وَقَدْ جَرَتْ مُفَاوَضَةٌ

(192) هذا من قول الشاعر الأندلسي الأصم المرواني :

أَيْنَ الْمَفْرُوعِ خَيْلَ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ

وقصيدة الأصم وقصيدة هذا الشاعر كلتاهما في معارضة بائنة أبي تمام المشهورة.

(193) هو ولد الكاتب أبي جعفر ابن عطية وزير عبد المؤمن، وحياته ونهايته وأخباره معروفة.

(194) هو الذي ولّاه الناصر الموحدي على إفريقية ثم استبد بها وآل الأمر إلى قيام الدولة الحفصية في عهد ولده أبي زكرياء.

فِي اخْتِيَارِ الْعُزْلَةِ وَالْحُمُولِ وَإِثَارِ الْاِنْزَوَاءِ، فَقَالَ :
تُنَازِعُنِي النَّفْسُ اَعْلَى الْأُمُورِ وَلَيْسَ مِنَ الْعَجَزِ لَأَ أُنْشَطُ
وَلَكِنْ بِمِقْدَارِ قُرْبِ الْمَكَانِ تَكُونُ سَلَامَةٌ مَنْ يَسْقُطُ (195)
(5 : 625)

35 — لَوْلُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو سَعِيدٍ

الرُّومِيُّ (196) الصَّيَّادُ، كَانَ أَصْلُهُ قَرْنَجِيًّا، وَكَانَتْ حِرْفَتُهُ صَيْدَ السَّمَكِ،
وَشَكْلُهُ شَكْلُ الْمَغَارِيَّةِ، وَكَانَ مَوْلَى لَابِنِ مُنْقِذِ الْاسْكَندَرِيِّ التَّاجِرِ وَعَتِيقِهِ، اشْتَغَلَ
بِطَرْفٍ مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَخَذَ مِنْهُ قَدْرًا يَسِيرًا لِتَصْحِيحِ طَبْعِهِ فِي النِّظَمِ، وَكَانَتْ
لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي صَنْعَةِ الْمُوشَّحَاتِ وَإِنْشَاءِ الشُّعْرِ، وَصَنَعَ مَقَامَاتٍ، وَرُبَّمَا امْتَدَحَ
بِشِعْرِهِ، وَارْتَرَقَ. وَلَهُ طَبْعٌ يُعِينُهُ عَلَى الْإِنْشَاءِ لَا غَيْرَ.

وَنُدِبَ إِلَى أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوَادِ الْبَحْرِ فَاِمْتَنَعَ. أَثْنَدَنِي أَبُو الْمُظَفَّرِ مَنْصُورُ بْنُ
سَلَمٍ بْنُ مَنْصُورِ الْاسْكَندَرِيِّ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ،
قَالَ : أَثْنَدَنِي لَوْلُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ، وَهِيَ أَيْبَاتٌ خَالِيَةٌ مِنَ النَّقِطِ :

أَطْلَعَ طُلُوعَ هِلَالِكَ	وَاصْعَدَ سَمَاءَ كَمَالِكَ
وَلُحَّ كَمَا لَأَحَ سَعْدُ	عَلَى الْعَلَاءِ لِحَالِكَ
وَحُلَّ وَسَطَ مَحَلِّ	مَدَاهُ مَهْلُ طَوَالِكَ
لَكَ الْمَكَارِمُ سَعْدًا	لِوَالِهِ الصُّدْرِ هَالِكَ
دَعَاهُ مَطْلُكَ دَهْرًا	وَمَا دَعَا لِمِطَالِكَ
وَهَلَّ وَصَالِكَ إِلَّا	أَهْلًا لِأَهْلٍ وَصَالِكَ
كَمَا صُدُودُكَ مُرٌّ	مُحَرَّمٌ لِحَالِكَ

(6 : 19)

(195) هذا من المثل : على قدر السمو في الرفة، تكون وجبة الوقعة.

(196) يبدو مما سيذكره بعد أنه عاش في بداية حياته ببلاد المغرب.

36 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ

ابن مُحَمَّدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَبُو الْحُسَيْنِ الْكِنَانِيُّ الْبَلَنْسِيُّ (197) الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ، وَزَرَ لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرِ أَبِي سَعِيدِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (198).

وَكَانَ شَاعِعاً مُجِيداً عَالِماً بَلِيغاً ذَا أَدَبٍ كَثِيرٍ وَفَضْلٍ شَهِيرٍ، لَهُ قَصَائِدُ مُسَمَّطَةٌ، وَرِسَائِلُ مُدَوَّنَةٌ، وَشِعْرٌ فَصِيحٌ، وَتَرْسُلٌ مَلِيحٌ، وَمَوْشَحَاتٌ بَارِعَةٌ، وَكِتَابَةٌ رَائِعَةٌ. رَحَلَ إِلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَسَكَنَهَا إِلَى أَنْ تُوْفِيَ بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ سَلَخَ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مِئَةٍ.

أُتِّدِنِي الْفَقِيهُ أَبُو مُوسَى عَيْسَى بْنُ سَلَامَةَ الْإِسْكَندَرِيُّ الْمُقْرِيءُ بِإِزِيلَ سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أُتِّدِنِي الْوَزِيرُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ فِي الْحُجَّاجِ :

يَا وَفُودَ اللَّهِ، فُرْتُكُمْ بِالْمُنَى	فَهَيْئاً لَكُمْ أَهْلَ مَنَى
قَدْ عَرَفْنَا عَرَفَاتٍ مَعَكُمْ	فَلِهَذَا بَرَّحَ الشَّوْقُ بِنَا
نَحْنُ بِالْمَغْرِبِ نُجْرِي ذِكْرَكُمْ	فَعُروْبُ الدَّمْعِ تُجْرِي هُنَّا
أَنْتُمْ الْأَحْبَابُ نَشْكُو بُعْدَكُمْ	هَلْ شَكَوْتُمْ بُعْدَنَا مِنْ بَعْدِنَا
عَلَّنَا نَلْقَى خَيْالاً مِنْكُمْ	بَلَدِيذِ الشَّوْقِ وَهَنَا عَلَّنَا
لَا حَ بَرَقَ مَوْهِناً مِنْ أَرْضِكُمْ	فَلَعَمْرِي، مَا هَنَا الْعَيْشُ هُنَا
صَدَعَ اللَّيْلُ وَمِيضاً وَسَناً	فَأَيُّنَا أَنْ نَذُوقَ الْوَسَنَا
كَمْ جَنَى الشَّوْقُ عَلَيْنَا مِنْ أَسَى	عَادَ فِي مَرْضَاتِكُمْ حُلُو الْجَنَا
وَلَكَمْ بِالْخَيْفِ مِنْ قَلْبٍ شَجِ	لَمْ يَزَلْ خَوْفَ التَّوَى يَشْكُو الضَّنَا
مَا ارْتَضَى جَانِحَةَ الصَّدْرِ لَهُ	سَكَناً مُنْذُ بِهِ قَدْ سَكَنَا
فَتَنَادِيهِ عَلَى شَحْطِ التَّوَى	مَنْ لَنَا يَوْماً بِقَلْبٍ مَنْ لَنَا

(197) ترجمة ابن جبير مطولة في الذيل والتكملة 5 : 595-621 وفي حاشية التحقيق ذكر لمصادر متعددة.

(198) كان والياً على غرناطة وأخباره في المن بالإمامة والبيان العرب وغيرهما.

سِرُّ بِنَا يَا حَادِي الْعِيسَى عَسَى أَنْ نُلَاقِي يَوْمَ جَمْعِ سِرِّ بِنَا
مَا عَنَى دَاعِي التَّوَى لَمَّا دَعَا غَيْرَ صَبٍّ شَقُّهُ بَرَحُ الْعَنَّا
سِمٌ لَنَا الْبَرَقُ إِذَا هَبَّ، وَقُلْ جَمَعَ اللَّهُ بِجَمْعِ شَمَلْنَا (199)

وَأُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَاضِلُ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الدَّمَشْقِيُّ
الْقُرْطُبِيُّ بِدَمَشَقٍ أُنْشَدَنِي الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنُ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ :
أَرَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ عَلَى اغْتِرَارٍ وَمَا لَكَ بِالْإِنَابَةِ مِنْ بَدَارٍ
وَتَطْمَعُ فِي الْبَقَاءِ وَكَيْفَ تَبْقَى وَمَا الدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا بِدَارٍ
وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

سَيْلُ الْمَرْءِ تَبْصِيرَةٌ وَذِكْرَى إِذَا مَا أَبْيَضَ فَوْدَاهُ وَشَابَا
وَمَا يُرْجَى لِتَوْبَتِهِ قَبُولٌ إِذَا مَرَجَ الرِّيَاءَ بِهَا وَشَابَا

وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَيْهَقِيُّ بِمَخْرُوسَةِ
حَلَبَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بِمَسْجِدِهِ بِحَارَةِ رُوبَةِ (200) لِنَفْسِهِ :
يَا زَائِرًا، لَمْ يَقْضِ أَنْ أَلْقَاهُ دَهْرٌ يَعُوقُ عَنِ الَّذِي أَهْوَاهُ
ضَنَّ الزَّمَانُ، وَقَدْ سَمَحْتَ فَلَمْ يَكُنْ مَنْ زُرْتُهُ لِلْحَيْنِ فِي مَعْنَاهُ
يَا وَيْحَهُ لِعَظِيمِ أُنْسٍ فَائَهُ إِنْ لَمْ يَذُبْ كَمَدًا فَمَا أَقْسَاهُ
لَمَّا وَجَدْتُ فَنَاءَ دَارِي عَاطِرًا أَتَقَنْتُ أَنَّكَ قَدْ وَطِئْتَ ثَرَاهُ
وَطَلَبْتُ لِلتَّقْبِيلِ فِيهِ مَوْضِعًا فَإِذَا الْحَيَا الْمُنْهَلُ قَدْ عَفَاهُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَثَرِ لَوْطُفِكَ فِي الثَّرَى فَجَعَلْتُ الْثُمَّ حَيْثُ نَمَّ شَدَاهُ
حَتَّى الْقَمَامُ يَعُوقُ عَمَّا أُبْتَغَى يَا مَا أَكَابِدُهُ، وَمَا أَلْقَاهُ
وَأُنْشَدَنِي الشَّيْخُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيُّ

(199) القصيدة بتامها في الذيل والتكملة 5 : 614 وتوجد أبيات منها في المغرب 2 : 385
ومقدمة الرحلة : 18 ونفع الطيب 2 : 486 وجمع في آخر القصيدة هو المزدلفة.
(200) لست أدري هل هذا المسجد والحارة معروفين اليوم أم لا.

الدَّمَشَقِيُّ بِهَا سَنَةٌ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، قَالَ : أَنُشَدَنِي الْوَزِيرُ الْأَجَلُ الْعَالِمُ أَبُو
الْحُسَيْنِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُبَيْرٍ لِنَفْسِهِ بِدِمَشَقَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ
مِئَةٍ :

صَحِبْتُ الزَّمَانَ وَقَابَلْتُهُ بِصَبْرِ جَمِيلٍ إِذَا الْخَطْبُ نَابَا

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَقْصِرْ عَنِ الْعَيِّ كَمْ ذَا تُدْعَى لِرُشْدٍ وَتَأْبَى

لَا يَسْلَمُ الْعَبْدُ إِلَّا إِنْ اسْتَقَامَ وَتَابَا

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

قُلْ إِذَا جِئْتَ مَجْلِسًا وَسَمِعْتَ الْمُرَاحَ: مَهْ

أَجْتَنِبْ كُلَّ مَوْرِدٍ فِيهِ تَلْقَى الْمُرَاحِمَهْ

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لَهُ :

خَلَعْتَ الْعِدَارَ بِشَيْبِ الْعِدَارِ فَمَا يُقْبَلُ الْيَوْمَ مِنْكَ اغْتِدَارُ

وَقَالُوا: الْمَشِيبُ وَقَارُ الْفَتَى وَهَذَا الْمَشِيبُ، فَأَيْنَ الْوَقَارُ؟

جَلَا صَبْحُهُ عَنْكَ لَيْلِ الشُّبَابِ فَشَمْسُكَ مُؤَذِّنَةٌ بِاصْفِرَارِ

أَرَاكَ صَحِبْتَ حَيَاةَ الْغُرُورِ وَتَسْحَبُ جَهْلًا ذُيُولَ اغْتِرَارِ

أَلَسْتَ تَرَى كَدْرًا صَفْوَهَا وَنَجْمُكَ قَدْ مَالَ يَبْغِي انْكِدَارِ

وَكَيْفَ تَنَامُ عَلَى غِرَّةٍ وَسَيْفُ الْمَنِيَّةِ مَاضِي الْغِرَارِ

فَلَوْ كُنْتَ تَحْذَرُ صَرَفَ الرَّدَى إِذَا لَتَفَى النَّوْمُ عَنْكَ الْجِدَارِ

عَبَرْتَ مَرَاجِلَ غُمْرِ الْأَشَدِّ وَلَسْتُ أَرَى لَكَ فِيهَا اغْتِبَارِ

وَجُرْتَ بِهَا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى ضَلَالًا، وَتَرْجُو غَدًا أَنْ تُجَارِ

أَتَاكَ الرَّحِيلُ فَشَمَّرَ لَهُ فَأَمَّا إِلَى جَنَّةٍ أَوْ لِنَارِ

وَكَيْفَ تَقْرُ بِدُنْيَاكَ غِنَاءً وَلَمْ تُذِرْ أَيْنَ يَكُونُ الْقَرَارِ

وَأُنشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ :

بَنِي الْإِسْلَامَ جَدُّوا فِي الْجِهَادِ بِسُمْرِ الْخَطِّ وَالْبَيْضِ الْجِدَادِ

وَيَبْعُوهَا قَرُبُكُمْ اشْتَرَاهَا نَفُوسًا تَرْبُحُوهَا فِي الْمَعَادِ

عَدُّوْكُمْ بِمَعْرِكُمْ مُقِيْمٌ لِيَسْتَوِلِيَ عَلَى مُلْكِ الْبِلَادِ
وَيَبِيْتُ الْقُدْسَ يَفْرُقُ كُلَّ يَوْمٍ جَذَاراً أَنْ يَعُوْدَ إِلَى الْأَعَادِي
وَيَدِينُ اللَّهَ يُلْحِظُهُ آغْتِيَاظاً بِجَفَنِ قَدْ تَكَحَّلَ بِالسُّهَادِ
فَسَلُّوا الْمَشْرِفِيَّةَ وَاسْتَقْفِلُوا بِهَا فَوْقَ الْمُسَوِّمَةِ الْجِيَادِ
فَلَيْسَ يَفُوزُ بِالْحُسْنَى سِوَى مَنْ تَدَّرَعَ بِالْجَلَادَةِ لِلْجِلَادِ

وَمِنْ ثَنَرِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى الشَّامِ مُتَشَوِّقاً شَيْخُ الشُّيُوخِ ابْنُ حَمُوِيهِ⁽²⁰¹⁾ جَوَابَ
كِتَابِ صَدَرَ مِنْهُ إِلَيْهِ : «صَدَرَتِ الْمُخَاطَبَةُ الْعَزِيْزَةُ الْعَلَائِيَّةُ حَرَسَ اللَّهُ سَنَاءَهُ
وَسَنَاءَهُ، وَيَسَّرَ لَهُ كُلَّ أَمَلٍ وَسَنَاءَهُ، وَعَرَفَهُ بَعْدَ طُولِ الْعُمُرِ حُسْنَ خَوَاتِمِ مَسْعَاهُ
بِمَا يَصْدُرُ عَنْ مِثْلِهِ، وَيَضِيْقُ بِفَضْلِهِ، وَالْفَضْلُ لَا يُنْكَرُ عَلَى أَهْلِهِ. وَعَلِمَ اللَّهُ أَنِّي
إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ، وَكَيْفَ لَا وَمَنْ ذَاقَ طِيبَ شَيْمِهِ الْكَرِيْمَةِ لَمْ يَشْبَعْ مِنْ ذَوَاقِ،
وَحَصَلَ مِنْ مَحَبَّتِهِ^(201م) وَيُثْقِيهِ، وَمِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ يَقِيهِ، وَإِلَى كُلِّ مَعْلُوَةٍ يَرْقِيهِ».

وَكَتَبَ إِلَيْهِ شَافِعاً فِي رَجُلٍ مِنْ فُقَرَاءِ أَهْلِ بَلَدِهِ أَنْ يَنْزِلَ فِي مَوْضِعٍ يَرْتَقُ
مِنْهُ، وَقَدْ كَانَ يُكْرِّرُ الْقَوْلَ فِيهِ : «كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ وَعَدَهُ الْكَرِيمُ لِلشَّيْخِ الصَّالِحِ
فُلَانٍ أَنْ يَنْزِلَ مَعَ الصُّوفِيَّةِ نَفَعَ اللَّهُ بِبِرْكِهِمْ أَوْ يُرْتَّبَ لَهُ إِمَامَةُ مَسْجِدٍ فِي هَذَا
الشَّهْرِ الشَّرِيفِ، فَإِنْ كَانَ قَدْ تَيْسَّرَ ذَلِكَ فَهُوَ يَسْأَلُ إِنْجَازَهُ، وَإِنْ تَعَسَّرَ ذَلِكَ
لِسُوءِ حَظِّهِ فَلَيْسَ لَهُ سِوَى بَابِهِ الْمَقْصُودِ، وَلَا يَرُدُّ عِنْدَ ظَمَمِهِ سِوَى بَحْرِ كَرَمِهِ
الْمُورُودِ، فَقَدْ أَسْمَعَ لِسَانَ الْحَالِ عَنْهُ أَدَامَ اللَّهُ سُودَدَهُ :

إِلَيْنَا اقْصِدُوا يَا مَعْشَرَ الرُّكْبِ إِنَّا نَرَى الْعَارَ أَنْ تُمَسِّيَ بِغَيْرِ وَفُودِ

وَهَذِهِ لَيَالٍ عَظَّمَ اللَّهُ بَرَكَاتِهَا عَلَيْهِ، وَسَاقَ أَجَرَ الدَّاعِينَ فِيهَا إِلَيْهِ. [وَهُوَ] لَا
يَحْتَمِلُ الصَّبْرَ عَلَى أَفْرَاطِ الضَّرُورَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَاللَّوَاظِمِ الْجُثْمَانِيَّةِ، سَيِّمًا مَعَ الْعِيَالِ،
وَقَرِطِ الْأَقْلَالِ، وَمَا كَتَبَتْهَا إِلَّا وَقَدْ تَحَقَّقَتْ أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى حَالَةٍ لَا يَسْتَطِيعُ مَعَهَا

(201) لعلّه تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر السرخسي الذي زار المغرب ووصف رحلته
ومقامه فيه، انظر نفع الطب 3 : 99 وما بعدها.

(201م) هكذا في الأصل وثمة نقص ناتج عن قفز سطر أو نحوه.

صَبْرًا، وَتَمَسَّكَ بِذَيْلِ الْمَرَاحِمِ الشَّيْخِيَّةِ وَقَدْ طَفِقَ لِسَانُهُ يَقْرَأُ : ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.

قَالَ الشَّيْخُ : وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا مِنَ الْاسْكَنْدَرِيَّةِ مُتَشَوِّقًا وَشَافِعًا : «وَمَقْصُودِي ذِكْرُ فَضْلِهِ وَنَشْرُ ذِكْرِهِ لَا وَصْفُ مَا وَصَفَنِي ثَنَاءً عَلَى حُسْنِ ظَنِّهِ لَا عَلَى صِفَةِ حَالِ (?)» صَدَّرَهَا بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَهِيَ لَهُ :

سَلَامٌ كَأَزْهَارِ الرَّبِيعِ نَضَارَةً وَحُسْنًا عَلَى شَيْخِ الشُّبُوحِ الَّذِي صَفَا وَلَوْ لَمْ يَعْنِنِي الْعُذْرُ عَنْ قَصْدِ رَبْعِهِ سَعَيْتُ كَمَا يَسْعَى الْمُلْبِّي إِلَى الصَّفَا وَلَكِنْ عَدَانِي عَنْهُ دَهْرٌ مُكَدَّرٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي وَاتَّاهُ فِي دَهْرِهِ الصَّفَا

أُصْدَرْتُ هَذِهِ اللَّمْعَةُ وَالشُّوقُ إِلَى خِدْمَتِهِ مُسْتَعِيرُ اللَّهَبِ، وَأُدْعِيَتِي فِي ضَمْنِ ذَلِكَ مُتَابَعَةُ الْأَوْرَادِ وَالتُّوبِ، وَلَسْتُ أَرَى الْإِغْرَاقَ، فِي إِبْضَاحِ وَلَايِي الَّذِي رَاقٍ، لِتَحَقُّقِي إِحَاطَةَ الْمَعْرِفَةِ الْكَرِيمَةِ بِعَقَائِدِ أَوْلِي الْوِفَاقِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُوَفِّقِي لِشُكْرِ مَا مَنَحْتُهُ مِنْ جَمِيلٍ وَلَايِهِ وَوَدَادِهِ الَّذِينَ خُلُصًا لِي بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ، وَهَذِهِ التَّجِيَّةُ تَصِلُ عَلَى يَدِ فُلَانٍ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِي وَأَجْلَائِي، وَوَلَاؤُهُ لِلشَّيْخِ السَّيِّدِ فُلَانٍ كَوَلَائِي، وَمَا فَتِيَءٌ مُنْذُ خَصَّنِي بِاجْتِلَاءِ مَحَاسِنِهِ الْبَاهِرَةِ، وَاجْتِبَارِ أَخْلَاقِهِ الطَّاهِرَةِ، مِنْ قِلَادَةِ صُحُفِ الثَّنَاءِ الْمُحَبَّرِ، وَالْإِطْنَابِ فِيمَا بَرَزَ فِيهِ عَلَى مَا دَحِ كَتَبَ وَعَبَّرَ، وَقَدْ قَصَدَ الْخِدْمَةَ وَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُ، وَأَخْطَنِي الْأَيَّامُ بِمَا أُحْظَتْ مَرَأَهُ وَمَسْمَعُهُ.

عَلَى أُنْبِي وَإِنْ كُنْتُ غَاطِيًا، فَلَسْتُ مِنْ دَرَكِ الْأَمَلِ قَانِطًا :
فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ بَعْدَمَا يَظُنَّانِ كُلُّ الظَّنِّ إِلَّا تَلَاقِيَا
وَقَدْ قَصَدَ ذَلِكَ الرَّبِّيعَ الْمَعْمُورَ، وَالرُّبَاطَ الَّذِي هُوَ قِبْلَةُ الْمَجْدِ الْمَشْهُورِ،
وَكَفَلْتُ لَهُ عَنِ السِّيَادَةِ بَانَ يُتَلَقَّى بِالْتَرَحُّيبِ وَالتَّأْهِيلِ، وَيُمَدُّ بِالسَّاعِدَةِ الْمُفْضِيَةِ
بِهِ إِلَى دَرَكِ التَّأْمِيلِ.

(6 : 125-133)

37 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَلِيمَانَ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيُّ⁽²⁰²⁾ الْأَنْدَلُسِيُّ مِنْ أَهْلِ إِسْبِيلِيَّةَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الدِّبْيِيُّ⁽²⁰³⁾ فِي مُذَلِّهِ : «قَدِمَ الزُّهْرِيُّ [بَعْدَادَ] صَادِرًا عَنْ مَكَّةَ فِي سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ، وَأَقَامَ بِهَا مُدَّةً، وَسَمِعَ مِنْ شُيُوخِ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَأَبِي الْقَاسِمِ خَالِدِ بْنِ كَامِلِ الْخَفَّافِ وَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ الصَّابُونِيِّ وَأَبِي الرُّضَى أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرٍ وَأَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ كُلَيْبٍ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ الْمَهْدِيِّ، وَأَبِي الْغَنَائِمِ ابْنِ الْمُهْتَدِيِّ، وَأَبِي طَالِبِ ابْنِ يَوْسَفَ، وَأَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ الْحُصَيْنِ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَسَمِعَ مِنْهُ الْكَثِيرَ، وَمِنَّا، وَكَانَ فِيهِ فَضْلٌ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْأَدَبِ، وَيَقُولُ الشُّعْرَ، وَسَافَرَ عَنْ بَعْدَادَ، وَأَقَامَ بِأَصْبَهَانَ مُدَّةً وَسَمِعَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ، وَمَنْ بَعْدَهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْكَرَجِ، وَاسْتَوَظَنَهَا، فَهِيَ الْيَوْمَ مَقَرُّ لَهُ، وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ وَسَمِعَ مِنْهُ أَهْلُ الْبَلَدِ وَمَنْ وَرَدَ إِلَيْهِ.

كَانَ رَجُلًا فَاضِلًا، وَسَمِعَ وَكُتِبَ بِحُطِّهِ الْكَثِيرَ، وَحَصَلَ فِي بِلَادِ الْجَبَلِ وَاسْتَوَظَنَ بَرْوَجَرْدَ⁽²⁰⁴⁾، وَتَأَهَّلَ بِهَا، وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ فِي الْأَدَبِ مِنْهَا كِتَابُ (شَرْحِ الْإِيضَاحِ) لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ وَكِتَابُ : (شَرْحِ الْيَمِينِ) لِأَبِي النَّضْرِ الْعَتَبِيِّ⁽²⁰⁵⁾ وَكِتَابُ فِي الْبَلَاغَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، وَأَقَامَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ دَخَلَ الشَّرُّ

(202) ترجم له أيضا ابن الديبشي في تذييله 2 : 242 وابن المستوفي في تاريخ إربل (ص 171 من هذا المجموع) وابن عبد الملك في الذيل والتكملة 5 : 644-645 والصفدي في الوافي بالوفيات 2 : 104 والقفطي في المحدثون من الشعراء : 336-359 والسيوطي في بغية الوعاة.

(203) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد مصنف الكتاب الذي جعله ذيلًا على تاريخ ابن السمعاني وهو من ذبيل تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 394-395 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر ترجمته.

(204) بلدة بين همدان والكرج، انظر فيها معجم البلدان.

(205) هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي وكتابه «اليمين» في سيرة يمين الدولة محمود بن سبكتكين. انظر الوافي بالوفيات 3 : 215 والوفيات 5 : 179.

— لَعَنَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى — الْبِلَادَ فَفَتَلَوْهُ فِي جُمْلَةٍ مَنْ قَتَلُوا، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ.

أَتَشَدَّنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْوَاسِطِيُّ (206)، قَالَ : كَتَبْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الزُّهْرِيِّ حِينَ قَدِمَ إِلَى بَغْدَادَ بِهَذِهِ الْأُيُوتِ :

إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ فَحَيْهَلَا بِالْحَافِظِ الْعَالِمِ الزُّهْرِيِّ
فَتَنِي جَمَعَ الْأَدَابِ وَالنُّسْكِ وَالتَّقَى وَفَاقَ بَنِي الْأَيَّامِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
وَأَتَقَنَ عِلْمَ النَّقْلِ عَنْ كُلِّ حَافِظٍ وَأَسْنَدَ مَا يَرْوِيهِ عَنْ ثِقَةٍ حَبِيرٍ
لَقَدْ شَرُفَتْ بَغْدَادُ إِذْ حَلَّ أَرْضَهَا وَتَاهَتْ بِهِ فَخْرًا عَلَى الْأَنْجُمِ الزُّهْرِيِّ
وَزَادَ بِهِ فَخْرًا فَتَنِي ظِلُّ حِدْنِهِ وَلَاذَ بِهِ يَوْمًا، وَإِنْ قَلَّ فِي الدَّهْرِ

قَالَ : وَكَتَبَ إِلَيَّ عَلَى هَذِهِ الْأُيُوتِ جَوَابًا عَلَى وَزْنِهَا وَقَافِيَتِهَا :
أَيَا فَاضِلًا فَوْقَ السَّمَائِينَ قَدْرُهُ إِذَا عُدَّ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ وَالْخَيْرِ
أَتَتْنِي مِنْ أَبْكَارِ فِكْرِكَ خُحْرَدُ مَتَى ضَلَّ سَارٍ فِي الدُّجَى فِيهَا يَسْرِي
نَظَّمْتُ بِهَا الدَّرَّ النَّثِيرَ فَاصْصَبَحْتُ لَهَا قِيَمَةً أَعْلَى وَأَعْلَى مِنَ الدَّرِّ
فَأُتِّتَ إِمَامٌ لِلْجَمِيعِ مُبَرَّرُ تَفُوقُ جَمِيعِ النَّاسِ فِي النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
تَقَدَّسَ إِذْ شَرَّفُهُ عَبْدُ نِعْمَةٍ بِحَيْهَلَا بِالْحَافِظِ الْعَالِمِ الزُّهْرِيِّ
لَأَنَّكَ مَيْمُونُ الطَّلِيْعَةِ مَا جَدَّ وَحَبَّرَ نَبِيْلُ عَالِمٍ أَيْمًا حَبِيرٍ
لَقَدْ شَرُفَتْ كُلُّ الْبِقَاعِ بِقُرْبِكُمْ وَسُدَّتُمْ بَنِي الْأَيَّامِ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
(6 : 133-136)

38 — مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْعَمَّارِيُّ الْمَيُورَقِيُّ (207)

هَلْ لَلِّقَا مِنْ مَوْعِدٍ بِالْأَغْيَدِ الْمُقْلَدِ

(206) انظر ترجمته في فلاح الجمان 7 : 233.

(207) لعله منسوب إلى الفقيه أبي عبد الله محمد بن عمار الميورقي صاحب القصيدة الطويلة في وصية ابنه حسن. ولم يزد ابن الشعار في ترجمته هنا على هذه القصيدة التي يمدح فيها من يدعى بالمؤيد ولعله المترجم عند الديلمي (15 : 357).

أَمَّا تَرَانِي مِنْ هَوَا كَ فِي الْمُقِيمِ الْمُقْعِدِ
وَأَنْتَ غَتِي مُلْتَمِهٍ فِي حُبِّكَ الْمُجَدِّدِ
تَلْعَبُ بِي لَعَبَ الصَّبَا بِقَدِّكَ الْمُؤَوِّدِ
مَهْمَا تَشَكَيْتُ لَكَ الْوَجْدَ — تَقُلْ إِلَى غَدِ
فَلَا أَنَا بِمُقْصِرٍ وَأَنْتَ لَسْتَ مُسْعِفِي
لَحْظُكَ لِي مَثَاقِفٌ عَنْ حَدِّكَ الْمُزَرِّدِ
وَقَدْ جَمَعْتَ نَفْرَةَ الْـ ظَنِّي وَبَطْشَ الْأَسَدِ
وَلَيْسَ لِي مِنْكَ جِمِّي إِلَّا جَمَى الْمُؤَيِّدِ
فَقَالَ لِي كُنْ آمِنَاً وَأَبْشِرْ بِبَيْلِ الْمَقْصِدِ
إِنَّ الْمُؤَيَّدَ الَّذِي آسَا تَنَجَّدَتْ خَيْرٌ مُنْجِدِ
أَشْهَرُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي مَكَارِمِ وَسُودِ
أَقْدَمُهُمْ فِي شَرَفِ الْـ أَصْلِ وَطِيبِ الْمُحْتِدِ
أَطْوَلُهُمْ يَدَ نَدَى أَوْلُهُمْ فِي مَشْهَدِ
أَعَزُّهُمْ جَاراً وَأَوْ فَاهُمْ بِحُسْنِ مَوْعِدِ
أَمَّا سَمِعْتَ فَضْلَهُ يُرَوِّى بِكُلِّ بَلَدِ
وَأَنَّهُ يَنْطِقُ عَنْ بَحْرِ عُلُومِ مُزِيدِ
أَمَّا سَمِعْتَ مَذْحَهُ فِي فَمِ كُلِّ مُنْشِدِ
هُوَ الْكَبِيرُ قَدْرُهُ فِي صُورَةِ الْمُقْتَصِدِ
كَمْ مِنْ يَدٍ لَهُ عَلَى هَذَا الْوَرَى كَمْ مِنْ يَدِ
دَامَتْ لَهُ النِّعْمَةُ وَالسُّدُ عُدُ دَوَامَ الْأَبَدِ

(6 : 145-146)

39 — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

أَبْنِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى
الْمُعْتَلِيَّ بْنِ عَلِيٍّ الْعَالِيَّ بْنِ حَمُودِ بْنِ مَيْمُونِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

بْنُ عُمَرَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
أَبُو جَعْفَرٍ الْإِدْرِيسِيُّ (208) الْحَسَنِيُّ الْمِصْرِيُّ، وَجَدُّهُ الْمُعْتَلِي (209) هُوَ الْحَارِجُ
بِالْقُرْبِ وَالْمُسْتَوَلِي عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ.

وَأَبُو جَعْفَرٍ نَسَابَةُ الْأَشْرَافِ بِالذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، صَنَّفَ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ
وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّوَارِيخِ وَفُنُونِ الْأَدَابِ وَالْعُلُومِ مُصَنَّفَاتٍ
جَلِيلَةٍ، وَلَهُ مَشُورٌ وَمَنْظُومٌ وَمَزْدَوَجٌ وَرَجَزٌ وَمُحَمَّسٌ وَخُطْبٌ وَرَسَائِلٌ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ.

كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ
وخمسة مئة، وَهُوَ مِنْ أَتْبَةِ الْعُلَمَاءِ فِي عَصْرِهِ كَبِيرُ الشَّانِ، عَالِمٌ، وَلَمْ أَظْفَرْ بِشَيْءٍ
مِنْ شِعْرِهِ إِلَّا مَا أَذْكُرُهُ، أُنَشِدَنِي أَبُو حَامِدٍ بِشَرِّ بْنِ حَامِدٍ التَّبْرِيزِيِّ (210) الْفَقِيهَ
الشَّافِعِيَّ، قَالَ : أُنَشِدَنِي الشَّرِيفُ أَبُو جَعْفَرٍ الْحَسَنِيُّ لِنَفْسِهِ :

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى عِلْمِ الْكِتَابِ وَمَا يَرُوى عَنِ الْمُصْطَفَى وَسِوَأُسْ إِبْلِيسَ
وَلِلنَّصُوصِ سِوَقٌ قَطٌّ مَا ضَرَبَتْ إِلَّا وَطَارَتْ بِهَا رُوسُ الْمَقَائِسِ
وَمَا لِكَ أَشْهَرُ فِيمَا ذَكَرْتُ، وَمَا أُدْرِى لِهَذَا خِلَافًا لَابْنِ إِدْرِيسَ

وَأُنَشِدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ الْيَمَنِ بِحَلَبِ،
قَالَ : أُنَشِدَنِي الشَّرِيفُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْإِدْرِيسِيُّ يَصِفُ كِتَابَ
الْأَحْكَامِ (211) الَّذِي صَنَفَهُ الْقَاضِي بهاءُ الدِّينِ ابْنُ شَدَّادٍ :

(208) لهذا الشريف الإدريسي ترجمة وذكر في لسان الميزان 5 : 262 وحسن المحاضرة 1 : 238
والطالع السعيد : 297-298 ومن آثاره أنوار علوم الأجرام، في الكشف عن أسرار
الأهرام الذي ينقل عنه العمري في المسالك، والمفيد في أخبار الصعيد. وراجع الاعلام
للزركلي 7 : 78 ومعجم المؤلفين 3 : 414.

(209) هو يحيى بن علي الحمودي، انظر فيه البيان المغرب 3 : 131-132 واعمال الاعلام :
132.

(210) ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 133-134 والعقد الثمين 3 : 371-575.

(211) لابن شَدَّاد كتاب ملجأ الحكام، عند التباس الأحكام وكتاب دلائل الأحكام وهما
مخطوطان، والأخير منهما هو المقصود هنا، انظر نقلاً عنهما في وفيات الأعيان 7 : 87
وطبقات الشافعية 8 : 362.

بِدَلَائِلِ الْأَحْكَامِ ذِي الْإِحْكَامِ
وَتَبَيَّنَ السُّنَنُ الَّذِي وَضَحَتْ بِهِ
فَقَالَتْ أُنْوَارُهُ لِلْمُهْتَدِي
تَصْنِيفُ مَنْ بَهَرَ الْأَيْمَةُ عِلْمُهُ
قَاضِي الْفَضَاةِ أَبِي الْمَحَاسِينِ يُوسُفُ
عَلِمَتْ مَعَالِمُ شِرْعَةِ الْإِسْلَامِ
سُنَنُ الْهُدَى مَنْشُورَةُ الْأَعْلَامِ
وَتَدَفَّقَتْ أُنْوَارُهُ لِلظَّالِمِي
وَأَخْتَصَّ بِالْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ
فَخَرَّ الْعِرَاقُ جَمِيعُهُ وَالشَّامُ
(6 : 296-298)

40 — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ

ابن مُحَمَّد بن علي اليخضبي أبو عبد الله القرموني⁽²¹²⁾ الأندلسي. كَانَ طَوِيلًا مِنَ الرِّجَالِ خَفِيفَ الرُّوحِ مُدَاعِبًا مُعَاشِرًا نَزَلَ دِمَشْقَ، وَخَالَطَ صُدُورَهَا، وَاتَّصَلَ بِأَمَائِلِهَا وَكَانَ طُولَ ذَهْرِهِ لَمْ يَزَلْ مَكْشُوفَ الرَّأْسِ مَا وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةً وَلَا قَلَنْسُوَةً، وَيَعْتَنِي بِالتَّصَوُّفِ وَطَرِيقَةِ التَّوَكُّلِ، وَيَمِيلُ إِلَى السِّيَاحَةِ وَالْفُقَرَاءِ وَلَبَسَ الصُّوفَ، وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ وَفِيهِ أَذَبٌ وَقَضْلٌ.

حَدَّثَنِي أَبُو الْفَضْلِ عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ هُبَيْرَةَ⁽²¹³⁾، قَالَ : رَأَيْتُهُ بِدِمَشْقَ، وَمَدَحَ وَالِدِي بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

يَا طَالِبًا مُضْنَى الزَّمَنِ	إِلَى الْوَزِيرِ أَبَا الْحَسَنِ
تَلَقَّ الْمَكَارِمَ وَالنُّهَى	وَالْخُلُقَ وَالْخُلُقَ الْحَسَنَ
مَا مِثْلُ نَجْلِ هُبَيْرَةَ	لَا بِالشَّامِ وَلَا الْيَمَنِ
فَإِذَا ظَفِرَتْ بِحَبْلِهِ	ظَفِرَتْ يَمِينُكَ بِالْيَمَنِ
وَرَكَنْتَ مِنْهُ إِلَى مَدَى	طَوْدٍ تَرَفَّعَ عَنْ قُنُنِ

(212) روى عنه ابن ظافر الأزدي في بدائع البدائيه أخباراً متعدّدة في شعراء الأندلس وأشعارهم (بدائع البدائيه : 73، 74، 163، 196، 318، 379، 384. وروى عنه كذلك القفطي في كتابه المحمّدون من الشعراء : 364، 365 وله ذكر في نفح الطيب 2 : 118.

(213) ترجم له ابن الشعار في السفر الخامس : 429.

يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ الَّذِي حَاَزَ الْفَرَائِضَ وَالسُّنَنَ
يَا فَخْرَ بَعْدَادَ الَّذِي أَضْحَتْ لِمَجْدِكُمْ سَكَنَ
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِمَكْرَمَةٍ فَمَنْ؟!

ومنها :

لَأَزْلَكَ مِنْ رَبِّبِ الْحَوَا دِثٍ لَابِسًا أَوْقَى الْجُنَنِ

(6 : 458-459)

41 — مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ

أَبْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ أَبِي الْعَافِيَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَلَنْسِيُّ الْعُمَرِيُّ⁽²¹⁴⁾،
مِنْ أَوْلَادِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَأَيْتُهُ شَابًا طَوِيلًا أَشْفَرَ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ
بِمَدِينَةِ إِزْبَلٍ فِي أَوَائِلِ رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانِي وَعَشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ. وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ
وَالْمَعْرِفَةِ بِالنَّحْوِ وَالْأَدَبِ. وَذَكَرَ أَنَّهُ قَرَأَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِي الْحَجَّاجِ يُوسُفَ بْنِ
مُحَمَّدِ الْأَنْدَلُسِيِّ⁽²¹⁵⁾ وَعَلَى ذِيهِ قِطْعَةٌ صَالِحَةٌ مِنْ أَشْعَارِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ، وَلَهُ
تَصَانِيفٌ فِي الْأَدَبِ عَدَدٌ لِي أَسْمَاءَهَا مِنْهَا كِتَابُ : (النُّكْتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي شَرْحِ
الْجَزُولِيِّ)، وَكِتَابُ : (الشَّافِي فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ وَالْقَوَافِي)، وَكِتَابُ : (الرُّوضِ
الْمَمْطُورِ، فِي أَوْصَافِ الْخُمُورِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الشُّدُورِ)، وَلَهُ شِعْرٌ مَلِيحٌ وَقَوْلٌ
عَذْبٌ، وَسَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ، فَقَالَ : وَلِدْتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ مِئَةٍ، أَنْشَدَنِي
لِنَفْسِهِ :

وَمُهَفِّهِفَ سَفَكِ الدَّمَاءِ بِلَحْظِهِ جَارَتْ عَلَى كَلْفِي بِهِ فَكَائُهُ
رَقَّتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ، فَكَائُمَا مَاءُ الْحَيَا عَذُبَتْ بِهِ وَجَنَائُهُ
رَشًا إِذَا أَهْدَى السَّلَامَ بِمُقْلَةٍ وَلَّى وَقَدْ عَيْتُ بِنَا لَحْظَائُهُ

(214) لم أفق له على ترجمة في مصدر آخر.

(215) لعله المترجم في صلة الصلاة : 415 وفيها : الأندلي.

تَمَّ الْعِذَارُ عَلَى مُورِدٍ خَلَّهِ
تَشْوَانُ لَكِنْ مِنْ حُمَارٍ جُفُونِهِ
أَنْتَ الْكَمَالُ وَغُصْنُ قَدْكَ نَاعِمٌ
الْحُسْنُ مَالٌ، وَالزَّكَاةُ فَرِيضَةٌ
وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :

يَا سَيِّدَا سَادَ الْوَرَى قَسَمًا بِمَنْ
جَرَحَتْ طَبِي الْأَحَاطِ جَفْنِكَ مُهْجَتِي

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً، وَكَانَ قَدْ أَهْدَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ شَرْبَةَ مَاءٍ :
يَا خَيْرَ مَنْ كَتَبَتْ يُمْنَاهُ بِالْقَلَمِ
تُقْضِي الْعُيُونُ حَيَاءً مِنْ مَهَابَتِهِ
أَهْدَيْتَ لِي شَرْبَةً مَا إِنْ شَرِبْتُ بِهَا
شَرَّفَنِي بِأَلَّتِي تَحْيَا النُّفُوسُ بِهَا
بِالْوَرْدِ قَدْ طَيَّبْتُ، لَكِنْ تَوَافُجُهَا
لَا زِلْتُ فِي نِعْمَةٍ تَتَرَى مُجَدَّدَةً
(7 : 137-139)

42 — مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

ابن الحسين بن سُرَاقَةَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِبِيِّ (216).
كَانَتْ وَلَادَتُهُ فِيمَا أَخْبَرَنِي مِنْ لَفْظِهِ بِشَاطِبَةِ فِي شَهْرِ اللَّهِ رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَتِسْعِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ وَهُوَ شَابٌّ طَوِيلٌ أَيْضُ اللَّوْنِ تَغْلُوهُ صُفْرَةٌ، خَفِيفُ
الْعَارِضَيْنِ، نَحِيفُ الْبَدَنِ. ذَكَرَ لِي أَنَّهُ مِنْ أَوْثَاءِ الْقَضَاةِ الْفُقَهَاءِ، حَفِظَ الْقُرْآنَ

(216) ترجمته في فوات الوفيات 2 : 306-307 والوفاء بالوفيات 1 : 208 ونفع الطيب 2 : 63-65 وغيرها، وستأتي ترجمة الأربلي له ضمن هذا المجموع (ص 192).

الكَرِيمَ وَتَفَقَّهَ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. رَحَلَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ فَلَقِيَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ مَشَايِخِهَا الْعُلَمَاءِ كَأَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ كَرَمِ بْنِ الْحَسَنِ الدِّينَوْرِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدِ الزُّبَيْدِيِّ، وَأَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بِلَالٍ الدَّاهِرِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

قَدَّمَ إِرْبِلَ، وَنَزَلَ بِدَارِ حَدِيثِهَا، وَقَرَأَ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي الْخَيْرِ بَدَلِ بْنِ أَبِي الْمَعْمَرِ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبْرِيزِيِّ⁽²¹⁷⁾ كِتَابًا كَثِيرَةً مِنَ الْأَحَادِيثِ وَالتَّفْسِيرِ، شَاهَدَتْهُ بِهَا فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ فَوَجَدَتْهُ رَجُلًا فَاضِلًا شَيْخًا عَاقِلًا سَالِمًا ذَا دِينٍ وَعِفَافٍ، وَبَشِيرٌ وَوَقَارٍ عَلَى مِنْهَاجِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُوَظَّبًا عَلَى الْإِشْتَغَالِ بِالْعِلْمِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ إِنَّهُ جَيَّدَ الْمَعْرِفَةَ بِمَعَانِي الشُّعْرِ صَالِحِ الْفِكْرِ فِي حَلِّ التَّرَاجِمِ، لَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

إِلَى كَمْ أُمْنِي النَّفْسَ مَا لَا أَنَالُهُ فَيَذْهَبُ عُمْرِي، وَالْأُمَانِي لَا تُقْضَى
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِيشَتِي، فَمَتَى أَرْضَى؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي - وَالثَّلَاثُونَ مُدْنِي - حَرِي بِمَعَانِي اللَّهِ أَوْسَعُهَا رَفَضًا
فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخُمْسِ أُرْتَجِي وَوَجَدِي إِلَى أَوْبٍ مِنَ الْعُمْرِ قَدْ أَقْضَى
فَيَا رَبَّ عَجَّلْ لِي حَيَاةً لَذِيذَةً وَإِلَّا فَبَادِرْ بِي إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضِيِّ⁽²¹⁸⁾

وَأَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى بَعْضِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ⁽²¹⁹⁾ :

لِقَاؤُكَ عَيْدٌ بِالتَّجَاحِ بِشِيرُ وَتَقْبِيلُ يُمْنِي رَاحَتِيكَ حُبُورُ
بِهَآؤُكَ فِي لَحْظِ الْمَوَاسِمِ مَوْسِمُ وَتَشْرُكُ فِي رَيَا الْعَبِيرِ عَبِيرُ
وَمَا عَادَتَا مِنْ بُعْدِنَا غَيْرُ وَافِدٍ يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ثُمَّ يَزُورُ

(217) سبق ذكره.

(218) هذه الأبيات في الفوات والوافي وتاريخ إربل ونفح الطيب.

(219) هو موسى كما في البيت الثامن من القصيدة ويبدو أن المقصود هو السيد أبو عمران بن أبي عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد المومن وهو مخدوم ابن حريق أستاذ ابن سراقه، انظر الذيل والتكملة 5 : 275، 276 والإحاطة 3 : 275.

لَهُ أَمَلٌ فِي لَحْمٍ لَقِيَاكَ مُدْرِكٌ
سَرَى نَحْوَكُمْ مَذَامٍ أَوَّلُ جَاهِدًا
فَبَشَّرَاهُ وَفِي النَّفْسِ مِلءٌ قُوَادِمًا
وَتَاجِبَتْ نَفْسِي وَالْهَوَى يَنْعَثُ الْهَوَى
أَتَرَكُ مُوسَى لَيْسَ بَنِي وَبَيْتُهُ
فَمِلْتُ بُودِي وَالْحَيَاثِي وَهَمِّي
وَأَيْقَنْتُ أَنِّي إِنْ أَخَذْتُ بِحَبْلِكُمْ
هُمَا مُنْتَنَى الْأَعْنَاقِ نَحْوَ عَلَائِهِ
وَمِنْهَا :

يَتُوبُ عَنِ الدَّرِّ النَّفْسِ كَلَامُهُ
إِذَا صَفَرَتْ أَيْدِي السَّحَابِ فَكَلَّمُهُ
وَمَا تَابَ عَنْ جَدْوَى يَدَيْهِ بُحُورُ
سَحَابَ بَآفَاقِ السَّمَاحِ دُرُورُ
(7 : 158-161)

43 — مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ مَعْنَرٍ

ابْنُ أَبِي مُضَرَ بْنِ بَكَّاسٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَغْرِبِيُّ
الْقُسْطَنْطِينِيُّ (220) هُوَ مِنْ قُسْطَنْطِينَةِ الْهَوَاءِ (221) مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، شَاهَدْتُهُ شَابًا
أَسَمَرَ اللَّوْنِ لَطِيفَ الْخَلْقَةِ بِمَدِينَةِ إِرْبِلَ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ
مُتَّفَقًا، وَفِيهِ دِيَانَةٌ وَصَلَاحٌ، أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِيهِ :
إِنْ جُرْتُ بِالْعُرْصَاتِ مِنْ يَرِينِ (222) فَأَشْرَحَ غَرَامًا كَأَدَّ أَنْ يَرِينِي
لَأَهْلِيلِ ذَاكَ الْحَيِّ، وَابْتُثَ عِنْدَهُمْ وَجِدِي وَبَغْضَ صَبَابَتِي وَأَنْيَسِي

(220) ستأتي ترجمة الأربلي له ضمن هذا المجموع (ص 190).

(221) راجع في قسطنطينة : الاستبصار : 165-166 والروض المعطار : 480-481.

(222) يرين : جهة مشهورة برملها الذي لا تدرك أطرافه، وهي أيضا اسم قرية من قرى حلب، معجم البلدان.

وَقُل: الْمُتَيْمُّ عَنْ هَوَاكُم مَّا سَلَ
يَحْنِي جَوَانِحَهُ عَلَى جَمْرِ الْعَصَا
مُذْ حُلَّ بِالْحَذْبَاءِ (223) قَدْ عَلِقَ الضَّنَى
وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ :
لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا يُجِنُّ فُؤَادِي
لَكِنَّ قَلْبَكَ مَا أَلَمَّ بِهِ الْهَوَى
لَأَخَذْتُ فِي وَصْلِي وَتَرَكْتُ عِنَادِي
فَجَهَلْتُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي الصَّادِي
(7 : 215-216)

44 — مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنِ مَالِكِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي (224) مِنْ أَهْلِ جَيَّانَ مَدِينَةٍ مِنْ مُدُنِ
الْمَغْرِبِ (225). اسْتَوطنَ مَحْرُوسَةَ حَلَبَ، شَابَّ فَاضِلٌ حَافِظٌ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
يَشْدُو طَرَفًا جَيِّدًا مِنْ عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، تُوْفِّي فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْ
عَشْرَةَ وَسِتِّ مِائَةٍ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِسَفْحِ جَبَلِ قَاسِيُونَ مِنَ الْعِدِّ... أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ
مُلْغِزًا بِاسْمِهِ وَهُوَ سَلْمَانُ :
يَعْرِ ذِكْرُ اسْمِ مَنْ أَهْوَى بِلَفْظِ سَلِ
وَيُعْقِبُ الْيَأْسَ بَاقِي اللَّفْظِ مِنْهُ كَمَا
وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مُلْغِزًا فِي الشُّكْرِ :
مَا أَسْمُ بِإِجْمَاعِ الْبَرِيَّةِ وَاجِبُ
وَإِذَا تُثْقِلُهُ لَدَى تَضَحُّيفِهِ
وَإِذَا يُخَفُّ مُصَحِّفًا فَحَرَامُ (226)
فَهُوَ الْحَلَالُ الْحُلُو، كَيْفَ يُرَامُ؟ (227)

(223) هي مدينة الموصل.

(224) يتفق في اسمه ونسبه وبلده مع ابن مالك النحوي المشهور وهو غيره.

(225) جيان مدينة مشهورة في الأندلس، وتكتب اليوم Jaen.

(226) يعني الشُّكْر.

(227) يعني الشُّكْر.

وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لَهُ يُلَغِزُ بِكَلِمَةِ مَال :

إِسْمُ هَذَا الَّذِي أَلْفَتْ هَوَاهُ فَعَلَّ قَلْبِي يُسَمِّي إِذَا هُوَ فَعْلُ
كُلُّهُ فِي آخِرِ أَحْرَفِهِ بَا إِذَا مَا عَكَسْتُهُ حِينَ تَتْلُو
وَإِذَا صَارَ أَوَّلًا مِنْهُ ثَانٍ فَهُوَ مَعْنَى مَا آمَلْ عَنْهُ يَسْأَلُو
وَإِذَا أَوَّلُ تَأَخَّرَ مِنْهُ فَهُوَ وَصَفَ لِكُلِّ مَنْ عَنْهُ يَخْلُو

وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً لِنَفْسِهِ فِي أَمْرَةٍ اسْمُهَا عَيْنٌ يُلَغِزُ بِهَا :

عَجِبْتُ لِلْفِظِ فِي احْتِمَالِ حُرُوفِهِ يُبَيِّنُ مَعْنَى ثُلْثُهُ عَنْهُ يُعْرِبُ
وَفِي الثُّلْثِ الثَّانِي دَلَالَاتُ أَرْبَعٍ وَفِي الثُّلْثِ الْبَاقِي دَلِيلَانِ فَاعْجَبُوا

وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى نَجْمِ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ الْيَاسِرِ بْنِ الْيَاسِرِ الْإِرْبِلِيِّ

الْفقيه الشافعي :

وَفَتِيَّةٌ صَدَقَتْ فِيهِ — هُمْ أَلْأَمَانِي طُنُونَا
وَنَاوَلْتَهُمْ يَدَاهَا — مِنْ الْأَيَادِي فُنُونَا
وَحَاوَلُوا أَنْ يَنَالُوا — وَجْهَ التَّهَانِي الْمَصُونَا
لَكِنْ لِإِذْرَاكِ هَذَا — بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَا
فَفُضِّضَ خَتَمَ رِضَاهُمْ — لِكِي يَقْرَؤُوا عُيُونَا

(7 : 269-270)

45 — مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ

[آبِن] الْعَرَبِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ⁽²²⁸⁾ : الشَّيْخُ الْعَارِفُ الْحَاتِمِيُّ الطَّائِي مِنْ ذُرِّيَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ كَانَتْ وَلَادَتُهُ بِمَدِينَةِ مَرْسِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْأَمِيرِ أَبِي عَبْدِ

(228) توجد ترجمته في مصادر متعددة ومنها على سبيل المثال : الذيل والتكملة 6 : 493-498 ونفح الطيب 2 : 161-184، وقد ذكر الدكتور إحسان عباس عدد من مصادر ترجمته في الحاشية. ومن الدراسات القديمة التي كتبت عنه دراسة اسين بلايوس التي ترجمها عبد الرحمن بدوي.

اللَّهُ مُحَمَّدٌ بْنُ سَعْدٍ بْنُ مَرْدِنِشَ سَنَةَ سِتِّينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ بِدِمَشْقَ، وَدُفِنَ بِجَبَلِ قَاسِيُونَ بِثَرِيَةِ الْقَاضِي رُكْنِ الدِّينِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ. سَمِعَ الْحَدِيثَ عَلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَرْقُونٍ⁽²³⁰⁾، وَأَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنِ الصَّايغِ السَّبْتِيِّ⁽²³¹⁾، وَمُحَمَّدِ بْنِ قَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْفَاسِي⁽²³²⁾، وَجَمَاعَةٍ سِوَاهُمْ.

وَكَانَ أَهْلُهُ أَجْنَادًا فِي خِدْمَةِ الْمُسْتُولِينَ عَلَى الْبِلَادِ، وَبَقِيَ مُدَّةً جُنْدِيًّا، ثُمَّ رَجَعَ عَنِ الْجُنْدِيَّةِ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَحَدَّثَنِي مِنْ لَفْظِهِ، قَالَ : كَانَ سَبَبَ انْتِقَالِي عَنِ الْجُنْدِيَّةِ، وَتَبْذِي لَهَا، وَسُلُوكِي هَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَمِيلِي إِلَيْهَا أَنَّي خَرَجْتُ صُحْبَةَ مَخْذُومِي الْأَمِيرِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَلِيٍّ⁽²³³⁾ بِقَرْطَبَةَ قَاصِدِينَ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، فَنَظَرْتُهُ فِي رُكُوعٍ وَسُجُودٍ وَخُشُوعٍ كَثِيرٍ الْإِبْتِهَالِ إِلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَطَرْتُ لِي خَاطِرٌ أَنْ قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِذَا كَانَ هَذَا مَلِكُ الْبِلَادِ خَاضِعًا مُتَذَلِّلًا يَصْنَعُ هَذَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ فَمَا الدُّنْيَا بِشَيْءٍ، فَفَارَقْتُهُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا عُدْتُ رَأْيَتُهُ أَبَدًا، ثُمَّ لَزِمْتُ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ. وَهُوَ رَجُلٌ لَهُ قَدَمٌ فِي الرِّيَاضَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ، وَكَلَامٌ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ مَوْصُوفٌ بِالتَّقَدُّمِ وَالْمَكَانِ عِنْدَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ، وَلَهُ أَصْحَابٌ وَمُرِيدُونَ وَتَلَامِيذٌ وَصَنَّفَ تَصَانِيفَ كَثِيرَةً وَتَوَالَفَ جَمَّةً، سَكَنَ بِلَادَ الرُّومِ مَلْطِيَّةَ وَقُونِيَّةَ، وَطَافَ الْبِلَادَ، وَدَخَلَ بَغْدَادَ، ثُمَّ سَكَنَ بِأَخْرَقِ دِمَشْقَ، وَلَهُ كَلَامٌ حَسَنٌ فِي الْحَقِيقَةِ، يَأْتِيهِ مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ بِالْعِلْمِ، وَقَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى خَاطِرًا

(229) توجد ترجمته في مصادر مغربية ومشرقية، انظر سردها في التكملة للمنزري 1 : 217-218 والوافي 17 : 575 وصلة الصلة 3 : 119-123.

(230) ترجمته في الذيل والتكملة 6 : 203 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر أخرى.

(231) ترجمته في الذيل والتكملة 8 : 413-420 وقد ذكرت في الحاشية بعض مصادر ترجمته.

(232) ترجمته في الذيل والتكملة 8 : 352-356 وانظر تعريفنا به في معلمة المغرب 8 : 2569-2571.

(233) أقدر أنه السيد أبو يحيى أخو يعقوب المنصور وقد ذكر هنا بكنيته.

مَوْقِدًا فَاتَّقَالَ عَلَيْهِ هَكَذَا الْكَلَامُ انْثِيالًا، وَوُفَّقَ فِي اسْتِنْبَاطِهِ تَوْفِيقًا عَجَبِيًّا مِمَّا حَيَّرَ
الْعُقُولَ عِنْدَ سَمَاعِهِ، وَسَلَبَ الْقُلُوبَ فِي إِيرَادِهِ. شَاهَدَتْهُ بِمَحْرُوسَةِ حَلَبَ فِي
يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِئَةِ شَيْخًا يَحْضِبُ،
وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْأُورَاقُ، وَأَنْشَدْنِيهَا، فَمِنْ شِعْرِهِ عَلَى طَرِيقِ
الْعَارِفِينَ :

أَلَا يَا حَمَامَاتِ الْأَرَاكَةِ وَالْبَانِ تَرَفَّقْنَ لَا تَنْدُبْنَ بِالنُّوحِ أَشْجَانِي
تَرَفَّقْنَ لَا تَنْدُبْنَ بِالنُّوحِ وَالْبَكَاءِ
وَمِنْ عَجَبِ الْأَشْيَاءِ ظَنِّي مُبْرَقَّعَ
ومرماه مَا بَيْنَ التَّرَائِبِ فِي الْحَشَا
لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ
وَبَيَّتْ لِأَصْنَامٍ، وَكَعْبَةٍ طَائِفِ
أَدِينُ بِيَدَيْنِ الْحُبِّ أَتْنِي تَوَجَّهْتُ
وَأَنْشَدْنِي لِنَفْسِهِ :

قَالَتْ: عَجِبْتُ لِصَبٍّ مِنْ مَحَاسِينِهِ
فَقُلْتُ: لَا تَعْجِبْنِي مِمَّا تَرَيْنَ فَقَدْ
أَبْصَرْتُ نَفْسَكَ فِي مِرَاةِ إِنْسَانٍ (235)

ومن نَظْمِهِ فِي الْمَقَامَاتِ مِنَ الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي التَّوْبَةِ، وَأَنْشَدْنِيهِ :

الاعترافُ متاب كلِّ مُحَقِّقٍ
رَضِيهِ الْإِلَهِ عَنِ الْمُخَالَفِ مِثْلَمَا
مَآذَا كَبِيرٌ أَنْ يَنَالَ مَنَالَهُ
مِنْ عَيْنٍ مُتَتَّبِعِهِ يَنَالُ مُخَالَفُ

وَبِهِ إِلَهُ الْحَقِّ يَشْرَحُ صَدْرَهُ
رَضِيهِ الْإِلَهِ عَنِ الْمَوَافِقِ أَمْرَهُ
لَاسِيَمَا أَنْ كُنْتُ تَعْرِفُ سِرَّهُ
مَا نَالَهُ مَنْ كُنْتُ تَجْهَلُ قَدْرَهُ (236)

(234) هي بتمامها في ديوان ترجمان الأشواق : 40-44.

(235) هما في ترجمان الأشواق : 39.

(236) انظر الفتوحات المكية.

وقال أيضا، وأنشدنيه :

هُبُوطُ مَكَانٍ، لَا هُبُوطُ مَكَانِيَّةٍ لِيَلْقَى بِهِ نُورًا وَمُلْكًا مُخْلَدًا
كَمَا قَالَ مَنْ أَغْوَاهُ صَدَقًا لَكُونِهِ رَأَاهُ كَلَامًا مِنْ إِلَهٍ مُسَدَّدًا (237)

وقال في الخلوة، وأنشدنيه :

خَلَوْتُ بِمَنْ أَهْوَى، فَلَمْ يَكْ غَيْرَنَا وَلَوْ كَانَ غَيْرِي لَمْ يَصِيحْ وَجُودَهَا
إِذَا أَحْكَمْتُ نَفْسَ شُرُوطِ انْفِرَادِهَا فَإِنَّ نَفْسَ الْخَلْقِ طُرًّا عَبِيدُهَا
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهَا غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَتْ بِهَا جُودًا عَلَى مَنْ يُفِيدُهَا (238)

وأخبرنا أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْعَرَبِيِّ، قَالَ : كُنْتُ أَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَطَارَ قَلْبِي، وَهَزَّنِي حَالُ أَغْرَفُهُ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاطِ مِنْ أَجْلِ النَّاسِ، وَطُفْتُ عَلَى الرَّمْلِ وَذَلِكَ بِاللَّيْلِ، فَحَضَرْتَنِي آيَاتٌ، فَأُتِيتُهَا أُسْمِعُ بِهَا نَفْسِي، وَمَنْ يَلِينِي لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَحَدٌ، وَهِيَ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوُا أَيُّ قَلْبٍ مَلَكُوا
وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيُّ شَيْءٍ سَلَكَوا
أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا
حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا

فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا بِضُرْبَةٍ بَيْنَ كَيْفِي بِكَفِّ الْيَنِّ مِنَ الْخَزِّ، فَالْتَفْتُ فَإِذَا بِجَارِيَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرُّومِ لَمْ أَرْ أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَغْدَبَ مَنْطِقًا، وَلَا أَرْقَ حَاشِيَةً، وَلَا اللَّطْفَ مَعْنَى، وَلَا أَذَقَ إِشَارَةً، وَلَا أَطَرَفَ مُحَاوَرَةً مِنْهَا، قَدْ فَاقَتْ زَمَانَهَا ظَرْفًا وَجَمَالًا وَمَعْرِفَةً، فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي كَيْفَ قُلْتَ ؟ فَقُلْتُ :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ دَرَوُا أَيُّ قَلْبٍ مَلَكُوا ؟

فَقَالَتْ : عَجَبًا مِنْكَ، وَأَنْتَ عَارِفُ زَمَانِكَ، تَقُولُ مِثْلَ هَذَا، لَيْسَ كُلُّ مَمْلُوكٍ مَعْرُوفًا، وَهَلْ يَصِيحُ الْمَلِكُ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ وَتَمْنِي الشُّعُورَ يُوْذَنُ بَعْدَمَهَا، وَالطَّرِيقُ

(237) المصدر نفسه.

(238) المصدر نفسه.

لِسَانُ صِدْقٍ فَكَيْفَ يَجُوزُ لِمِثْلِكَ هَذَا ؟ قُلْ يَا سَيِّدِي ! فَمَاذَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟
فَقُلْتُ :

وَفُؤَادِي لَوْ دَرَى أَيَّ شَيْءٍ سَلَكَوا ؟

فَقَالَتْ : يَا سَيِّدِي، الشَّعْبُ الَّذِي بَيْنَ الشَّغَابِ وَالْفُؤَادِ هُوَ الْمَانِعُ لَهُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِهِ، فَكَيْفَ يَتَمَنَّى مِثْلَكَ مَا لَا يُمَكِّنُ الْوَصُولَ إِلَيْهِ، وَالطَّرِيقُ لِسَانُ صِدْقٍ فَكَيْفَ
يَجُوزُ لِمِثْلِكَ هَذَا يَا سَيِّدِي، فَمَاذَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟ فَقُلْتُ :

أَتَرَاهُمْ سَلِمُوا أَمْ تَرَاهُمْ هَلَكُوا ؟

قَالَتْ : أَمَّا هُمْ فَسَلِمُوا، وَلَكِنْ اسْأَلْ عَنْكَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ : هَلْ
سَلِمْتَ أَمْ هَلَكْتَ يَا سَيِّدِي ؟ فَمَا قُلْتَ بَعْدَهُ ؟ فَقُلْتُ :

حَارَ أَرْبَابُ الْهَوَى فِي الْهَوَى وَارْتَبَكُوا

فَصَاحَتْ وَقَالَتْ : وَاعِجِبْ، كَيْفَ لِلْمَشْغُوفِ فَضْلَةٌ يَحَارُ بِهَا وَالْهَوَى شَأْنُهُ
التَّعْمِيمُ يُخَدِّرُ الْحَوَاسَّ، وَيُذْهِبُ الْعُقُولَ، وَيُدْهَشُ الْحَوَاطِرَ، وَيَذْهَبُ بِصَاحِبِهِ فِي
الذَّاهِبِينَ فَأَيْنَ الْحَيَرَةُ هُنَا ؟ أَوْ مِنْ هُنَا بَاقٍ يَحَارُ وَالطَّرِيقُ لِسَانُ صِدْقٍ، وَالتَّجَوُّزُ
مِنْ مِثْلِكَ غَيْرُ لَاقٍ. قُلْتُ : يَا بِنْتَ الْحَالَةِ، مَا اسْمُكِ ؟ قَالَتْ : قُرَّةُ الْعَيْنِ، فَقُلْتُ
لِي ثُمَّ سَلِمْتَ وَانْصَرَفْتَ، ثُمَّ إِنِّي عَرَفْتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَعَاشَرْتُهَا، فَرَأَيْتُ لَهَا مِنْ
لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ مَا لَا يَصِفُهُ وَاصِفٌ (239).

وَحَدَّثَنِي بِمَدِينَةِ حَلَبٍ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ
وَثَلَاثِينَ، قَالَ : كُنْتُ مُجَاوِراً بِمَكَّةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسَ مِائَةٍ فَرَأَيْتُ فِي
مَنَايِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاعِدًا عَلَى الدَّكَّةِ الَّتِي تَلِي بَابَ أَجْيَادِ الْأَقْرَبِ إِلَى بَابِ
الْحَزُورَةِ وَوَجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ، وَرَجُلٌ يَقْرَأُ عَلَيْهِ كِتَابَ الْبُخَارِيِّ وَهُوَ
مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدِ الصَّدْفِيِّ التُّلُمَسَانِيِّ وَأَنَا قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ قَدْ ضَرَبْتُ بِذَقْنِي
عَلَى رُكْبَتِهِ ﷺ أَتَطَّلَعُ فِي وَجْهِهِ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : الْمُطَلَقَةُ ثَلَاثًا فِي
مَجْلِسٍ وَاحِدٍ هَلْ يَرْجِعُ طَلَاقُهَا إِلَى وَاحِدَةٍ أَوْ هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ ؟ قَالَ لِي رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ : هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا قَالَ، لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تُنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ :

(239) النص بتمامه في مقدمة ترجمان الأشواق : 11-12 مع اختلاف يسير.

يا رسول الله، إِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يُرَدُّهَا إِلَى وَاحِدَةٍ، فَقَالَ لِي ﷺ : أَوَلَيْكَ حَكْمُوَا
بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابُوا، قُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرِيدُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ إِلَّا
مَا تَدِينُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْتَ بِهِ مَا لَوْ وَقَعَ مِنْكَ فَعَلْتَ بِهِ، فَقَالَ لِي : هِيَ ثَلَاثٌ كَمَا
قَالَ لَا تَحِلُّ لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ يَرُدُّهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا بِهِدِهِ
الْكَلِمَاتِ : «اللَّهُمَّ أَسْمِعْنَا خَيْرًا، وَأُطْلِعْنَا خَيْرًا، وَارْزُقْنَا اللَّهُمَّ الْعَافِيَةَ وَأَدِّمْهَا لَنَا
وَاجْمَعْ اللَّهُمَّ قُلُوبَنَا عَلَى التَّقْوَى وَوَقَفْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ، وَخَوَاتِمَ الْبَقَرَةِ».
واستيقظت⁽²⁴⁰⁾، وحدثني أيضاً أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابن العربي، قَالَ : رَأَيْتُهُ ﷺ فِي
هَذَا التَّارِيخِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَرْبِصْنَ
بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ والقرء عند الْعَرَبِ من الْأَضْدَادِ يَطْلُقُونَهُ عَلَى الْحَيْضِ وَعَلَى
الطَّهْرِ، وَأَنْتَ أَعْرَفٌ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ، فَمَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْقُرْءِ هُنَا ؟ فَقَالَ ﷺ : إِذَا
فَرَّغَ قُرُوءَهَا فَافْرَغُوا عَلَيْهَا الْمَاءَ، وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : هَذَا
هُوَ الْحَيْضُ فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ لِي : إِذَا فَرَّغَ قُرُوءَهَا فَافْرَغُوا عَلَيْهَا الْمَاءَ، وَكُلُّوا مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ، فَعَاوَدْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ الْحَيْضُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعَادَ عَلَيَّ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ
إِذَا فَرَّغَ قُرُوءَهَا فَافْرَغُوا عَلَيْهَا وَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ واستيقظت⁽²⁴¹⁾.

أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ لِنَفْسِهِ :

خَلِيلِي عَوْجًا بِالْكَثِيبِ وَعَرَجًا	عَلَى لَعْلَعٍ وَاطْلُبْ مِيَاءَ يَلْمَلَمِ
فَإِنْ بِهَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ وَمَنْ لَهُمْ	صِيَامِي وَحَجِّي وَاعْتِمَارِي وَمَوْسِمِي
مُحَصَّبُهُمْ قَلْبِي لِرَمِي جِمَارِهِمْ	وَمَنْحَرُهُمْ نَفْسِي وَمَشْرَبُهُمْ دَمِي
فَيَا حَادِي الْأَجْمَالِ إِنْ جِئْتَ حَاجِرًا	فَقِفْ بِالْمَطَايَا سَاعَةً ثُمَّ سَلِمِ
وَنَادِ الْقَبَابِ الْحُمَرُ مِنْ جَانِبِ الْحَمَى	تَحِيَّةَ مُشْتَقِي إِلَيْكُمْ مُتِّمِ
فَإِنْ سَلَّمُوا فَاهْدِ السَّلَامَ مَعَ الصَّبَا	وَإِنْ سَكَنُوا فَارْحَلْ بِهَا وَتَعَلَّمِ
إِلَى نَهْرِ عَيْسَى حَيْثُ حَلَّتْ رِكَابُهُمْ	وَحَيْثُ الْخِيَامِ الْبَيْضُ مِنْ جَانِبِ الْفَمِ
وَنَادِ بِدَعْدٍ وَالرَّيَابِ وَفَرَّتَنِي	وَهْنِي وَسَلَمِي ثُمَّ لُبْنَى وَزَمْزَمِ

(240) راجع الفتوحات المكية.

(241) المصدر نفسه.

وَسَلُّهُنَّ هَلْ بِالْحَلَبَةِ الْغَادَةِ الَّتِي
وَأُشَدَّنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ :

سَلَامٌ عَلَى سَلَمِي وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
وَمَاذَا عَلَيْهَا أَنْ تُرَدَّ تَجِيَّةٌ
سَرَوْا وَظَلَامُ اللَّيْلِ أَرْخَى سُدُولَهُ
أَحَاطَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ شَوْقًا وَأُرْصَدَتْ
فَأَبْدَتْ ثَنَائَهَا، وَأَوْمَضَ بَارِقُ
وَقَالَتْ: أَمَا يَكْفِيهِ أَتَى بِقَلْبِهِ
وَأُشَدَّنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

وَزَا حِمِّي عِنْدَ اسْتِلَامِي أَوَانِسُ
حَسْرَنَ عَنْ أَتْوَارِ الشَّمُوسِ وَقُلْنَ لِي
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا بِالْمَحْصَبِ مِنْ مِنَى
وَفِي سَرْحَةِ الْوَادِي، وَأَغْلَامُ رَامِيَةٍ
أَلَمْ تَرِ أَنَّ الْحُسْنَ يَسْلُبُ مِنْ لَهُ
فَمَوْعِدُنَا بَعْدَ الطَّوَايفِ يَزْمَزِمُ
هُنَالِكَ مَنْ قَدْ شَفَّهُ الْوَجْدُ يَشْتَفِي
إِذَا خَفَنَ أَسْدَلَنَ الشُّعُورَ فَهَنَّ مِنْ

تُرَيْكَ سَنَا الْبَيْضَاءِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ (242)

وَحَقُّ لِمِثْلِي رِقَّةً أَنْ يُسَلِّمًا
عَلَيْنَا وَلَكِنْ لَا اخْتِكَامَ عَلَى الدُّمَى
فَقُلْتُ لَهَا: صَبًّا غَرِيبًا مُتِيْمًا
لَهُ رَاشِقَاتِ النَّبْلِ أَيْبَانَ يَمَّمَا
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ شَقَّ الْحَنَادِسَ مِنْهُمَا
يُشَاهِدُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ أَمَا أَمَا (243)

أَتَيْنَ إِلَى التَّطَوَّافِ مُعْتَجِرَاتِ
تَوَرَّعَ فَمَوْتُ النَّفْسِ فِي اللَّحْظَاتِ
نُفُوسًا أَيْبَاتٍ لَدَى الْجَمَرَاتِ
وَجَمْعٍ وَعِنْدَ النَّفْرِ مِنْ عَرَفَاتِ
عَفَافٍ، فَيُدْعَى سَالِبُ الْحَسَنَاتِ
لَدَى الْقُبَّةِ الْوُسْطَى لَدَى الصَّخَرَاتِ
بِمَا شَاءَهُ مِنْ نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ
غَدَائِرَهَا فِي الْحِفِّ الظُّلُمَاتِ (244)

وَأُخْبِرَنِي ابْنُ الْعَرَبِيِّ، قَالَ : أَنُشَدَّنِي بَعْضُ الْفُقَرَاءِ بَيْتًا مُفْرَدًا لَا يَعْرِفُ أَحَدًا،
وَهُوَ :

كُلُّ الَّذِينَ رَجَوْا تَوَالِكَ أَمْطَرُوا مَا كَانَ بَرْقُكَ لُحْلَبًا إِلَّا مَعِي
فَاعَجِبْنِي مَعْرَاهُ، وَقَفُّوتُ مَعْنَاهُ، فَعَمِلْتُ أَيْبَاتًا جَعَلْتُهُ وَاحِدًا مِنْهَا :

(242) ترجمان الأشواق : 20-24.

(243) نفسه : 25-27.

(244) نفسه : 32-34.

وَأَنْدَبُ أُحِبَّتْنَا بِذَلِكَ الْبَلَقِ
 مِنْهَا بِحُسْنِ تَطْلُقِ بِتَفْجُوعِ
 ثَمَرِ الْقُدُودِ وَوَرَدَ رَوْضِ أُيْنَعِ
 مَا كَانَ بَرْقُكَ خُلْبًا إِلَّا مَعِي
 فِي ظِلِّ أَفْنَانِي بِأَطْيَبِ مَوْضِعِ
 وَالْيَوْمَ بَرْقِي لَمَعُ هَذَا الْيَرْمَعِ
 فِي دَفْعِهِ، مَا ذَنْبُ مَنْزِلِ لَعْلَعِ
 تَشْكُو كَمَا أَشْكُو بِقَلْبِ مُوجِعِ
 مَسْرَى الرِّيحِ الدَّارِسَاتِ الْأَرْبَعِ
 قَالَتْ: نَعَمْ، قَالُوا بِذَاتِ الْأَجْرَعِ
 تَحْوِيهِ مِنْ تِلْكَ الشُّمُوسِ الطَّلَعِ (245)

ظَبَاءُ ذَاتِ الْأَجْرَعِ
 حَمَائِلًا وَتَرْتَعِي
 بِأَفْقِ ذَاكَ الْمَطْلَعِ
 مِنْ حَذَرٍ لَمْ تَطْلُعِ
 مِنْ بَرْقِ ذَاكَ الْيَرْمَعِ
 لِمَا بَنَّا لَمْ تَلْمَعِ
 يَا مُقْلَتِي لَا تُقْلَعِي
 فَالنَّارُ بَيْنَ أَضْلَعِي
 خَوْفِ الْفِرَاقِ أَدْمُعِي
 مَرْتَعِهِمْ وَمَصْرَعِي
 عِنْدَ مِيَاهِ الْأَجْرَعِ
 ذِي لَوْعَةٍ مُودَّعِ

قَفْ بِالطَّلُولِ الدَّارِسَاتِ بِلَعْلَعِ
 قَفْ بِالذَّيَارِ وَنَادِيهَا مُتَعَجِّبًا
 عَهْدِي بِمَثَلِي عِنْدَ بَانَكَ قَاطِفًا
 «كُلُّ الَّذِينَ رَجَوْا نَوَالَكَ أُمِطُّوا
 قَالَتْ نَعَمْ، قَدْ كَانَ ذَاكَ الْمُلتَقَى
 إِذْ كَانَ بَرْقِي مِنْ بُرُوقِ مَبَاسِمِ
 فَاعْتَبَ زَمَانًا مَا لَنَا مِنْ حِيلَةٍ
 فَعَذَرْتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ جَوَابَهَا
 وَسَأَلْتُهَا لَمَّا رَأَيْتُ رُبُوعَهَا
 هَلْ أَخْبَرْتُكَ رِيَا حُهُمَ بِمَقِيلِهِمْ
 حَيْثُ الْحَيَامُ الْبَيْضُ تُشْرِقُ لِلَّذِي
 وَأَشْدَّنِي لِنَفْسِهِ أَيْضًا :

بَيْنَ النَّقَا وَلَعْلَعِ
 تَرَعَى بِهَا فِي حَمَرِ
 مَا طَلَعَتْ أَهْلَةً
 إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّهَا
 وَلَا بَدَتْ لَامِعَةً
 إِلَّا اشْتَهَيْتُ أَنَّهَا
 يَا دَمْعَتِي وَأُنْسَكِي
 وَأَنْتَ يَا حَادِي اتِّعِدْ
 قَدْ فَيْتُ مِمَّا جَرَتْ
 فَارْحَلْ إِلَى وَادِي اللَّوَى
 إِنَّ بِهِ أُحْيَتِي
 وَنَادِيهِمْ مَنْ لِفَتَى

رَمْتُ بِهِ أَشْجَانَهُ
يَا قَمْرًا تَحْتَ دُجَى
وَزُودِيهِ نَظْرَةً
أَوْ عَلَيْهِ بِالْمُنَى
مَا هُوَ إِلَّا مَيِّتٌ
فَمُتْ يَا سَأً وَأَسَى
مَا صَدَقْتَ رِيحَ الصَّبَا
قَدْ تَكْذِبُ الرِّيحُ إِذَا

وَأُنْشِدُنِي أَيْضًا :

أَطَارِحُ كُلَّ هَاتِفَةٍ بِأَيْلِكَ
فَتَبْكِي إِنْهَا مِنْ غَيْرِ دَمْعٍ
أَقُولُ لَهَا - وَقَدْ سَمَحْتَ جُفُونِي -
أَعِذْكَ بِالَّذِي أَهْوَاهُ عِلْمُ

وَقَالَ : وَأُنْشِدْنِيهِ :

عِنْدَ الْكُتَيْبِ مِنْ جِبَالِ زُرُودٍ
صَرَغَى وَهُمْ أَبْنَاءُ مَلْحَمَةِ الْوُغَى
فَكَثَّ بِهِمْ لِحَظَاتُهُنَّ وَحَبْدًا

وَقَالَ، وَأُنْشِدْنِيهِ :

ثَلَاثُ بُدُورٍ لَمْ يُزَنَّ بِرِيَّةٍ
حَسَرَنَ عَنْ أَمْثَالِ الشُّمُوسِ إِضَاءَةً
وَأَقْبَلَنَ يَمْشِيَنِ الرُّوَيْدَا كَمَثَلِ مَا

يَهْمَاءَ رَسْمٍ بَلَقَعَ
خُذْ مِنْهُ شَيْئًا وَدَعِ
مَنْ خَلَفَ ذَاكَ الْبَرْقِعَ
عَسَاهُ يَحْيَا وَيَعْيِي
بَيْنَ النَّقَا وَلَعْلَعَ
كَمَا أَنَا فِي مَوْضِعِي
حِينَ أَتَتْ بِالْخُدَعِ
تُسْمَعُ مَا لَمْ تَسْمَعْ (246)

عَلَى فَنِي بِأَفْنَانِ الشُّجُونِ
وَدَمْعُ الْحُزْنِ يَهْجُلُ مِنْ جُفُونِي
يَأْذُمُعَهَا تُخْبِرُ عَنْ شُؤُونِي
وَهَلْ قَالُوا بِأَفْيَاءِ الْعُصُونِ (247)

سَيِّدٌ وَأُسْدٌ مِنْ لِحَاظِ الْغِيْدِ
أَيْنَ الْأَسُودُ مِنَ الْعُيُونِ السُّودِ
تِلْكَ الْمَلَا حَظُّ مَنْ بَنَاتِ الصَّيِّدِ (248)

خَرَجْنَ إِلَى التَّنْعِيمِ مُعْتَجِرَاتِ
وَلَبَّيْنَ بِالْإِهْلَالِ مُعْتَمِرَاتِ
تَمَشَّى الْقَطَا فِي الْحَفِ الْحَبَرَاتِ (249)

(246) نفسه : 117-122.

(247) نفسه : 144.

(248) نفسه : 145.

(249) نفسه : 146.

وَقَالَ، وَأُنْشِدْنِيهِ :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لِيَبْضُ خُرْدٍ غُرْبٍ
مَا تَسْتَدِلُّ إِذَا مَا تَهَتْ خَلْفَهُمْ
وَلَا دَجَا بِي لَيْلٍ مَا بِهِ قَمَرٌ
وَأَنَّمَا حِينَ أُمَشِي فِي رِكَابِهِمْ
عَازِلْتُ مِنْ غَزَلِي مِنْهُنَّ وَاحِدَةً
إِنْ أُسْفَرْتُ عَنْ مُحَيَّاها أُرْتُكَ سَنَى
نَلْشَمْسٍ غُرَّتْهَا وَاللَّيْلُ طُرَّتْهَا
مَنْحُنُ فِي اللَّيْلِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ بِهِ
لَعَيْنَ بِي عِنْدَ لَثَمِ الرُّكْنِ وَالْحَجَرِ
إِلَّا يَبْرِجُهُمْ مِنْ طَيِّبِ الْأَثَرِ
إِلَّا ذَكَرْتُهُمْ فَسِرْتُ فِي الْقَمَرِ
فَاللَّيْلُ عِنْدِي مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْبَكْرِ
حَسَنَاءُ لَيْسَ لَهَا أُخْتُ مِنْ الْبَشَرِ
مِثْلَ الْغَزَالَةِ اشْرَاقًا بِلَا غَبَرِ
شَمْسٌ وَلَيْلٌ مَعًا مِنْ أَعْجَبِ الصُّورِ
وَنَحْنُ فِي الظُّهْرِ فِي لَيْلٍ مِنَ الشُّعْرِ (250)

وَقَالَ، وَأُنْشِدْنِيهِ :

بَيْنَ الْحَشَا وَالْعُيُونِ التَّجَلَّ حَرْبٌ هَوَى
وَالْقَلْبُ مِنْ أَجْلِ ذَاكَ الْحَرْبِ فِي حَرْبٍ
لَمَيَاءُ لَعْنَاءٍ مَغْسُولٌ مُقْبَلُهَا
شَهَادَةُ النَّحْلِ مَا تَلْقَى مِنَ الضَّرْبِ
رَبَا الْمَخْلُخِلِ دَيُّجُورٌ عَلَى قَمَرٍ
فِي خَدَّهَا شَفَقٌ غُصْنٌ عَلَى كُثْبٍ
حَسَنَاءُ حَالِيَةً لَيْسَتْ بِغَانِيَةٍ
تَفْتَرُّ عَنْ بَرْدٍ ظَلَمٍ وَعَنْ شَنْبٍ
تَصُدُّ جِدًّا، وَتَلْهُو بِالْهَوَى لَعْبًا
وَالْمَوْتُ مَا بَيْنَ ذَاكَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
مَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ إِلَّا جَاءَ يَعْقِبُهُ
تَنْفُسُ الصُّبْحِ مَعْلُومٌ مِنَ الْحَقْبِ
وَلَا تَمُرُّ عَلَى رَوْضٍ رِيَّاحٌ صَبَا
تُخَوِّي عَلَى كَاعِبَاتٍ خُرْدٍ غُرْبٍ

(250) نفسه : 152-153.

إِلَّا أُمَالَتْ وَكَمَّتْ فِي تَسْمِيهَا
يَمَّا حَمَلْنَ مِنَ الْأَزْهَارِ وَالْقُضْبِ
سَأَلْتُ رِيحَ الصَّبَا عَنْهُمْ لِتُخْبِرَنِي
قَالَتْ: وَمَا لَكَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ أَرْبٍ؟
فِي الْإِبْرَقَيْنِ وَفِي بَرَكَ الْغَمَادِ وَفِي
بَرْكِ الْعَمِيمِ تَرَكْتُ الْحَيَّ عَنْ كَتَبِ
لَا تَسْتَقِلُّ بِهِمْ أَرْضُ، فَقُلْتُ لَهَا:
أَيْنَ الْمَفَرُّ وَخَيْلُ الشَّوْقِ فِي الطَّلَبِ
هِيَ هَاتَ لَيْسَ لَهُمْ مَعْنَى سِوَى خَلْدِي
فَحَيْثُ كُنْتُ يَكُونُ الْبَدْرُ فَأَرْتَقِبِ
الْأَيْسَ مَطْلَعُهَا وَهَمِي وَمَغْرُبُهَا
قَلْبِي فَقَدْ نَالَ شَوْمُ الْبَانِ وَالْعَرَبِ
مَا لِلْغُرَابِ نَعِيقٌ فِي مَنَازِلِنَا
وَمَا لَهُ فِي نِظَامِ الشَّمْلِ مِنْ نَدَبٍ (251)

وقال، وأنشدني:

حَمَامَةَ الْبَانِ بِذَاتِ الْعَضَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَحْمِلُ شَجْوَ الْهَوَى
أَقُولُ مَنْ وَجِدٍ وَمَنْ لَوْعَةٍ
مَرَّ بِبَابِ الدَّارِ مُسْتَهْزِئاً
ضَاقَ لِمَا حَمَلْتَنِيهِ الْفَضَا
مَنْ ذَا الَّذِي يَجْرُعُ مَرُّ الْقَضَا
يَا لَيْتَ مَنْ أَمْرَضَنِي مَرَضَا
مُسْتَحْفِياً مُعْتَجِراً مُعْرِضَا
مَا ضَرَّنِي تَعْجِيرُهُ إِنَّمَا
أَضْرَبَنِي مِنْ كَوْنِهِ أَعْرَضَا (252)

وقال، وأنشدني:

يَا حَادِي الْعَيْسِ بَسْلَعِ عَرَجٍ
وَنَادِيهِمْ مُسْتَطَفَاً مُسْتَطَفَاً
وَقَفْ عَلَى الْبَائَةِ بِالْمَدْرَجِ
يَا سَادَتِي هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ فَرَجٍ

(251) نفسه : 168-170.

(252) نفسه : 171-172.

بِرَامَةٍ بَيْنَ النَّقَا وَحَاجِرٍ
يَا حُسْنَهَا مِنْ طِفْلَةٍ غُرَّتْهَا
لَوْلُوءٌ مَكْنُونَةٌ فِي صَدْفٍ
يَحْسِبُهَا نَاطِرُهَا ظَبْيٌ نَقَى
كَأَنَّهَا شَمْسٌ ضَحَى فِي حَمَلٍ
إِنْ حَسَرْتُ بَرُوقَهَا أَوْ سَفَرْتُ
نَادَيْتَهَا بَيْنَ الْجَمَى وَرَامَةٍ
مَنْ لِفَتَى مُتِيهِ فِي مَهْمَةٍ
مَنْ لِفَتَى دَمَعْتُهُ مَغْرَقَةٌ
مَنْ لِفَتَى زَفَرْتُهُ مُحْرَقَةٌ
قَدْ لَعِبْتُ أَيْدِي الْهَوَى بِقَلْبِهِ

وقال، وأنشدنيه :

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلَّغْ مَهَا نَجْدٍ
وَقُلْ لِفَتَاةِ الْحَيِّ مَوْعِدُنَا الْجَمَى
عَلَى الرَّبْوَةِ الْحَمْرَاءِ مِنْ جَانِبِ الصَّوَى
فَإِنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُولُ وَعِنْدَهَا
إِلَيْهَا فَفِي حَرِّ الظَّهِيرَةِ نَلْتَقِي
فَتَلْقِي وَنَلْقِي مَا تُلَاقِي مِنَ الْهَوَى
أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ، أَبْشَرَى مَنَامَةٍ
لَعَلَّ الَّذِي سَاقَ الْأَمَانِي يَسُوقُهَا

وقال، وأنشدنيه :

أَلَا هَلْ إِلَى الزُّهْرِ الْجِسَانِ سَبِيلُ
وَهَلْ لِي بِخَيَمَاتِ اللَّوَى مِنْ مُعْرَسِ

جَارِيَةٍ مَقْصُورَةٍ فِي هَوْدَجٍ
تُضِيءُ لِلطَّارِقِ مِثْلَ السَّرَجِ
مَنْ شَعَرَ مِثْلَ سَوَادِ السَّبَجِ
مَنْ جَدَّهَا وَحُسْنِ ذَلِكَ الْغَنَجِ
قَاطِعَةٌ أَقْصَى مَعَالِي الدَّرَجِ
أَزْرَتْ بِأَنْوَارِ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ
مَنْ لِفَتَى حَلٍّ بَسَلَعٍ يَرْتَجِي
مَوْلَاهُ مِثْلَهُ الْعَقْلِ شَجِي
أَسْكُرُهُ خَمْرٌ بِذَاكَ الْفَلَجِ
تَيْمُهُ جَمَالُ ذَلِكَ الْبَلَجِ
فَمَا عَلَيْهِ فِي الَّذِي مِنْ حَرَجٍ (253)

يَأْتِي عَلَى مَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْعَهْدِ
غَدِيَّةَ يَوْمِ السَّبْتِ عِنْدَ رَبِّي نَجْدِ
وَعَنْ أَيْمَنِ الْإِفْلَاجِ وَالْمَعْلَمِ الْفَرْدِ
إِلَيَّ مِنَ الشَّوْقِ الْمُبْرِجِ مَا عِنْدِي
بِخَيْمَتِهَا سِرًّا عَلَى أَصْدِقِ الْوَعْدِ
وَمِنْ شِدَّةِ الْبَلْوَى وَمِنْ أَلَمِ الْوَجْدِ
أَنْطَلِقُ زَمَانٍ كَانَ فِي نُطْقِهِ سَعْدِي؟
عَيْنَانَا فَيُهْدِي رَوْضَهَا لِي جَنَى الْوَرْدِ (254)

وَهَلْ لِي عَلَى آثَارِهِنَّ دَلِيلُ
وَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ الْأَنْثِيلِ مَقِيلُ

(253) نفسه : 173-175.

(254) نفسه : 189-190.

فَقَالَ لِسَانُ الْحَالِ يُخْبِرُ أَنَّهَا
وَدَادِي صَحِيحٌ فَيْلِكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى
تَعَالَيْتُ مِنْ بَذْرِ عَلَى الْقُطْبِ طَالِعِ
فَدَيْتُكَ يَا مَنْ عَزَّ حُسْنًا وَنَحْوَةً
فَرَوْضُكَ مَطْلُورٌ وَوَرْدُكَ يَانِعٌ
وَزَهْرُكَ بَسَامٌ وَغُصْنُكَ نَاعِمٌ
وَظَرْفُكَ فَتَانٌ، وَطَرْفُكَ صَارِمٌ

وقال، وأنشدنيه :

لِطَيِّبَةِ طَيِّبِي طَيِّبًا صَارِمِ
وَفِي عَرَافَاتٍ عَرَفْتُ الَّذِي
وَلَيْلَةَ جَمْعٍ جُمِعْنَا بِهَا
يَمِينُ الْفَتَاةِ يَمِينُ فَلَا
مُنَى بِمَنْى نَلْتَمِسُ لَيْتَهَا
تَوَلَعْتُ فِي لَعْلَعٍ بِالَّتِي
رَمَتْ رَامَةً وَصَفَتْ بِالصَّفَا
وَشَامَتْ بَرِيقًا عَلَى بَارِقِ
وَعَاضَتْ مِيَاهَ الْعَضَا مِنْ غَضَا
وَبَانَتْ بِبَانَ النِّفَا فَانْتَقَتْ
وَأَضَتْ بِذَاتِ الْأَصَا الْفَهْقَرَى
بِذِي سَلَمٍ أَسْلَمْتُ مُهْجَتِي
حَمَتْ بِالْحَمَى وَلَوْثَ بِاللَّوَى
وَفِي عَالِجٍ عَالِجَتْ أَمْرَهَا
خَوَّرْتُهَا خَارِقٌ لِلسَّمَاءِ

تَقُولُ: تَمَنَّ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
وَقَلْبِي مِنْ ذَلِكَ الصَّحِيحِ عَلِيلُ
وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الطَّلُوعِ أَفُولُ
فَلَيْسَ لَهُ بَيْنَ الْحِسَانِ عَدِيلُ
وحسبك معشوق عليه قبول
تَمِيلُ لَهُ الْأَرْوَاحُ حَيْثُ يَمِيلُ
بِهِ فَارِسُ الْبَلَوَى عَلَيَّ يَصُولُ⁽²⁵⁵⁾

تَجَرَّدَ مِنْ طَرْفِهَا السَّاجِرِ
تُرِيدُ، فَلَمْ أَكُ بِالصَّابِرِ
كَمَا جَاءَ فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ
تَكُنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى غَادِرِ
تَدُومُ إِلَى الزَّمَنِ الْآخِرِ
تُرِيكَ سَنَا الْقَمَرِ الزَّاهِرِ
وحجرت الحجر بِالْحَاجِرِ
بِأَسْرَعٍ مِنْ خَطَرَةِ الْخَاطِرِ
بِأَضْلَعِهِ مِنْ هَوَى سَاجِرِ
لِأَلْيَاءٍ مَكُونَةِ الْفَاجِرِ
حَذَارًا مِنَ الْأَسَدِ الْخَادِرِ
إِلَى لَحْظِهَا الْفَاتِكِ الْفَاتِرِ
كَعُطْفَةِ جَارِحِهَا الْكَاسِرِ
لَنَفَلْتُ مِنْ مَخْلَبِ الطَّائِرِ
فَيَسُمُّوْا عِتْلَاءً عَلَى النَّاطِرِ⁽²⁵⁶⁾

(7 : 279-298)

(255) نفسه : 191-192.

(256) نفسه : 193-195.

46 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ

أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَحْمَانَ الْبَكْرِيِّ الشَّرِيشِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ⁽²⁵⁷⁾، كَانَ مَوْلَاهُ تَقْدِيرًا فِي سَنَةِ سِتٍّ مِئَةٍ، سَمِعَ الْحَدِيثَ الْكَثِيرَ بِالْأَنْدَلُسِ وَدِيَارِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ وَبَغْدَادَ، وَاسْتَظْهَرَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَقَرَأَ عِلْمَ الْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ عَلَى جَمَاعَةٍ.

تَرَبَّى بِالْأَنْدَلُسِ، وَقَرَأَ فِقْهَ الْإِمَامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ يَلْتَمِسُ مِنْ إِنْسَانٍ كِتَابَ التَّلْقِينِ⁽²⁵⁸⁾ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْرَهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَعَارَهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ كَتَبَ لَهُ رُقْعَةً يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ فِي الْمَنْعِ : مَا إِنْ وَجَدْتُ — أَطَالَ اللَّهُ عُمرَكَ — لِي مِنْ مَنَعِكُمْ مِنِّي التَّلْقِينَ مَوْجِدَةً قَدْ طَالَ مَا كَانَ عِنْدِي وَاتْتَفَعْتُ بِهِ وَفِي الصَّمِيمِ لَكُمْ وَدٌّ وَمَنْزِلَةٌ إِذَا الصَّدَاقَةُ صَحَّتْ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ وَلِلْمَكَارِمِ ثَوَلِيهَا وَتَشْرُهَا عَلَيْكَ فِي النَّفْسِ أَطْوِيهَا وَأَنْشُرُهَا وَكَمْ لَكُمْ مِنْ أَيَادٍ لَسْتُ أَخْصُرُهَا مَنَعَ الْحَوَائِجِ مِمَّا لَا يُغَيِّرُهَا عَلَى صَفَاءٍ فَمَا شَيْءٌ يُكْذِرُهَا

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ، مِنْ قَصِيدَةٍ⁽²⁵⁹⁾ :

لَقَدْ سَارَ فِينَا سِيرَةً عُمْرِيَّةً وَأَذْهَبَ عَنَّا الْجَوْرَ فَالْعَدْلُ قَائِمٌ إِذَا مَا اتَّخَضَ لِلْحُطْبِ يَقْطَانٌ عَزْمَهُ غَدَتْ عَزَمَاتُ الدَّهْرِ وَهِيَ نَوَائِمٌ فَفِي الْحَرْبِ لِلْأَعْدَاءِ بِالْقَهْرِ قَاسِمٌ وَفِي السَّلَامِ لِلْأَمْوَالِ بِالرَّفْقِ قَاسِمٌ لِكُلِّ بُيُوتِ اللَّهِ وَالْعِلْمِ عَامِرٌ وَكُلِّ بُيُوتِ الشَّرِّ وَالْجَهْلِ هَادِمٌ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

هَلَّا عَلَيْكَ كَمَا كَلَفْتَ جَمِيلًا أَنْ ثَوَلِي الصَّبَّ الْمَشُوقَ جَمِيلًا يَا وَاصِلِي بِالْهَجْرِ إِنَّكَ قَاتِلِي هَلَّا لَوْصِلَكَ أَنْ يَكُونَ وَصُولًا أَيْحُلْ قَتْلُ الصَّبِّ فِي شَرْعِ الْهَوَى لَا، وَالَّذِي قَدْ أَنْزَلَ التَّنْزِيلَ

(257) له ترجمة جيدة في الوافي بالوفيات 2 : 131-132 وبغية الوعاة 1 : 44.

(258) كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب، وهو من كتب الفقه المشهورة.

(259) لعلها في مدح الملك الناصر الذي كان يحضر دروسه في الرباط الناصري وهو واقفه.

خَزَنِي مِنَ الْجَفَنِ الْعَلِيلِ كَأَنَّهُ
يَا مَالِكاً رَقِ الْأَنَامِ بِحُسْنِهِ
أَوْ مَا تَرِقُّ لِمُذْنِفٍ وَمُتِّمٍ
أُضْنَاهُ طُولَ الشَّوْقِ حَتَّى أَتُهُ
أَلْفَ الشَّهَادِ مَعَ الضَّنَى فَجُفُونُهُ
يَرَعَى النُّجُومَ إِلَى الصَّبَاحِ وَيَنْتَنِي
فَوَحَقَّ حُسْنُكَ وَالصَّبَابَةُ إِنِّي
لَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكَ إِنْ أَتَلَفْتَنِي
هَذَا دَمِي لَكَ يَا ظَلُومُ أَبْحَثُهُ
أَقْسَمْتُ أَتُكَّ فِي جَمَالِكَ وَاحِدٌ
قَدْ صَيَّرَ الْجِسْمَ الصَّحِيحَ عَلِيلاً
مَا بَالُ طَرَفِكَ لِلْعَبِيدِ قَتُولَا
أَضْحَى بِحُبِّكَ هَائِماً مَحْبُولَا
مَا إِنْ يَبِينُ لِمَبْصِرِهِ نُحُولَا
مَا إِنْ تَذُوقُ مِنَ الْمَنَامِ قَلِيلاً
حَتَّى الْمَسَاءِ بِذِكْرِكُمْ مَشْغُولَا
مَا خِفْتُ مَوْلَى بِالْهَوَى مَقْتُولَا
إِذْ كَانَ شَخْصُكَ فِي الْفُؤَادِ نَزِيلاً
أَوْ مَا تَخَافُ لَدَى الْحِسَابِ جَلِيلاً
مَا إِنْ أَرَى لَكَ فِي الْمَلَا حَ مِثِيلاً
(7 : 307-309)

47 — مُحَمَّدٌ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أُمَيَّةَ

إِبْنِ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدَرِي (260)، مِنْ أَهْلِ مِيُوزَقَةَ مِنْ بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ شَابٌ أَشْقَرُ قَصِيرٌ مِنْ حُفَاطِ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ، زَعَمَ أَنَّهُ دَرَسَ قَدْرًا مِنْ
عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَثَقَنَهُ، نَزَلَ حَلَبَ وَاسْتَوطنَهَا يَسْتَرْزِقُ مِنَ الْوَرَاقَةِ وَالنَّسْخِ، وَذَكَرَ
أَنَّهُ وَلَدَ سَنَةَ عَشْرٍ وَسِتِّ مِائَةٍ وَيَقُولُ الشَّعْرُ، أَنَشَدَنِي لِنَفْسِهِ بِحَلَبٍ، وَكَتَبَهُ لِي
بِخَطِّهِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ :

عُجَّ بِالْكَيْبِ الْمُسْتَهَامِ وَسَرَّ بِهِ
وَأَشْدَّ فُؤَادًا ضَلَّ فِيهِ، وَقُلَّ لَهُ
وَأَسْفَحَ بِسَفْحِ الْأَبْرَقِينَ وَثَرَبِهِ
فَلَعَلَّهُ تُقْضَى لِبَانَةُ نَفْسِهِ
يَا مَدْنَفًا عَثَّ السَّقَامُ بِجِسْمِهِ
مُتِّمًا نَحْوَ الْعَقِيقِ وَسَرَّ بِهِ
لَيْسَ الْمُتِّمُ أَمْنًا فِي سِرْبِهِ
سَحَبَ الدَّمُوعِ عَلَى تَشْتَّتِ حَزْبِهِ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ بِلُوعَةِ حَبِّهِ
وَمُتِّمًا لِعَبِّ الْغَرَامِ بَلْبِهِ

(260) لم أقف على ترجمة له في مصدر آخر.

وَطَوَى السَّرُورَ لِبَيْنِهِمْ يَوْمَ التَّوَى
خَفُضٌ — فَدَيْتُكَ — زَفَرَةٌ أَبْدَيْتَهَا
كَنِي لَا يُقَالُ مِنَ الصَّبَابَةِ قَدْ صَبَا
وَمُهَفَّفٌ، مَلِكُ الْقُلُوبِ بِحُسْنِهِ
لَدِنَ الْمَعَاطِفِ كَالْقَضِيبِ إِذَا انْتَنَى
سَلِسَ الْمَقَالِ مِنَ اللَّطَافَةِ سَهْلُهُ
يَقْرِي الْمُعْتَى سَلُوءٌ وَتَجَهُمَا
أَهْدَى السَّقَامِ لَجْسِهِ وَلَطَرَفِهِ
يَا لَأَتَمَّ الصَّبِّ الشَّجِي فِي حُبِّهِ
شَتَانَ بَيْنَكُمَا تَبَيْتُ مُنْعَمًا

وقال أيضا :

سَلَامٌ يُبَارِي الْمِسْكَ وَالْمَنْدَلَ الرَّطْبَا
عَلَيْكُمْ يَبْتُ الشَّوْقُ مِنِّي إِلَيْكُمْ
تَحِيَّةُ نَائِي الدَّارِ وَالْأَهْلِ مَا قَضَى
يَحْنُ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ صَبَابَةً
وَيَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ إِذَا جَرَى
لَعَمْرِي مَا تَأْخِيرُ كَتَبِي عَنْ قَلِي
وَلَكِنْ رَيْبَ الدَّهْرِ يَا صَاحِبَ مُوَلَعٍ
تُطَوِّحُهُ أَيْدِي التَّوَى عَنْ أَهْلِهِ
لَحَا اللَّهُ مِنْ لَا يَقْبَلُ الْعَذْرَ مِنْ أَخٍ
عَلَيْكُمْ سَلَامٌ أَلَّهُ مَا جَنَّ غَاسِقٍ
وَمَا شَرَّقَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَشْرَقَتْ
وَلَهُ أَيْضًا :

أَسْمُ مَحْيَا يُجْتَلَى وَجْهُ أَغْيَدٍ
وَأَحْسَنُ زَهْرِ يُجْتَنَى وَرْدُ خَدِّهِ

طَيِّ الْأَدِيبِ اللَّوْذَعِيِّ لِكُتْبِهِ
وَتَلَاَفَ جَفْنِكَ مِنْ إِسَالَةِ غَرْبِهِ
وَتَضَرَّمَتْ حُرْقُ الْجَوَى فِي قَلْبِهِ
وَسَبَى الْعُقُولَ بِتِيهِ وَبِعُجْبِهِ
خَلَوِ الْمَرَاشِفِ وَالْمَقْبَلِ عَذْبِهِ
عَسِرَ الْوِصَالِ مِنَ الْقَطِيعَةِ صَعْبِهِ
وَيَظَلُّ يُعْمَلُ فِكْرُهُ فِي خَلْبِهِ
قَرَطُ السُّهَادِ وَصَدُّهُ عَنْ قُرْبِهِ
أَقْصِرْ بُلَيْتَ بَدَائِهِ مِنْ غَنِيهِ
وَيَبِيتُ مَلْتَهَبَ الْحَشَا مِنْ كَرْبِهِ

وَنَشَرَ نَسِيمِ الرُّوضِ عَنْ زَهْرِهِ هَبَا
وَيَمْنَحُكُمْ مَحْضَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبَا
لَهُ وَطَرًا لَكِنْ قَضَى نَحْبَهُ نَحْبَا
إِلَيْكُمْ، وَسَلَّ الْبَرَقُ مِنْ وَمُضِيهِ عَضْبَا
حَدِيثُكُمْ يَوْمًا فَهَاجَ لَهُ كَرْبَا
وَلَا مَلَلٌ مِنِّي فَأَسْتَوْجِبُ الْعَتْبَا
بِتَشْتِيتِ شَمْلِ الْمَرْءِ تَبَا لَهُ تَبَا
فَتَرْمِي بِهِ شَرْقًا، وَطُورًا بِهِ غَرْبَا
وَيُوسِعُهُ عَفْوًا وَإِنْ قَارَفَ الذَّنْبَا
وَمَا حَنَّ شَوْقًا عَاشِقٌ أَوْ رَعَى الشَّهْبَا
وَمَا صَدَّ أَحْوَى الْمَاقِ عَنْ مَدَنٍ عَجْبَا

وَأَحْلَى حَدِيثَ لَا يُمَلُّ عَتَابُهُ
وَأَعْدَبَ وَرْدٍ يُسْتَلَذُّ رُضَابُهُ

وله أيضاً :

تَحْلِيْلِي لُومًا فِي الْهَوَى الصَّبِّ أَوْ دَعَا
وَهَلْ يَرْغَوِي فِي الْحُبِّ حَرَّانُ قَدْ غَدَا
وَهَلْ يَسْتَطِيعُ الْوَالَهُ الصَّبِّ سَلْوَةً
وَأُودِعَ مَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ جَذْوَةً
وَقَلَقَلْ أَحْشَاءَ الْمُتَيَّمِ لَوْعَةً
يَهِيْمُ بِجِرَانِ الْعُذْبِ إِذَا سَرَى
تُمَارِجُهُ أَنْفَاسُهُمْ، فَكَأَنَّمَا
فَلَيْسَ وَإِنْ عَنَّفْتُمَا عَنْهُ مُقْلَعًا
مَنْ الْوَجْدِ لَا يُصْنَعِي إِلَى الْعَذْلِ مَسْمَعًا
وَقَدْ بَانَ مِنْ يَهْوَاهُ عَنْهُ وَودَّعَا
فَضَرَّمَهَا دَاعِي التَّفَرُّقِ إِذَا دَعَا
فَأَصْبَحَ مَذْعُورَ الْفُؤَادِ مُفْجَعًا
نَسِيْمٌ عَلَيْكَ مِنْهُمْ مُتَضَوِّعًا
تَحْمَلُ مِسْكَأً أَذْفَرًا فِيهِ مَوْدَعَا
(7 : 367-370)

48 — نَاهِضُ بْنُ إِدْرِيسِ الْوَادِاشِي⁽²⁶¹⁾

يُنْسَبُ إِلَى وَادِ آش مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةِ كَانَ شَاعِرَ قُطْرِيهِ، وَأَشْعَرَ مِنْ ذُكْرِ فِي
عَصْرِهِ، يَقُولُ فِي [قَصْرِ] السَّيِّدِ أَبِي يَحْيَى :
أَلَا حَبْدًا الْقَصْرُ الَّذِي آرْتَفَعَتْ بِهِ
هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى الَّذِي أَنْفُ الثَّرَى
فَارْكَبُ مَتْنِ النَّهْرِ عِزًّا وَرِفْعَةً
فَلَا زَالَ مَعْمُورَ الْجَنَابِ وَبَابُهُ
عَلَى الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْحِجَارَةِ أَقْوَاسُ
وَرَفَعُهُ عَنْ لَثْمِهِ الْمَجْدُ وَالْبَاسُ
وَفِي مَوْضِعِ الْأَقْدَامِ لَا يُوجَدُ الرَّاسُ
يَعْصُ وَحَافِي أَفْقُهُ الدَّهْرُ أَغْرَاسُ
(9 : 137)

49 — هَاشِمُ بْنُ حَبِيبِ أَبُو الْوَلِيدِ⁽²⁶²⁾

الْأَدِيبُ الْفَقِيهُ النَّحْوِيُّ الْحَطِيبُ الْمُقْرِي الرَّاهِدُ الْبَيْغِيُّ يُنْسَبُ إِلَى بَيْغُو⁽²⁶³⁾

(261) انظر فيه المغرب لابن سعيد 2 : 145 ونفع الطيب 1 : 470، 5 : 70-71.

(262) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من المظان.

(263) بيغه (بالأمالة) أو باغهُ مدينة أندلسية تقع بين قرطبة وغرناطة. انظر فيها المغرب 2 : 154
ومعجم البلدان (باغه) والروض المعطار : 122 وتسمى اليوم PRIEGO.

وَهِيَ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مِنْ أَعْمَالِ غَرْنَاطَةٍ. كَانَ أَبُو الْوَلِيدِ يَتَوَلَّى خَطَابَتَهَا، وَكَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَأَوْلِيائِهِ الْأَبْرَارِ الْعَامِلِينَ، قَارِئًا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ لَهُ زَاهِدًا مُتَعَبِّدًا مُتَفَنِّئًا فِي كُلِّ فَضْلٍ، قِيَمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ لَا يَقَعْدُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ يَقُومُ بِهَا أَحْسَنَ قِيَامٍ، وَكَانَ قَدْ تَصَدَّرَ لِقَرَاءَتِهَا، وَإِفَادَتِهَا، وَالنَّاسُ يَعْشَوْنَهُ، وَيَأْتُونَ إِلَيْهِ وَيَقْرَءُونَ عَلَيْهِ، وَيَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ وَيَأْخُذُونَ عَنْهُ، فَتَخَرَّجَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّصِيبِ الْوَافِرِ وَالْحِطِّ الْوَافِي فِي قَرْضِ الشَّعْرِ، وَقَالَ مِنْهُ قَصَائِدُ مُطَوَّلَاتٍ، وَمَقَاطِيعُ مُسْتَحْسَنَاتٍ، وَمَاتَ مَقْتُولًا اسْتَشْهَدَ عَلَى أَيْدِي الْفِرْنَجِ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (264).

أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَلِيٍّ الْأَسَدِيُّ الْبَيْغِيُّ (265) الْمَقْرِيُّ بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْأُسْتَاذُ الرَّاهِدُ أَبُو الْوَلِيدِ هَاشِمُ بْنُ حَبِيبِ الْبَيْغِيِّ لِنَفْسِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

بَانَ الْخَلِيطُ وَزُودُوكَ غَرَامًا فَأَبْتُ جُفُونَكَ أَنْ تَذُوقَ مَنَامًا
وَحَشَوُا فُؤَادَكَ لَوَعَةً لَا تَنْقُضِي وَنَأَوْا بِصَبْرِكَ ظَاعِنِينَ ظَلَامًا

ومنها :

نَادَيْتُ دَارَهُمْ، أَدَارًا لَمْ تَزَلْ أَلْقَى بِهَا الْغِزْلَانَ وَالْآرَامَا
يَا مَعَهْدَ اللَّذَاتِ يَا مُلْقَى الْمُتَى كُنْتَ الشِّفَاءَ فَقَدْ رَجَعْتَ سَقَامَا
يَنْكِحِي حَمَامُ الْأَيْكَ طَوَّلَ حَنِينِهِ وَلَرُبَّ مُشْتَاكِ يَهِيْجُ حِمَامَا
وَلَهُ أَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنِّي لَمْ يَقَعْ إِلَيَّ شَيْءٌ مِنْهَا غَيْرَ مَا أَثْبَتُهُ.

(9 : 185-186)

(264) في هذه السنة استولى الفتنش على باغه بمساعدة المعروف بالبياسي والعياذ بالله. انظر الروض المعطار : 122 ويبدو أن المترجم كان ممن استشهدوا في هذه الحادثة.

(265) لم أقف له على ترجمة، ويبدو أنه هو مصدر ابن الشعار في ترجمة بليدي.

50 — الهَيْثُمُ بْنُ جَعْفَرٍ

أَبُو الْمُتَوَكِّلِ الْإِسْبِيلِيُّ⁽²⁶⁶⁾ الْأَدِيبُ الْفَاضِلُ الشَّاعِرُ، مِنَ الْمُجِيدِينَ فِي عِلْمِ
الْأَدَبِ وَنَظْمِ الشَّعْرِ بِقَطْرِهِ، يَفُوقُ أَهْلَ زَمَانِهِ فَضْلاً وَفَهْماً وَفَصَاحَةً وَرِجَاحَةً.
وَمَنْ شِعْرِهِ مَا قَالَهُ عَلَى لِسَانِ غَيْرِهِ :

بِأَرْضِ رَيَّةَ⁽²⁶⁷⁾ أَوْطَانِي وَأَوْطَارِي وَلِي هَوًى فِيهِمْ عَارٍ مِنَ الْعَارِ
سَمِيَّ يَخْيِي وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ، فَمَاذَا صُنْعُ سَحَارِ
وَقَوْلُهُ، وَهُوَ أَوَّلُ شِعْرِ قَالَهُ فِي الْمَكْتَبِ :

هَلْ تَبْدَى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي بِهِلَالِ الْمَلَا حِ يَخْيِي بَنِي رُشْدِ
لَا حَ غُذِرِي لِلْأَهْيِ لِلَّهِ مَا بِي مِنْ غَزَالٍ يَشِيبُ وَجْداً بِوَجْدِ
بَدْرٍ تَمَّ بَدَا فَقُلْتُ تَعَالَى جُدُّ رَبِّ أَهْدَاكَ يَا رَبَّ سَعْدِ

أَرَادَ بِقَوْلِهِ : اللّاهي من اللّهُو. (9 : 323-324)

51 — يَحْيَى بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ

أَبُو زَكَرِيَا الْوَاعِظُ الْحُشْنِي⁽²⁶⁸⁾ مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ ذَكَرَهُ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو
الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي فِي تَارِيخِهِ⁽²⁶⁹⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ : وَرَدَ إِرْبِلَ، وَعَقَدَ بِهَا
مَجَالِسَ الْوَعِظِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعَامَّةِ قَبُولٌ عَظِيمٌ، كَانَ يَجِيءُ النَّاسُ أَكْثَرَ مَجَالِسِهِ،
فَيَتَكَفَّفُهُمْ، وَصَلَّاهُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَبُو سَعِيدٍ كُوكْبُورِي ابْنُ عَلِيٍّ بَكَتِكِينَ
بِصِلَّةٍ وَأَرَادَ السَّفَرَ، فَأَمَرَ الْعَامَّةُ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ

(266) ترجمته في التكملة رقم 2023 والمغرب 1 : 258 واختصار القدر : 158 ورايات
المبرزين : 18 وبرناج الرعيبي : 191-195.

(267) أرض رَيَّة هي مالقة، ورية بالعجمية معناها الملكة.

(268) في تاريخ لإربل : الحسنی.

(269) توجد ترجمة المذكور هنا لابن المستوفي ضمن هذا المجموع (ص 177).

إِلَى ذَلِكَ فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ، ثُمَّ قَالَ :
أَشَدَّنِي لِنَفْسِي مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ التَّرَمُّ فِي اثْنَائِهَا الْإِتْيَانَ بِكَلِمَاتٍ مُنَوَّرَةٍ ذَكَرَهَا
لِي تَبِينُ إِذَا كُتِبَتْ بِلَوْنٍ غَيْرِ الْمِدَادِ يَقُولُ مِنْهَا :

يَا دَوْحَةَ الْبَابِ مِنْ شَرْقِي كَاطِمَةٍ سَقَاكِ مِنْ عِبْرَاتِ السُّحُبِ هَتَانُ
لِسَاكِنِيكَ عَلَيْنَا خِدْمَةٌ وَلَنَا عَلَيْهِمُ بِالْوَفَا عَهْدٌ وَإِيمَانُ
كَمْ أَعَذَلُ الْقَلْبَ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمْ دَنَوْنَا فَلَمَّا دَنَا وَصَلِي بِهِمْ بَانُوا
هُمْ عَلَّمُونِي الْهَوَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ حَتَّى إِذَا وَلَجُوا بَابَ الْهَوَى نَخَانُوا
هُمْ الَّذِينَ بِسُحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا دَمَ الْهَمَامِ وَشَرَعُ الْحُبِّ اذْعَانُ
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِي بِالصَّدْرِ أَكْتُمَ مَا بِالْقَلْبِ غَادَرَهُ صَبْرٌ وَكِتْمَانُ
(9 : 364-365)

52 - يَحْيَى بْنُ إِسْحَاقَ

الْأَمِيرُ أَبُو زَكَرِيَّا الْمَيُورُقِيُّ⁽²⁷⁰⁾ صَاحِبُ مَيُورَقَةَ وَوَدَانَ كَانَ مَشْهُورًا بِالْبَاسِ
وَالشَّجَاعَةِ بَطْلًا مِنَ الْأَبْطَالِ مِقْدَامًا فِي الْحُرُوبِ جَوَادًا سَخِيًّا، أَدِيبًا بَلِيغًا، شَاعِرًا
فَصِيحًا، لَمْ يَقَعْ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِهِ غَيْرُ يَتِّ مَفْرَدٍ مِنْ قَصِيدَةٍ، وَهُوَ :
حَفِيَّتْ خَيْلُنَا، وَعَزَّتْ عَلَيْنَا فَجَعَلْنَا لَهَا الْخُلُودَ نَعَالًا^(270م)
(9 : 367)

(270) من الأمراء المعروفين ببني غانية وكانوا ولاية على ميورقة في آخر عهد المرابطين فلما قامت
دولة الموحدين كانوا شجى في حلقها وشنوا عليها الغارات في افريقية والمغرب الأوسط،
وكان ليحيى المترجم هنا ووالده إسحاق دور كبير في هذه الغارات، وفي الرسائل الموحدية
والمعجب والبيان العرب والروض المعطار ورحلة التجاني ذكر لهما وانظر كذلك تحفة القادم
ونفح الطيب.

(270م) بعد هذا بياض في الأصل تقديره نحو نصف صفحة.

53 — يَحْيَى بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَكِّي

أَبُو زَكْرِيَا الْكَاتِبُ التَّمِيمِي⁽²⁷¹⁾ مِنْ أَهْلِ بَجَايَةَ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ كَانَ يَكْتُبُ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْتُولِينَ يَوْمئِذٍ عَلَى الْبِلَادِ الْمَغْرِبِيَّةِ، وَكَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ فِي زَمَانِهِ أَدَبًا وَكِتَابَةً وَقَوْلًا لِلشُّعْرِ وَحِفْظًا لِلْأَشْعَارِ ذَا حِظٍّ جَزِيلٍ مِنْ عِلْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

حَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ الْفَرَّيَانِي بِحَلَبٍ، قَالَ : اتَّفَقَ أَنْ اجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ مِنْ غُلَمَانِ صَاحِبِ الْمَغْرِبِ وَخَوَاصِّهِ يَزْمُونَ بِالنَّشَابِ، فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ الْأَمِيرُ حِينِيذٍ، ثُمَّ قَصَدَ الْقِرْطَاسَ، فَأَزَالَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عِوَضَهُ، وَقَالَ لِلرُّمَاقَةِ أَيُّكُمْ أَصَابَ يَدِي دَفَعْتُ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ، وَقَالَ : أَعْيَيْدُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ مِنَ السُّوءِ، هَذَا لَا يُمْكِنُ وَإِنَّمَا نَجْعَلُ مَوْضِعَ يَدِ الْأَمِيرِ الْهَدَفَ وَيُرْمِي، فَأَزَالَ يَدَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَأَبْتَدَرَ أَحَدُ الْغُلَمَانِ، وَرَمَى، فَأَصَابَ الْهَدَفَ الَّذِي وَضِعَ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ أَبُو زَكْرِيَا بَدِيهًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَكَانَ حَاضِرًا ذَلِكَ كُلَّهُ :

يَا خَامِسَ الْخُلَفَاءِ⁽²⁷²⁾ الرَّاشِدِينَ عَسَى
عَلِمَتْهَا الْبَسْطُ لِلْجَدْوَى لِسَائِلِهَا
لَمْ يَقْصِدِ السَّهْمُ إِلَّا كُنِيَ يُعْرِفُنَا
هَذَا الْإِمَامُ الَّذِي فِي كَفِّهِ الْغَرَضُ
شَكْوَايَ تَقْبِضُ فِي الْأَيْدِي وَتَقْتَرِضُ
حَتَّى مِنَ السَّهْمِ يَصْنَعِي لَيْسَ تَنْقَبِضُ

وَأَنْشَدَنِي، قَالَ : أَنْشَدَنِي أَبُو زَكْرِيَا أَيْضًا مِنْ شِعْرِهِ :
بَكِيْتُ، فَمَا أَغْنَى الْبِكَاءُ، وَلَا أَجْدَى
وَمَا فِرْقَةُ الْأَحْبَابِ إِلَّا رَزِيَّةٌ
وَهُمْ أَوْرَثُوا قَلْبِي الصَّبَابَةَ وَالْحَوَى
فَكَئِفٌ، وَقَدْ أَهْدَى لِي الْبَيْنُ مَا أَهْدَى
فَقَدْ طَالَ مَا شَقَّ الْقُلُوبَ وَمَا هَذَا
تُبِيدُ الْفَتَى هَمًّا، وَتَقْتُلُهُ وَجْدًا
وَهُمْ أَوْرَثُوا عَيْنِي الْمَدَامَعَ وَالسُّهْدَا

(271) له ترجمة في الذيل والتكملة 8 : 409.

(272) خامس الخلفاء الموحدين هو يوسف المستنصر، وقد ولي الخلافة، وسنه عشرة أعوام، والحكاية تدل على ذلك أيضا.

نَسِيرُ وَمَا تَذَرِي لِفُرْقَتَنَا مَدَى
أَيَا هُنْدُ إِنِّي غَيْرُ رَاضٍ بِسُلُوكِ
وَلَوْ كَانَ لِي بَدٌّ عَنِ الْبُعْدِ وَالتَّوَى
أَيَا هُنْدُ لَوْ أَبْصَرْتُ شَوْقِي وَلَوْ عَتِي
أَعْنَدُكَ أَنِّي فِي بُحُورٍ مِنَ الْأَسَى
فَهَاتِيكَ حَالِي وَالْدِيَارُ قَرِيبَةٌ
سِوَى أَنَّ هَذَا الْبَيْنَ مَا بَيْنَنَا جَدًّا
وَلَا نَاقِضٌ وَدًّا، وَلَا نَاقِضٌ عَهْدًا
أَقَمْتُ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْهُمَا بُدًّا
لَجَدَدْتُ لِي حُبًّا وَأَشْفَقْتُ لِي وَدًّا
غَرِيقٌ، وَلَمْ أَبْلُغْ لِفَايَتِهَا حَدًّا
فَكَيْفَ إِذَا مَا أزدَدْتُ عَنْ دَارِكُمْ بُعْدًا؟

54 - يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ شَاوُولَ

أَبُو زَكَرِيَّا الْحَرِيزِيُّ (273) الْيَهُودِيُّ مِنْ أَهْلِ طُلَيْطَلَةَ، كَانَ شَاعِرًا قَوِيَّ الْقَرِيحَةِ
غَزِيرَ الْمَادَّةِ، لَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ فِي الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ، وَكَانَ بَذِيءَ اللِّسَانِ، خَبِيثَ
الطُّبُوعَةِ، مَا مَدَحَ أَحَدًا إِلَّا وَعَادَ هَجَاهُ، وَصَنَّفَ مُصَنَّفَاتٍ بِاللِّسَانِ الْعِبْرِيِّ كَثِيرَةً،
مِنْهَا (كِتَابُ الْمَقَامَاتِ)، وَمَقَامَةٌ مُفْرَدَةٌ سَمَّاها (الرَّوَضَةُ الْأَنْبَقَةُ) بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ،
وَكَانَ ذَا قُدْرَةٍ فِي الشَّعْرِ، وَكَانَ يَعْمَلُ قِصَائِدَ أَنْصَافِ آيَاتِهَا الْأُولَى بِالْعِبْرِيِّ،
وَالْأَنْصَافِ الْآخِرُ بِالْعَرَبِيِّ، وَكَانَ قَدْ طَافَ الْبُلْدَانَ، وَجَالَ فِي أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَكَنَ
بَأَخْرَةَ حَلَبَ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ
سَنَةً اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ.

وَقَدْ ذَكَرَهُ الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْمُسْتَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ :
وَرَدَ إِرْبِلَ فِي الْعَشْرِ مِنْ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَحَدَّثَنِي
أَنَّ اسْمَهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ يَهُوذَا، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، وَكَانَ طَوِيلًا مِنَ الرِّجَالِ أَشْيَبَ
طَطًّا، سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلَدِهِ، فَقَالَ : عُمِرِي إِلَى هَذِهِ السَّنَةِ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً،

(273) هو مترجم مقامات الحريري إلى اللغة العبرية وواضع المقامات العبرية على غرارها. وتوجد
حواله دراسات بالعبرية وغيرها ويبدو أن هذه الترجمة لم تكن معروفة لدى دارسيه.

(274) لا توجد هذه الترجمة في القسم المطبوع من تاريخ إربل.

فَانْظُرْ مَتَى يَكُونُ مَوْلَدِي، ثُمَّ حَسَبَ مَعِيَ، فَأَخْطَأَ فِي تَنْزِيلِهِ، وَسَكَنَ بَيْنَ ظَهْرَانِي
الْفَرْنَجِ، وَكَلَامُهُ مَعْرَبِيٌّ، قَرِيبُ عَهْدٍ بِالْخُرُوجِ مِنْ بَلَدِهِ، تَرَاهُ كَأَنَّهُ يَعْتَرِيهِ سَهْوٌ،
وَكَنتُ أُخْبِرْتُ بِوُرُودِهِ، وَأَتَيْتُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ. وَأَنْشَدَنِي، قَالَ : أَنْشَدَنِي
الْحَرِيزِي لِنَفْسِهِ فِي التَّارِيخِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ :

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا مُحَجَّبَةُ الْخِذْرِ لَمَّا فَضَحَتْ هَذِي الْمَدَامُ مِنْ سَرِي
وَلَيْلٍ طَرَقَتْ الْحَيَّ فِي بَرْدَةِ الدُّجَى قَتَمَنَمَ بُرْدُ الْأَفْقِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ
سَرَيْتُ إِلَيْهَا، حِينَ هَوَمَ قَوْمُهَا كَمِثْلِ حَبَابِ اسْتَدَارَ عَلَى خَمَرٍ
تُحِيطُ بِهَا بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا وَأَسَدٌ مِنَ الْأَبْطَالِ دَامِيَةُ الظَّفَرِ
وَتَغَرُّ الْمَنَابِ بِاسْمٍ عَنْ أَسَنَةٍ وَيُسْفَرُ عَنْ خَدٍّ مِنَ السَّيْفِ مُحَمَّرٍ
وَقَدْ بَرَزَتْ فِي حُلَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ كَمَا اشْتَبَكَتْ زُهْرُ التَّجُومِ عَلَى الْبَدْرِ
جَنَيْتُ بِهَا فِي جَنَّةِ الْحُسْنِ زَهْرَهَا بِمُخْصِبَةِ الْأَرْدَافِ مُجْدِيَةِ الْخَصْرِ
لَثَمْتُ بِهَا هَيْفَاءَ رِيْمِيَّةِ الطَّلَا مَدَامِيهِ الْأُمَى حَبَابِيَةَ الثَّغْرِ

ثُمَّ قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ : هَذَا مَنْقُولٌ مِنْ قَوْلِ الْمُعْتَمِدِ مُحَمَّدِ بْنِ عِبَادٍ مَلِكِ
الْأَنْدَلُسِ :

وَكَمَ لَيْلَةٌ قَدْ بَثَّ أَنْعَمَ جَنَحُهَا بِمُخْصِبَةِ الْأَرْدَافِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ (275)
(عاد شعر الطليطلي) :

وَبَتْنَا بِفَرَشِ الْوَصْلِ لَيْلًا وَفَوْقَنَا لِحَافٍ فِرَاشٍ مَرْقُتُهُ يَدُ الْبَحْرِ
وَقَدْ لَاحَ وَجْهُ الصُّبْحِ حُسْنًا كَأَنَّهُ بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمَلِكِ ذِي النَّائِلِ الْعَمْرِ
تَبَسَّمَ لِلْقَصَادِ جُودًا وَكَفَّهُ تَبَسَّمَ فِيهَا النَّصْلُ عَنْ مَبْسِمِ الثَّغْرِ
وَلِلسَّيْفِ فِي يَمَنَاهُ لَمَحٌ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِهَا يَنْقَضُ أَوْ قَدَّرَ يَجْرِي
يَحْدِيهِ آثَارُ التَّجِيعِ كَأَنَّهُا شَقَائِقُ نُعْمَانٍ عَلَى ضِيقَتِي نَهْرٍ
مَلِيكَ يُلَوِّذُ الْمَلِكُ مِنْهُ بِأَصِيدٍ صَقِيلِ فَرْنَدِ الْحَمْدِ وَالْعِزِّ وَالْبَشْرِ
عَلَيْهِ يَمِينٌ أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ بِبَذْلِ الْيَدِ الْعَذْرَاءِ وَالْفَتَكَةِ الْبِكْرِ

(275) هذا البيت من قصيدة المعتمد التي أولها :
أَلَا حَتَّى أَوْطَانِي بِثَلْبِ أَمَا بَكَرَ وَسَلَّهَنَ هَلْ عَهْدُ الْوَصَالِ كَمَا أَذْرِي

يَعَزِّمُ يَهْدُ الطَّوْدَ هَذَا وَنَجْدَةَ تَهْزُ قُدُودَ السُّمْرِ فِي كِلَلِ حُمْرِ
 قَالَ أَبُو الْبَرَكَاتِ : إِلَى هَاهُنَا أَنَشَدَنِي وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ، وَأَنَشَدْتُهُ عَنْهُ قَوْلُهُ :
 وَذِي قَلَمٍ إِنْ صَالَ يَوْمًا بِكَفِّهِ نَسِيتَ بِهِ فِعْلَ الرَّدِينِ السُّمْرِ
 بَيَاضُ مَعَانِيهِ بِسُودِ سَطُورِهِ يُرِيكَ صَبَاحَ الْوَصْلِ فِي لَيْلَةِ الْهَجْرِ
 لَبِيبٌ فَمَا تَذَرِي أَرَأَيْتَ لِحَادِثِ يُدَبِّرُ أُمَّ سَهْمًا إِلَى غَرَضٍ يَبْرِي
 تَقْسَمُهُ جُودٌ يَفِيزُ وَهَمَّةٌ فَمِنْ مَنَهْلٍ غَمْرٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَرٍ
 رَمِيتَ بِأَمَالِي إِلَيْهِ وَإِنَّمَا حَمَلَتْ بِهَا الْمَرْعَى الْجَدِيبَ إِلَى الْقَطْرِ

وَأَنَشَدَنِي، قَالَ : أَنَشَدَنِي الْحَرِيزِيُّ لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ شَاهِ
 أَرْمَنَ مُظَفَّرَ الدِّينِ أَبَا الْفَتْحِ مُوسَى بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَيُّوبَ (276) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :
 بِسُيُوفٍ عَزَمْتَكَ الْقَضَاءُ يَصُولُ وَمَضَاءُ بِأَسِيكَ فِي يَدَيْهِ نُصُولُ
 لِفِرْنِدٍ سَيْفِكَ مِنْ بَهَائِكَ رَوْنَقُ بِكَلِمَتَا مَاءِ الْجَلَالِ يَجُولُ
 قَدْ حُزْتُ بِأَسْكَ مَعَ نَدَى لِكَلِمَتَا أَبْدَأُ سَيُوفَ تَنْبَرِي وَسَيُولُ
 فَلَقَدْ ثَبِتَ اللَّيْثُ وَهُوَ فَرِيسَةٌ وَلَقَدْ تَرَكْتَ الْغَيْثَ وَهُوَ بَخِيلُ
 وَلَنْ ذَكَرْتَ عَلَى الْعَدَا يَوْمَ الْوَعَى مِنْ ذَكَرَكَ نَفْسَ الْكِمَاةِ تَسِيلُ
 مَا لِي وَشَرَحَ خِلَالَكُمْ فَخِلَالَكُمْ كَالصَّبْحِ لَا يُنْعَى عَلَيْهِ دَلِيلُ
 لَكِنْ وَصَفَكَ مَفْحَمُ أَهْلِ النَّهْيِ سَيَانُ فِيهِ عَالَمٌ وَجْهُولُ
 قَالَ أَلْعَدَى مَا لِلْيَهُودِ وَلِلنَّدَى فَأَجَبْتَهُمْ أَخْطَاكُمُ التَّخْصِيلُ
 مَا شَقَّ مُوسَى بَحَرَ جُودٍ لِلْوَرَى إِلَّا لِيَعْبُرَ فِيهِ إِسْرَائِيلُ

وَأَنَشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْخَيْرِ ابْنُ أَبِي الْمَعْمَرِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ التَّبْرِيزِيِّ
 بَارِبَلُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أَنَشَدَنِي أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمَانَ الْحَرِيزِيِّ لِنَفْسِهِ :
 أَرْضٌ سَقَتْ غِيْطَانَهَا أَغْطَانَهَا وَزَهَتْ عَلَى كُتُبَانَهَا قُضْبَانَهَا
 سَلَبَتْ فَوَادِي حُورَهَا وَنُحُورَهَا وَسَطَتْ بِنَا وَلَدَانَهَا وَلِدَانَهَا
 ثَمَلَتْ بِكَأْسٍ عُقَارِهَا أَرْهَارَهَا حَتَّى اغْتَدَى جِيرَانَهَا رِيحَانَهَا

(276) انظر ترجمة الملك الأشرف موسى الأيوبي المدوح بهذه القصيدة والتي قبلها في وفيات
 الأعيان 5 : 330-336.

وَلَيْسَ جَلَا آثَارَهَا آذَارَهَا
وَالشَّمْسُ بِالْجَمَلِ الْمُنِيرِ تَزِينَتْ
وَكَوَاعِبُ سَلَّتْ صَوَارِمَ لَحْظِهَا
وَلَقَدْ ثَلَاثُ دُرِّهَا بُحُورُهَا
فَتَكَثَّ بِالْبَابِ الْكُفَاةِ فَسَيَّفُهَا
لَمْ تُبْقِ شَخْصًا بِالْبَسِيطَةِ سَالِمًا
خَوْذُ نَفُورٍ نَافَرَتْ أَقْرَاطُهَا
فَاشْرَبَ بَارِضٍ غَازِلَتُهَا مُزْنَةٌ
فَتَعَاشَقَتْ وَتَعَانَقَتْ أَفْنَانُهَا
وَتَصَاحَبَتْ وَتَجَاوَبَتْ أَطْيَارُهَا
وَتَنَسَّمَتْ وَتَبَسَّمَتْ أَيَّامُهَا
بِمُدِيرِهَا وَمُنِيرِهَا وَمُجِيرِهَا
بِحَكِيمِهَا وَعَمِيمِهَا وَكَرِيمِهَا
دَوْحُ الْمُنَى عَذْبُ الْجَنَى عَالِي السَّنَا
فَتَجَدَّدَتْ بِيَهَائِهِ أَيَّامُهَا
جَادَتْ يَدَاهُ حَيَا نَدَاهُ عَلَى النَّفُوسِ
لَيْثُ الشَّرَى غَيْثُ الْوَرَى نَجْمُ الشَّرَى
فَجَمَالُهُ أَعْمَالُهُ وَتَوَالُّهُ
شَهْمٌ غَدَا هَذِي الْهُدَى إِنْ أُوقِدَا
بِجَنَابِهِ نَشَرَ الْهُدَى رَايَاتِهِ
عَزَمَ سَمًا بَارَى السَّمَاءِ مَاضِي الشَّبَا
يَا كَامِلًا بَلْ فَاضِلًا يَا فَاعِلًا
إِنَّمَا بَعِيدٌ بَلْ سَعِيدٌ فِي مَزِيدٍ
لَكَ فِي الْمَآثِرِ دَوْلَةٌ بَلْ صَوْلَةٌ

فَلَقَدْ حَوَى أَحْسَانُهَا نِيسَانُهَا
لَمَّا رَأَتْ مَا زَانَتْهَا مِيزَانُهَا
فَكَأَنَّهَا أَجْفَانُهَا أَجْفَانُهَا
وَزَهَا بِجِيدِ قِيَانُهَا عِقْيَانُهَا
مَنْ طَرَفُهَا، وَسَنَانُهَا وَسَنَانُهَا
إِلَّا سَبَى إِنْسَانُهَا إِنْسَانُهَا
وَحَلَّتْ بِهَا خِلَانُهَا خِلَانُهَا
فَكَأَنَّهَا هَتَانُهَا فَتَانُهَا
وَتَصَافَحَتْ وَتَنَافَحَتْ أَغْصَانُهَا
وَتَدَاوَلَتْ وَتَبَادَلَتْ أَلْحَانُهَا
وَتَهَلَّلَتْ وَتَكَلَّلَتْ أَرْمَانُهَا
وَمُعِيرِهَا حُسْنًا جَلَاهُ عِيَانُهَا
وَزَعِيمِهَا عُقْدَتْ لَهُ تَيْجَانُهَا
سَحَبُ الْغَنَى يُرَوِّى بِهَا ظَمَانُهَا
وَتَوَطَّدَتْ بِعَلَائِهِ أَرْكَانُهَا
سِرٌّ وَمَا انْجَلَى حَتَّى انْجَلَى جِرْمَانُهَا
نَارُ الْقَرَى تَعْشُو لَهَا ضِيْفَانُهَا
أَمْوَالُهُ سَوَالُّهُ خَزَانُهَا
نَارُ النَّدَى قَلْبُ الْعِدَا قُرْبَانُهَا
فَحَكَّى قُلُوبَ عُذَاتِهِ خَفَقَانُهَا
مَهْمَى الطُّبَا لَيْسَ الدَّمَى غُرْبَانُهَا
مَا قَصَّرَتْ عَنْ فِعْلِهِ أَعْيَانُهَا
بِدٍ مِنْ أَيْادٍ أَيْعَتْ أَفْنَانُهَا
بَلْ جَوْلَةٌ حَازَ الْمَدَى فُرْسَانُهَا
(9 : 453-460)

55 — يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

ابن عُمَرُ بْنُ يَحْيَى الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَا بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْهَيْثَايِي (277) مَلِكُ إِفْرِيقِيَّةَ ذَكَرَهُ صَاحِبُ الدَّرَةِ الْفَائِقَةِ فِي مَحَاسِنِ الْأَفَارِقَةِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ جَمِيلًا، وَقَالَ عَقِبَ تَرْجَمَةِ أَبِيهِ الشَّيْخِ أَبِي مُحَمَّدٍ : «وَمِنْهُمْ وَلَدُهُ الطَّاهِرُ النَّجِيبُ الزَّكِيُّ الْأَرِيبُ السَّلْطَانُ الْأَعْظَمُ الْمَلِكُ الْهَامُّ الْمُؤَيَّدُ الْمُعَانُ الْمَنْصُورُ الْمُظْفَرُ لَمْ يَرِثِ الْمَجْدَ عَنْ كِلَالَةٍ، وَلَكَانَ الْمُلْكُ خُلِقَ إِلَّا لَهُ، هَيْبَةٌ تَنْسِفُ الْجِبَالَ نَسْفًا، وَرَحْمَةٌ تُسَعُّ أَهْلَ الْأَرْضِ حَنَانًا وَعُطْفًا، وَشَجَاعَةٌ يَنْشِي بِهَا الدَّهْرُ عَنْ عِزَّتِهِ، وَصَرَامَةٌ بَطَلَتْ مَلِكَ الْمَوْتِ السَّلَامَةَ مِنْ صَوَارِمِهِ، مَعَ ذِكَاةٍ كَالثَّارِ، وَخُلِقَ أَلَيْنَ مِنَ الْمَاءِ الْجَارِ، وَأَدَبٍ أَغْضَ مِنَ الرِّيَاضِ، وَنَظْمٍ وَتَثْرٍ أُسْحَرِ مِنَ الْحَدَقِ الْمَرَضِ، أُمُّ إِفْرِيقِيَّةَ وَقَدْ نَجَمَ فِيهَا التَّفَاقُ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى سَاقٍ، وَخَلَّتْ مِنَ الْأُمُوالِ وَالرَّجَالِ، وَرِيعَ

(277) هُوَ مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الْخَفْصِيَّةِ، لَهُ تَرْجَمَةٌ أَيْضًا فِي فَوَاتِ الْوَفَايَاتِ 2 : 632-633 وَأَخْبَارُهُ مَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَمِنْهَا الْبَيَانُ الْمَرْبُ وَالْعَبْرُ وَغَيْرُهُمَا، وَانْظُرْ عَلَى الْخُصُوصِ الْفَارْسِيَّةِ : 112 وَتَارِيخِ الدَّوْلَتَيْنِ : 23-32 أَمَّا كِتَابُ الدَّرَةِ الْفَائِقَةِ فَهُوَ لِلتِّيفَاشِيِّ وَيَعْتَبَرُ فِي عِدَادِ الْكُتُبِ الْمَفْقُودَةِ، وَهَذِهِ التَّرْجَمَةُ الْمَنْقُولَةُ مِنْهُ تَقْدِمُ أَنْمُودَجًا لِكِتَابَةِ التَّرْجَمَةِ عِنْدَ التِّيفَاشِيِّ وَقَدْ كَانَ الْأُسْتَاذُ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدُ إِبرَاهِيمَ الْكُتَاتَانِي أَعْطَانِي صُورَةً مِنْ أَوْرَاقٍ تَشْتَمِلُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ أَخْبَارِ أَبِي زَكْرِيَاءَ وَأَشْعَارِهِ وَهِيَ كَمَا يَلِي : 1 — قَصِيدَةٌ يَأْتِيَةُ طَوِيلَةً فِي سِيَاسَةِ مُلْكِهِ وَأَحْوَالِهِ مَعَ الْعَرَبِ وَأَوَّلُهَا :

سَلُوا فِي التَّوَارِيخِ الْعُصُورَ الْمَوَاضِيَا أَلَا تَعُثُّ لَدَيْهَا مِثْلُ مَا فِي زَمَانِيَا
وَهِيَ تَنَاهَزُ لِلتَّسْعِينَ بَيْتًا. 2 — قَصِيدَةٌ بَائِيَةٌ تَقَعُ فِي أَزِيدٍ مِنْ سَبْعِينَ بَيْتًا. 3 — أُخْرَى رَائِيَّةٌ فِي ثَلَاثِينَ بَيْتًا. 4 — أُخْرَى رَائِيَّةٌ أَيْضًا فِي مَخَاطَبَةِ شَيْخٍ مِنَ الْعَرَبِ اسْمُهُ حَامِدُ بْنُ يَزِيدٍ. 5 — قِطْعَةٌ بَائِيَّةٌ فِي الْعَرَبِ وَغَدْرِهِمْ. 6 — قَصِيدَةٌ رَائِيَّةٌ طَوِيلَةٌ يَذْكُرُ فِيهَا وَقَائِعَهُ وَوَقَائِعَ الْمُلُوكِ السَّابِقِينَ. 7 — قِطْعَةٌ شَيْئِيَّةٌ فِي الْعَرَبِ. 8 — قِطْعَةٌ فَائِيَّةٌ فِي الْغَزْلِ. 9 — قَصِيدَةٌ مِيمِيَّةٌ فِي الْغَزْلِ أَيْضًا. 10 — قَصِيدَةٌ مِيمِيَّةٌ أُخْرَى فِي الْغَزْلِ كَذَلِكَ. 11 — تَحْمِيسٌ. 12 — قَصِيدَةٌ يَذْكُرُ فِيهَا وَقْعَةَ يَوْمِ غِيلَانَ.

هَذَا وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ قُفْطُذٍ فِي الْفَارْسِيَّةِ (112) أَنَّ أَبَا زَكْرِيَاءَ «كَانَ مَعْدُودًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَفِي الشُّعْرَاءِ النَّبَلَاءِ وَلَهُ شُعْرٌ مَدُونٌ» وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ ابْنَ الْأَبَارِ ذَكَرَ فِي الْحِلَّةِ السَّيْرَاءِ (2) : (279-292) بَعْضَ شُعْرَاءِ الْبَيْتِ الْخَفْصِيِّ وَلَمْ يَعِدْ أَبَا زَكْرِيَاءَ مِنْهُمْ وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ هَذَا الشُّعْرَ الَّذِي يَنْسَبُ إِلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ هُوَ مِنْ نَظْمِ كُتَّابِهِمْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ.

فِيهَا فِي الْخُدُورِ رَبَّاتُ الْحِجَالِ، فَأَمَّنَ سِرْبَهَا، وَأَزَالَ خَوْفَهَا وَجَذَبَهَا، وَأَعَادَ
[خَصْبَهَا]، وَضَرَبَ بِعَرَبِهَا بَرَبْرَهَا، وَبَرَبْرَهَا عَرَبَهَا، حَتَّى فَرِحَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ،
وَجَعَلَ الذَّنَابَ وَالنَّقْدَ تَرْدُ فِي حَوْضٍ، وَجَنَّدَ الْأَجْنَادَ وَرَتَّبَ بَيْتَ الْمَالِ، وَبَسَطَ
عَلَى تُخُومِ الْمَشْرِقِ يَدَهُ الْيُمْنَى وَعَلَى تُخُومِ الْمَغْرِبِ يَدَهُ الشَّامِلَ، فَأَمَّنَ السَّبِيلَ
مِنْ بَابِ ثُونَسَ إِلَى ثَغْرِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ غَايَةِ الْأَمَانِ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْمُفْسِدِينَ عَرْضاً
مِنْ ثُونَسَ إِلَى أَبْوَابِ تَلْمَسَانَ، فَدَانَتْ لَهُ الْبَرِيرُ وَالْعَرَبُ وَهُمَا الْمُتَمَرِّدَانِ عَلَى
الْمُلُوكِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ مِنَ الزَّمَانِ، وَصَارَتِ الْأَنْدَلُسُ تُسْتَصْرِحُهُ وَالْمَغْرِبُ
الْأَقْصَى يَطْلُبُ مِنْهُ الْأَمَانَ، ثُمَّ أُتِشِدَ مِنْ خَمْرِيَاتِهِ :

وُضِعَتْ فِي الزُّجَاجِ فَالْتَهَبَتْ وَكَسَتْهُ بَرْقاً مِنَ اللَّهَبِ
وَعَلَا فَوْقَهَا الْحَبَابُ فَلَمْ تُبْصِرِ الْعَيْنُ مِثْلَ ذَا الْعَجَبِ
ضَرَمُ النَّارِ فَوْقَهُ بَرْدٌ كَأَنَّ عَنْهُ مِنْهُ فِي النَّسَبِ
مِثْلَ دُرِّ الْجَمَانِ نَظْمُهُ نَاطِمٌ فَوْقَ عَسْجِدِ الذَّهَبِ

وَقَالَ أَيْضاً :

حَنَائِكَ رِفْقاً كَمْ تُطِيلُ صَبَابَتِي وَتَقْدَحُ نَاراً فِي الْفُؤَادِ مُضَرَّماً
وَتَذْكِي غَرَاماً أَوْهَنَ أَلْصَبِّ حَمْلُهُ وَقَلْباً رَهيناً بِالصَّبَابَةِ مُغْرَماً
تَقْطَعُ وَجداً إِذْ تَنْفَسُ زَفَرَةً فَأُسْبِلُ دَمْعاً هَامِي السَّكْبِ مُسْجِماً
أَحْبَابَنَا بِالْجَزَعِ وَالْعَيْسُ مَعْرَقُ وَحُبْلُ اتِّصَالِ الْوَصْلِ مِنْكُمْ تَصَرَّماً
أَجْدَكُمَا هَلْ لِلْمَشْوَاقِ لَدَيْكُمَا تَعْلَلُ ذِكْرَ الْخِيَالِ فَيَنْعَمَا
وَهَلْ تَذْكُرَانِ الْعَهْدَ وَالْعَهْدُ نَارِخُ وَأَيَّامُنَا بِالْوَصْلِ عَقْداً مُنْظَماً
أَمَّا لَكَا قَلْبَ الْعَمِيدِ تَعْطُفَا وَسَاكِنَةُ رُبْعِ الضُّلُوعِ تَرَحُّمًا
عَلَى هَائِمِ أَغْيَاهُ حَمْلُ غَرَامِهِ وَأَعْقَبُهُ فَرَطُ الْغَرَامِ نَائِلًا
فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ الْبَيْنُ إِلَّا تَنْفُسًا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ الشَّوْقُ إِلَّا تَوْهُمَا

(10 : 6-9)

56 — يَحْيَى بْنُ غَانِمٍ

ابن مُحَمَّد بن علي بن يُونُس بن صالح أبو زكريا الخُزرجي (278) من أهل غرناطة. كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْأَدَبِ وَيَقُولُ شِعْرًا لَا بَأْسَ بِهِ، أَتَشَدَّنِي مِنْ شِعْرِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بن يوسف بن محمد الإشبيلي البرزالي (279) رحمه الله تعالى بِحَلَب، قَالَ : أَتَشَدَّنِي أَبُو زكريا يَحْيَى بن غَانِم بن مُحَمَّد الخُزرجي العُرناطي لِتَفْسِيهِ :

خَلِيلِي مَا لِلْوَالِدِ الْمُتَغَرَّبِ بِأَرْضِكُمَا قَدْ فَاتَهُ كُلُّ مَطْلَبِ
خَلِيلِي قَوْلًا وَالْحَدِيثُ كَمَا حَكَّوْا شُجُونًا وَدَهْرِي سَاخِرٌ بِكُمَا وَبِي
هَلِ الزَّمَنُ الْمَاضِي بِمَا قَدْ مَضَى بِهِ يَعُودُ وَلَوْ مِنْ كُلِّهِ بِالتَّقَرُّبِ
ومنها في المديح :

سَأَصْرَفُ آمَالِي إِلَى ذُرُوقِ الْعُلَا وَأَوْقُفُهَا بِالْأَسْعَدِ بن مُقَرَّبِ (280)
هُوَ الْمُلْجَأُ الْمُفْضِي إِلَى كُلِّ غَايَةٍ بَجْدٍ وَجَدَ أَشْرَبًا بِتَهْذِيبِ
إِمَامٌ هَدَى أَحْيَا بِهِ اللَّهُ شِرْعَةً مِنَ الَّذِينَ قَدْ نِيَطَّتْ إِلَى خَيْرِ مَذْهَبِ
وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ الْخِلَافِ لِشُبُهَةِ فَارَاؤُهُ تَجَلُّو دُجَى كُلِّ غَيْبِ
أَيَا مَنْ لَهُ الْقَيْتُ كُلُّ مَقَالِدِي وَجِئْتُ إِلَيْهِ سَبَسِبًا بَعْدَ سَبَسِبِ
وَعَوَّلْتُ فِي تَوْمِي عَلَى يَقْظَاتِهِ فَهَنْ زُلَّالِي إِنْ تَكَدَّرَ مَشْرِيبِي

(278) لم أقف على ذكر له فيما رجعت إليه من المظان.

(279) هو الحافظ الرِّحَال الملقب في المشرق بزكي الدين. له ترجمة في الوافي بالوفيات 5 : 262 وفي حاشية المحقق ذكر لمصادر ترجمته.

(280) وصفه ابن سعيد في الغصون البانعة (89) بأنه «شيخ علماء الاسكندرية» وجاء في مستفاد الرحلة للتجيبى ما يلي (52) : «الشيخ الامام الحافظ العدل أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن مقرب بن عبد الكريم بن الحسن بن عبد الكريم بن مقرب الكندي السكوني التجيبى الاسكندري المالكي.. ووفاته بها (الاسكندرية) يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من صفر ثلاث وأربعين وستائة» وانظر سنداً برويه الماقرى شيخ ابن عبد الملك عن هذا الفقيه المحدث بالإجازة في الذيل والتكملة 1 : 259، 8 : 379 وانظر فيه أيضا المقتطف لابن سعيد : 219.

أَجْرِي فَإِنَّ الدَّهْرَ مَا قَدْ عَلِمْتُهُ وَهَذِي اللَّيَالِي أُولَعْتُ بِالتَّقَلُّبِ
بَقِيَتْ مَدَى الْأَيَّامِ تُرْجَى وَتُنْفَى وَلَا زِلْتُ ذُخَرَ الْوَالِهَةِ الْمُتَعَرِّبِ
وَدُمْتُ دَوَامَ الدَّهْرِ فِي خَفْضِ عَيْشَةٍ وَتَبْلِيغِ آمَالِ وَرِفْعَةِ مَنْصِبِ

وَأُنْشِدُنِي أَيْضاً قَالَ : أَنُشِدُنِي أَبُو زَكْرِيَاءُ لِنَفْسِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَدِيمُ بِهِ دَوَامَ عَافِيَةِ الْمَوْلَى وَرَاحَتَهُ
وَالشُّكْرُ لِلَّهِ شُكْراً نَسْتَزِيدُ بِهِ فِي عُمْرِهِ وَنَهْنِيهِ إِقَالَتَهُ
يَا مَنْ بِهِ وَعَوَافِيهِ أَضَاءَ لَنَا وَجْهَ الزَّمَانِ وَأُولَانَا سَمَاحَتَهُ
إِنَّ الزَّمَانَ أَرَانَا مِنْ تَصَرُّفِهِ عَجَائِباً أَحْكَمَتْ فِينَا إِرَادَتَهُ
وَلَمْ يَزَلْ يَا سَلِيلَ الْمَجْدِ يَضْرِبُنَا ظَهراً لِبَطْنِ وَيُولِينَا نِكَائَتَهُ
وَلَيْتَهُ إِذْ سَطَا أَبْقَى وَلَوْ رَمَقاً نَأْوِي إِلَيْهِ وَنَسْتَسْقِي بِلَاكَتَهُ
وَمِثْلُكُمْ مَنْ شَكَا مِثْلِي إِلَيْهِ وَمَنْ يُشْكِي الْعَرِيبَ وَيُرْعِيهِ رِعَايَتَهُ
يَا مَنْ أَتَارَ مَنَارَ الْعَدْلِ فِي نَفْرِ كُلِّ إِلَى ضِدِّهِ قَدْ مَدَّ رَاحَتَهُ
بَقِيَتْ لِلْحَقِّ تُعْلِيهِ وَدُمْتُ أبا مُحَمَّدٍ لِلْعُلَا تُعْلِي إِشَادَتَهُ
مَا أُمَّ وَجْهَهُ بَيْتَ اللَّهِ مُعْتَمِرٌ يَمْحُو بِخَطْوِ مَطَايَاهُ خَطِيئَتَهُ

وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ قَوْلَهُ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ الْإِمَامَ كَمَالَ الدِّينِ أَبَا الْقَاسِمِ عُمَرَ
ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْفَقِيهِ الْحَنْفِيِّ الْعُقَيْلِيِّ (282) :

لَوْلَا مُلَاحَظَتِي عُيُونَ الْعَيْنِ مَا كُنْتُ أَقْنَعُ فِي الْعُلَى بِالذُّونِ
وَلَقَدْ يَقَالُ سَلاً وَلَوْ كَانَ الَّذِي قَالُوهُ مَا اسْتَنْجَزْتُ وَعَدَّ ضُنَيْنِ
قُلْ لِلْعَوَانِي قَدْ كَبُرَتْ عَنِ الصَّبَا وَغَدَتْ دَوَاعِي شَاخَتِي تَذْعُونِي
وَتَرَكْتُ لِلشُّوقِ الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَقَصَدْتُ مُتَتَجِعاً كَمَالَ الدِّينِ
رَبُّ الْحِمَى الْأَحْمَى الَّذِي نَزَّالُهُ أَلْفَوْهُ بَيْنَ قَرَارَةٍ وَمَعِينِ
وَالْعَالِمُ الصَّدْرُ الَّذِي يَفْنَاهُ مَاوَى الْغَرِيبِ وَرَاحَةَ الْمُسْكِينِ

(281) من الصعب معرفة هذا الممدوح المذكور بكنيته فقط.

(282) هو ابن العديم مؤلف بغية الطلب في تاريخ حلب، وقد تقدم ذكره.

وَالْمُنْتَقَى مِنْ سَادَةِ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَكِينٌ يَنْتَمِي لِمَكِينِ
 طَلَّقَ الْمُحِبَّ سَيْدَ مُتَوَاضِعٍ بَادِيَ السَّكِينَةِ شَامِخُ الْعُرْنِ
 وَإِلَيْكَهَا يَا ابْنَ الْعَدِيمِ عَجَالَةً مِنْ ذِي غَرَامٍ وَإِلَيْهِ مَحْزُونِ
 مُتَحَيِّرٍ مَا إِنْ يَرَى مُسْتَحْسِنًا وَكَأَنَّهُ فِي عَقْدِهِ التَّسْعِينَ
 وَقِيَتْ أَسْبَابَ الْفِرَاقِ وَدُمَتْ فِي دَعَةٍ وَلَا حُمْلَتْ مِثْلَ شُجُونِي
 وَبَقِيَتْ فِي حَلَبٍ عَلَى رَغَمِ الْعَدَى فِي كُلِّ خَطْبٍ مُنْجِدِي وَمُعِينِي
 (10 : 39-42)

57 — يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ

ابن مُجَاهِدٍ بْنِ مُجَاهِدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ حَلَفٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمَاعَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ مَازِنٍ بْنِ مَالِكٍ أَبُو زَكَرِيَاءَ
 الْخَزَرَجِيُّ (283)، مِنْ أَهْلِ تِلْمَسَانَ، مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ نَزَلَ حَلَبَ وَسَكَنَهَا وَأَدَبَ
 سُلْطَانَهَا الْمَلِكَ النَّاصِرَ صَلَاحَ الدِّينِ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ غَازِي، خَلَدَ اللَّهُ مُلْكُهُ.
 شَاهَدَتْهُ بِحَلَبَ الْمَخْرُوسَةِ بِمَجْلِسِ الصَّاحِبِ الْوَزِيرِ مُؤَيَّدِ الدِّينِ أَبِي نَصْرِ إِبْرَاهِيمَ
 ابْنِ يُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الشَّيْبَانِيِّ (284)، أَدَامَ اللَّهُ إِقْبَالَهُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسٍ
 وَثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ، وَسَأَلَتْهُ عَنْ وَلَادَتِهِ، فَقَالَ : لَا أَتَحَقَّقُهَا، غَيْرَ أَنَّ لِي الْآنَ
 ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْفَضْلِ، وَيَحْفَظُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَيَقُولُ
 الشَّعْرَ الْحَسَنَ، أَتَشَدَّنِي لِنَفْسِهِ يَمْدَحُ الصَّاحِبَ مُؤَيَّدِ الدِّينِ أَبَا نَصْرِ الشَّيْبَانِي أَسْعَدَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى :

سُرُورُكَ مَا هَبَّ التَّسِيمُ يَدُومُ وَعَزُّكَ مَمْدُودُ الرُّوَاقي عَمِيمُ

(283) لم أقف عليه في غير هذا المصدر؛ والملك الناصر الذي كان هذا الفقيه التلمساني مؤدبا
 له هو آخر ملوك بني أيوب (627-659هـ) انظر ترجمته في الاعلام للزركلي 9 :
 330-331.

(284) هو أخو الوزير جمال الدين ابن القفطي المؤرخ المعروف. انظر ترجمته في الوافي بالوفيات
 6 : 172 والمراجع المذكورة في الحاشية.

وَسَعْدُكَ ضَافٍ وَالْمُوْمَلُ طَوْعُهُ
 نَتَتْ نَحْوَكَ الشَّهْبُ الْجَوَارِي سَعُودَهَا
 وَمَنْ كَانَتْ الْعَلْيَاءُ بَعْضَ خِلَالِهِ
 لَكَ الْخَيْرُ مَا ذَرَتْ شَوَارِقُ أَوْ سَرَى
 يَمُرُّ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ مُغْلَسًا
 وَمَا طَرَبِي مِنْ سَاجِعٍ فَوْقَ أَيَّكَةِ
 وَيَتَنَادِي عَيْدَ الْأَمَانِي الَّتِي خَلَتْ
 بِأَطْرَبِ مَنِي وَالْمُوَيْدُ كَافِلٌ
 فَتَى وَشَحَّ الْعَلْيَاءُ فَاحْتَلَّ رُبَّةً
 عَلَا، فَعَلَا نَادِيهِ أَبْهَجُ مِيسَمٍ
 إِذَا خَطَّ فِي طَرَسٍ أَقَرْتُ لِزَهْرِهِ
 وَيَنْظُمُ فِي سِيلِكَ الْكَلَامِ قَرَائِدًا
 إِلَيْهِ تَنَاهَى الْفَضْلُ وَالْفَضْلُ لَمْ يَزَلْ
 عَلَيْكَ بِهِ مَعْنَى يُكْسِبُكَ الْغِنَى
 يُسَرُّ بِشَجْحِ الْحَاجِ مِنْ كُلِّ قَاصِدٍ
 لَهُ خُلُقٌ رَاقٍ أَرَقُّ شَمَائِلًا
 تُدَاوِي بِهِ مَرْضَى الْهُمُومِ لِأَنَّهُ
 أُمُولَايَ خِلْنَا فِي مَعَالِيكَ غِبْطَةً
 تَهْنُ بِهَا فِدَاءً، وَطَلَّ وَاسْمُ سَيِّدَا
 وَدُمَ مَا بَدَا نَجْمٌ، وَأَيْنَعُ مُثِيرٌ

وَأُنَشِدُنِي لِنَفْسِهِ فِي الْغَزَلِ :

وَمُنْزَهُ الْأَوْصَافِ عَنْ نَظَائِرِهِ
 طَاوِي الْحَشَا أَلَمَى كَأَنَّ جُفُونَهُ
 مَا رُمْتُ مِنْهُ نَظْرَةً إِلَّا أَتَشَنَّى
 بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَهَا حَرْبٌ مَتَى

وَعَيْشُكَ صَافٍ وَالزَّمَانُ خَدِيمٌ
 وَجَدُّكَ فِيهَا بِالثَّبَاتِ زَعِيمٌ
 تُشِيرُ إِلَيْهِ بِالسُّعُودِ نُجُومٌ
 نَسِيمٌ صَبَاً قَدْ غَنَبَتْهُ غُيُومٌ
 تَصِحُّ بِهِ الْأَنْفَاسُ وَهُوَ سَقِيمٌ
 يَذْكُرُنِي عَهْدَ الصَّبَا فَاهِيْمٌ
 وَشَمْلٌ لَذَاذَاتِي بِهِنَ نَظِيمٌ
 ذَوِي الْفَضْلِ يُحْيِي ذِكْرَهُمْ وَيَقِيمُ
 حَوَاهَا لَهُ [وَجْهٌ] أَعْرُ وَسِيمٌ
 وَسَادَ فَشَادَ الْمَجْدَ وَهُوَ فَطِيمٌ
 وَزَهْرٌ مَعَانِيهِ الْحِسَانِ فَهُومٌ
 لَهَا فِي قُلُوبِ الْحَاسِدِينَ كُلُّومٌ
 لَهُ وَعَلَيْهِ لِلتَّشَاءِ رُسُومٌ
 فَقَلَّ امْرُؤٌ بِالْمَكْرَمَاتِ يَقُومُ
 وَيَرْتَاحُ لِلْعَافِينَ حَيْثُ يُقِيمُ
 مِنَ الْمَاءِ إِذْ مَا صَفَّقَتْهُ نَسِيمٌ
 إِذَا جَالَسَتْهُ الرُّوحُ فَهِيَ حَسُومٌ
 بِأَنَّ مُعَالِيكَ الْغَبِيَّ ذَمِيمٌ
 فَمَا لَكَ بَيْنَ الْخَافِقِينَ قَسِيمٌ
 وَمَا ضَاعَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ شَمِيمٌ

سَلَبَ الْعُقُولَ بِحُسْنِهِ وَبَهَائِهِ
 فِي الذَّبِّ عَنْهُ صِرَنَ مِنْ رُبَائِهِ
 مِنْهَا الْفَوَادُ مُضَرَّجًا بِدَمَائِهِ
 يَرْنُو، وَمَا إِنْ هُنَّ مِنْ أَعْدَائِهِ

لَنْ تَعْمَلَ الْبَيْضُ الرَّقَاقُ وَلَا الْقَنَا
يَرُونُ فَيَكْلَمُ، ثُمَّ يَجْبُرُ كَلِمَهُ
كَفَعَالِهِ بِفُؤَادٍ صَبٍّ نَائِيهِ
يَرُونَهُ فِدَاؤُهُ مِنْ دَائِيهِ

وَأُنْشِدَنِي أَيْضًا قَوْلَهُ فِي غِلَامٍ شَهَرٍ سَيْفًا :

وَمُتَفَهِّفٍ سَاجِي الْجُفُونِ أَحْمَهَا
شَهَرُ الْحُسَامِ [أَمَامَنَا] كَيْمَا يَرِي
دَانَتْ لِلْحُظْيَةِ الظُّبَا وَالذُّبُلُ
مَا طَرَفُهُ بِأَخِي الصَّبَايَةِ يَفْعَلُ
لُفْتُورُ طَرَفِكَ مَنْ حُسَامِكَ أَقْتُلُ
أُنْشِدْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُ فَعَالَهُ :

وَأُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ فِي غِلَامٍ كَاتِبٍ :

أَنَا مِلُهُ خَطَّتْ بِسَحْرِ كَانَمَا
فَمِنْ يَدِهِ سَطَّرَ عَلَى الطَّرْسِ مُعْرِبٌ
لَوَاحِظُهُ تُمْلِي عَلَيْهِ فِيرْسُمُ
وَمِنْ لَحِظِهِ سَطَّرَ بِقَلْبِي مُعْجَمُ

وَأُنْشِدَنِي لَهُ فِي الشَّمْعَةِ :

وَبَاكِئَةٍ لَمْ تَعْرِفِ الْحُزْنَ وَالْأَسَى
تَكَادُ بَأَنَّ تَقْضِي لَفَيْضِ دُمُوعِهَا
وَلَا شِدَّةَ الْأَهْوَالِ كَيْفَ يَرَأْسُهَا
وَتَحْيَا إِذَا فِي الْحَيْنِ يَقْطَعُ رَأْسُهَا

وَأُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ فِي الْبَنْفَسَجِ :

كُلُّ الْأَزَاهِرِ إِنْ حَسَنَ نَضَارَةٌ
أَهْوَاهُ دُونَ جَمِيعِهِنَّ لِأَنَّهُ
فَهَوَى فُؤَادِي دُونَهُنَّ بَنْفَسَجُ
يَحْكِي حُدُودًا بِالْعِضَاضِ تُضَرِّجُ

(10 : 52-56)

58 - يَحْيَى بْنُ مُعْطِي

ابن عبد الثور بن علي بن نصر بن يلول بن تاشفين بن علي بن بزيغ بن
حنيفة أبو الحسين النحوي الأديب الشاعر الزواوي⁽²⁸⁵⁾، وزواوة قبيلة، وكان
من أهل بجاية، وكانت ولادته في جبل يُعرف بجرجرا.

(285) ترجمته في معجم الأدباء 6 : 2831 وفي حاشية المحقق سرد لمصادر متعددة في ترجمته،
ولعل ترجمة ابن الشعار هذه أوسع ما كتب عنه.

قَرَأَ عِلْمَ النَّحْوِ والعربية بالمغرب على جماعة منهم ابنُ الحَدَّادِ وغيره، ثُمَّ ارْتَحَلَ إلى الدِّيارِ المِصرِيَّةِ، واشتَغَلَ على أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ ابنِ بَرِي، وسمِعَ الحديثَ على عبدِ الحَقِّ صاحبِ كتابِ (الأحكام) ثُمَّ عادَ إلى المغربِ وَجَدَ في طلبِ العِلْمِ بَعْدَ أَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ الكَرِيمَ، وَلَهُ نَحْوُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةٍ على الشَّيْخِ أَبِي مُوسَى عِيسَى بنِ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ يَلْبِخْتِ الجَزُولِيِّ النَّحْوِيِّ بالجزائر، ثُمَّ رَجَعَ، ودخلَ دِيَارَ مِصرَ في سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِئَةٍ قَصْدًا لِلِقَاءِ أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ بَرِي، فَوَجَدَهُ لَا يُتَفَقَّحُ بِهِ، لِأَنَّهُ عَجَزَ عَنِ الإِقْرَاءِ، وَأَقَامَ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ يَشْتَغِلُ بِالْفِقْهِ مُدَّةَ عَامَيْنِ، ثُمَّ رَحَلَ إلى الشَّامِ، فَكَانَ اشْتِعَالُهُ على أَبِي اليُمَنِ زَيْدِ بنِ الحُسَيْنِ بنِ زَيْدِ الكِنْدِيِّ يَسْمَعُ عَلَيْهِ كُتُبَ الْأَدَبِ والقِرَاءَاتِ ثُمَّ إِنَّهُ آثَرَ الْمُزَلَّةَ عَنِ النَّاسِ والْأَفْرَادِ بِنَفْسِهِ فَوَضَعَ كُتُبًا مِنْهَا (شَرْحُ الْجُمْلِ) على سَبِيلِ الْإِمْلَاءِ، وَكَانَ مِنْ أَقْدَرِ النَّاسِ على الْمَنْظُومِ وَصَنَعَةِ الرَّجَزِ فَإِنَّهُ نَظَّمَ قَصِيدَةً فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ، وَكِتَابًا مَضْمُونُهُ الْمُثَلَّثُ نَظْمًا وَهُوَ على صُورَةِ الرَّجَزِ مُزْدَوِجٌ، وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِنَظْمِ كِتَابِ (الصَّحَاحِ) لِأَبِي نَصْرِ اسْمَاعِيلَ ابْنِ حَمَادِ الجَوْهَرِيِّ، فَنَظَّمَ أَكْثَرَهُ، وَنَظَّمَ الْفَاطَ (الْجَمْهَرَةَ) مِنْ جِنْسِ خُطْبَةٍ كِتَابِ (الفَصِيحِ) لِأَبِي الْعَلَاءِ المَعْرِيِّ، وَلَهُ مُقَدِّمَةٌ تُعْرَفُ بِالفُصُولِ مَثْنَوْرَةٌ، وَمُقَدِّمَةٌ تُعْرَفُ بِالدَّرَةِ الْأَلْفِيَّةِ مَنْظُومَةٌ كَمُلْحَةٍ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَرِيرِيِّ، وَلَهُ مُقَدِّمَةٌ تُعْرَفُ بِالقَبَسِ فِي عِلْمِ العُرُوضِ مَنْظُومَةٌ، وَبَدَأَ فِي مَنْظُومَةٍ جَامِعَةٍ سَمَّاها (الغَايَةُ فِي النَّحْوِ)، وَلَهُ كِتَابٌ فِي جَمْعِ أَيْتَاتِ سَبِيحِيهِ بِاخْتِصَارٍ مَنْظُومٍ يَجْعَلُ بَارِئًا كُلَّ بَيْتٍ [بَيْتًا] لَهُ يَضُمُّهُ مَا اسْتَشْهَدَ بِهِ فِيهِ، وَلَهُ فِي العُرُوضِ نَحْوُ ذَلِكَ، وَلَهُ قَصَائِدُ مُطَوَّلَاتٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ثُمَّ فَارَقَ دِمَشْقَ وَسَافَرَ إِلَى الدِّيارِ المِصرِيَّةِ، وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ المَلِكِ الكَامِلِ نَاصِرِ الدِّينِ أَبِي المَعَالِي مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ أَيُّوبَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَقَرَّبَهُ، وَحَظِيَ عِنْدَهُ ثُمَّ لَمْ تَطُلْ بِهِ الْأَيَّامُ حَتَّى عَاجَلَتْهُ مَبِيتُهُ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسِتٍّ مِئَةٍ.

وَحَدَّثَنِي الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بنُ أَحْمَدَ بنِ أَبِي جَرَادَةَ الْفَقِيهُ الحَنْفِيُّ، قَالَ : اجْتَمَعَتْ بِأَبِي الحُسَيْنِ يَحْيَى بنِ مُعْطِي بنِ عَبْدِ الثَّوْرِ النَّحْوِيُّ، فَأُنْشِدَنِي مِنْ شِعْرِهِ وَشِعْرِ غَيْرِهِ، وَكَانَ شَيْخًا حَسَنًا عَدْلًا مِنْ عُدُولِ دِمَشْقَ يَرْجِعُ إِلَى دِينِ وَوَرَعٍ، وَأُنْشِدَنِي، قَالَ : أَنْشِدَنِي أَبُو الحُسَيْنِ لِنَفْسِهِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَلْبَ مِنْكَ مُفَسِّمًا تَخَيَّرْتُ لِي قَلْبًا يُطْلِقُ جَفَاكَ
 أَيَحْسُنُ بِي أَنْ أُمْنَحَ الْوَدَّ مَنْ لَهُ هُنَا شَبَحَ وَالْقَلْبُ مِنْهُ هُنَاكَ
 مُرَاعَاةُكَ الْخِلَّ الْقَدِيمَ مُرُوءَةً فَدَعْنِي لِخِلِّ أَصْطَفِيهِ سِوَاكَ
 وَمَنْ وَجَدَ الدَّرَّ النَّفِيسَ فَبَاعَهُ بِخَسْرٍ فَلَا يَرْبِحُ بِصَفْقَةٍ ذَاكَ
 وَأُنْشَدَنِي قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ لُغْرًا فِي الْكَعْبَةِ حَمَا اللَّهُ تَعَالَى حُوزَتَهَا
 وَحَرَسَهَا :

وَلَمَّا تَبَدَّى لِي مِنَ السَّجْفِ حَاجِبٌ وَمُقَلَّةٌ لَيْلَى مِنْ وَرَاءِ نِقَابِهَا
 بَعَثْتُ رَسُولَ الدَّمْعِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا لِتَأْذَنَ فِي قُرْبِي وَتَقْبِيلِ بَابِهَا
 فَمَا أَذِنَتْ إِلَّا بِإِيْمَاصِ طَرْفِهَا وَلَا سَمَحَتْ إِلَّا بِلَثْمِ ثُرَابِهَا
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ، وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ :
 نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي مَهَابَةً وَلَوْ كَانَ إِنْصَافًا قَرَشْنَا خُدُودَنَا
 وَمَاذَا عَلَيْكُمْ أَنْ تُرِيقَ دُمُوعَنَا وَتُجْرِي فِي تِلْكَ الْعُيُونِ عُيُونَنَا
 وَأُنْشَدَنِي أَبُو سَعْدٍ قَيْسُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَمْرِو الْغَرَابِيلِيِّ الدَّمَشْقِيُّ، قَالَ : أَنُشَدَنِي
 أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ النُّورِ النَّحْوِيُّ الزَّوَاوِيُّ لِنَفْسِهِ :
 رَأَى الْقَوْمُ بِي فَضْلًا يُعَادِيهِ نَقْصُهُمْ فَمَالُوا إِلَى ذِي الْجَهْلِ وَالشَّكْلِ أَقْرُبُ
 بَهَائِمُ لَا تُصْنَعِي إِلَى شَدْوٍ مَعْبُدٍ وَتُصْنَعِي إِلَى جَافِي الْحُدَاةِ فَتَطْرُبُ
 وَأُنْشَدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يُوسُفَ الْهَمَامِيِّ الْوَاسِطِيُّ النَّحْوِيُّ
 الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ يَارْبِلَ، قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي
 الزَّوَاوِيِّ النَّحْوِيِّ بَدِمَشَقَ لِنَفْسِهِ كِتَابَ (الدَّرَّةِ الْأَلْفِيَّةِ) مِنْ تَصْنِيفِهِ، وَرَأَيْتُ خَطَّهُ
 بِالْقِرَاءَةِ عَلَيْهِ فِي ظَهْرِ الْكِتَابِ [وَأَوَّلُهَا] :

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الْغَفُورِ يَحْيَى بْنُ مُعْطٍ بْنِ عَبْدِ النَّوْرِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا بِأَحْمَدٍ دِينًا لَهُ ارْتِضَانَا
 فَلَمْ يَزَلْ يَنْمِي بِهِ الْإِسْلَامُ حَتَّى اسْتَبَاتَ لِلْهُدَى أَعْلَامُ
 مُؤِيدًا مِنْهُ بِخَيْرِ الْكُتُبِ وَحَيًّا إِلَيْهِ بِلِسَانِ عَرَبِي
 لِكُونِهِ أَشْرَفَ مَا بِهِ نَطَقَ كَمَا الرَّسُولُ خَيْرُ مَخْلُوقٍ خَلَقَ

وَاللَّهُ وَصَحِيهِ وَكَرَّمَا
 فِي قَلِيلِهِ نَفَادُ الْعُمْرِ
 فَالْحَازِمُ الْبَادِيُ فِيمَا يَسْتَتِمُ
 يَضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَغْنِي
 أَنْ اقْتَضَوْا مِنِّي لَهُمْ أَنْ أُجْعَلَ
 عِدَّتُهَا أَلْفَ حَلَّتْ مِنْ حَشْوِ
 وَفُقَ الذِّكْيُ وَالْبَعِيدُ الْفَهْمُ
 إِذَا نَبِي عَلَى اَزْدَوَاجٍ مُوجَزِ
 مُزْدَوِجِ الشُّطُورِ كَالْتَصْرِيعِ
 أَوْ جَاهِلٍ أَوْ عَالِمٍ مُعَانِدِ
 الْقَوْلُ فِي حَدِّ الْكَلَامِ وَالْكَلِمِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ ثُمَّ سَلَّمَ
 وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ
 فَأَبْدَأُ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ
 فَإِنْ مَنْ يُتَقَنُّ بَعْضَ الْفَنِّ
 وَذَا حَدَا إِخْوَانُ صِدْقٍ لِي عَلَى
 أَرْجُوزَةٍ وَجِيزَةٍ فِي النَّحْوِ
 لِعِلْمِهِمْ بِأَنْ حِفْظَ النَّظْمِ
 لَأَسِيْمًا مَشْطُورُ بَحْرِ الرَّجَزِ
 أَوْ مَا يُضَاهِيهِ مِنَ السَّرِيعِ
 فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَاسِدِ
 بِأَلِهِ رَبِّي فِي الْأُمُورِ أَعْتَصِمُ

وَهَذَا الْقَدْرُ فِيهِ كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ مِنْهَا :

وَأُنْشِدُنِي أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِسْكََنْدَرِيُّ بِالْمَوْصِلِ
 قَالَ : قَالَ : أُنْشِدُنِي أَبُو الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنُ مُعْطِي بْنِ عَبْدِ الثَّوْرِ النَّحْوِيُّ لِنَفْسِهِ
 مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ الْأَمَجَدَ مَجْدَ الدِّينِ أَبَا الْمُظَفَّرِ بَهْرَامِ شَاهِ بْنِ فَرَخِ
 شَاهِ بْنِ شَهْنَشَاهِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي صَاحِبِ بَعْلَبَكِ :

فَأَتَى الْمَشِيبُ وَرَوْنَقُ الثَّوْرِ الْبَهِيِّ
 وَأَتَى بِنَاهُ مَنْ نُهَاهُ مُمُورُهُ
 فَتَعَبَنَ فِي أَثَرِ الشَّبَابِ الْمُنتَهِي
 هِمَمٌ أُبَيِّنُ عَلَى الْحَوَادِثِ أَنْ تَهِيَ
 بِئْسَ الثَّغَامُ تَحِيَّةٌ لِلْمُزْدَهِي
 وَخِصَابُ أَسْحَمٍ بِالْمَلَابِ الْأُمَقِ
 سُودَ الذَّوَابِ وَالسَّرَى فِي الْمَهْمِ
 فَإِذَا زَجَرَتِ الْوَصْلُ قَالَتْ : مَهْ مَهْ
 فَرَقًا فَنَادَتْهُ السَّوَانِحُ صَهْ صَهْ
 مِنْ غَيْرِ مِضْحَاكِ الْبُرُوقِ مُقَهِّقِهِ

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَرَيْقُ الْعُمْرِ الشَّهِيِّ
 وَجَلَا بِهِ لَيْلُ الذَّوَابِ فَجَرُهُ
 وَأَطَارَ نَسْرُ الشَّيْبِ غِرْبَانَ الصَّبَا
 وَوَهَتْ قُوَى الْأَمَالِ مِنْهُ وَمَا وَهَتْ
 قَالَتْ أُمَامَةُ وَالْعِمَارُ يَرُوقُهَا
 مَا تُتَكْرِمِينَ مِنَ الصَّبَاحِ جَلَا الدُّجَى
 سُودَ الْعَيُونِ بِمَدْمَعٍ يَبْضُنُ لِي
 وَنَعِيبُ أَغْرَبَةِ الْحَدَاةِ بَيْنَهَا
 وَبَوَارِحُ الرِّيحِ اسْتَطَارَ لَهَا الْحِجَى
 فَسَخَا لَهُ دَمْعُ الْعَمَامِ يَوَابِلِ

فَتَفَاوَحَتْ أَزْهَارُهُ وَتَنَافَحَتْ
وَأَفْتَرَّ نَعْرُ الْأَقْحَوَانِ بِدُرِّهِ
أَطْيَارُهُ بِمَوْلُولٍ وَمَوْهْوِهِ
لِعَقِيقٍ مَطْلُولٍ الشَّقِيقِ مَطْلَلِهِ

وَمِنْهَا فِي الْمَدِيحِ :

مَلِكٌ تَظَلُّ الشَّمْسُ تَرْصُدُ وَجْهَهُ
إِنْ كَانَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ قَدْ انْجَلَتْ
وَفِي آخِرِهَا قَوْلُهُ :

زَادَتْ عَلَى مِئَةٍ وَثَيْفٍ خَمْسَهَا
لَمَّا تَكَمَّى فِي السَّلَاحِ عَنَّتْ لَهُ
وَدَعَاكَ مَجْدُ الدِّينِ دِينَ مُحَمَّدٍ
جَبَهَاتُ صَيِّدٍ قَبْلَهُ لَمْ تَعْقِهِ
لِلنَّصْرِ عِلْمًا بِالشُّجَاعِ أَلَمْرِهِ
(285م).....
(10 : 87-95)

59 — يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ

أَبُو الْحَجَّاجِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَنْصِفِيُّ⁽²⁸⁶⁾، وَالْمَنْصَفُ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى بَلَنْسِيَّةٍ⁽²⁸⁷⁾
الْشَيْخُ الزَّاهِدُ الصَّالِحُ كَانَ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَأَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ
(285م) بياض في الأصل.

(286) انظر في أبي الحجاج المنصفي كتاب المغرب لابن سعيد (2 : 354) قال فيه : «زاهد مشهور سكن مدينة سبتة وأدركه والدي» ووارد له مثالين من شعره، وذكره أيضا في رايات المبرزين : 135 وذكره المقرئ في نفع الطيب مرتين وفي أزهار الرياض مرتين كذلك وقال إن له رحلة حج فيها ومال إلى علم التصوف وله فيه أشعار حملت عنه وأورد ما قاله في وصف بليونش وما أمر به أن يكتب على قبره (نفع الطيب 3 : 595، 4 : 336 وأزهار الرياض 1 : 35، 36) وأما قبره المذكور فقد كان يقع بمقبرة أحجار السودان وفيه يقول مؤلف اختصار الأخبار : قبر الشيخ الصالح الصوفي العارف ذي المنظومات الربانية والتأيينات الحسينية الحاج الشهير الشهيد يوسف المنصفي الأنصاري البلنسي نزيل سبتة».

(287) في المغرب لابن سعيد : «كتاب الحصر الأهيف، في حُلَى قرية المنصف، من قرى بلنسية، منها أبو الحجاج يوسف المنصفي».

الْعَزِيزِ فَحَيْهَا عَالِمًا نَبِيهَا شَاعِرًا بَارِعًا مُفْلِقًا جَلِيلَ الْقَدْرِ بِلَدِهِ مُبَرِّزًا فِي عِلْمِ الْأَدَبِ
وَالْعَرَبِيَّةِ، وَنَظَّمَ وَأَفْرَدَ مِنْ شِعْرِهِ مُجَلَّدَةً فِي الْإِمَامِ الشَّهِيدِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا يَشْتَمِلُ عَلَى مَرَاتِبِهِ وَاسْتُشْهِدَ بِسَبْتَةِ
بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ بِدَارِهِ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتٍّ مِائَةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
الْأَوْسِيِّ السَّبَّيْتِي مِنْ لَفْظِهِ وَحِفْظِهِ بِحَلَبَ قَالَ، أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ
ابْنُ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَنْصِفِيِّ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ أُنْشَدَنِي وَالِدِي الْإِمَامُ الزَّاهِدُ أَبُو
الْحَجَّاجِ يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ لِنَفْسِهِ :

بَيْنَ جَرَعَاءِ اللَّوَى وَالْأَثَلَاتِ
لِيَنِي عُذْرَةَ دَاءٍ لَمْ يَزَلْ
الطُّبَا السُّمُرُ بِهِ سُمُرُ الْقَنَا
أَيُّهَا الْآمِلُ تَجِدُ دُوْنَهُ
لَا تَشِمُ بَارِقَهُمْ مُلْتَفِتًا
بَرْقُ نَغْرِ خُلْبٍ تُحْسِبُهُ
لَا وَرَكْبٍ تَزْلُوا أُمَّ الْقُرَى
وَاسْتَقْلُوا بِالْهَدَايَا بُكْرَةَ
لَا أَطِيعُ الْحُبَّ جَهْلًا بَعْدَمَا
يَا حَمَامًا بِالْجِمَى أَرْقُهُ
ذَاتُ جِيدٍ إِنْ بَدَا تُحْسِبُهُ
لَمْ تَزَلْ تُرْسِلُ مَا تُكْرَعُهُ
وَاسْتَدَارَتْ وَالْهَوَى يَفْتَادُهَا
بَانَ مُرْتَادًا لَهَا فِي مَرْقَبٍ
وَارْتَوَتْ مِنْ ذِمِّهَا مَقْصَعَةٌ
أَنَا أَوْلَى مِنْكَ بِالْحُزْنِ عَلَى
أَعْدِ السَّجْعَ فَإِنِّي ذَنْفٌ
إِنْ يَكُنْ شَجُوكَ مِنْ فَقْدِ لَهَا

مَرْبَعٌ لِللَّحْظِ فِيهِ فَتَكَاتُ
بِالْعُيُونِ الدُّعَجِ مَحْمِيَّ الْجِهَاتِ
وَالْمَهَا الْبَيْضُ بِهِ بَيْضُ الطُّبَاتِ
مَسْلُوكٌ أَبْعَدُ مَا فِيهِ النَّجَاةُ
رُبَّ جِدٍّ بَيْنَ هَزَلٍ وَالْفَاتِ
كَمْ سَقَى الدَّمْعُ بِهِ مِنْ وَجَنَاتِ
وَأَحْلُوا الْمَشْعَرَيْنِ الْيَعْمَلَاتِ
عَرَفَتْ عَرَفَ شَذَاهَا عَرَفَاتِ
غَيْرَتْنِي بِالْمَشِيبِ الْخَفِرَاتِ
فَقَدْ زَغَبَ بِالْفَلَا مُرْتَهَنَاتِ
قُرْحًا أَثَرَ سَحَابٍ هَاطِلَاتِ
مِنْ سِقَاءٍ أَوْكَأَتْهُ اللَّهَوَاتِ
أَغْلَبَ الشُّوقِ اشْتِيَاقُ الْأُمَّهَاتِ
وَلَا فَرَاخَ الْقَطَا مِنْهَا يَيَاتِ
يَا لَأَفْرَاخٍ عَلَيْهَا ثَاكِلَاتِ
فَقَدْ أَيَّامَ الشَّبَابِ السَّالِفَاتِ
وَأَعَزَّ سَمْعِي تِلْكَ التَّعْمَاتِ
فَكَذَا الدَّهْرِ اجْتِمَاعُ وَشَتَاتِ

مَنْصَفِي تَدْعِي الزَّهْدَ وَقَدْ عَلِقَتْ مِنْكَ أَكْفُ الشَّهَوَاتِ
وَبِفَوْذِكَ مَشِيبٌ نَاصِعٌ لَكَ فِيهِ لَوْ تَذَكَّرْتَ عِظَاتِ
إِسْأَلَ اللَّهِ إِلَيْهِ تَوْبَةٌ قَابِلُ التَّوْبِ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ
وَعَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ صَفْوَتِهِ أَحْمَدُ الطَّاهِرِ أَزْكَى الصَّلَوَاتِ
(10 : 495-497)

60 — يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ بْنِ الْمُثَنَّمِ (288) كَانَ شَابًا
ذَكِيًّا مُتَوَقِّدًا لَهُ خَطٌّ حَسَنٌ وَتَرَسَّلَ قَرِيبٌ وَشِعْرٌ مَطْبُوعٌ، وَكَانَ بَذِيءَ اللِّسَانِ
حَبِيبُهُ كَثِيرُ الْهَجْوِ أَفْحَشَ شُعْرَاءَ زَمَانِهِ هَجْوًا، وَكَانَتْ لَهُ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي الْهَجَاءِ
نَظْمًا وَثَرًّا، وَكَانَتْ فِيهِ قِفَّةٌ وَقَلَّةٌ حَيَاءٍ، هَجَا النَّاسَ وَنَفْسَهُ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَقَارِبَهُ،
وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَتَوَلَّى قِضَاءَ طَبْرِيَّةَ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مُدَّةً، وَمَوْلِدُ
يُوسُفَ بِدِمَشْقَ وَنَشَأَ بِسُمَيْسَاطِ (289) وَبِهَا تُوفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عُمُرُهُ غَيْرَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ. وَلَهُ دِيْوَانٌ
شِعْرٍ مَجْمُوعٌ.

أُنْشَدَنِي الْمَوْلَى الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ الْعَالِمُ صَلَاحُ الدِّينِ أَبُو الْمُظَفَّرِ يُوسُفُ بْنُ
مُوسَى بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِي (290) بِحَلَبِ الْمَحْرُوسَةِ بِمَنْزِلِهِ الْمَعْمُورِ
أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَهُ قَالَ : أُنْشَدَنِي يُوسُفُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُثَنَّمِ لِنَفْسِهِ يَهْجُو قَبِيلَتَهُ
الْمُثَنَّمَةَ بِبِلَادِ الْمَغْرِبِ :
قَالُوا جُدُودُكَ أَقْيَالٌ مُثَنَّمَةٌ لَا تَهْجُهُمْ قُلْتَ هَجْرِي مِدْحَةً لَهُمْ

(288) انظر بغية الطلب 10 : 444 والروض المعطار : 138.

(289) سُمَيْسَاط : مدينة على شاطئ الفرات في طرف بلاد الروم (ياقوت).

(290) تقدّم ذكره.

كَانُوا يُنَاكُونَ مُرَدًّا فَالْتَحَوْا فَحَشَوْا أَنْ يَكْرَهُ الشَّعَرُ الْعَشَاقُ فَالْتَشَّمُوا (291)

وَمِنْ شِعْرِهِ مَا كَتَبَهُ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
الْعَطَّارِ، وَكَانَ مُقِيمًا بِالْبَيْرَةِ فِي خِدْمَةِ الزَّاهِرِ دَاوُدَ بْنِ يُوسُفَ مُتَصَرِّفًا فِي الْيَهُودِ،
وَكَانَ يُوسُفُ بْنُ الْمُلْتَمِّ يَتَرَدَّدُ مِنْ سُمَيْسَاطَ إِلَى الْبَيْرَةِ وَيَنْزِلُ فِي دَارِ صَدِيقِهِ
أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْعَطَّارِ، فَأَتَى مَرَّةً فَلَمْ يَجِدْ أَبَا عَلِيٍّ حَاضِرًا فَتَزَلَّ عَلَى عَادَتِهِ وَسَأَلَ
عَنْهُ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَقَارِبِهِ إِنَّهُ قَدْ عَرَضَ لَهُ حُمَى وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ إِلَى
بُسْتَانٍ لَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ :

لَا تَحْسِبِ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ خَلِي أَبَا عَلِيٍّ مَعَاذَ اللَّهِ لَا وَعَلِيَّ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا عِنْدِي إِلَيْكَ كَمَا قَلْبِي عَلِيمٌ بِمَا قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِي
وَقِيلَ شُكُوكًا مِنْ حُمَى وَمَا فَهَمُوا هَذَا حَرَارَةٌ فِكْرٍ مِنْكَ مُشْتَعِلِ
وَلَا تَرَى بَعْدَ هَذَا الْبُوسَ ثَانِيَةً «وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعَلَلِ» (292)

وَكَتَبَ إِلَيْهِ مَرَّةً ثَانِيَةً وَقَدْ أَتَى عَلَى عَادَتِهِ وَلَمْ يَجِدْهُ فِي الدَّارِ وَكَانَ فِي ظَاهِرِ
الْبَلَدِ فِي الْبُسْتَانِ وَكَانَتْ عَادَتُهُ إِذَا جَاءَ مِنْ سُمَيْسَاطٍ يُقِيمُ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَلَا شَكَّ
أَنَّهُ أَجْتَازَ تِلْكَ الْمَرَّةَ مُسْتَعْجِلًا فَقَالَ :

شَوْقِي إِلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ تَفْصِيلُهُ لَمْ يُجْمَلِ
مَا هَكَذَا عَوْدَتِي مِنْ مِثْلِهِ وَتَفْضُلِ
أَيُّجُوزُ أَنْ تَمْضِي وَلَمْ تَطْرُقْ بِرَحْلِكَ مَنَزَلِي
حَاشَاكَ أَنْ تَمَلَّ مَوْدً صَاحِبِ لَكَ أَوَّلِ

وَلَهُ وَقَدْ عَمِلَ فِي الْمَلِكِ الزَّاهِرِ فَصِيدَةً مَذْحِ وَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ
أَنْ يَرْسُمَ لَهُ بِخُلْعَةٍ وَنَفَقَةٍ فَأَرْسَلَ لَهُ عَلَى يَدِ صَاحِبِهِ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْعَطَّارِ نَفَقَةً

(291) كأنه قلب قول القائل فهم :

قَوْمٌ لَهُمْ ذَرَكُ الْغُلَا فِي جَنَيرِ وَإِنْ اتَّمَّوْا صَنِهَاجَةً فَهَمُ هُمُ
لَمَّا حَوَّوْا إِحْرَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحِيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّثَمُوا
وانظر ما ورد في هجاء اللثمين أيضا كتاب زاد المسافر : 78.

(292) هذا شطر بيت للمنتبى.

بِعْغِيرِ خَلْعَةٍ فَلَمَّا أَتَاهُ بِهَا قَالَ يَا صَاحِبِي : لَوْ أَنَّهَا أَلْفُ دِينَارٍ مَا ظَهَرْتُ عَلَيْكَ بِعْغِيرِ
خَلْعَةٍ فَارْزُدْهَا وَاتَّبِعْنِي بِخَلْعَةٍ بِعْغِيرِ نَفَقَةٍ، فَقَالَ لَهُ : اْعْمَلْ شَيْئًا يَكُونُ مَعِيَ مِفْتَاحَ
الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ ارْزُجَالًا :

يَا مَلِكُ الْعَالَمِ يَا مَنْ فَخَارُهُ أَصْلًا وَذُرِّيُّهُ
لِبَسَتِي بِتَشْرِيفِكَ فِي عَوْدَتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَلْفِ مِصْرِيَّةٍ
فَلَمَّا أَوْصَلَهَا الْمَذْكُورُ إِلَى الْمَلِكِ الرَّاهِرِ وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَيْنِ أَمَرَ لَهُ بِخَلْعَةٍ سَيِّئَةٍ
مَعَ النَّفَقَةِ.

وَقَالَ يَهْجُو الْعِمَادَ بْنَ النُّوْرِي قَاضِي الْبَيْرَةِ وَكَانَ الْمَذْكُورُ عِنْدَ الْمَلِكِ الرَّاهِرِ
فَحَضَرَ شَكْوَى بَيْنَ نَفَرَيْنِ : أَحَدُهُمَا سَارِقٌ وَالْآخَرُ زَانٍ فَتَوَسَّطَ الْقَاضِي لِلزَّانِي
بِالْحَصْبِ وَلِلْسَارِقِ بِالْقَتْلِ :

قُلْ لِعِمَادِ الدِّينِ يَا قَاضِيًا يَحْكُمُ فِي الْبَيْرَةِ بِالطَّبْعِ
يَحْكُمُ لِلْسَارِقِ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَصْبِ وَلِلزَّانِي بِالْقَطْعِ
مَذْهَبُ آبِنِ إِدْرِيسَ قَدْ أَصْبَحَتْ أَرْكَائُهُ هَادِمَةَ الرَّبْعِ
لَوْ أَنَّ لِلْمَذْهَبِ عَيْنًا بَكَتْ عَلَى الَّذِي قَدْ تَمَّ بِالشَّرْعِ
(10 : 497-502)

61 - يُوسُفُ بْنُ مُوسَى أَبُو الْوَلِيدِ الْأَنْصَارِيُّ (293)

مِنْ أَهْلِ سَلَا، مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ، كَانَ شَاعِرًا مُتَنَجِّعًا، صَارَ إِلَيَّ مِنْ شِعْرِهِ
هَذِهِ الْقَصِيدَةُ يَمْدَحُ بِهَا الْأَمِيرَ شَمْسَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ قُلَيْجٍ الْحَلَبِيَّ :
أُمَلِّكَ سَمْعِي مِنْ عَذْلِ بَتْنِدِيدٍ فَبَعْضَ شَأْنَيْكَ مِنْ لَوْمٍ وَتَفْنِيدٍ
قَدْ كُنْتُ تَبَقَى وَإِنْ لَمْ تَبَقْ مِنْ شَفَقٍ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ فِي أَحْشَاءِ مَعْمُودٍ
لَا دَرٌّ دَرٌّ مِنْ لَاحِ الْحَّ عَلَى ضَعْفِي، وَجَارَ عَلَى لِبْنِي بِتَشْدِيدِ

(293) لم أقف له على ذكر فيما رجعت إليه من مصادر.

أَبْلَى شَبَابِي مِنْ سُقْمٍ بِتَبْدِيدِ
خُلُقٍ، وَإِنْ عَزَّ مِنْ طَرَفٍ وَمِنْ جِيدِ
جَمْرِ الْعَصَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْغِيدِ
وَمَا سَمَحَنَ لَنَا إِلَّا بِتَبْعِيدِ
حُمْرِ الْقَبَابِ عَلَى الْحُمْرِ الْجَلَاعِيدِ
شَرَّدَنَ تَوْمِي عَنْ عَيْنِي بِتَسْهِيدِ
أَشْرَقَنَ فِي الْكُتُبِ مِنْ قُضْبِ أَمَالِيدِ
طَافٍ بِبَحْرِ سَرَابٍ غَيْرَ مَوْرُودِ
سَارٍ وَسِيرٍ جَمَالٍ فَوْقَ ثَوْرِيدِ
كَالْسُمِّ تَجْنِيهِ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ
مَا ضَلَّ مِنْ جَزَعٍ عَنِّي وَتَبْلِيدِ
يَفْنَى بِفَنَيْنٍ مَعْدُومٍ وَمَوْجُودِ
خَدَّيْ مِنْ قَيْصِرِ أَجْفَانِي بِتَحْدِيدِ
مَوَاطِئِ الْعَسْفِ مِنْ هَمٍّ وَتَنكِيدِ
يَقْرُبُ الْعَيْسَ مِنْ وَخْدٍ وَمِنْ بِيدِ
لَا يَقْتَضِي بِسَوَى الْمَهْرَةِ الْقَوْدِ
قَرَحٌ، وَفَقْدُ حَبِيبٍ غَيْرَ مَرْدُودِ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَلَمْ أَظْفَرْ بِمَقْصُودِ
حَتَّى حَلَلْتُ بِشَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ

أَمَّا نَهَاكَ ضَنَى وَجِدٍ مُنِيتُ بِهِ
فِي ذِمَّةِ اللَّهِ نَفْسٌ مَا يُدْمُ لَهَا
وَفِي رِضَى الْحُبِّ قَلْبٌ قَلْبَتُهُ عَلَى
سَنَحْنِ يَوْمِ الْكَيْبِ الْفَرْدِ مِنْ كَتَبِ
يَخْفِضُنَ فِي الْمَشْيِ مِنْ خَطْوٍ وَقَدْ رُفِعَتْ
بَيْضٌ أَوَانِسُ فِي سِرْبٍ أَوَانِسُهُ
بُدُورُ حُسْنِ حَوْتُهُنَّ الْخُدُورُ وَقَدْ
يَحْمِلُنَ دُرّاً ثَوَى فِيهِنَّ مِنْ صَدَفِ
يَا لِلْبَرَّاقِعِ كَمْ فِيهِنَّ مِنْ قَمَرِ
وَمِنْ عُيُونٍ نَفَسَ السَّحَرِ فِي كَيْدِي
عَدِمْتُ صَبْرِي إِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِهِ
فَكَيْفَ أَبْقَى عَلَى مَا بِي وَهَا رَمَقِي
أَمَّا الْفِرَاقُ فَأَرَمِي فِي الثَّوَى وَرَمَى
وَلَجَّ فَايْتَزَّ أَوْطَانِي وَأَوْطَانِي
بُعْدَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى لِمَشْرِقِهِ
كَأَنَّ فِي كُلِّ قَطْرِ لِي مَدَى أَرْبِ
تَعُرَّبْتُ وَمَشِيبْتُ نَازِلٌ وَأَسَى
وَسَاعَنِي، أَنَّ عُمْرِي ضَاعَ أَكْثَرُهُ
وَلَا حَمْدُ رَحِيلِي لَا وَلَا زَمَنِي

وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ فَرَقَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ ظَافِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْكِنَانِيُّ
الْإِسْكَندَرِيُّ، أَنَشَدَنِي أَبُو الْوَلِيدِ يُونُسُ بْنُ مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ السَّلَاطِي لِنَفْسِهِ لَمَّا
رَجَعَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ غِيَاثُ الدِّينِ غَازِي بْنُ يُوسُفَ (294) مِنْ مُحَاصَرَةِ دِمَشْقَ إِلَى
حَلَبَ خَائِباً وَكَانَ مَعَهُ ابْنُ الْحُصَيْنِ الْوَزِيرُ وَابْنُ أُخْتِهِ النَّظَّامُ أَبُو الْوَلِيدِ مُحَمَّدُ
ابْنُ الْحُسَيْنِ الطُّغْرَاثِيُّ (295)، وَكَانَ أَحْوَلَ وَالْقَاضِي بِهِاءُ الدِّينِ أَبُو الْمَحَاسِينِ

(294) انظر ترجمة هذا الملك في وفيات الأعيان 4 : 6.

(295) انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى 8 : 360-362.

يُوسُفُ بْنُ رَافِعٍ بْنِ تَمِيمٍ الْمُوصِلِيُّ وَيَعْرِفُهُ الْمُفْهَاءُ بِالْأَحْمَرِ، وَكَانَ الْوَزِيرُ ابْنُ
الْحُصَيْنِ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ :

قُلْ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ اسْتَبْصِرِ دُهَيْتَ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ تَشْعُرِ
بِالْأَجْهَرِ الْمَطْرُودِ مِنْ وَاسِطِ وَالْأَحْوَلِ الْمَشْهُومِ وَالْأَحْمَرِ
ثَلَاثَةً لَوْ بَرَزُوا دَفْعَةً لِلشَّمْسِ أَوْ لِلْبَدْرِ لَمْ تَظْهَرِ
وَلَوْ تَوَلَّى وَاحِدٌ مِنْهُمْ تَذْيِيرَ ذِي الْقَرْنَيْنِ لَمْ يُنْصَرِ
الْأَجْهَرُ : الَّذِي لَا يَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ.

(10 : 572)

62 — يَزِيدُ بْنُ صَقْلَابٍ

أَبُو بَكْرٍ الْمَرْيَمِيُّ (296)، كَانَ رَجُلًا كَبِيرَ الْقَدْرِ جَلِيلَ الْمَنْزِلَةِ، سَمَحًا ذَا مُرُوءَةٍ
وَأَرْيَحِيَّةٍ، وَكَانَ مُشَارِفَ الدِّيَوَانِ بِالْمَرْيَةِ، وَيَرْجِعُ إِلَى أَدَبٍ وَفَضْلِ وَتَبَاهَةٍ وَمَعْرِفَةٍ،
وَقَوْلِ الشَّعْرِ الرَّائِقِ الْحَسَنِ، أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ
مُحَمَّدٍ الْفَاسِي الْمَقْرِي بِحَلَبَ، قَالَ : شَاهَدْتُ يَزِيدَ بْنَ صَقْلَابٍ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَسِتٍّ مِئَةٍ بِالْمَرْيَةِ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الْإِشْرَافَ بِدِيَوَانِهَا وَذَكَرَهُ ذِكْرًا جَمِيلًا، وَوَصَفَهُ
وَصَفًا حَسَنًا، وَقَالَ : «لَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ أَكْرَمَ مِنْهُ نَفْسًا وَلَا أَجْوَدَ كَفًّا» هَذَا
آخِرُ كَلَامِهِ. أَتَشَدَّنِي الصَّاحِبُ الْوَزِيرُ أَبُو الْبَرَكَاتِ الْإِزْبِلِيُّ بِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،
قَالَ أَتَشَدَّنِي أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ التَّائِكُرْتِيُّ الْقُرْطُبِيُّ، قَالَ أَتَشَدَّنِي يَزِيدُ
ابْنُ صَقْلَابٍ لِنَفْسِهِ :

أَهْدَى التَّحِيَّةَ بِالْإِشَارَةِ وَاضِعًا بَعْدَ التَّحِيَّةِ فَوْقَ أُصْبُعِهِ فَمَا
فَعَجِبْتُ مِنْهُ ثُمَّ قُلْتُ لِصَاحِبِي أَتَرَاهُ سَلَّمَ أَمْ تَرَاهُ تَحَتَّمَا
وَلَهُ أَشْعَارٌ وَرَسَائِلُ لَمْ يَقَعْ إِلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ غَيْرَ مَا ذَكَرْتُهُ.

(10 : 575)

(296) انظر ترجمته وطائفة من أشعاره في تحفة القادم : 124، 135، 136، 173، 178، 180
وقف عند الحاشية رقم 1 في ص 178.

تراجم مغربيّة
من تاريخ إربل لابن المستوفي

1 — أبو عبد الله الزُّهري

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الزُّهْرِي الْأَنْدَلُسِيِّ⁽¹⁾، وَرَدَّ إِرْبِلَ وَسَمِعَ شَيْخَنَا أَبَا الْمُظَفَّرَ الْمُبَارَكَ بْنَ طَاهِرِ الْخَزَاعِيِّ. وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى نِشَاوُور⁽²⁾ وَغَيْرِهَا. وَكَانَ أَقَامَ بِالْمَوْصِلِ مَدَّةً فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ، وَسَمِعَ وَكَتَبَ، وَهُوَ إِلَى الْآنَ — كَمَا ذَكَرَ لِي — بِلَادَ الْعَجَمِ⁽³⁾. وَسَمِعَ شَيْوُخَ بَغْدَادَ، وَلَقِيَ بِأَصْبَهَانَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ الْحَدَّادِ.

أُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَرْقُونِ الْأَنْصَارِيِّ⁽⁴⁾ قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو طَاهِرِ ابْنُ أَبِي الرَّكْبِ⁽⁵⁾ :

جَاءَتْكَ مِنْ عُدَدِ الْعُلَا زَنْجِيَّةٌ فِي حُلَّةٍ مِنْ حِلْيَةٍ تَتَبَخَّرُ
سَوْدَاءَ صَفَرَاءَ الْحُلِيِّ كَأَنَّهَا جُنْحٌ تُطَرِّزُهُ نُجُومُ تَزْهَرُ
حُمِلَتْ بِأَصْفَرٍ مِنْ نِجَارِ حُلِيِّهَا تُخْفِيهِ أحياناً وَحِيناً يَظْهَرُ
خَرَسَانُ إِلَّا حِينَ يَرُضَعُ دَرَهَا فَتَرَاهُ يَنْطِقُ مَا يَشَاءُ وَيُخْبِرُ⁽⁶⁾
وَأُنْشَدَنَا لِنَفْسِهِ فِي أَبِي مُحَمَّدَ عَبْدِ الْقَادِرِ الرَّهَائَوِيِّ⁽⁷⁾ :

(1) ترجمته أيضا في فلائد الجمان 6 : 133-136 (ص 117 من هذا المجموع) وفي الذيل والتكملة 5 : 644-645 والذيل لابن الديلمي 2 : 242 والوافي بالوفيات 2 : 104 والمحمدون للقفطي : 336-359 وبغية الوعاة 1 : 25-26.

(2) هي نيسابور، والعامية تسميها نساوور كما في معجم البلدان لياقوت.

(3) يقصد بها هنا بلاد فارس.

(4) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 6 : 203-208.

(5) ترجمته ومصادرها في تحفة القادِم : 34-36 (د. إحسان عباس) وفيه بعض مرويات ابن زرقون الأب عن ابن أبي ركب.

(6) الأبيات في تحفة القادِم أيضا مع شيء من الاختلاف في الرواية.

(7) محدث مشهور. انظر ترجمته ومصادرها في تكملة النقلة 2 : 332.

أَتَيْتُ الرَّهَازِيَّ فِي دَسْتِهِ فَأَلْفَيْتُ شَخْصاً لَثِماً وَخِيماً
فَلَيْسَ الْفَتَى مِنْ حَوَى مَنْصِباً وَلَكِنْ مَنْ حَازَ مَجْداً وَخِيماً
وَأُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ شَمَّاسِ الصَّاحِبُ، قَالَ : أَنْشَدَنِي الرَّهَازِيُّ بِالْكَرَجِ
لِنَفْسِهِ، وَكَانَ أَقَامَ بِهَا وَتَاهَلَ بِهَا :
أَنَا مَأْسُورٌ بِحَيْطَانِ الْكَرَجِ فِي عَنَاءٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْفَرَجَ
لَيْسَ بِالْمَعْبُوطِ مَنْ يَسْكُنُهَا إِنَّمَا الْمَعْبُوطُ مَنْ مِنْهَا خَرَجَ
شَرَحَ «كِتَابُ الْإِبْضَاحِ»⁽⁸⁾ وَكِتَابُ «الْعُتْبِيِّ الْيَمِينِيِّ»⁽⁹⁾، قَتَلَهُ التُّتْر
بِزُرْجَرْدٍ⁽¹⁰⁾ فِي / شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسَمَائَةِ.

2 — ابْنُ هِلَالَةَ الْمَغْرِبِيِّ

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ هِلَالَةَ الْمَغْرِبِيِّ
الْأَنْدَلُسِيِّ وَيُعرفُ بِابْنِ هِلَالَةَ⁽¹¹⁾. وَأُخْبِرَنِي مَسْعُودُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّكْرُورِيُّ⁽¹²⁾
غَلَامُهُ، إِنَّ مَوْلِدَهُ بِطَبِيرَةِ⁽¹³⁾ مِنَ الْأَنْدَلُسِ. وَحَدَّثَنِي أَبُو الْخَيْرِ بَدَلُ بْنُ أَبِي

(8) هو كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي وكان للأندلسيين عناية بدرسه وشرحه.

(9) هو كتاب في تاريخ يمين الدولة محمود بن سيكتكين لحمد بن عبد الجبار العتبي وقد «أدرج فيه دقائق عربية ولطائف دينية» ولهذا شرحه أكثر من شارح، راجع كشف الظنون.

(10) بلدة بين همدان وبين الكرج، وفي المطبوع : «قتله التتر وجرد» ولست أدري كيف وقع محقق الكتاب في هذا الغلط.

(11) ترجمته أيضاً في التكملة (رقم 1769) ومعجم البلدان (مادة طبيرة) وقال فيه ياقوت : صاحبنا أبو محمد، وانظر كذلك شذرات ابن العماد 5 : 78 ويبدو أن لابن هلالَةَ المترجم هنا علاقة بابن هلالَةَ النَّائِرِ بِطَبِيرَةِ عند نهاية حكم الموحِّدين بِالْأَنْدَلُسِ، وقد يدل على ذلك أنه كان له غلام يرافقه، انظر نفح الطيب 1 : 301-302.

(12) نسبة إلى التكرور، وتطلق على بلاد وشعب التكرور في السودان الغربي، والتكرور معدود من مملكة مالي القديمة.

(13) طبيرة مدينة معروفة في غرب الأندلس واسمها اليوم Tavera.

المُعَمَّر، إِنَّهُ أَخْبَرَ بَوَفَاتِهِ بِالْبَصْرَةِ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةِ وَسِتِّائَةٍ، وَحَدَّثَنِي غَيْرُهُ، أَنَّهُ تُوفِّيَ فِي تَاسِعِ رَمَضَانَ بِالْبَصْرَةِ وَدُفِنَ بِهَا.

رَحَلَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى نَيْسَابُورَ وَخُوارِزْمَ وَغَيْرِهِمَا، وَسَمِعَ مِنْ مَشَايِخِهَا، وَحَصَلَ جُمْلَةٌ مِنْ أُصُولِهَا، وَعَادَ فُورَدَ إِزْبِلَ فِي ...، وَسَمِعَ عَلَى الْفَقِيرِ أَبِي سَعِيدِ كُوكَبُورِيِّ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بُكْتُكَيْنِ مُسْنَدَ أَهْلِ الْبَيْتِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ — وَسَافَرَ إِلَى دِمَشْقَ لِسَمَاعِ كِتَابِ تَارِيخِهَا الَّذِي أَلْفَهُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ ابْنِ عَسَاكِرَ، وَوَصَلَهُ بِجُمْلَةٍ وَأَنْفَذَ لَهُ مِثْلَهَا إِلَى دِمَشْقَ، وَصَارَ ذَلِكَ لَهُ رَسْمًا عَلَى صَدَقَتِهِ.

3 — الفقيه الصنهاجي

هُوَ أَبُو الْخَيْرِ مُعَاذُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ بْنِ الْمَنْصُورِ⁽¹⁴⁾ الْفَقِيهِ الْمَغْرِبِيُّ الصَّنَهَاجِيُّ. وَرَدَ إِزْبِلَ فِي / سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. كَانَ يَلْبَسُ لِبْسَ الصُّوفِيَّةِ، مَخْتَصِرَ الثِّيَابِ. حَدَّثَنِي فِي صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ — وَأَكْثَرَ اللَّفْظِ لِي — قَالَ : حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِمَّنْ أَدْرَكَ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَمِيرَ الْمَغْرِبِ، قَالَ : كَانَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ رَجُلًا عَالِمًا وَرِعًا فَقِيهًا. وَكَانَ لَا يَخْلُو مَجْلِسَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِكُلِّ فَنٍ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ، وَمَتَى خَاضُوا فَنًا خَاضَ مَعَهُمْ فِيهِ كَأَحَدِهِمْ. فَاتَّفَقَ أَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ خَلَقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالشُّعْرَاءِ، فَجَرَتْ مَسْأَلَةٌ فَسَكَنُوا لِاسْتِمَاعِ كَلَامِهِ. فَقَالَ لَهُمْ : لِمَ لَا تَتَكَلَّمُونَ ؟ فَأَبْتَدَرَ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. فَسَمِعَهُ بَعْضُ مَنْ كَانَ حَاضِرًا، فَكَتَبَ فِي الْحَالِ رَقْعَةً لَطِيفَةً، فِيهَا :

يَا ذَا الَّذِي قَهَرَ الْعِبَادَ بِسَيْفِهِ مَاذَا يَصُدُّكَ أَنْ تَكُونَ إِلَهًا ؟
أَنْطَلِقُ بِهَا فِيمَا ابْتَدَعْتَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ لَمْ تَقُلْهُ سِوَاهَا

(14) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي غُمَارِ الْمَجْلِسِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ. فَلَمَّا قَامُوا لَمَحَهَا عَبْدُ الْمُؤْمِنِ فَدَعَا بِهَا وَاعْتَقَدَ أَنَّهَا لِمَظْلُومٍ أَوْ طَالِبِ حَاجَةٍ. فَلَمَّا قَرَأَهَا أَمَرَ بِكُلِّ مَنْ يُعْرِفُ بِقَوْلِ الشَّعْرِ أَنْ يُحْبِسَ، فَحُبِسَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَائِلُهَا، لَمْ يَرِ أَنْ يُؤْخَذَ بِهِ غَيْرُهُ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ، فَطَالَعَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِذَلِكَ. فَدَعَاهُ فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُ : «مَا الَّذِي دَعَاكَ إِلَى هَذَا ؟» فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ غَيْرَةً عَلَى دِينِهِ، وَلَمْ يَرْضَ مَا خُوطِبَ بِهِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ : «لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا»، إِذْ هَذَا خِطَابُ الْمَلَائِكَةِ لِلَّهِ — جَلَّ وَعَلَا — فَقَالَ : يَا شَيْخَ مِثْلِكَ مَنْ نَبَّهَ عَلَى حَسَنِ وَنَهَى عَنْ مَكْرُوهٍ، وَوَصَلَهُ بِصَلَةِ حَسَنَةٍ، وَلَمْ يَهْجِهْ مَا خَاطَبَهُ بِهِ مِنْ قَوْلِهِ : «انْطِقْ بِهَا فِيمَا ابْتَدَعْتَ»، وَلَا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ.

4 — البرزالي⁽¹⁵⁾

مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْبَرْزَالِيِّ، مِنْ طَلَبَةِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ سَافَرُوا فِيهِ، دَخَلَ بِلَادَ الْعَجَمِ، وَسَمِعَ الْكَثِيرَ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ إِشْبِيلِيَّةِ.

5 — أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ

هُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمِينَارِيِّ⁽¹⁶⁾ بْنِ عَلِيِّ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَلِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ السَّلَاوِيِّ، مِنْ مَدِينَةِ سَلَا مِنْ أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ.

(15) هذه ترجمة مختصرة جداً هنا، وهي مطبوعة في التكملة لابن الأبار (رقم 1012) وقد تتبع محقق تاريخ إربل مصادر ترجمة البرزالي (2 : 502-503) ولهذا الإمام المحدث الذي استفاد بالشام خلف أصبحوا من أهل دمشق منهم بهاء الدين البرزالي الوافي 5 : 264 وأبو محمد القاسم البرزالي.

(16) كذا في المطبوع ولعلها الميثاري أو الفزاري.

وَرَدَ إِزْبِلَ وَسَكَنَ دَارَ الْحَدِيثِ بِهَا. سَأَلَتْهُ عَنِ الْمِيتَارِي، فَقَالَ : مَنْسُوبٌ إِلَى مَدِينَةٍ تُسَمَّى «مِيتَارَةَ»⁽¹⁷⁾. عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ طَرَفٌ مِنْهُ.

أُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

أَحْبَابَ قَلْبِي، هَلْ سَبِيلٌ إِلَيْكُمْ ؟ فَجَسَمِي عِنْدِي وَالْفَوَادُ لَدَيْكُمْ
وَأِنْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ فَرُدُّوا تَحْتِي فَقَدْ طَالَ مَا قَلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

وَأُنْشِدْنِي لِلسَّيِّدِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ⁽¹⁸⁾ :

كَيْفَ التَّصَبُّرُ وَالْأَشْوَاقُ تَزْدَادُ وَالِدَارُ ثَنَاءً وَمَا لِلْوَصْلِ مِيعَادُ
وَالدَّهْرُ قَدْ عَاقَ عَنْ لُفْيَاكُمْ جَسَدًا وَالْبَيْنُ جَيْشٌ لَهُ الْأَفْكَارُ أَجْنَادُ⁽¹⁹⁾
فَكَلَّمَا قُرْبْتُ مَنِّي دِيَارَكُمْ يَنَاءُ الْمَزَارِ كَأَنَّ الْقُرْبَ إِبْعَادُ
وَكَلَّمَا رُمْتُ أَنْ أُنْسِيَ تَذَكُّرَكُمْ تَأْبَى الطَّبَاعُ فَمَا تَنْفَكُ تَزْدَادُ
فَالْقَلْبُ فِي حُرْقٍ وَالْجَفْنُ فِي أَرْقٍ وَلِلْجَوَانِحِ⁽²⁰⁾ إِصْدَارُ وَإِيرَادُ
وَالدَّمْعُ يُزْرِي بِقَطْرِ الْمُنَى وَابِلُهُ وَلِلْبَلَابِلِ⁽²¹⁾ إِبْرَاقُ وَإِرْعَادُ⁽²²⁾

6 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّلَاوِي⁽²³⁾

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْقَيْسِيِّ مِنْ سَلَا،

(17) لعلها تحريف فنزارة، وهي مدينة كانت قرية من سلا، انظر وصف إفريقيا للوزان : 209-210.

(18) ذكر المؤرخون أن السيد أبا إسحاق إبراهيم بن عبد المومن كان واليا على قرطبة ولكنهم لم يذكروا أنه قال شعرا كما أن من تتبعوا أمراء الموحدين الشعراء لم يعدوه منهم، والأبيات موجودة في ديوان الأمير أبي الربيع ص 66 مع شيء من الاختلاف في الرواية.

(19) في ديوان أبي الربيع : والبين جيش والأفكار أجناد.

(20) في الديوان : وللبلايل.

(21) في الديوان : وللجوانح.

(22) بعد هذا البيت أربعة أبيات في الديوان.

(23) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

أَقْصَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ⁽²⁴⁾، وَوَجَدْتُ بِحُطَّه : يُعْرِفُ بَابِنَ السَّرَاجِ. وَرَدَ إِرْبِلَ
وَسَكَنَ دَارَ الْحَدِيثِ بِهَا.

أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :

أَلَا يَا غَزَالَ السَّرْبِ هَلْ فِيكَ مَطْمَعٌ لُمُحْتَرَقِ الْأَحْشَاءِ دَامِي الْمَحَاجِرِ
بِهِ ظَمَأٌ بَرْخٌ وَوَرْدُكَ وَرْدُهُ فَمَاذَا تَرَى فِي رِيِّ ظَمَانٍ شَاكِرٍ ؟
تَعَرَّضَ يَصْطَادُ الظُّبَاءَ فَصِيدَتُهُ وَلَا شَرَكُ إِلَّا عَيُونُ الْجَادِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي — كَلَّمَا لَأَخَ بَارِقٌ وَهَبَّ نَسِيمٌ — فِي قَوَادِمِ طَائِرِ⁽²⁵⁾

وَأَنْشَدَ لِأَبِي زَيْدٍ الْفَازَاذِيِّ الْمَرَاكَشِيِّ⁽²⁶⁾، قَالَ : سَمِعْتُهُ مِنْ لَفْظِهِ :

لَعَمْرِي لَقَدْ ظَنُّوا الظُّنُونِ وَأَيَقَنُوا بِيَعُضِ إِشَارَاتٍ تَنَمُّ عَنْ الصَّبِّ
فَقَالُوا اكشَفُوا بِالْبَحْثِ عَنْ أَصْلِ وَجْدِهِ فَلَا فَلَكَ إِلَّا يَدُورُ عَلَى قُطْبِ
سَلُوهُ وَرَاعُوا لَفْظَهُ مِنْ خِطَابِهِ لَتُفْهَمَ عَنْ فَحْوَاهِ دَاعِيَةُ الْحُبِّ
وَقَوْمٍ رَأَوْا مِنِّي مُخَادَعَةَ الْهَوَى أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ مُخَادَعَةِ الْحَرْبِ
يَقَرُّ قَرَارُ السَّيْرِ عِنْدِي كَأَنَّهُ غَرِيبٌ دِيَارٍ قَالَ : فِي وَطَنِي حَسْبِي
أَلَا بِأَبِي مِنْ جُمْلَةِ الْغَيْدِ وَاحِدٌ فَهَلْ عَلِمُوا ذَاكَ الْغَزَالَ مِنَ السَّرْبِ ؟
قُتِلْتُ فَلَا وَاللَّهِ أَذْكَرُ قَاتِلِي فَأَخَذَ قِصَاصِي مِنْهُ بَيْنَ يَدَيَّ رَبِّي⁽²⁷⁾

(24) هكذا كان يظن بعض الجغرافيين القدماء، ومنهم ياقوت الحموي.

(25) مأخوذ من قول قيس بن الملوح :

كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةٌ قِيلَ يَغْدِي بَلِيلِي الْعَامِرِيَّةَ أَوْ يَسْرَاحُ
قِطَاعٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ، تَجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ.

(26) هكذا نسبته صاحب الترجمة بناءً على مكان وفاته، ونسبه بعضهم إلى قرطبة التي ولد فيها، ونسبته الفازازية تدل على مغربيته، وقد ترجم ابن عبد الملك لأخيه أبي عبد الله في قسم الغرباء وهم الداخلون إلى الأندلس من أهل المغرب وغيرهم.

(27) هذه القطعة من شعر أبي زيد الفازازي جديدة وهي تضاف إلى الموجود من شعره في برنامج الرعييني والذيل والتكملة وغيرهما وقد ظهر جزء مخطوط في مكتبة ليدن بهولندا يشتمل على طائفة من شعره ونثره، وكنت حصلت على صورة منه بعد أن نشرت السفر الثامن من الذيل والتكملة ولذلك لم أتمكن من الاستفادة منه في المقابلة، وقد نشر هذا الجزء مؤخرًا بتقديم وتحقيق السيد عبد الحميد الهرامة، ولا توجد فيه القطعة الواردة هنا.

7 — الواعظ المغربي

هو أَبُو زَكْرِيَا يَحْيَى بن أَحْمَد بن يُوسُف بن أَحْمَد الحَسَنِي الأندلسي
الغُرْنَاتِي⁽²⁷⁾ وَرَدَ إِزْبِيلَ وَعَقَدَ بِهَا مَجَالِسَ الْوَعْظِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْعَامَةِ قَبُولٌ عَظِيمٌ،
كَانَ يَجِيءُ النَّاسُ أَكْثَرَ مَجَالِسِهِ وَيَتَكَفَّفُهُمْ. وَصَلَهُ الْفَقِيرُ أَبُو سَعِيدٍ كوكُورِي بِصَلَةٍ،
وَأَرَادَ السَّفَرُ فَأَمَرَ الْعَامَّةَ أَنْ يَطْلُبُوا مِنَ السُّلْطَانِ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ.

فِي خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَسِتِّمِائَةٍ، أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ :
يَا دَوْحَةَ الْبَانِ مِنْ شَرْقِي كَاطِمَةٍ سَقَاكِ مِنْ عَبْرَاتِ السُّحُبِ هَتَّانُ
لِسَاكِنِيكَ عَلَيْنَا خِدْمَةٌ وَلَنَا عَلَيْهِمُ بِالْوَفَا عَهْدٌ وَأَيْمَانُ
كَمْ أَعَذَلُ الْقَلْبَ فِي تَذْكَارِهِ لَهُمْ دَنُوتُوا فَلَمَّا دَنَا وَصَلِي لَهُمْ بَانُوا
هُمْ عَلِّمُونِي الْهَوَى مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ حَتَّى إِذَا وَلَجُوا بَابَ الْهَوَى خَانُوا
هُمْ الَّذِينَ بِسِحْرِ اللَّحْظِ قَدْ سَفَكُوا دَمَ الْهُمَامِ وَشَرَعُ الْحُبِّ إِذْعَانُ
فَإِنْ وَضَعْتُ يَدِي بِالصَّدْرِ اكْتُمْ مَا بِالْقَلْبِ غَادَرُهُ صَبْرٌ وَكْتَانُ
وهي كما ذكر طويلة، التزم في أثنائها الإتيان بكلمات مستورة ذكرها لي تبين
إذا كتبت بلون غير المِداد.

8 — المغربي الطنجي

هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ بنِ يُوسُفِ الطَّنْجِي⁽²⁸⁾، مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ.
أُنْشِدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ أَبِي الْقَاسِمِ الْإِسْكَنْدَرِي، قَالَ : أُنْشِدَنِي الطَّنْجِي
لِنَفْسِهِ بِإِزْبِيلَ :

يَا طَنْجَةَ جَمَعْتُ رِيماً وَغَزَلَاناً ثَرَاكِ جَامِعَةً شَمْلِي كَمَا كَانَا ؟

(27)م) تقدمت ترجمة ابن الشعار له ص 145.

(28) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

لَيْسَ أَنَا عَشْتُ حَتَّى تَرْتَوِي مُقْلِي مِمَّنْ أَحَبَّ بِهَا أَهْلًا وَجِيرَانَا
لَأَشْكُرَنَّ إِلَهَ الْعَرْشِ خَالِقَنَا وَأَقْطَعُ الدَّهْرَ تَسْبِيحًا وَقَرَأَنَا
وَأُنْشِدُنِي الْقَيْسِي، قَالَ : أُنْشِدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ لِنَفْسِهِ، يَقُولُهَا بِلَادِ
الرُّومِ (29) حِينَ أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا :
تَرَكْتُ بِلَادَ الرُّومِ وَالْقَلْبَ مُوقِنٌ وَمَا زَالَ مُوَلَّى الْخَلْقِ يَحْمِي وَيُحْسِنُ
بِلَادَ بِهَا الْفُسَاقُ قَدْ بَلَّغُوا الْمُنَى تَرَى الْحَمَرَ فِي الْأَسْوَاقِ وَالْفُحْشَ يُعْلَنُ
فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ امْرِئٍ بِهَا كَمَا جَاءَ نَصٌّ فِي الْحَدِيثِ مَبِينٌ

9 - ابن خُوَلَة

هو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ السُّلَمِيِّ، أَبُو جَعْفَرٍ الْمَغْرِبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، يُعْرَفُ
بِابْنِ خُوَلَة (30)، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ. فِيهِ فَضْلٌ، رَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ
وَبِلَادِ فَارِسَ وَكِرْمَانَ وَالْغُورَ وَغَزَنَةَ (31)، وَقِطْعَةً مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ، وَدَخَلَ سَمَرْقَنْدَ،
وَسَكَنَ هَرَاةَ. وَامْتَدَّحَ الْمُلُوكَ وَاكْتَسَبَ مَالًا، وَرَوَى فِي تَطَوُّافِهِ. قَالَ ابْنُ
الدَّبِيثِيِّ : أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ، وَأَجَازَ لِي ابْنُ خُوَلَة كِتَابَةً :

إِذَا مَا الدَّهْرُ بَيَّتَنِي بِجَيْشٍ طَلِيعَتُهُ اهْتِمَامٌ وَاكْتِسَابُ
شَنَنْتُ عَلَيْهِ مِنْ جَلْدِي كَمِينًا أَمِيرَاهُ الذُّبَالَةُ وَالْكِتَابُ
وَبْتُ أَنْصُ مِنْ شَيْمِ اللَّيَالِي عَجَائِبُ فِي حَقَائِقِهَا ارْتِيَابُ
أُرِيدُ بِهَا التَّسْلِي مُسْتَرِيحًا وَلَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ بِهَا عِتَابُ
قَالَ ابْنُ الدَّبِيثِيِّ : سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ، فَقَالَ : فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَلَاثَ

(29) تطلق بلاد الروم على مدن ملطية وغيرها من المدن المتاخمة للشام.

(30) له ترجمة أيضا في الوافي بالوفيات 8 : 145 والتكملة لابن الصابوني ص 89.

(31) كرمان : تطلق على البلاد المتصلة ببلاد فارس وعلى مدينة كرمان قصبتهَا، وغزنة : مدينة من مدن خوارزم، والغور : جبال وولاية بين هراة وغزنة.

وَحَمْسِينَ وَخَمْسُمِائَةَ بَعْرَاطَةٍ. وَبَلَّغْنَا أَنَّهُ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ⁽³²⁾ بَهْرَةَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ
سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ.

10 — أَبُو الرُّوحِ الْأَنْدَلِسِيِّ

هُوَ أَبُو الرُّوحِ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
اللَّهِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِيلِ الْجَمِيرِيِّ الْأَنْدَلِسِيِّ⁽³³⁾، مِنْ تَاكُرُتَا⁽³⁴⁾ — بَضْمِ الْكَافِ
وَالرَّاءِ وَتَخْفِيفِهَا وَشَدِّ الثُّونِ — مَنْ نَظَرَ قُرْطُبَةَ. وَرَدَّ إِرْبِلَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ مِنْ
سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةَ. شَابَ خَفِيفَ الْعَارِضِينَ وَاللَّحْيَةَ، ذَكِيَّ لَطِيفٍ
الْأَخْلَاقِ فَاضِلٍ.

أَتَشَدَّنَا لِنَفْسِهِ فِي مَحَلٍّ⁽³⁵⁾، قَالَ : وَأَثَمَمْتُهَا عَلَى بَيْتِ أَنْشَدَهُ لِنَفْسِهِ مُحَمَّدُ ابْنِ
الْمَفْرُضِ الْبَصْرِيِّ — بِالْفَاءِ وَالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ — وَهُوَ :
بَرَكَاتٌ يَحْكِي الْبَدْرَ عِنْدَ ثَمَامِهِ حَاشَاءُ بَلَّ شَمْسُ الضُّحَى تَحْكِيهِ
[فَقُلْتُ] :

هَذَا الْكَمَالُ فَقُلْ لِمَنْ قَدْ عَابَهُ حَسَدًا، وَآيَةُ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ
لَمْ تَدُوْا إِحْدَى زَهْرَتَيْهِ وَأَثَمًا كُمَلْتُ بِذَلِكَ مَلَاَحَةَ التَّشْنِيبِ
فَكَأَنَّهُ رَامَ يُغْلَقُ جَفْنَهُ لِيُصِيبَ بِالسَّهْمِ الَّذِي يَرْمِيهِ

(32) يقصد بالكفار التتر، جاء في الروض المعطار : «وفي سنة ثمان عشرة وستائة نزل التتر على
هراة، وهي إحدى أمهات خراسان فاستولوا عليها وقتلوا منها خلقاً عظيماً، وجرى التتر
على عادتهم المذمومة من قتل الأطفال والعبث وقتلوا في جامعها المشهور بالخير من العلماء
والصالحين والمنقطعين عدداً كثيراً».

(33) له ترجمة أيضاً في قلائد الجمان 5 : 473-474 ونفح الطيب 2 : 606-607 وراجع
ص 103 من هذا المجموع.

(34) تَاكُرُتَا : كورة جبلية في الأندلس منها مدينة رندة.

(35) كَذَا فِي الْمَطْبُوعِ، وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ أَنَّ الشَّعْرَ قَبْلَ فِي غَلَامِ اسْمِهِ بَرَكَاتٍ.

أُنْشَدْنِي لِنَفْسِهِ فِي كَاتِب :
 إِنْ أَوْدَعَ الطُّرْسُ مَا وَشَّاهُ خَاطِرُهُ
 وَإِنْ تَهَدَّدَ فِيهِ أَوْ يَعِدُ كَرَمًا

وأنشدني لنفسه :

أَوْصَيْتُ قَلْبِي أَنْ يَفِرَّ عَنِ الصَّبَا
 فَأَجَانِبَنِي : لَا تَحْشَ مَنِّي بَعْدَمَا
 حَتَّى إِذَا نَادَى الْحَبِيبُ رَأَيْتَهُ
 كَذْبَالَةٍ أَخْهَدْتُهَا فَإِذَا دَنَا

وأنشدني لِنَفْسِهِ فِي أَضْحِيَةِ سَوْدَاءَ :
 يَا رَبِّ أَضْحِيَةِ سَوْدَاءَ حَالِكَةٍ
 تَحَالُ بَاطِنَهَا فِي اللَّوْنِ ظَاهِرَهَا

وأنشدنا لنفسه :

سَفَرْتُ عَنْ حُرٍّ وَجْهِ أَوْ جَلَوْتُ ذُكَاً
 قَوْلًا لِحَصْرَتِهِ لَمْ يَظْلِمَكُمَا كَفَلْ
 رُحْمَاكَ هَذِهِ فَوَادِي لِمَ تُعَذِّبُهُ
 بَلْ أَنْتَ مِلْءُ جُفُونِي وَالْفَوَادِ مَعَا
 فَيَا جِبَالَ ضُلُوعِي أَوْبِي مَعَهُ

وأنشدنا لِنَفْسِهِ :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تُفِيقُ مِنَ الْهَوَى
 الْكُلُّ ذِي وَجْهِ جَمِيلٍ حَنَّةٌ

أَبْدَى لَعِينَتِكَ أَزْهَارًا وَأَسْحَارًا
 بَثَّ الْبَرِيَّةَ آجَالًا وَأَعْمَارًا (36)

ظَنًّا بِأَنِّي قَدْ دَعَوْتُ سَمِيعَا
 أَفَلَتَ مِنْ شَرِّكَ الْعَرَامِ وَقُوعَا
 آوَى إِلَيْهِ مُلْبِيًا وَمُطِيعَا
 مِنْهَا الضَّرَامُ تَعَلَّقَتْهُ سَرِيعَا (37)

لَمْ تَرَعْ فِي الْبَيْدِ إِلَّا الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 فَهَيَّ الْعِدَّةَ كَرْنَجِي إِذَا كَفَرَا (38)

وَفَرَعَ نَاصِيَةَ أُسْبَلْتُ أَوْ حَلَكَا
 الْحَسَنُ أَخْصَبَهُ وَالْحِسُّ أَنْحَلَكَا
 وَمَا دَعَاهُ الْهَوَى يَوْمًا فَأَهْمَلَكَا
 وَأَنْتَ آيَةُ قَلْبِي آيَةُ سَلَكَا
 وَيَا نَسِيمَ الْجَوَى سِرْ حَيْثُ أَرْسَلَكَا

أَوْ مَا يَقْرُ بِكَ الزَّمَانَ قَرَارُ
 وَلِكُلِّ عَهْدٍ سَالِفٍ تَذْكَارُ

(36) البيتان في نفح الطيب أيضا.

(37) الأبيات في نفح الطيب أيضا.

(38) البيتان في نفح الطيب أيضا.

(39) الأبيات في نفح الطيب أيضا.

وأنشدنا لنفسه :

وَزَائِرِ زَارِنِي وَاللَّيْلِ مُعْتَكِرٌ وَالطَّيْبُ يَفْضَحُهُ وَالْحَلْيُ يُشْهِرُهُ
أُمْسَكْتُ قَلْبِي عَنْهُ وَهُوَ مُضْطَرَبٌ وَالشَّقُوقُ يَبْعَثُهُ وَالصَّوْنُ يَزْجُرُهُ
فَبْتُ أَصْدَى إِلَيَّ مَنْ لَا يُحَلِّقُنِي وَالْوَرْدُ صَافٍ وَلَا شَيْءٌ يُكَدِّرُهُ
تَرَاهُ عَيْنِي وَكَفِّي لَا تُلَامِسُهُ حَتَّى كَأَنِّي فِي الْمِرَاةِ أَنْظُرُهُ (٣٩)

وأنشدني للإمام أبي عمرو بن غِيَاث الأَنْدَلُسِي الشَّرِيشِي (٤٠)، قَالَ : سَمِعْتُهُ
يَنْشُدُ لِنَفْسِهِ :

صَبَوْتُ وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا ؟ وَقَيْدَ بَعْشَرِ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا
وَقَالُوا: مَشِيبٌ، قُلْتُ وَاعْجَبًا لَكُمْ أَيْتَكُرُ صُبْحٌ قَدْ تَحَلَّلَ غَيْبَهَا ؟
وَلَيْسَ مَشِيبًا مَا تَرُونَ وَإِنَّمَا كُمَيْتِ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهَبَا (٤١)
وكان من الديانة في غاية، ومن الدُّعَابَةِ [بلا نهاية]. ومَاتَ فِي عَشْرِ التَّسْعِينَ
سَنَةً عَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةً.

وَأَنْشَدَنَا، قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو عمرو :

أَوْدِعْ فُؤَادِي حُرْقًا أَوْدِعْ نَفْسَكَ ثَوْدَى أَنتَ فِي أَضْلُعِي
أُمْسِكْ سِيَهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارِمَهَا أَنتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابَ مَعِي
مَوْقَعَهَا الْقَلْبُ وَأَنْتَ الَّذِي مَسَكْنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ (٤٢)

وَأَنْشَدَنَا، قَالَ : أَنْشَدَنَا أَبُو الْحَسَنِ مُطَرِّف (٤٣)، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةِ — وَيُقَالُ
أَغْرَنَاطَةِ — :

أَنَا صَبٌّ كَمَا تَشَاءُ وَتَهْوَى شَاعِرٌ مَا جِنُّ كَرِيمٍ جَوَادُ

(٣٩) انظر ص 36 من هذا المجموع.

(٤٠) ترجمته في تحفة القادم والمصادر الخال عليها : 181.

(٤١) الأبيات في تحفة القادم وغيرها.

(٤٢) الأبيات في نفع الطيب أيضاً.

(٤٣) ترجمته ومصادرها في تحفة القادم : 143.

سَنَّةً سَنَهَا قَدِيمًا جَمِيلًا وَأَتَى الْمُحَدَّثُونَ مِثْلِي فَزَادُوا(44)
وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنْشَدْنَا مُطَرَّفَ لِنَفْسِهِ :

وَفِي فُرُوعِ الْأَيْكِ وَزُرْقٍ إِذَا بَلَّ النَّدى أَعْطَفَهَا تَسْجَعُ
أَوْ هَزَّهَا نَفْحُ نَسِيمِ الصَّبَا شَاكَ مِنْهَا غَرْدٌ مُبْدِعُ
كَأَنَّمَا أَمَكْنَهُ مِنْبَرٌ وَهُوَ خَطِيبٌ فَوْقَهَا مَصْنَعُ
إِنْ شَبَّهَا فِي طَرَفٍ لَوْعَةٌ جَرَى لَهَا فِي طَرَفٍ مَذْمَعُ(45)

قال : أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَالِقِيِّ الْخَطِيبِ(46) :
كَأَنَّ فُرُودِي وَطَرَفِي مَعًا هَمًّا طَرَفًا غُصْنٌ أَخْضَرِ
إِذَا اشْتَعَلَ النَّارُ فِي جَانِبٍ جَرَى الْمَاءُ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ
وَأُنْشَدْنَا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ إِدْرِيسَ، شَهْرَ بَابِنِ مَرَجِ الْكُحْلِ(47)، مِنْ
جَزِيرَةِ شُقْرِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ، مَنْ نَظَرَ بِلَنَسِيَّةٍ، وَسَمِعَهُ مِنْ فُلُقٍ فِيهِ لِنَفْسِهِ :
وَعِنْدِي مِنْ مَعَاظِفِهَا حَدِيثٌ يُخْبِرُ أَنَّ رِيْقَتَهَا مُدَامُ
وَفِي أَعْطَافِهَا السَّكْرَى دَلِيلٌ وَلَا دُقْنَا وَلَا زَعَمَ الْهُمَامُ
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي وَأَطْرَيْنِي إِذَا غَنَّى الْحَمَامُ(48)
وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنْشَدْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَذْكُورُ، وَكَتَبَ بِهِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو بْنِ
غِيَاثِ الْمَذْكُورِ :

أَبَا عَمْرٍو مَتَى تَقْضِي اللَّيَالِي بِلِقْيَاكُمْ وَهَنْ قَصَصَنَ رِيشِي
أَبَتْ نَفْسِي هَوًى إِلَّا شَرِيشًا وَيَا بُعْدَ الْجَزِيرَةِ مِنْ شَرِيش(49)
سَأَلْتَهُ عَنْ مَوْلِدِهِ، فَقَالَ : وَلَدْتُ فِي ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ

(44) البیتان من قطعة موجودة في المغرب لابن سعيد.

(45) القطعة موجودة أيضا في نفح الطيب نقلاً عن ابن المستوفي.

(46) ترجمته في الذيل والتكملة 5 : 75-94.

(47) ترجمته في الذيل والتكملة 6 : 110-117.

(48) الأبيات في زاد المسافر : 82 ونفح الطيب 5 : 53.

(49) البیتان في زاد المسافر والذيل والتكملة وغيرهما.

فِي تَاكُرُّتَا الْمَذْكُورَةِ قَبْلَ . وَأُنْشَدَنِي — أَيَّدَهُ اللَّهُ — مِنْ حَفْظِهِ وَكَتَبَهُ لِي بِخَطِّهِ،
 قَالَ : أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْحَافِظُ أَبُو الْحَسَنِ رَضَا بْنُ أَحْمَدَ الْمَالِقِيِّ
 الْهَمْدَانِي⁽⁵⁰⁾، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّفْزِي⁽⁵¹⁾، قَالَ : أُنْشَدَنِي خَالِي غَانِمُ
 الْأُدَيْبِ⁽⁵²⁾ لِنَفْسِهِ :

الصَّبْرُ أَوْلَى بِوَقَارِ الْفَتَى مِنْ قَلْقِي يَهْتِكُ سِتْرَ الْوَقَارِ
 مَنْ لَزِمَ الصَّبْرَ عَلَى حَالِهِ كَانَ عَلَى أَيَّامِهِ بِالْخِيَارِ⁽⁵³⁾
 وَأُنْشَدَنِي أَيْضاً عَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

صَبْرٌ فَوَادِكُ لِلْمَحْبُوبِ مَنَزَلَةٌ سَمَّ الْخِيَاطُ بِجَالٍ لِلْمُجِيبِينَ
 وَلَا تُسَامَحْ بَغِيضاً فِي مُوَاصَلَةٍ فَقُلْ مَا تَسْعُ الدُّنْيَا بَغِيضِينَ⁽⁵⁴⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ أُنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْفَاضِلُ أَبُو مُوسَى عَيْسَى بْنُ يُوْنُسَ الْعَسَائِنِي
 بَبْرَجَةٍ — حَرَسَهَا اللَّهُ — مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ، عَنْ ذِي الْمَعَارِفِ ابْنِ شَرْفٍ
 لِنَفْسِهِ :

مَوَاعِيدُكُمْ لَمْ تَدُنْ إِلَّا تَبَاعَدَتْ وَلَا أَطْمَعْتُ إِلَّا وَأَعْقَبَهَا الْيَأْسُ
 كَمَا لَاحَ فِي الْمِرَاةِ شَخْصٌ لِنَاطِئٍ قَرِيباً وَلَكِنْ لَيْسَ يُدْرِكُهُ اللَّمْسُ
 وَأُنْشَدَنِي عَنْهُ أَيْضاً، وَلِنَفْسِهِ :

صَتَمَ مِنَ الْكَافُورِ بَاتَ مُعَانِقِي فِي بُرْدَتَيْنِ تَعْفُفٍ وَتَكْرُمٍ
 وَذَكَرْتُ فِي حِينِ الْوِصَالِ صِدُودَهُ فَجَرْتُ بَقَايَا أَذْمُعِي كَالْعَنْدَمِ
 فَطَفِقْتُ أَمْسَحُ مُقْلَتِي بِجِيدِهِ إِذْ عَادَةُ الْكَافُورِ إِمْسَاكُ الدَّمِ⁽⁵⁵⁾

(50) ترجمته في تحفة القادم : 110-111 والوافي بالوفيات 14 : 131 والمغرب 1 : 426.

(51) هو أبو عبد الله محمد بن سليمان النفزي، ترجمته في التكملة : 487 وغاية النهاية 2 : 148.

(52) هو أبو محمد غانم بن الوليد المالقي، وترجمته وأخباره في عدد من المصادر، ومنها كتاب الصلة لابن بشكوال والذخيرة وغاية النهاية ومعجم الأدباء وبغية الوعاة ونفع الطيب.

(53) البيتان في نفع الطيب 3 : 398.

(54) البيتان في بدائع البدائع : 366 ونفع الطيب 3 : 265، 398، 447، 596، 4 : 28.

(55) هذه الأبيات نسبها ابن دحية في المطرب (71) لأبي عبد الله ابن شرف، ونسبها العماد في الخريدة إلى أبي الفضل وذكر أنها تروى أيضاً لأبيه.

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي الْإِمَامَ الثَّقَةَ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ ثَابِتٍ
الْكَلَاعِي⁽⁵⁶⁾، قَالَ : أُنْشِدْنِي الْإِمَامَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ أَبِي الْحَجَّاجِ الْأَعْلَمَ⁽⁵⁷⁾
لِنَفْسِهِ :

وَعَشِيَّةٌ كَالسَّيْفِ إِلَّا حَدَّهُ بَسَطَ الرَّيْبُ بِهَا لِنَعْلِي نَحْدَهُ⁽⁵⁸⁾
عَاطِيْتُ كَأْسَ الْأَنْسِ فِيهَا وَاحِدًا مَا ضَرَّهُ إِنْ كَانَ جَمْعًا وَحْدَهُ⁽⁵⁹⁾

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي أَيْضًا بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، عَنِ الْإِمَامِ الْحَافِظِ الْمُجْتَهِدِ
أَبِي مُحَمَّدٍ ابْنِ حَزْمٍ، لِنَفْسِهِ فِي تَمَامِ :

أَنْتُمْ مِنَ الْمِرَاةِ فِي كُلِّ مَا دَرَى وَأَقْطَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قُضْبِ الْهِنْدِ
كَأَنَّ اللَّيَالِي وَالْمَنَابِيا تَعْلَمَانِ تَحْيِلُهُ فِي الْقَطْعِ بَيْنَ ذَوِي الْوُدِّ⁽⁶⁰⁾

وَأُنْشِدْنِي، قَالَ : أُنْشِدْنِي الشَّيْخَ الْفَاضِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّبَّيْتِي بِدَارِهِ
بِالْمَرْيَةِ⁽⁶¹⁾ لِنَفْسِهِ — قَالَ : وَالْبَيْتَ الْأَوَّلُ أُنْشِدْتُهُ فِي النَّوْمِ — :

يُخْبِرُكَ الدَّمْعُ وَهُوَ مَاءٌ بَأَنَّ عَيْنَ الْمُحِبِّ عَيْنُ
وَيَنْكُرُ الْخِلُّ قَوْلَ صَبٍّ لَا يَخْلُكُ بِالْبُكَاءِ عَيْنُ
هَلْ أَثَرُ الدَّمْعِ مُضْمِجِلٌّ إِنْ ثَبَّتَ لِلْبُكَاءِ عَيْنُ
فَقُلْ لِنَجْلَاءٍ قَدْ تَحَامَتْ بِصَارِمٍ لَمْ يَصْغُرْ قَيْنُ
ذُودِي ظُبَا اللَّحْظِ مِنْ قَرِيبٍ لَا حَانَ بِالْبُعْدِ مِنْكَ حَيْنُ
وَأَنْتَرِجِي مِنْ ذُرَى عَذُولٍ فَالْقُرْبُ مِنْ سَاحَتِيهِ شَيْنُ

(56) من المقرئين والنحويين المشهورين في زمنه وعليه درس ابن مالك صاحب الألفية وغيرها، وترجمته في التكملة 1 : 236 وبغية الوعاة 1 : 482 ونفع الطيب 2 : 231.

(57) أبو الفضل جعفر هو حفيد الأعلام وليس ابنه كما ذكر هنا، انظر أخباره وأشعاره على سبيل المثال في المغرب 1 : 396-397 ومطمح الأنفس : 64 ونفع الطيب 4 : 31-35، 73-74.

(58) في المطبوع : لشغلي.

(59) البيتان في نفع الطيب 4 : 74.

(60) البيتان في طوق الحمامة : 58 وقد ذكر ابن حزم أنهما من قطعة.

(61) لم أتمكن من معرفته الآن.

عَيْرَ أَهْلِ الْهَوَىٰ بِسُقْمٍ وَالسُّقْمُ عِنْدَ الْمُحِبِّ زَيْنُ
إِنِّي وَدَيْنَ الْهَوَىٰ لِبَاكِ يَشْرِ دَمْعَ أَجْرَاهُ بَيْنُ
فَمَا قَضَى الْبَعْضُ مِنْ حَقْوٍ عَلَيَّ مِنْهَا لِلْوَجْدِ دَيْنُ

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْمُعَمَّرُ أَبُو عَيْسَى لُبُّ بْنُ مُحَمَّدٍ (62)،
قَالَ : أَنُشَدَنِي الْفَاضِلُ أَبُو إِسْحَقَ بْنِ خَفَاجَةَ الْجَزِيرِي - جَزِيرَةُ شُقْرِ مِنْ
الْأَنْدَلُسِ - لِنَفْسِهِ :

وَعَشِيَّ أَنَسٍ أَضْجَعْتَنِي نَشْرَةً فِيهِ تُمَهَّدُ مَضْجَعِي وَتُدْمْتُ
خَلَعْتُ عَلَيَّ بِهَا الْأَرَاكَةَ ظِلُّهَا وَالْعُصْنُ يُصْنَعِي وَالْحَمَامُ يُحَدِّثُ
وَالشَّمْسُ تَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ مَرِيضَةً وَالرَّعْدُ يَرْفِي وَالْعَمَامَةُ تَنْفُثُ (63)

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لِنَفْسِهِ أَيْضاً، وَعَنْهُ :

يُدِيرُ لِلْأَعْيُنِ مِنْ وَجْهِهِ كَعَبَةٍ حُسْنٍ حَيْثُ مَا دَارَا
وَلِي بِهِ عَيْنٌ مَجُوسِيَّةٌ تَعْبُدُ مِنْ وَجْتِهِ نَارًا (64)

وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أَنُشَدَنِي لَهُ أَيْضاً، وَعَنْهُ :

كَلَّمَا مَرَّ قَاصِراً مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْعَمَامُ
سَلَّمَ الْعُصْنُ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْعُصْنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ (65)

وَعَنْهُ بِالسُّنَدِ الْمَذْكُورِ :

تَعَلَّقَتْهُ رِيَانٌ مِنْ خَمَرِ رِيْقِهِ لَهُ رَشْفُهَا دُونِي وَلِي دُونُهُ السُّكْرُ
تَرَفَّرَقَ مَاءُ مُقْلَتَايَ وَوَجْهُهُ وَيَذْكِي عَلَى قَلْبِي وَوَجْتِهِ الْجَمْرُ
فَلِي وَلَهُ مِنْ وَجْهِهِ وَمَدَامَعِي عَلَى وَجْهِهِ رَوْضٌ وَفِي وَجْتِي نَهْرُ
وَلَا عَجَبٌ إِنْ فَاحَ نَشْرًا وَهَذِهِ مَحَاسِنُهُ فِي غُصْنِ قَامَتِهِ زَهْرُ
أَرْقُ نَسِيبي فِيهِ رِقَّةٌ حُسْنِهِ فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ قَبْلَهَا مِنْهُمَا السَّحْرُ

(62) أديب من أهل شاطبة، له ترجمة في التكملة، رقم 350 والذيل والتكملة 5 : 579.

(63) الأبيات في الديوان ص 285.

(64) البيتان من قصيدة وردت مرتين في الديوان ص 12 ص 125-126.

(65) هما في الديوان ص 62.

وَطَبْنَا مَعًا شِعْرًا وَنَعْرًا كَأَنَّمَا لَهُ مَنْطِقِي ثَغْرٌ وَلِي ثَغْرُهُ شِعْرٌ⁽⁶⁶⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي الْإِمَامُ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ الثَّقَّةُ، أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ
 الْمَجِيدِ بْنِ عُمَرَ الْأَزْدِيِّ⁽⁶⁷⁾، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرُّصَافِيِّ⁽⁶⁸⁾ لِنَفْسِهِ :
 وَمُتَفَهِّفٌ كَالْعُصْنِ إِلَّا أَنَّهُ تَتَحَيَّرُ الْأَلْبَابُ عِنْدَ لِقَائِهِ
 أَضْحَى يَنَامُ وَقَدْ تَحَبَّبَ خَدُّهُ عَرَقًا، فَقُلْتُ : الْوَرْدُ رُشٌّ بِمَائِهِ⁽⁶⁹⁾
 وَعَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

بَدَا الشَّفَقُ الْبَادِي بُعِيدَ أَصِيلٍ يُجَرُّ بِالْآفَاقِ حُمْرَ ذُيُولٍ
 وَفِي عَرْضِهِ الْأَقْصَى هَلَالٌ كَأَنَّمَا يَجْرُرُ مِنْهُ النَّسْرُ ضِلَعٌ قَتِيلٌ⁽⁷⁰⁾
 وَعَنْهُ بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ :

وَمُرْقِرِ الشَّطِئِنِ تَحَسَّبَ أَنَّهُ مَتَسَائِلٌ مِنْ دُرَّةٍ لَصَفَائِهِ
 فَأَثَّ عَلَيْهِ مَعَ الظَّهيرةِ سَرْحَةً صَدَّتْ لَفِئَتُهَا غَلَالَةُ مَائِهِ
 فَتَرَاهُ أَبْيَضَ فِي غَلَالَةِ سُمُرَةٍ كَالدَّارِعِ اسْتَلْقَى بِظِلِّ لَوَائِهِ⁽⁷¹⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَيْضًا بِالسَّنَدِ الْمَذْكُورِ، وَقَدْ رَأَى صَبِيًّا يَلُّ عَيْنِيهِ
 بِرِيقِهِ لِيَرَى أَنَّهُ يَبْكِي :

عَذِيرِي مِنْ جَذَلَانَ يَبْكِي كَأَبَةٍ
 وَأَضْلَعُهُ مِمَّا يَحَاوِلُهُ صِفْرٌ
 يَلُّ مَاقِي زَهْرَتِهِ بِرِيقِهِ
 وَيَحْكِي الْبُكَاءَ عَمْدًا كَمَا ابْتَسَمَ الزَّهْرُ

(66) القطعة في الديوان ص 353.

(67) له ترجمة مطولة في الذيل والتكملة 5 : 450-454 وانظر حاشية المحقق في ذكر مصادر ترجمته.

(68) هو الشاعر الأندلسي المعروف وقد جمع شعره ونشره الدكتور إحسان عباس وطبع مرتين.

(69) البيتان في الديوان، وعجز البيت الأول فيه :

سَلْتُ الثَّنِي التَّوَمُ عَنْ أُنَائِهِ

(70) لا يوجدان في الديوان.

(71) رواية هذه الأبيات هنا مختلفة عن رواية الديوان ص 27.

أَيُّوْهِمْ أَنَّ الدَّنْعَ بَلَّ جُفُوْنَهُ
 وَهَلْ عُصِرَتْ يَوْمًا مِنَ النَّرْجِسِ الْحُمْرُ⁽⁷²⁾
 وَأُنْشَدَنِي، قَالَ : أُنْشَدَنِي الْفَاضِلُ أَبُو الْمُتَوَكِّلِ الْهَيْثَمُ بْنُ جَعْفَرِ الْإِسْبِيلِيِّ
 الْأَنْدَلُسِيِّ⁽⁷³⁾ لِنَفْسِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِهِ :
 بِأَرْضِ رِيَّةَ⁽⁷⁴⁾ أُوْطَانِي وَأُوْطَارِي وَلِي هَوًى فِيهِمْ عَارٍ عَنِ الْعَارِ
 سَجِيٌّ يَحْيَى وَلَكِنْ فِي لَوَاحِظِهِ عَصَا الْكَلِيمِ فَمَاذَا صُنْعُ سَحَارٍ ؟
 وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ : قَالَ : وَهُوَ أَوَّلُ شِعْرِ قَلْتُهُ فِي الْمَكْتَبِ :
 هَلْ تَبَدَّى فِي النَّاسِ وَجْدٌ كَوَجْدِي بِهِلَالِ الْمِلَاحِ يَحْيَى بْنُ رُشْدٍ
 لَأَخٍ عُذْرِي لِيْلَاهِ لِلَّهِ مَا بِي⁽⁷⁵⁾ مِنْ غَزَالٍ يَشْبُ وَجْدًا يَوْجِدِي
 بَدْرٌ تَمَّ بَدَا فَقُلْتُ : تَعَالَى جَدُّ رَبِّ أَهْدَاكَ يَا بَدْرُ سَعْدٍ
 كَذَا أُنْشَدَهُ : «لِلَّاهِ»، قَالَ : وَأَرَدْتُ اللَّاهِي مِنَ اللَّهِو، فَقُلْتُ غَيْرَهُ، قَالَ :
 كَذَا قَلْتُهُ.

وَأُنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ :
 سَلَامٌ لِسَاعَاتِ التَّلَاقِ مِنَ الْهَوَى
 مَحَلًّا وَأَيَّامِ الشَّبَابِ مِنَ الْعُمْرِ
 أَخَصُّ بِهِ مَعْنَى الْكَمَالِ وَشَخْصَهُ
 وَسَبَّاقَ غَايَاتِ الْفَضَائِلِ وَالْفَخْرِ
 أَبَا الْبَرَكَاتِ الْأَلْمَعِيِّ الَّذِي غَدَا
 [بِطَلْعَتِهِ] يُرَى عَلَى الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ⁽⁷⁶⁾

-
- (72) الأبيات في الديوان : 67.
 (73) أديب معروف بسعة الحفظ والاعتدال في فنون الشعر، انظر فيه تحفة القادم : 166.
 (74) رية هي مالقة.
 (75) ورد محرفاً في الأصل، وراجع ص 145.
 (76) يبدو أن أبا البركات المذكور في البيت الأخير هو ابن المستوفي الإربلي مؤلف الكتاب.

وَأُشَدَّنِي لِنَفْسِي :

يَا مَاجِدًا مَلَأَ الزَّمَانَ فَضِيلَةً وَسَيَادَةً تَخْتَالُ تَحْتَ سَعُودِ
إِنِّي رَجَوْتُكَ لِلزَّمَانِ فَإِنَّهُ زَمَنُ أَلَحَّ عَلَيَّ بِالتَّشْكِيدِ
وَعَدِمْتُ صَبْرِي، فَادْرِكْنِي إِنِّي يَا كَعْبَةَ الْأَمَالِ حِلْفُ فَقِيدِ (77)

11 — أَبُو عَلِي الْأَنْدَلَسِي

هُوَ أَبُو عَلِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ (78)، من حصن بيرة (79) — بفتح الباء الموحدة وتسكين الياء المثناة من تحت وبالألف المهملة — شرقي الأندلس. وَرَدَ إِرْبِلُ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَكَانَ وَرَدَ إِرْبِلُ يُعْرَفُ الْفَقِيرَ إِلَى اللَّهِ — تَعَالَى — أبا سَعِيدٍ كوكبوري بْنِ عَلِي (80)، خَبر مَيُورُقةَ الَّتِي أَخَذَهَا الْفَرَنْجُ عُنُوةً، وَاسْتِغَاثَةَ الْأَسْرَى بِهِ لِفَكَكَكَ مَا يُقَدِّرُ اللَّهُ فَكَكَاهُ، فَأَجَابَ إِلَى ذَلِكَ، وَقَالَ : أَنَا أَحَقُّ مَنْ يُلْغِي دَعْوَتَهُمْ (81). وَحَدَّثَنِي أَنَّ الْفَرَنْجَ نَزَلُوهَا فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتْمِائَةَ، وَمَلِكُهُمُ الْبَرْشَنُونِي (82). وَكَانَ ابْنُ هُودٍ لَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى الْأَنْدَلُسِ خَافَ

(77) يبدو أن هذه الآيات في مدح أبي البركات أيضاً.

(78) لم أقف له على ترجمة في مصدر آخر.

(79) بيرة Vera من مدن مملكة غرناطة التي وصفها ابن الخطيب في معيار الاختيار، وهي — كما ذكر هنا — تقع في شرق مملكة غرناطة.

(80) هو السلطان مظفر الدين صاحب إربل وقد كان مشهوراً بفعل الخيرات وكثرة الصدقات ومنها إنفاقه على افتككك أسرى المسلمين من أيدي الكفار. انظر ترجمته في وفيات الأعيان 4 : 113-121.

(81) لا نعرف هل رجع هذا المترجم إلى الأندلس أم لا ولا نعرف كذلك هل أنفق ما قد يكون دفع إليه من مال في وجهه أم لا، ومهما يكن من أمر فإن الخبر يدل على التراحم الذي كان بين المسلمين، ومثل صنيع صاحب إربل ما عرف عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يسعى في فككك أسرى المسلمين.

(82) أي البرشلوني نسبة إلى برشلونة، والمقصود به خايمي الأول ملك أرغون.

صاحبُ مَيُورَقَة، وَهُوَ أَبُو يَحْيَى عَلَى مَيُورَقَة مِنْ أَجْنَادِهَا — وَكَانُوا مِنْ
الْأَنْدَلُس — فَقَتَلَ مِنْهُمْ خَلْقًا، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ إِلَى الْجِبَالِ وَالْحُصُونِ، وَخَلَّتْ
الْمَدِينَةُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا، فَتَزَلَّ عَلَيْهَا الْبَرْشُوتُونِ وَحَاصَرَهَا فِي شَوَالِ سَنَةِ سِتِّ
وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ، وَتَسَلَّمَهَا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يَنْبَرٍ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ⁽⁸³⁾.

أُتِّشِدْنَا لِنَفْسِهِ فِي أَوَاخِرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ :
يَا مَا جَدًّا يُجْلِي بَغْرَةً وَجْهِهِ سُدْفَ الْخُطُوبِ عَلَى الْقُلُوبِ فَتُجْلِي
وَمُعَوَّدًا قَبْضَ الْيَمِينِ وَبَسْطَهَا إِسْدَاءَ عَارْفَةٍ وَجَلُوءَ مُشْكِـلِ
وَابِنِ الْأَكَابِرِ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ لَمْ يُحِطْ آخِرُهُمْ طَرِيقَ الْأَوَّلِ
يَا أَيُّهَا الْخَبْرُ السَّيِّئُ الْمُرْتَضَى مِنْ مَحْتَدِ الشَّرَفِ الْفَصِيحِ الْأَطُولِ
قوله : «الفصيح» من المعاطلة مع ما قبله وما بعده.

كَانَتْ لَعَبْدِكَ فِي لِقَائِكَ بُشْرَةٌ يَرْجُو أَدَامَتَهَا مَعَ الْمُسْتَقْبَلِ
وَعَلَيْكَ بَعْدَ اللَّهِ مُعْتَمِدِي بِهَا وَنَدَاكَ يَمْحُو كُلَّ خَطْبٍ مُعْضِلِ
وَإِذَا تُوسِّمُ لِلْعَظِيمِ بِفَضْلِهِ نَجَحْتَ لَدَيْهِ مَطَالِبُ الْمُتَوَسِّلِ⁽⁸⁴⁾

وَأُتِّشِدْنَا، قَالَ : أُنْشِدْنَا الْإِمَامَ الْحَقِّقَ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ فخر الدين أَبُو الحسن علي
ابن أحمد الحرَّالِي⁽⁸⁵⁾ التَّجِيبِي الْأَنْدَلُسِي، ثُمَّ الْمَرَاكِشِي، لِنَفْسِهِ بِمَحْرُوسَةِ الْقَاهِرَةِ
فِي جَارِيَةِ لَهُ سَوْدَاءِ اسْمُهَا «رَشِيقَةٌ» :

وَهَوِيْتُ نَجْلَاءَ الْعَيُونِ غَرِيرَةً لَا تَنْشِي نَحْوَ الْوِصَالِ تَوَحُّشًا
مِثْلَ الْغَزَالَةِ نَالَهَا صَيَادُهَا فَلَهَا نِفَارُ جِهَالَةٍ عَمَّا يَشَا
مَهْلًا أَغْصَنَ الْبَانِ مِيلِي لِلْجَنَى عَطْفًا وَغُودِي لِلتَّائِسِ يَا رَشَا

(83) انظر تفصيل الكلام على كائنة ميورقة في دراستنا، أبو المطرف أحمد بن عميرة الخزرمي :
287-292.

(84) يبدو أن المخاطب بهذه الأبيات هو ابن المستوفى الإربلي مؤلف الكتاب، وقد كان وزيراً لدى
السلطان مظفر الدين صاحب إربل.

(85) ترجمة الحرَّالِي موجودة في مصادر متعددة، ومنها نفح الطيب 2 : 187-190.

فبديع شخصك من فؤادي صنعه
 إن كنت غصن نقاً فروضك ناظري
 أرشيقة الأوصاف حسناً كاسمها
 ما لي سيوالك وما لغيرك قيم
 وأنشدنا، قال : أنشدنا علي بن أحمد لنفسه :

بأي من له من البذل منع
 يلبس الأئس معلماً [بجفاء]
 ويمل الاوام منه بكأس
 فله في جنى التواصل معنى
 وله في الوصال لمحمة صد
 [ثم] يخفي الدثور في طي بعد
 مازجاً سورة العفار بشهد
 جمع الضيد فيه لطفاً بضيد⁽⁸⁶⁾

12 — محمد بن يحيى المغربي

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن معنصر بن أبي مضر بن يكساس بن
 علي بن أبي علي المغربي⁽⁸⁷⁾، قسطنطيني، قال : وتعرف بقسطنطينية الهواء⁽⁸⁸⁾
 التلكناتي الحميري، ولد بها سنة أربع وستائة. ورد لإزبل في صفر من سنة ثمان
 وعشرين وستمائة.

أنشدنا لنفسه في تاسع ربيع الأول :

إن جرت بالعرصات من يرين
 لأهيل ذاك الحي واثت عندهم
 وقيل المتيم عن هواكم ما سلاً
 يخني جوارحه على جمر العضا
 فاشرخ غراماً كاذ أن يريني
 وجدي وبعض صبايتي وأنيبي
 دنف وبالعبرات غير ضنين
 ويئن أنة عاشق محزون

(86) لم أقف على هذه الأشعار في مصدر آخر.

(87) له ترجمة في عقود الجمان لابن الشعار، راجع ص 125 من هذا المجموع.

(88) هكذا تسمى في كتب البلدان، وسميت كذلك لعلوها.

مُدَّ حَلَّ بِالْحَدْبَاءِ⁽⁸⁹⁾ قَدْ عَلِقَ الضَّنَا
بِجَوَارِ مَنْ رَفَضَ الدِّيَانَةَ وَالتَّقَى
حَمَلْتُ فَوْقَ الْوُسْعِ مِنْهُمْ بَعْدَمَا
وَأُنْشَدْنَا لِنَفْسِهِ :

لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا يُجِنُّ فُؤَادِي
لَكِنَّ قَلْبَكَ مَا أَلَمَّ بِهِ الْهَوَى
وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا شَيْخِي أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الشَّرِيشِي
الْمُرَّاكَشِي لِنَفْسِهِ :

لَوْ لَمْ تَكُنْ سَبُلَ الْعَلَاءِ بَعِيدَةً
لَتَوَارَدَ الضِّدَّانُ : أَرْبَابُ الْعَلَا
لَا تُتَنَحَّى إِلَّا بِعَزْمَةٍ مَاجِدٍ
وَالْأَرْدَلُونَ عَلَى مَجَرٍّ وَاحِدٍ

وَأُنْشَدْنَا، قَالَ : أَنُشَدْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ لِنَفْسِهِ :

تُكَلِّفُنِي كَيْثَمَانَ أَمْرٍ صَبَابَتِي
وَتُخْشِي عَلَيَّهَا إِنْ شَهَرْتُ بِحُبِّهَا
فَتَهْجُرُنِي وَالْهَجْرُ لَا شَكَّ قَاتِلِي
وَقَالُوا: أَمَا تَشْفِي فُؤَادَكَ مِنْ جَوَى
وَأَنْتَ — كَمَا قَدْ قِيلَ — فِي الطَّبِّ أَوْحَدُ
فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الصَّبَابَةَ حُكْمُهَا
وَعِنْدِي إِذَا حَدَّثْتُ نَفْسِي سَلْوَةً
وَبَايَعْتُهَا طَوْعاً فَلَسْتُ أَقِيلُهَا
وَفِي مُقَلَّتِي عُتُونَهَا وَذَلِيلُهَا
مَقَالَةً أَهْلَ الْحَيِّ أَتَّى خَلِيلُهَا
وَأَنْ مُتُّ قَالُوا إِنَّ هَذَا قَتِيلُهَا
وَرُوحَكَ مِنْ بَلَوَى مُذِيبٍ غَلِيلُهَا
تُبَاشِيرُ أَدْوَاءِ الْوَرَى وَتُزِيلُهَا
مَعَ السَّقَمِ أَنْ لَا يَسْتَفِيقَ عَلِيلُهَا
غَرَامٌ يُنَافِيهَا وَشَوْقٌ يُجِيلُهَا
وَلَوْ أَنَّهَا جَارَتْ وَلَا أُسْقِلُهَا

مَعْتَصِر — بفتح اليم والعين والتون مُشَدَّدة، والرَّاء مُهْمَلَةٌ — وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ
قَبِيلَةٍ مِنْ حِمَيْرٍ تُدْعَى «تُلُكَّاتَةَ»، مَضْمُومَةُ النَّاءِ الْأُولَى الْمُثَنَاءِ وَاللَّامُ، مُشَدَّدة
الْكَافِ، وَبَعْدَ الْأَلِفِ نَاءٌ مُثَنَاءٌ.

(89) الحدباء هي الموصل.

(90) انظر فيه الذيل والتكملة 1 : 387.

13 — أبو القاسم الأنصاري

هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سُرَاقَةَ الْأَنْصَارِيِّ
الْأَنْدَلُسِيِّ (91) مِنْ شَاطِبَةِ، مَالِكِي الْمَذْهَبِ، خَتَمَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَسَمِعَ الْحَدِيثَ
عَلَى أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ كَرَمِ الدِّينَوْرِيِّ، وَأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ الْمُبَارَكِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الرَّيْدِيِّ، وَأَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ بَكْرَانَ بَيْعُودَادَ. وَأَخَذَ فِي قِرَاءَةِ كِتَابِ
«الْبَسِيطِ» لِلوَاحِدِيِّ عَلَى أَبِي الْخَيْرِ بَدَلِ بْنِ أَبِي الْمُعَمَّرِ. وَرَدَ إِرْبِلَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ
الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّائَةٍ. أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ.

إِلَى كَمْ أُمْنِي النَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ فَيَذْهَبُ عُمْرِي وَالْأَمَانِيُّ لَا تُقْضَى ؟
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً وَلَمْ أَرْضَ فِيهَا عِشْتِي فَمَتَى أَرْضَى ؟
وَأَعْلَمُ أَنِّي وَالثَّلَاثُونَ مُدَّتِي حَرَّ بِمَغَانِي اللَّهِو أَوْسَعَهَا رَفَضَا
فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخَمْسِ أُرْتَجِي وَوَجَدِي إِلَى أُوْبٍ مِنَ الْعَشْرِ قَدْ أَقْضَى ؟
فَيَا رَبَّ عَجِّلْ لِي حَيَاةً لِدَيْدَةٍ وَإِلَّا فَبَادِرْ بِي إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضَا
عَمَى لَهُ أَبُو عَلِيٍّ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَمَّاسِ الْإِرْبِلِيِّ بِحُرُوفٍ وَضَعَهَا عَلَى طَرِيقِ
الترجمة، قوله :

تلك نعمة لو أنعمت بوصول لشكرنا في الوصل إنعام نعمة
فقال :

بأبي مَنْ أَرَادَ خَيْرَةً فَهَمِي بِمُعَمَّى فِدْيَتِهِ مِنْ نَعَمِي
فَانَجَلِي مَا عَمَاهُ عَنْ بَيْتِ شَعْرٍ مُحْكَمٍ مِنْ أَرْقٍ مَعْنَى وَنَظْمٍ
تلك نعمة لو أنعمت بوصول لشكرنا الوصول إنعام نعمة
وأنشدني لنفسه :

لِقَاؤُكَ عَيْدٌ بِالنَّجَاحِ بَشِيرُ وَتَقْبِيلُ يُمْنِي رَاحَتِكَ حُبُورُ
بِهَؤُوكَ فِي لَحْظِ الْمَوَاسِمِ مَوْسِمُ وَتَشْرُكُ فِي رَيَا الْعَبِيرِ عَبِيرُ
وَمَا عَادَنَا مِنْ عِيدِنَا غَيْرُ وَافِدٍ يَحُولُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ثُمَّ يَزُورُ

(91) تقدمت ترجمته بين تراجم ابن الشعار السابقة ص 123.

له أَمَلٌ فِي لَثْمٍ يُمْنَاكَ مُدْرِكٌ
سَرَى نَحْوَكُمْ مُذْ عَامٍ أَوَّلٍ جَاهِدًا
فَبَشَّرَاوَهُ فِي النَّفْسِ مَلَأُ فُؤَادَهَا
وَنَاجَيْتُ نَفْسِي وَالْهَوَى يَبْعَثُ الْهَوَى
أَتَرَكُ مُوسَى (92) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
فَمَلْتُ بُودِي وَأَنْحِيَاشِي وَهَمَّتِي
وَأَيْقَنْتُ إِنِّي إِنْ أَخَذْتُ بِجَبَلِكُمْ
هُمَا مُنْتَنَى الْأَعْنَاقِ نَحْوِ عَلَائِهِ
يَنْوُبُ عَنِ الدَّرِّ النَّفِيسِ كَلَامُهُ
إِذَا صَفَرْتُ أَيْدِي السَّحَابِ فَكَفُّهُ

وطَرَفٌ بَمَا يَرْنُو إِلَيْكَ قَرِيرُ
يَجُوبُ عِرَاصَ الْبَيْدِ وَهِيَ تَقُورُ
سُرُورًا وَإِنْ أَعَيْتُ وَطَالَ مَسِيرُ
فَطَالَ بَيَّ التَّسْوِيفِ وَهُوَ غُرُورُ
سَيُوسَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ
إِلَيْكَ وَفِيهَا عَنْ سِيَاكِ نُفُورُ
عَلَى رَيْبِ دَهْرِي مَنْ أَشَاءُ أَجِيرُ
كَمَالٍ بِأَهْوَاءِ النَّفُوسِ جَدِيدُ
وَمَا نَابَ عَنْ جَدْوَى يَدَيْهِ بُحُورُ
سَحَابٌ بِآفَاقِ السَّمَاحِ دُرُورُ

مولده بشاطبة في رَجَبِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَتِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

14 — أَبُو عَلِيٍّ الدَّكَّالِي

هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ
ابْنِ أَبِي الْحَرْثِ — بِسَكُونِ الرَّاءِ — بْنِ عَتِيقِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْمَاجَرِيِّ (93)
الدَّكَّالِي (94)، مولده وَمَنْشَأُهُ بِمَدِينَةِ تُسَمَّى «أَسْفِي» (95) عَلَى سَاحِلِ مَرَّاكُشْ،
وَهِيَ آخِرُ مَرَاسِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، تَصِلُ إِلَيْهِ الْمَرَاكِبُ مِنْ بَرِّ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهَا
مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ. وَرَدَ إِرْبِلُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.
شَابَ سَمِعَ الْحَدِيثَ بِالْمَغْرِبِ وَغَيْرِهِ. سَمِعَ عَلَى أَبِي الْحَيْرِ بَدَلُ بْنُ أَبِي الْمُعَمَّرِ.

(92) موسى المدوح في هذه القصيدة هو أحد السادة الموحدين وقد رجحنا أن يكون المقصود
به أبو عمران بن أبي عبد الله بن أبي يعقوب بن عبد المومن، راجع ص 124.

(93) الماجرِي نسبة إلى بني ماجر وهم بطن من دكالة قديما، انظر دراستنا حول الماجرِين.

(94) الدَّكَّالِي نسبة إلى دُكَّالَة وهي قبيلة من القبائل المشهورة في المغرب.

(95) أسفي من مدن المغرب المشهورة ومراسيه المهمة.

أَشْدُنِي لِنَفْسِهِ :

أَلَا مُلِغٌ عَنِّي صِحَابِي [بِمَا رَمَتْ]
وَحَبِيرُهُمْ عَنِّي بِأَنِّي بَعْدَهُمْ
وَإِنِّي وَإِنْ شَطَطَتْ بِنَا الدَّارُ ذَاكِرٌ
وَأَدُّ رِسَالَتِي خُصُوصاً إِلَى النَّبِيِّ
إِلَيْهَا انْتَمَتْ فِي الوَصْفِ لَيْلٍ وَعِنْدَهَا
لَدَيْهَا فُؤَادِي مُوثَقٌ فِي حَبَالِهَا
تُقَلِّبُهُ فِي الْحُبِّ أَيُّ مُقَلِّبٍ
بِهَا إِنْ ذَكَرْتَهَا أَطِيبُ وَإِنْ أَنَا
بِهَا طَابَ عَيْشِي فِي صِبْيَانِي وَكُلُّ مَا
تَخَالُ ضِيَاءُ الشَّمْسِ مِنْ حُسْنٍ وَجْهَهَا
تُمِيتُ وَتُحْيِي نَارَةً بِسُيُوفِهَا
وَتَرْمِي بِسَهْمٍ صَائِبٍ عَنْ لِحَاطِهَا
أُبْرِجِي لَنَا فِيهَا التَّلَافِي فَنَرْتَجِي
عَلَيْهَا سَلَامُ اللَّهِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ

وهذا شعر ينبغي أن يُطرح، ولكني
يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم

مولده سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

نَوَى فِي فُؤَادِي بَعْدَهُمْ مِنْ عَجَائِبِ
مُقِيمٍ عَلَى وَلَائِهِمْ غَيْرُ تَاكِبٍ
فَضَائِلُهُمْ [بَلْ] لَسْتُ عَنْهَا بِعَائِبٍ
بِهَا تَقْتَدِي فِي الْحُسْنِ كُلُّ الْكَوَاعِبِ
عَفَافٌ عَنِ الْفَحْشَا وَكُلُّ الْأَجَائِبِ
تَرُوحُ بِهِ أَوْ تَغْتَدِي غَيْرُ عَازِبٍ
عَلَى بُعْدِهَا مِنِّي بِأَقْصَى الْمَغَارِبِ
بَعِيدُ الْمَدَى عَنْهَا طَوِيلُ الْمَذَاهِبِ
يُرَادُ لَدَيْهَا فَاعْنٍ عَنْ كُلِّ كَاعِبٍ
وَبَدَرَ الدُّجَى ثَاوٍ لَهَا فِي التَّرَائِبِ
مُحَدِّقَةٌ مِنْ بَيْنِ حَدِّ الْحَوَاجِبِ
تُصِيبُ بِهِ قَلْبَ الْمُحِبِّ الْمُصَاحِبِ
أَمْ الدَّهْرُ حَوْلَ بَيْنَنَا وَالْمَطَالِبِ ؟
بَعْدَ الرَّمَالِ وَالْحَصَى وَالْكَوَاعِبِ

كتبته لعزابة نسب قائله وبعده منزله :
وترمي النوى بالمفتقرين المراميا

تراجم مغربيّة
مِنْ بغية الطلب لابن العديم

1 — أحمد بن مسعود بن محمد

أبو العباس الأنصاري الخزرجي القرطبي الشافعي⁽¹⁾ تفقه على مذهب الشافعي وكان متفتناً في عدة من العلوم عارفاً بالحساب والفرائض عالماً بتفسير القرآن العزيز والقرآت والحديث والأصول واللغة والنحو والعروض وأنواع الأدب وكان ينظم شِعْراً جيداً وسافر إلى بلاد الهند وجال في الأقطار وقدم حلب سنة ستائة ثم سكن دُنَيْسِرَ ودرَسَ بها الفقه على مذهب الشافعي رضي الله عنه بالمدرسة الشهائية وأقام بها إلى أن مات وكان له مصنّفات حسنة مفيدة منها كتاب في علم الأصول في ثمان مجلّدات سمّاه تَقْرِيبَ المطالب وكتاب القوانين في أصول الدين وكتاب في النحو وكتاب سمّاه الاختيار في علم الأخبار. روى عنه شيئاً من شعره أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقّاش الحلبي الشاعر⁽²⁾ وكان بينهما مقارضة بالشعر وأنشدّه بحلب وأبو الحسن علي بن يوسف بن مُحَمَّد الصّفّار الماردني الشاعر⁽³⁾ وأبو حفص عمر بن أحمد بن اللّمش الدُّنَيْسِرِي⁽⁴⁾.

قال أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقّاش الحلبي الشاعر ونقلته من خطّه أو من خط من نقله عنه أنشدني أحمد بن مسعود الخزرجي لنفسه في يوم الخميس الحادي عشر من ربيع الآخر سنة ستائة بظاهر حلب :

أَعَانِقَهُ غُصْنًا وَأُلْثَمُهُ بَدْرًا وَأُرْشُفُ وَهْنًا مِنْ لَمَى فِيهِ خَمْرًا

(1) راجع ترجمة ابن الصّار له (ص 28 من هذا المجموع)، وفي هذه الترجمة فوائد جديدة.

(2) راجع ترجمته في بغية الطلب 10 : 295.

(3) ترجمة ابن الصّار الماردني مع الإحالة على مصادرها في الوافي 22 : 247.

(4) هو كمال الدين عمر بن الخطر الدُنَيْسِرِي الشافعي المولود في سنة 574هـ والمتوفى في حدود

640هـ، راجع ترجمته في الوافي بالوفيات 22 : 458 وعقود الجمان 5 : 360.

وَأَهْصِرْ مِنْهُ حِينَ تَنْبِيهِ نَشْوَةَ تَهَادَتْ بِهِ تَيْهًا وَمَاسَتْ بِهِ سُكْرًا
كَتَمْنَا نُورَ فِي ظِلَامِ ذَوَائِبِ إِذَا مَا تَوَارَتْ شَمْسُهُ أَطْلَعَ الْبَدْرَا
ومنها :

وَنَمْتُ بِنَا فِي اللَّيْلِ أَنْوَارُ وَجْهِهِ فَمَدَّ عَلَيْنَا مِنْ ذَوَائِبِهِ سِنْرَا
ومن شعره مَا قَرَأْتُهُ فِي دِيْوَانِ شَعْرِ أَبِي الْفَتْحِ النَّقَّاشِ الْحَلْبِيِّ قَالَ : وَكُتِبَ
إِلَيَّ الشَّيْخِ وَجِيهُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ عِنْدَ قُدُومِهِ
مِنَ الْهِنْدِ وَتَرْوُلِهِ بِظَاهِرِ حَلَبَ بَعْدَ إِقَامَتِهِ أَيَّامًا لَا تَرَاهُ لَاشْتَغَالِهِ بِتِجَارَتِهِ فِي سَنَةِ
سِتْمَةِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ :

أَبَا الْفَتْحِ تَاجَ الدِّينِ لَا تُنْسَ وَدُنَا هَلُمَّ نَجِدْ بِالتَّذَكُّرِ عَهْدَنَا
فَقَدْ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ بِقَالِي إِلَيْكَ اسْتِيْقًا فَاشْفِ بِالْوَصْلِ وَجَدْنَا
وإن لم تُكُنْ فِي الْوَصْلِ شَمْسًا لِعَائِقِ فَكُنْ مِنْهُ بَدْرًا وَاطْلُعِ اللَّيْلَ عِنْدَنَا
فَقَالَ فِي جَوَابِهِ وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَيَّاتِ.

أُنْشَدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ الْمُبَارَكُ بْنُ حَمْدَانَ الْمَوْصِلِي (5) قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ
عَلِيُّ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّفَّارِ الْكَاتِبِ الشَّاعِرِ الْمَارِدِيِّ بَارِبِلَ قَالَ أُنْشَدَنِي
أَبُو الْعَبَّاسِ الْخَزْرَجِيُّ لِنَفْسِهِ :

وَفِي الْوَجَنَاتِ مَا فِي الرُّؤُوسِ لَكِنْ لِرَوْنَقِ زَهْرَهَا مَعْنَى عَجِيبِ
وَأَعْجَبَ مَا التَّعَجَّبُ مِنْهُ أَنِي أَرَى الْبُسْتَانَ يَحْمِلُهُ قَضِيبِ
وَأُنْشَدَنِي أَبُو السَّعَادَاتِ قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ قَالَ أُنْشَدَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ
شعره :

يَا ظَلَمِي سَنَجَارَ أَمَا تَرْتِي لِمَنْ قَدْ صَارَ مِنْ أَجْلِكَ فِي كَفِّ الْأَجَلِ
قَدْ كَانَ مَشْغُولًا بِدَرَسِ عِلْمِهِ فَالْيَوْمَ لَا عِلْمَ بَقِي وَلَا عَمَلِ
وَمَنْ جَيِّدَ شِعْرِهِ قَوْلُهُ وَرَوَاهُ النَّقَّاشُ عَنْهُ :
رَاضٍ بِحُكْمِ هَوَاكَ وَاجِدٌ فَعَلَامَ أَنْتَ عَلَيَّ وَاجِدِ

(5) هو ابن الشعار مؤلف عقود الجمان، راجع ص 125 من هذا المجموع.

مَا كَانَ لِي ذَنْبٌ سِوَى أَتِي سَهْرَتْ وَأَنْتَ رَاقِدٌ
نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ الْخَضِرِ بْنِ اللَّيْثِ بْنِ أَلْدَزْمِشِ التُّرْكِيِّ
الْمُتَطَبِّبِ الدُّنَيْسَرِيِّ⁽⁶⁾ فِي كِتَابِهِ الَّذِي وَسَمَهُ بِحَلِيَّةِ السَّرِيِّينَ، مِنْ خَوَاصِّ
الدُّنَيْسَرِيِّينَ⁽⁷⁾ قَالَ فِي ذِكْرِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْخَزْرَجِيِّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ دَرَسَ بِالْمَدْرَسَةِ
الشَّهَائِيَّةِ بِدُنَيْسَرَ، فَقِيهٌ فَاضِلٌ مُتَفَنِّنٌ عَارِفٌ بِكَثِيرٍ مِنْ عُلُومِ الْأَصُولِ وَالْفَقْهِ وَالنَّحْوِ
وَسَائِرِ الْأَدَابِ شَهِدَ لَهُ بِذَلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ عَرَبْدِ
النَّحْوِيِّ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدِيدَ النَّظَرِ سَدِيدَ الْفِكْرِ عَجِيبَ الْفَقْرِ غَرِيبَ
السَّيْرِ حَسَنَ التَّبَحُّرِ فِي الْعُلُومِ سَلِيمَ التَّصَوُّرِ فِيمَا يُيَدِي مِنَ الْمُنْثَوْرِ وَالْمَنْظُومِ جَيِّدَ
الْفُكَاةِ مُتَزَيِّدَ النَّزَاهَةِ لَطِيفَ الشَّمَائِلِ ظَرِيفَ الْمَخَائِلِ لَمْ أَرُ فِي عُلَمَاءِ عَصْرِهِ
وَمَعْسَرِهِ أَتَمَّ مِنْ بَحْثِهِ وَلَا أَدَقَّ مِنْ نَظَرِهِ وَلَهُ تَصَانِيفٌ فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ وَشِعْرٌ كَثِيرٌ
وَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ عِنْدَنَا سَمَاعٌ حَدِيثٍ عَلَى طَرِيقِ الزُّوَائِدِ السَّتَّةِ بَلْ كَانَ يَذْكُرُ لَنَا أَنَّ
لَهُ سَمَاعَاتٍ كَثِيرَةً وَقَدْ أَشْجَدَنِي كَثِيرًا مِنْ شِعْرِهِ ثُمَّ قَالَ وَتُوفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَسِتْمِائَةِ بِدُنَيْسَرَ وَدُفِنَ بِالْمَقْبَرَةِ الْقَبْلِيَّةِ بِهَا⁽⁸⁾.

(3 : 130-133)

2 — أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ

أَبُو الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيُّ الْقَاضِي⁽⁹⁾ وَتِيفَاشُ⁽¹⁰⁾ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى قَفْصَةِ إِحْدَى بِلَادِ

(6) تَقَدَّمَ ذِكْرَهُ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ فِي أَوَّلِ التَّرْجُمَةِ : عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ.

(7) سَمَاهُ ابْنُ سَعِيدٍ وَالصَّفْدِيُّ وَمُرْتَضَى الزُّبَيْدِيُّ : تَارِيخُ دُنَيْسَرَ وَأُورِدَ السَّخَاوِيُّ فِي الْإِعْلَامِ
بِالتَّوْبِيخِ اسْمَهُ كَمَا هُوَ هُنَا، وَهُوَ مِنْ مَطْبُوعَاتِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدَمَشَقَ.

(8) انْظُرْ تَارِيخَ دُنَيْسَرَ.

(9) تَعَدَّ هَذِهِ التَّرْجُمَةُ أَفْضَلَ مَا كَتَبَ عَنِ التِّيفَاشِيِّ قَدِيمًا وَفِي الْوَاقِفِ بِالْوَفَايَاتِ (8 : 288-291)
تَرْجُمَةٌ جَيِّدَةٌ لِلتِّيفَاشِيِّ أَيْضًا، وَتَعْتَبَرُ التَّرْجُمَةُ الَّتِي حَرَّرَهَا لَهُ الْمَرْحُومُ ح. ح. عَبْدُ الْوَهَّابِ مَثَلًا
مُمْتَازًا فِي التَّقَاطُوفِ أَخْبَارِ الرَّجُلِ مِنْ تَأْلِيفِهِ الْمَخْطُوطَةِ وَالْمَطْبُوعَةِ، وَقَدْ تَوَسَّعَ الدُّكْتُورُ إِحْسَانُ
عَبَّاسٌ فِي تَتَبُّعِ مَصَادِرِ تَرْجُمَتِهِ وَتَحْلِيلِ شَخْصِيَّتِهِ (مَقْدَمَةُ سُرُورِ النَّفْسِ).

(10) ذَكَرَ صَاحِبُ الرُّوضِ الْمُعْطَارِ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْبَسِ مَرَحَلَةٌ وَوَصَفَهَا وَنَصَّ عَلَى نِسْبَةِ التِّيفَاشِيِّ
إِلَيْهَا وَقَدْ ذَكَرَهَا أَيْضًا يَاقُوتٌ فِي مَعْجَمِهِ.

إفريقية وكان أبو العباس قاضي قفصة⁽¹¹⁾، وكان شيخاً حسناً فاضلاً عارفاً بالأدب وعلوم الأوائل وله شعر حسن ونثر جيد ومصنفات حسنة في عدة فنون كثيرة ألفائدة اجتمعت به بالقاهرة وقد توجهت إليها رسولاً فوجدته شيخاً كيساً ظريفاً حريصاً على الاستفادة لما يورده في تصانيفه ويودعه مجاميعه وأوقفني على شيء من تصانيفه الحسان وأهدى إليّ بخطه منها كتاباً وسمه بالدرة الفائقة في محاسن الأفارقة⁽¹²⁾ وأنشدني مقاطيع من شعره وذكر لي أنه ولد بقفصة من بلاد إفريقية وأنه خرج وهو صبي واشتغل بالديار المصرية على شيخنا أبي محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي⁽¹³⁾ ورحل إلى دمشق وقرأ بها على شيخنا أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي⁽¹⁴⁾ وأحبّ المقام بها ثم إن نفسه اشتاقت إلى الوطن فعاد إلى قفصة ثم أنه حنّ إلى المشرق وطالبته نفسه بالمقام بدمشق فباع أملاكه وما يتقل عليه حمّله وأخذ معه أولاده وزوجه وماله وركب البحر في مركب اتخذه لنفسه فغرق أهله وأولاده وخلص بحشاشة نفسه وخلص عرب برقة بعض متاعه فخرج معهم متنكراً خوفاً منهم أن يهلكوه، ويأخذوا متاعه وسبقهم إلى الاسكندرية وتوسّل بعمل مقامة ذكر فيها ما جرى له في طريقه وعرف الملك الكامل أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملك الديار المصرية بذلك فكتب له إلى الاسكندرية في تخليص ماله فخلص له منه جُملة ثم إنه لما رحل الملك الكامل إلى آمد وافتتحها⁽¹⁵⁾ توجه إلى دمشق ومنها إلى حلب ومنها إلى آمد فوجد الملك الكامل راجعاً إلى الديار المصرية فعاد معه

-
- (11) من مدن تونس المشهورة، وفي الاستبصار والروض المعطار مادة كبيرة حولها.
(12) كان هذا الكتاب معروفاً في المشرق، فقد ذكره ابن العديم هنا، ونقل عنه ابن الشعار ترجمة أبي زكرياء الحفصي، وقد ذكر في كشف الظنون وهدية العارفين وهو الآن مفقود.
(13) هو العالم الموسوعي صاحب التصانيف المتعددة، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات 2 : 19-16.
(14) ترجمته في وفيات الأعيان 2 : 339 والوافي بالوفيات 15 : 50 وفي حاشية الترجمة فيها إحالة على مصادر أخرى.
(15) كان افتتاحها سنة 629 ودخلها الملك الكامل سنة 630. انظر ترجمة الملك الكامل في وفيات الأعيان 5 : 81.

إليها وشكره بها وذكر لي أنَّ مولده بِقَفْصَةٍ في سنة ثمانين وخمس مائة وأنَّ ولايته الْقَضَاءُ كَانَتْ بَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَيْهَا وَحَكَى لِي غَيْرُهُ أَنَّ سَبَبَ عَزْلِهِ عَنِ الْقَضَاءِ أَنَّهُ وَجَدَ فِي دَارِهِ خَمْرَ فَعَزَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَسَمِعْتُ صَاحِبَنَا نَوْرَ الدِّينِ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ يَحْكِي أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيَّ لَمَّا حَصَلَ مَعَ عَرَبٍ بَرَقَةٍ وَخَافَ مِنْهُمْ كَثَمَ نَفْسَهُ وَسَأَلُوهُ مَنْ هُوَ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ وَمَا صَنَعْتَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَنَا قَوَادٍ فَقَالُوا : اللَّهُ الْأَحَدُ ! وَأَنْفُوا مِنْهُ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ خُلَاصِهِ مِنْهُمْ.

أَتَشَدَّنِي شَرَفُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ التِّيفَاشِيَّ بِالْقَاهِرَةِ فِي أَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنِ مُوسَى بْنِ سَعِيدٍ الْغُرْنَاطِيَّ يَشِيرُ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْحَسَنِ الَّذِي جَمَعَهُ فِي مَحَاسِنِ الْمَغْرِبِ وَسَمَاءِ الْمَغْرِبِ :

سَعِدَ الْغَرْبُ وَازْدَهَى الشَّرْقُ عَجَبًا وَابْتَهَجَا بِمَغْرِبِ ابْنِ سَعِيدٍ
طَلَعَتْ شَمْسُهُ مِنَ الْغَرْبِ تُجَلِّي فَأَقَامَتْ قِيَامَةَ التَّفْنِيدِ
لَمْ يَدْعِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَقَالًا لَا وَلَا لِلرُّوَاةِ بَيْتَ تَشْيِيدِ
إِنْ تَلَاهُ عَلَى الْحَمَامِ تَعَنَّتْ مَا عَلَى ذَا فِي حُسْنِهِ مِنْ مَزِيدِ

وَأَتَشَدَّنِي أَبُو الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِيَّ لِنَفْسِهِ فِيهِ :

يَا طَيْبَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ الزَّكِيِّ كَمَا يَبْدُو جَنَّا ثَمَرٍ مِنْ أَطْيَبِ الشَّجَرِ
وَمِنْ خَلَائِقِهِ مِثْلُ النِّسِيمِ إِذَا يَهْفُو عَلَى الزَّهْرِ حَوْلَ النَّهْرِ فِي السَّحَرِ
وَمِنْ مُحْيَاةٍ وَاللَّهُ الشَّهِيدُ إِذَا يَبْدُوا إِلَى بَصَرِي أَبْهَى مِنَ الْقَمَرِ
أَثْقَلْتَ ظَهْرِي بِيَرٍ لَا أَقُومُ بِهِ لَوْ كُنْتُ أَتْلُوهُ قُرْآنًا مَعَ السُّورِ
أَهْدَيْتَ لِي الْغَرْبَ مَجْمُوعًا بِعَالَمِهِ فِي قَابِ قَوْسَيْنِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
كَأَنِّي الْآنَ قَدْ شَاهَدْتُ أَجْمَعَهُ بِكُلِّ مَنْ فِيهِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ
نَعَمْ وَلَا قَيْتَ أَهْلَ الْفَضْلِ كُلَّهُمْ فِي مُدَّتِي هَذِهِ وَالْأَعْصُرِ الْآخِرِ
إِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُمْ فِي الصِّدْرِ مِنْ عُمْرِي فَقَدْ رَدَدْتَ عَلَيَّ الصِّدْرَ مِنْ عُمْرِي
وَكُنْتُ لِي وَاحِدًا فِيهِ جَمِيعُهُمْ مَا يُعْجِزُ اللَّهَ جَمْعَ الْخَلْقِ فِي بَشَرِ
جَزِيَتْ أَفْضَلَ مَا يُجْزَى بِهِ بَشَرٌ مَفِيدَ عَمْرٍِ جَدِيدِ الْفَضْلِ مَبْتَكِرِ

بَلَّغْنِي أَنْ أَبَا الْعَبَّاسِ التِّيفَاشِي نَزَلَ الْمَاءَ إِلَى عَيْنَيْهِ فَعَمِيَ فَقَدَحَهُمَا وَابْصَرَ وَكُتِبَ
وَعُوْفِي مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ شَرِبَ مُسْهَلًا وَأَعْقَبَهُ بِأَخْرَ فَمَاتَ بِذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَلَاثَ
عَشَرَ مُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتَّمِائَةَ بِالقَاهِرَةِ.

(3 : 309-312)

3 — خالصة بن أحمد بن خالصة

ابن عبد الله بن خالصة أبو القاسم بن أبي العباس الغافقي الإشبيلي ثم
الشُّقْرِي (16) قدم حلب وصحب بها محمد بن علي بن العربي (17) وتوجه منها
صحبه إلى بلد الرُّوم ولم يَتَّفِقْ لِي بِهِ اجْتِمَاعٌ حِينَ وَرَدَ حَلْبَ وَكَانَ شَاعِرًا مُجِيدًا
كُتِبَ عَنْهُ رَفِيقُنَا رَشِيدُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَافِظِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْمَنْذَرِي (18) وَقُرِئَتْ
بِحُظَّتِهِ أَثْنَدْنِي الشَّيْخُ الْجَلِيلُ الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ خَالِصُ بْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ
خَالِصِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِصِ الْغَافِقِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْإِشْبِيلِيِّ الْأَصْلُ الشُّقْرِي الْمَوْلَدُ
مَوْلَدُهُ بِجَزِيرَةِ شُقْرٍ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسٍ مِائَةٍ ظَنَّ بِالْقَاهِرَةِ فِي مُسْتَهْلٍ
جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسِتَّمِائَةَ قَالَ أَثْنَدْنِي الْأَدِيبُ أَبُو الْحَسَنِ
عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَرِيقٍ (19) لِنَفْسِهِ بِمُرْسِيَّةٍ فِيمَا أَظُنَّ وَقَدْ سَمِعْتُ مِنْهُ كَثِيرًا مِنْ
شَعْرِهِ :

يَا لَيْلَةَ جَادَتِ الْأُمَانِي بِهَا عَلَى رَغَمِ أَثْفِ دَهْرِي

(16) في التكملة لابن الأبار (313) ترجمة لمن اسمه خالصة الإشبيلي، كان مکتباً يقرئ القرآن
بإشبيلية وكان رجلاً صالحاً قال ابن الأبار : «أخذ عنه بعض شيوخنا وقال لي : توفي في
نحو الستائة» ويبدو أن بين هذا والمترجم له قرابة ما.

(17) هو الشيخ محيي الدين.

(18) له ترجمة في الوافي بالوفيات 3 : 264-265 وقد توفي شاباً سنة 644 هـ أي بعد روايته
المذكورة هنا بثلاث سنوات.

(19) ترجمته مع الإحالة على بعض مصادرها في الذيل والتكملة 5 : 275-277 وانظر أيضاً
نفع الطيب 1 : 180، 2 : 116، 3 : 371، 409، 410، 464، 4 : 56، 112.

أَسْبَلَ فِيهَا عَلَى نُعْمِي يَفْصُرُ عَنْهَا طَوِيلُ شُكْرِي
إِذْ بَاتَ فِي مَنْزِلِي حَبِيبِي وَقَامَ فِي أَهْلِهِ بَعْذِرِي
فَبِتُّ لَا حَالَةَ كَحَالِي ضَجِيعَ بَذْرِ صَرِيعِ خَمْرِي
يَا لَيْلَةَ الْقَدَرِ فِي اللَّيَالِي لَأَنْتِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (20)

ونقلت من خطه أيضا أنشدني أبو القاسم خالص المذكور لنفسه في التاريخ
أَعْلَاهُ مِنْ قَصِيدَةٍ :

سَرَّتْ غُطْلًا خَوْفَ الْعُيُونِ الرَّوَاصِدِ وَجَرَسَ حُلِيِّي فِي الْفَضِيحَةِ جَاهِدِ
وَخَافَتْ تَقَرِّيَ اللَّيْلِ عَنْ صُبْحِ وَجْهِهَا فَلَاذَتْ وَلَمْ تَحْفَلْ بِارِسَالِ وَارِدِ
وَلَوْلَا نَسِيمُ الرِّيحِ عَرَفَ عَرَفُهَا لَيِّنَلْ وَصَالَ دُونَ وَاشِرِ وَحَاسِدِ
وَكَمْ حِيلَةٍ لِلْهَائِمِ الصَّبِّ فِي الْهَوَى يَكِيدُ بِهَا وَالْدَّهْرُ جَمُّ الْمَكَايِدِ
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ يِعْتَامُ بِالْمُنَى مُنَانَا وَيَسْقِينَا سَمَامِ الْأَسَاوِدِ
يُرِيدُ بِنَا مَا لَا نُرِيدُ سَفَاهَةً وَيُورِدُنَا لَا كَانَ شَرُّ الْمَوَارِدِ

ونقلت من خطه وأنشدنا لنفسه في ذم دمشق :
لَأَهْلَ دِمَشْقَ فِي الدُّنْيَا شَقَاءٌ بِسُكْنَاهَا وَهُوَ غَيْرُ هَيْنِ
مَسَاكِنَ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَحْسُوا وَهِيَ شَرُّ الشَّقَوَاتَيْنِ
فَإِنْ لَمْ تَغْتَفِرْ لَهُنَّ ذُنُوبَ بِهِ دَخَلُوا جَهَنَّمَ مَرَّتَيْنِ
تُوفِي أَبُو الْقَاسِمِ خَالِصُ بْنُ أَحْمَدَ....

(7 : 252-253)

4 - أَبُو النَّجَا الْأَنْدَلِسِي

من المشائخ الزُّهَادِ الصَّالِحِينَ الْأَوْلِيَاءِ الْمَعْرُوفِينَ أَخْبَرَنِي قُطُبُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخِنَا أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْقُسْطَلَانِيُّ (21) أَنَّ أَبَا النَّجَاءِ

(20) توجد هذه القطعة أيضا في المغرب 2 : 319 ونفع الطيب 3 : 409-410.
(21) له ترجمة مطولة في الوافي 2 : 132-134 وانظر فيه الإحالة على بعض مصادر ترجمته.

الاندلسي حَجَّ وعَادَ عَلَى الْعِرَاقِ وَقَدِمَ الْمَوْصِلَ واجتمع بها بِقَضِيبِ الْبَابِ (22) ووصلَ إِلَى الشَّامِ فَدَخَلَ حَلَبَ وَدَمَشَقَ وَمَضَى إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ وَسَكَنَ جَزِيرَةَ فُؤَةٍ (23) وَمَاتَ بِهَا وَدُفِنَ قَالَ وَلَهُ بِهَا عَقَبٌ. قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بَلَّغْنِي عَنِ الشَّيْخِ أَبِي النَّجَّاءِ أَنَّهُ لَمَّا حَجَّ وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَاءَ إِلَى الشُّبَّانِكِ الَّذِي عِنْدَ أَرْجُلِ الصَّحَابَةِ وَسَلَّمْ مِنْهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَلَمْ يَدْخُلِ الْمَسْجِدَ اخْتِرَاماً لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَكَانَ مُوسِراً فَكَانَ يُسَافِرُ بِالْجِمَالِ الْكَثِيرَةِ وَالْأَحْمَالِ الْكَبِيرَةِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ بَلَدًا سَيرَ مِنْ يَخْطُبُ لَهُ امْرَأَةً وَيَسْتَأْجِرُ لَهُ دَاراً وَسَيرَ مَنْ يَكْتَرِي لَهُ لِلسَّفَرِ فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ تَيَسَّرَ لَهُ فَعَلَهُ مِنْ سَفَرٍ أَوْ إِقَامَةٍ قَالَ وَكَانَ أَبُو النَّجَّاءِ مِنْ تَلَامِيذِ ابْنِ الْعَرِيفِ (24) قَالَ وَتُوفِيَ أَبُو النَّجَّاءِ بَعْدَ السَّبْعِينَ وَالْخَمْسِ مِائَةِ بِفُؤَةٍ.

(: 384-385)

(22) من متصوِّفة عصره، انظر ترجمته في تاريخ إربل (ترجمة رقم 274) وراجع ما كتبه محقق الكتاب في القسم الثاني ص 576.

(23) قال ياقوت : بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد.

(24) هو الصوفي الأندلسي أبو العباس أحمد بن العريف مؤلف كتاب محاسن المجالس التي نشرها أسين بلاسيوس وكتاب مفتاح السعادة الذي نشرته الدكتورة عصمت دندش.

تراجم مغربية
من مسالك الألبصار للعمري

1 — إبراهيم بن محمد الساحلي

المَعْرُوف بالطُّوَيْجِن أَبُو إِسْحَاق⁽¹⁾.

مَتَّبِعُ زُلَّالٍ عَذَبَ الْمَاءُ، قُطِبَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، أَزْهَرَ نَجْمًا،....، فَفَاءَتْ لَهُ ظِلَالٌ، وَفَاتَ عَامُهُ كُلَّ قَمَرٍ وَهَلَالٍ.

قَدِمَ مِصْرَ وَنَزَلَ بِهَا عَلَى بَنِي الْأَثِيرِ⁽²⁾ فِي فَلَكٍ عَلَاءَ، وَمَلَكَ بِهِمْ جَزِيلَ الْآءِ، وَجَرَتْ مَكَاتِبَاتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ لَادَ بِهِمْ مِنَ الْفَضْلَاءِ، وَمَتَّ إِلَى عَلَيْهِمْ⁽³⁾ بِالْوَلَاءِ، وَأَتَى دِمَشْقَ يَكْتُبُ مِنْهُمْ إِلَيَّ، وَسَبَبَ كَرَمَ مَوْقَعُهُ لَدَيَّ، وَمَدَحَنِي بَعْدَهُ قَصَائِدَ، وَتَرَدَّدَ إِلَيَّ مُدَّةَ أَيَّامٍ، وَرَأَيْتُ لَهُ بَيَانًا تُنْصَبُ مِنْهُ الْمَصَائِدُ، وَلِسَانًا لَهُ الْأَعْرَاضُ حَصَائِدَ، وَأَخَذَ مِنِّي كُتُبًا طَافَ بِهَا أَكْتَفَ الشَّامِ، وَطَارَ بِهَا إِلَى كُلِّ بَارِقٍ يُشَامُ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَأَثَانِي دَاعِي السُّلْطَانِ إِثْرَ عَوْدِهِ فَاتَّيْتُ مِصْرَ فَوَجَدْتُهُ قَدْ غَابَ عَنْهَا غَيْبَ الْحَيِّينَ، وَرَحَلَ لَا إِلَيَّ أَثْنٌ، لَا يُعْرَفُ مِنْ خَبْرِهِ إِلَّا مِثْلُ عَنَقَاءِ مُغْرِبٍ، أَوْ أَغْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ، ثُمَّ وَافَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ قَصَدَ بِلَادَ التَّكْرُورِ⁽⁴⁾، وَقَضَى بِهَا مَا أَرَادَ مِنَ السُّرُورِ، وَقَالُوا — وَالْعَهْدَةَ عَلَى النَّاقِلِ — أَنَّهُ سَمَّ أَبْنَ الْكُؤَيْكِ⁽⁵⁾ حِينَ حَلَّ بِبَنَادِيهِ، وَجَزَاهُ وَلَكِنْ بِكُفْرِ آبَائِهِ، هَذَا عَلَى مَا حُكِّي لِي

(1) انظر دراستنا حول إبراهيم الساحلي، وهي من منشورات معهد الدراسات الإفريقية (19) .

(2) بنو الأثير أسرة حلبية الأصل استقرت في مصر وكان أفرادها في خدمة السلاطين المماليك.

(3) هو علاء الدين علي بن أحمد بن سعيد المعروف بابن الأثير (680-730 هـ) كان كاتب السر في عهد السلطان الناصر، انظر ترجمته في الذرر الكامنة 3 : 14-15 .

(4) المقصود بها هنا بلاد مالي، وقد فصلنا الكلام على رحلته مع السلطان منسا موسى وإقامته في بلاطه في دراستنا عن الساحلي.

(5) ابن الكويك تاجر مصري من أسرة بني الكويك المشهورة في عصر المماليك، والمذكور هنا هو سراج الدين أحد كبار التجار من أهل الاسكندرية في وقته، وكان أقرض السلطان منسا موسى سلطان مالي ورجال حاشيته وذهب هو وولده إلى مالي ليقتضي ماله فأضافه الساحلي =

بِمَصْرٍ مِنْ إِكْرَامِ ابْنِ الْكُوَيْكِ لَهُ، إِذْ أَتَى مِصْرَ لَا يَمُصُّ بِلَالًا، وَلَا يَجِدُ مَا يَسُدُّ
خَلَالًا، وَلَا يَعُدُّ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ إِلَّا رَأَاهُ طَلَلًا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَغْلُقَ بِحِبَالَةِ بَنِي الْأَثِيرِ،
وَيَنْظُرَ بِحِبَاءِ ذَلِكَ أَلَمَدِ الْكَيْبَرِ.

وَمِنْ شِعْرِهِ :

وَالْحَالُ نُقْطَةُ مَرْكَزٍ فِي وَجَنَةٍ دَارَتْ عَلَيْهِ دَوَائِرُ الْأَحْدَاقِ

وَمِنْهَا :

فِي لَيْلَةٍ أُذْجَى وَأُدْجَنَ جَوْهَا
إِنْ أَطْلَعْتُ بَدْرًا أَثُرْتُ ثَلَاثَةً
يَا طَبِي أَنَسَ لَمْ يُرْغَ يَتَفَنِّصِرْ
أَنْتِي خَفِيتِ وَتَحْتَ شَعْرِكَ كَوْكَبٌ
بَيْنَا وَخَمَرْتَنَا لَمَى فِي طَيْهَا
مُتَقَسِّمِينَ كُؤُوسَهَا فَالَسْتُفِي مِنْ

لَيْلَانَ مِنْ صُدُغَيْكَ أَوْ أَشْوَاقِي
لِلثُّغْرِ أَوْ لِلخَمْرِ أَوْ لِلسَّاقِي
وَهَلَالَ أَفْنَى لَمْ يُشْنَ بِمُحَاقٍ
لِلْخَدِّ مَطْلَعُهُ مِنَ الْأَطْوَاقِ
نَفْتُ الْحَبَابِ وَقُوَّةُ الدَّرِيَاكِ
أَخْلَاقُهَا وَالسُّكْرِ مِنْ أَخْلَاقِي

وَقَوْلُهُ مِنْ أُخْرَى :

تَأَلَّقَ الْبَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى إِضْمٍ
وَصَافَحَ السَّفْحَ مِنْ أَكْنَافِ كَاطِمَةٍ
بِحَيْثُ أُجْرَى دُمُوعِي فَوْقَ دِمْنَتِهِ
وَحَيْثُ أَوْطَأْتُ خَدِّي ثَرْبُهُ كَرَمًا
دَعْنِي وَتَجَدَّأْ أُنَادِيهَا عَلَى خَرَسٍ
وَأَسْأَلُ الرِّيحَ هَلْ جَرَّتْ مَطَارِفُهَا
عَاطَتْ كُؤُوسَ الْهَوَى صِرْفًا مُعْتَقَةً

فَبِتْ أَعْشُو لَوْقِدٍ مِنْهُ مُضْطَرِمٍ
وَسَالَمَ الدَّوْحَ مِنْ عَلَيَاءِ ذِي سَلَمٍ
مَاءٌ تَوَلَّدَ مِنْ لَفْحٍ وَمِنْ ضَرَمٍ
وَوَلَّتْ أَقْفُو عَلَى آثَارِهِ بِفَمِي
مِنْ رُبْعِهَا فَأُنَاجِيهَا عَلَى صَمَمٍ
عَلَى الْمُحَصَّبِ أَوْ أُرْسَتْ عَلَى الْعَلَمِ
فَأُبْرَزْتُ حَبِيًّا يَطْفُو عَلَى لِمَمٍ

= فحدث أنه توفي في تلك الليلة فقيل إنه مات مسموما واتهم الساحلي بذلك ولكن ولد ابن الكويك قال : «إني أكلت معه ذلك الطعام بعينه فلو كان فيه سم لقتلنا جميعا لكنه انقضى أجله» انظر رحلة ابن بطوطة : 202 وقد كان ابن الكويك هذا تاجرا وعالما، انظر ترجمته في الدرر الكامنة 2 : 405 وترجمة ولده أبي جعفر في المصدر نفسه 4 : 24-25 وترجمة ولده الثاني أبي اليمن في المصدر نفسه 4 : 25، وانظر في وفاة سراج الدين ابن الكويك أيضا مسالك الأبصار 27 : 409.

وَمَالَ بِي عَنْ مُعَاطَةِ الصَّبَا زَمَنٍ
وَاهَا لِعُمْرِ قَطْعَتَاهُ عَلَى خُدَعٍ
قَضَيْتُ عُمْرِي وَعَيْنُ الْعَيِّ مُبْصِرَةٌ
وَصَمٌّ سَمْعِي كَانَ لَمْ يَأْتِهِ نَبَأُ
فِيَا أَخَا الْعِيسَى يَزْجِيهَا مُحَلَاةٌ
تُرْوِي بِدَمْعٍ مِنَ الْأَجْفَانِ مُنْبِجِسٍ
مُذْ شَارَفَ الرَّكْبِ أَكْنَافَ الْعَقِيقِ وَمَا
وَأُظْهِرْتَ طَيِّبَةَ الطَّيِّبِ الَّتِي نَسَمْتُ
قِفْ بِالضَّرِيحِ وَمَا ضَمَمْتَ صَفَائِحُهُ
أَنْوَارُهُ غُرَّةٌ فِي الْمَجْدِ نِيرَةٌ
وَلَاخٌ مِنْ نُورِهِ مَعْنَى أَضَاءٍ بِهِ

أَدَى إِلَى شَيْبَةٍ أَدَتْ إِلَى هَرَمٍ
مِنْ الْهَوَى وَأَضَعَتْهُ عَلَى كَرَمٍ
طَرِيقَ لَهْوِي وَزَهْوِي وَالرَّشَادُ عَمِي
لِلدَّهْرِ حَدَّثَ عَنْ عَادٍ وَعَنْ إِزْمٍ
لَمْ تَشْكُ مِنْ سَهَرٍ يَوْمًا وَلَا سَامٍ
وَتَضْطَلِّي بِلَطَى فِي الْقَلْبِ مُضْطَرِمٍ
أَرْقُ هَضْبَاهُ مِنْ بَابٍ وَمِنْ سَلَمٍ
عَنْ ثُرَيَّةٍ حَلَّ فِيهَا أَشْرَفُ النَّسَمِ
مِنْ النَّبِيِّ الْآرِضِيِّ الطَّاهِرِ الشَّيْمِ
وَفَخْرُهُ شَمَمٌ فِي مَعْطَسِ الْكَرَمِ
مَقَامُ آدَمَ... وَهُوَ فِي الْعَدَمِ.

2 — مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبْنُ مُحَمَّدٍ الطَّائِي الْقَفْصِي

مَا نَهَنَهُ فِي الدَّأْبِ، وَلَا قَصَرَ بِهِ إِلَّا حِرْفَةُ الْأَدَبِ، قَدِمَ مِصْرَ وَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ
لَا تَسْعُهُ شَوَارِعُهَا، وَلَا تُجَرِّعُهُ مَشَارِعُهَا، وَهِيَ عَلَى مَجْمَعِ نَاسِهَا، وَمَسْبِعِ
أُخْيَاسِهَا، لَا تُبَيِّتُهُ إِلَّا عَلَى سَعْبٍ، وَلَا تُسْكُنُهُ لَهُ إِلَّا عَلَى شَعْبٍ، كَانَ بِهَا
يَسْتَجِدِّي بِالشَّعْرِ، وَلَا يُجِدِّي عَلَيْهِ رُخْصُ السَّعْرِ، وَكَانَ فِيهَا يَحْمَدُ كُلَّمَا التَّهَبَّ،
وَيَطْلُبُ نَحَاسَةً وَهُوَ يَنْفِقُ الذَّهَبَ، فَأَهَاءَ لِتَصَارِيفِ الْأَيَّامِ، وَإِحْوَاكِجِ الْكِرَامِ إِلَى
الْأَنَامِ، فَلَقَدْ طَوَيْتُ بِهِ مَحَاسِنُ طَيِّ لَا بَلْ هُدَّتْ قَوَاعِدُهَا، وَهَدَّاثُ رَوَاعِدُهَا....
وَمِنْ بَدِيعِ شِعْرِهِ قَوْلُهُ فِي السِّفِينَةِ⁽⁶⁾ الَّتِي عَلَى قَبَةِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ
اللَّهُ :

(6) قَبَةُ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ مِنْ أَفْخَمِ الْقُبَابِ فِي مِصْرَ وَهِيَ مِنْ إِنْشَاءِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْأَيْوُبِيِّ، وَمَاتَزَالُ =

سَقَى قُبَّةَ الشَّافِعِيِّ الْإِمَامِ مِنْ الْكَوْثَرِ الْأَغْنَى الْجَارِيَةَ
لَهُ قُبَّةَ تَحْتَهَا سَيِّدٌ وَبَحْرٌ لَهُ فَوْقَهَا جَارِيَةٌ

3 — خَلَفَ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلَفَ بْنِ خَلَفَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَافِقِيِّ الْقَبْتُورِيِّ (7)
الْأَصْلُ الْأَشْبِيلِيُّ الْمَوْلِدُ وَالْمَنْشَأُ.

هَبَّتْ بِمَصْرَ رِيحُهُ مَرَّةً عَلَى مَرَّةٍ، وَشَبَّتْ فِيهَا مَصَابِيحُهُ كَرَّةً عَلَى كَرَّةٍ، وَحَجَّ
فِي الْأُولَى يَلْطِمُ بِأَيْدِي الْعِيسِ وَجْهَ السَّبَسَبِ، وَيَطَأُ عَقَارِبَ اللَّيْلِ وَلَوْ أَنَّهُ بِرُبَانَاهَا
يُنْسَبُ، حَتَّى قَضَى نَفْتَهُ، وَتَطَوَّفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَا يَخَافُ رَفْتَهُ، وَسُمِعَ عَلَيْهِ
هُنَاكَ مِنْ شِعْرِهِ، وَأَجِدُ عَلَى خَاطِرِي مِنْ ذِكْرِهِ، مِمَّا أَنْشَدْنَا شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ
قَوْلَهُ :

وَأَحْسَرْنَا لِأُمُورٍ لَيْسَ يُلْغُهَا مَا لِي وَهَنْ مَتْنِي نَفْسِي وَأَمَالِي
أَصْبَحْتُ كَالْآلِ لَا جَدْوَى لَدَيَّ وَمَا آلَوْتُ جِدًّا وَلَكِنْ جَدِي آلَايَ

4 — جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ (8)

مِنْ وَلَدِ إِدْرِيسِ الْمُتَأَيَّدِ (9) بْنُ يَحْيَى الْمُعْتَلِي الْحَسَنِيِّ.

= السَّفِينَةُ فَوْقَهَا مَوْجُودَةٌ، وَيُقَالُ إِنَّهَا تَسَعُ قَدْرَ نَصْفِ أَرْدَبٍ لِإِطْعَامِ الطَّيُورِ وَهِيَ تَرْمِزُ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ هُنَا إِلَى الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ الَّذِي كَانَ فِي عِلْمِهِ كَالْبَحْرِ.

(7) تَرْجَمْتُهُ أَيْضًا فِي الْوَاقِفِ بِالْوُفَيَاتِ 13 : 371-372، وَانْظُرِ الْمَصَادِرَ الْمَشَارَ إِلَيْهَا فِي الْحَاشِيَةِ
وَلَيْسَ فِيهَا الْمَسَالِكُ.

(8) هَذَا مِنَ الْأُدَارِسَةِ الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا بِمَصْرَ، وَتَرْجَمْتُهُ فِي الْوَاقِفِ بِالْوُفَيَاتِ 11 : 151-152 وَفِي
مَصَادِرٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا الْمُحَقِّقُ فِي الْحَاشِيَةِ وَلَيْسَ فِيهَا مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ تَرْجَمَةُ وَالِدِهِ
ضَمَّنَ هَذَا الْجُمُوعَ (ص 119).

(9) انْظُرْ فِي هَذَا الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ الْمُتَأَيَّدُ الْإِدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ الْإِعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ.

قَمَرٌ لَهُ أَذْبٌ يَكَادُ غُصْنُهُ يُهْتَصَرُّ، وَمَزْنُهُ يُعْتَصَرُّ، طَالَ بَاغُ قَصَائِدِهِ فَمَا فِيهَا
 قِصْرٌ، وَلَا جَفَفَ بَلَلٌ فِيهَا حَصْرٌ، إِلَى مُحَاسِنَ لَوْ تُشِيرَتْ لَجَلَّتْ كُلُّ بَصَرٍ،
 وَلَحَلَفَتْ أَنْ تَدْعَ لِلزَّلَالِ إِلَّا مَا فَضَّلَ مِنْ خَصَرٍ عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَحُلْ مِنْ كَلِمٍ
 بِهَا يُنْتَصَرُّ، وَحَكَمَ لَهَا طَرِيقٌ إِلَى الْقُلُوبِ مُحْتَصَرٌ، يَنْجِي قَرْعُهُ إِلَى مِلِكٍ كَانَ
 لَا يُحَرِّمُ سَائِلُهُ، وَلَا يَعْظُمُ إِلَّا الْبَحْرُ وَتَائِلُهُ، نَكِسَتْ لَهُ رُؤُوسُ أَعْدَائِهِ الصُّغَرِ،
 وَأَمِنَتْ رَعِيَّتُهُ مِنَ الذُّعَرِ، وَغَلَّتْ مَهَابَتُهُ أَيْدِي الطُّغَاةِ فَلَمْ تَمْتَدَّ، وَالْأَنْتَ حَصَاةُ
 تَالِبِهِمْ فَلَمْ تَشْتَدَّ، وَلَقَدْ كَانَ آمِلُهُ يَسْتَقْبِلُ الْعُمَرَ جَدِيداً، وَيَسْتَقْبِلُ النُّجُومَ عَدِيداً،
 وَيَسْتَقِرُّ حَيْثُ رَأَى الْمَرْعَى خِصْباً وَالظِّلَّ مَدِيداً، وَمِمَّا عَلَى ذِكْرِي مِنْ شِعْرِهِ
 مِمَّا أَنشَدَ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ قَوْلُهُ :

يَا أَهْيَلُ الْحَيِّ مِنْ كَاطِمَةٍ قَدْ لَقِينَا مِنْ هَوَاكُمُ نَصَبَا
 قُلْتُمْ جُزْ لَتَرَانَا بِالْجَمَى وَمَلَأْتُمْ حَيَاكُمُ بِالرُّقْبَا

5 — مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ

الصَّدْفِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ⁽¹⁰⁾

هُوَ الصَّدْفِيُّ الَّذِي لَا يُخْرِجُ إِلَّا الدَّرَّ الْيَتِيمَ، وَلَا يَوْمَنْ حَتَّى يُلْمَسَ جَانِبَ
 الْعَقْدِ النَّظِيمِ، مَا وَلَدَتْ مِثْلُهُ إِشْبِيلِيَّةٌ وَلَا أَكَنَّهُ دَهْرُهَا، وَلَا أَجَنَّهُ جَنَائِهَا وَلَا سَقَاهُ
 نَهْرُهَا، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

مَا بِي مَوَارِدُ حُبِّي بَلْ مَصَادِرُهُ أَلْلَحْظُ أَوَّلُهُ وَاللَّحْدُ آخِرُهُ
 يُبَاشِرُ الْوَشْيَ مِنْ أَعْطَافِهِ بَشْراً يَكَادُ يَجْرَحُهُ قَوْلِي يُبَاشِرُهُ
 هُوَ الْحَدِيقَةُ لَكِنْ رَبِّمَا كَمَنْتُ مَكَانَ حَيَاتِهَا مِنْهُ غَدَائِرُهُ

(10) ترجمته في المغرب 1 : 263 وفي الحاشية ذكر لمصادر متعدّدة في ترجمته ولا ذكر للمسالك فيها.

6 — الكَسَادُ الْإِشْبِيلِي⁽¹¹⁾

لِلَّهِ هُوَ مِنْ كَسَادٍ هُوَ النَّفَاقُ، وَوَاحِدٍ فِي طَرِيقِهِ عَلَى كَثَرَةِ الرَّفَاقِ، وَجَالِبٍ
دُرٌّ وَقَفَ حَالَهُ حَتَّى عُرِفَ بِالْكَسَادِ، وَأَلْفَ الزَّمَانِ لَهُ الْكِيَادُ، لِأَنَّهُ لَمْ يُعْرِفْ لِمَا
مَعَهُ قِيَمَةً، وَلَا وَجَدَ زَبُونٌ تَنْفُقَ عَلَيْهِ تِلْكَ الْفَرَايِدُ الْيَتِيمَةَ، وَلَهُ فِي مَلِيحِ خُلُقِ
رَأْسِهِ لِيُكْسَى قُبْحًا، فَمَحَا لَيْلَهُ وَبَقِيَ كُلُّ صَبْحًا، مِمَّا أُنْشَدَهُ لَهُ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ :
كَانَ مُوسَى كِهْلَالٍ تَيَّرَ لَيْلُهُ إِذْ يَتَيَّدَى الشَّعْرُ
قَبْدًا مُذْ خَلَقُوا لِمَتَّهُ مِنْ مُحْيَاهُ صَبَّاحٍ مُسْفِرُ
كَانَ إِلَّا قَمْرًا تَحْتَ الدُّجَى فَانْجَلَى اللَّيْلُ وَلَاحَ الْقَمَرُ
أَوْ كَزْهَرٍ فِي كَلَامٍ كَامِنٍ شَقَّتْ عَنْهُ قَمَّ الزَّهَرُ

7 — مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الْقَلْلُوسِي⁽¹²⁾

مِنْ أَهْلِ الْغَرْبِ، جَاَزَ الْأَنْدَلُسَ تَجْرِي بِهِ السُّفُنُ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ، وَيَتَلَعَهُ
نُعْبَانُ آلِيَمٍ وَمَا أَلْقَى لَهُ مِنْ عِصْيٍ وَجِبَالٍ، حَتَّى عَلِقَ بِمِلِكٍ لَوْ رَامَ الْبَحْرُ أَنْ
يَتَشَبَّهَ بِهِ لَرَامَ الشَّطْطَ، أَوْ دَنَا النَّجْمُ مِنْ رُتْبِهِ لَحَلَّ أَشْرَفَ الْخِطْطِ، أَوْ اسْتَنَارَ
الْمَحْدُودُ بِشُهُبِهِ لَتَجَلَّى حَظُّهُ الْغِطْطِ، أَوْ اتَّصَلَ الزَّمَانُ بِسَبَبِهِ لَمَا قُطَّ شَعْرُ لَيْلِهِ
الْقِطْطِ، وَلَهُ شِعْرٌ فَائِثٌ، مِنْهُ مِمَّا أُنْشَدَهُ لَهُ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ :
لَا تَنْكَرَنَّ تَشَارِيطاً بَوْجَنْتِهِ فَإِنَّهَا أَثَرُ الْأَلْحَاظِ وَالْفِكَرِ
فَطَالَ مَا جُرِحَتْ بِاللَّحِظِ وَجَنْتُهُ وَالْجُرْحُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ مِنَ الْآثَرِ⁽¹³⁾

(11) ترجمته في المغرب أيضا 1 : 288 وفي الحاشية ذكر لمصادر ترجمته ماعدا المسالك.

(12) توجد ترجمته في الإحاطة وغيرها من المصادر المغربية، ومن المصادر المشرقية الوافي بالوفيات 2 : 184.

(13) مهد لهما الصفدي بقوله : «أنشدنا له الخطيب أبو عبد الله محمد بن رشيد النسبتي بالقاهرة قال : أنشدنا لنفسه في مشروط.

8 — مُحَمَّد بن أَحْمَد بن حَسَن

ابن عامر التجيبي⁽¹⁴⁾

مِنْ أَهْلِ بَلَش، فَقِيَّةٌ طَالَمَا شَيْدَ بِهِ دَرْسٌ، وَجُدَّدَ غَرْسٌ، رَحَلَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى مِصْرَ وَسَكَنَ الْقَاهِرَةَ، وَقَصَرَ هَوَاهُ عَلَى رُبُوعِهَا الزَاهِرَةِ، وَتَزَلَّ بِهَا فِي الْمَدَارِسِ، وَنَزَّهَ بِحُوثِهَا فِي أَزْكَى الْمَغَارِسِ، وَكَانَ ظَاهِرَ الصَّلَاحِ، زَاهِرَ الْمِصْبَاحِ، يُقَطِّعُ اللَّيْلَ إِحْيَاءً، وَيُعِيدُ أَمْوَاتَ الْقُلُوبِ أَحْيَاءً، وَمِنْ شِعْرِهِ مِمَّا أُنْشِدَ شَيْخُنَا أَبُو حَيَّانَ قَوْلُهُ فِي مَلِيحٍ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ :

أَحْوَى الْجُفُونِ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ الشَّيْءُ فِي إِدْرَاكِهِ شَيْئَانِ
يَا لَيْتَهُ تَرَكَ الَّذِي أَنَا مُبْصِرٌ وَهُوَ الْمُخَيَّرُ فِي الْغَزَالِ آثَانِي

9 — أَبُو مُحَمَّد عَبْد الصَّمَد

ابنُ مُحَمَّد التَّوْزِرِيِّ⁽¹⁵⁾

شَابَ تَشَبَّ مَعَهُ ذُكَاؤُهُ، وَهَبَ خَاطِرُهُ بِمَا يَتَوَقَّدُ بِهِ ذُكَاؤُهُ، يَتَوَسَّمُ كَالزَّرْعِ زُكَاؤُهُ، وَيَتَبَسَّمُ أَثَرُ يَرَاعِيهِ إِذَا جَدَّ بُكَاءُهُ، جَلِيسٌ مُمْتِعٌ الْمَذَاكِرَةَ، مُمْرِغٌ الْمُحَاضِرَةَ، وَإِلَى أَنْ رَأَيْتُهُ سَنَةً ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةً مَا بَقَلَ وَجْهُهُ بِنَبَاتِيهِ، وَلَا بَقِيَ لِلتَّجُومِ إِلَّا مَا لَفَظَ مِنْ أُبْيَاتِيهِ، أَوْقَفَنِي عَلَى قِطْعٍ مِمَّا جَمَعَهُ لِلنَّاسِ، وَمَنَعَهُ بِمَا يَحْمِي بِهِ طَبِي الْكِنَاسِ، ضَنَا تَعَتَّرَ بِهِ الْأَبْكَارُ، وَظَنَّا أَنْ يَحْصُلَ بِأَدَبِهِ الْمُسْتَعْشَعُ الْإِسْكَارُ.

(14) ترجمته أيضا في الوافي بالوفيات 2 : 140 والصفدي يروي ما ذكره من خبره وشعره عن أبي حيان مثل العمري.

(15) لم أقف له على ذكر في مكان آخر.

أَتَى فِي الرَّكْبِ الْمَغْرِبِيِّ، لِحَجِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَزِيَارَةِ النَّبِيِّ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً،
وَعَرَبَ كَوْكَبَهُ الَّذِي أَشْرَقَ لَمَّا شَرَقَ طَالِعُهَا؛ وَكَتَبَ إِلَى مُسْتَجِيرٍ، كَلَاماً وَجِيزاً،
وَهُوَ : وَعَدَ سَيِّدِي ... الدَّهْرَ وَأَبْنَاءَهُ، وَمُعَلِّي صَرْحِ الْفَخَّارِ وَمُشِيدَ بِنَائِهِ،
وَهَبَهُ اللَّهُ عُمْراً طَوِيلاً، وَذِكْراً جَمِيلاً لَا يَنْبَغِي عَنْهُ تَحْوِيلاً، وَنَصْرَهُ نَصْراً عَزِيزاً
مُعْجَلاً، وَمِثْلَهُ مُوْجِلاً، بِإِجَازَةِ خَدِيمِهِ الْمُتَطَوِّلِ ...

فَفي الْوَقْتِ أَجَزْتُهُ، وَعَجَّلْتُ لَهُ الْوَعْدَ وَأَنْجَزْتُهُ، فَكَتَبَ إِلَيَّ :

وَصَلَّيْني أَعَزَّ اللَّهُ سَيِّدِي مِنْ إِجَازَتِهِ مَا تَهْتُ بِهِ عُجْباً وَفَرْحاً، وَمَشَيْتُ بِهِ
مُخْتِلاً مَرِحاً، إِذْ أَمْطَانِي كَاهِلَ الشَّعْرَى الْعُبُورِ، وَأَرَانِي وَجَوَارِي الْأَفْلَاحِ دُونِي
تُدُورُ، وَأَبَانَ لِي قُصُورَ شُكْرِي وَأَنَا جَدُّ شُكُورِ، وَقَامَ بِي فَهَضْمْتُ عَلَى رَغَمِ
الْجَدِّ الْعُتُورِ، وَقَدْ يَجِدُ هَذَا الْمُصْطَنِعُ مَنْ يُقَرُّهُ، وَيَغَالِي هَذَا الْمُصْطَنِعُ وَلَا يَقْدِرُ
عَلَى أَرْيَدٍ مِنْ أَنَّهُ يُجِبُّهُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ مِنْ حَرَكَةِ الْأَوْبَةِ عَلَى أَوْفَارٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَأْنِ
لَهُ إِلَّا وَقْفَةٌ مُجْتَازٍ، لَقَرَنَ هَذِهِ الْبَرِيَّةَ إِلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ بِمَدْحَةٍ يَطُولُهَا وَلَا يِلْغُ
قُصَارَاهَا، يَتَعَرَّضُ بِهَا الْآنَ لِمَنْ رَأَاهُ، وَسَيَتَأَنَّى ذِكْرُهُ مِنْ نَعْرِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ الْمَحْرُوسِ
إِنْ أَقَامَ بِهَا الرَّكْبُ يَوْمَيْنِ، بِمَا يَخْلُو مِنْ زَوْرٍ وَمَيْنِ، وَالسَّلَامِ الْأَزْكَى، الْمُفْتَرُّ
كَالزَّهْرِ ضُحْكَاً، النَّاصِعُ طَيْبُهُ الْفَائِضُ بِالْعَطْرِ مَا سَحَبَتْ بِهِ جَلَابِيئُهُ، عَلَى ذَلِكَ
الْمَجْدِ الْأَشْرَفِ، وَالْجَنَابِ الْأَرْحَمِ الْأَرَأْفِ، وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ كِتَاباً مَعَ قَصِيدَتِهِ الَّتِي جَهَّزَهَا، وَعَقِيلَتِهِ الَّتِي مِثْلُ
الْعُرُوسِ أُبْرَزَهَا كِتَاباً طَوِيلَهُ ... بِهِ وَأَرْسَلَهُ، وَمِنْهُ : وَهِيَ قَصِيدَةٌ بَنَى أَمْرَهُ عَلَى
إِطَالَتِهَا فَقَصَّرَهَا، وَعَلَى أَنَّهُ يَقْدُرُ بِهَا حَقَّ تِلْكَمُ الْجَلَالَةِ فَمَا قَدَّرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّهُ
مُقَدَّمُ بِهَا وَسَائِلُهُ فَأَخَّرَهُ لَمَّا رَأَى تَأَخَّرَهَا، عَلَى أَنَّ تِلْكَمُ السِّيَادَةَ أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ
مَا يُقَالُ، وَتِلْكَمُ الْمَجَادَةُ أَعْظَمُ مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَحَيَّلُهُ فِكْرٌ أَوْ يَدُورُ عَلَى بَالٍ،
وَمَا الْمَادِحُ لَهَا وَإِنْ أَطْنَبَ، وَالْوَاصِفُ لَهَا وَإِنْ خَيَّمْ عَلَى السُّهْيِ وَالْفَرْقِدِ وَطَنَّبَ،
إِلَّا مُقْصِراً غَيْرَ مَعْدُورٍ، وَشَاكِراً مُبَالِغاً غَيْرَ مَشْكُورٍ، لِأَنَّهَا لَا تُعْطَى حَقُّهَا وَلَا
تُؤْفَى، وَالسَّائِكُ فِي مَقَامِ جَلَالَتِهَا أَبْلَغُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ فَإِنَّ نُورَ الشَّمْسِ لَا يَخْفَى.

10 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ

أَبْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْعَقِيلِي⁽¹⁶⁾ الْبَيْرِي. مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ قَدْ بَلَغَنِي صِبْيَتُهُ، ثُمَّ سَوَّغَنِي الدَّهْرُ أَنِّي لَقَيْتُهُ، فَرَأَيْتُهُ عَذَبَ الْجَنَى، حُلُوَ أَلْمَنَى.

إِلَّا أَنَّهُ ذُو مَخَارِقَ يَخْلُبُ بِهَا الْعُقُولَ، وَيَسْلُبُ بِهَا صُرَّةَ الدَّرْهِمِ الْمَعْقُولِ، أُمُورٌ أَعْلَمَهَا لِلْغُرَابِ وَتَعَلَّمَهَا مِنْ مَكْرِ الْغُرَابِ، وَرَاوَعَ بِهَا مُرَاوَعَةَ الثَّعْلَبِ، وَغَاوَرَ فِي طَلَبِهَا مُعَاوَرَةَ السُّلُوقِيِّ لِلْأَرْبِ.

قَدِمَ مِصْرَ بَوْفَرٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ عَمِيمٍ، وَوَفَّرَ مِنَ الْإِلْفِكِ مَا مِنْهُ وَمِنْ أَوْلَادِهِ بِهِ إِلَّا عَلِيمٌ، وَسَحَرُوا بِهِ أَغْنَيْنِ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ، وَخَلَبُوهُمْ فِي وَسْطِ بُيُوتِهِمْ وَسَلَبُوهُمْ، وَأَثَرُوا مِنْ ذَهَبِ الْأَدَبِ بِمَا يَتَرَى بِهِ كُلُّ غَرِيمٍ، وَخَلَطُوا بَيَانَهُمْ بِالْمَخَارِقِ فَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ.

وَحَدَّثَنِي أَنَّهُ كَتَبَ لِأَبِي عَلِيٍّ عُمَرُ بْنُ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَنَّهُ غَمَرَهُ بِإِحْسَانٍ مَا عَلَيْهِ مَزِيدٌ، وَبَقِيَ مَعَهُ حَتَّى ظَفَرَ بِهِ أَخُوهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيٌّ وَأَسْكَنَهُ قَيْدَ ثَلَاثَةِ أَدْرَعٍ فِي الْبَيْدِ، وَأَمْسَكَ الْعَقِيلِيَّ هَذَا وَاعْتَقَلَهُ وَثَقَفَهُ بِالْحَدِيدِ، ثُمَّ أَمَرَ بِتَسْرِيجِهِ، وَأَطْلَقَهُ مِنْ مُعْتَقِلِ ظَنَّهُ بَاطِنَ ضَرْيَجِهِ، وَأَطْبَقَهُ فِي الثَّرَابِ تَحْتَ صَفِيحِهِ، ثُمَّ أَسْتَكْتَبَهُ فِي إِنْشَائِهِ، وَاسْتَصَحَبَهُ لِقَرَبِ قَلْبِهِ وَطُولِ رَشَائِهِ، لِأَنَّهُ رَجُلٌ خُلِقَ مِنْ أَدَبٍ لَا يَتَكَلَّفُهُ، وَلَا يَعُدُّ مَوْعِدًا فَيُخْلِفُهُ، وَحَضَرَ مَعَهُ فَتَحَ تِلْمِيزَانَ وَكَتَبَ فِي بَشَائِرِهَا، وَأَتَى يِعْرَائِبَ فِي عَجَائِبِ بِلَادِهَا وَعَشَائِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ حَاجًّا وَرَكِبَ تَبَجَّ الْبَحْرِ فَعَرِقَ مَا مَعَهُ وَنَجَا بِبَدَنِهِ، وَأَتَى وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، سِوَى فَنُونِ أَفْنِهِ، وَأَوَّلَ

(16) لم أقف على ترجمته وإنما وقفت على أبي عبد الله محمد بن علي بن الصباغ العقيلي الغرناطي وأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الحق بن محمد بن الصباغ العقيلي الغرناطي. انظر الكنية الكامنة: 228 ونفع الطيب 5 : 129، 6 : 257، وتشتمل هذه الترجمة على فوائد جديدة، وقد استفاد العمري كثيراً من هذا الكتاب المريني وروى عنه في المسالك أخباراً جغرافية وتاريخية وأدبية متفرقة.

مَا دَخَلَ الْقَاهِرَةَ أَتَى إِلَيَّ وَتَزَلَّ فِي دَارٍ كَانَ فِيهَا جَارِي، وَتَرَدَّدَ عَلَيَّ لِسْمَاعُ
مَا بَلَغَهُ فِي الْمَغْرِبِ مِنْ أَشْعَارِي، وَكَانَ جَمَّ الاسْتِخْضَارِ، إِذَا حَضَرَ عَنِ الْحَضَارِ،
وَإِذَا سَابَقَ جَدَّ فِي الْإِخْضَارِ، مَعَ أَدبٍ طَرِي، كَأَنَّهُ بُرُودُ عَنَقَرِي.

وكتب إليّ مع قصيدة :

أَبْدَيْتُهَا أَعْلَى اللَّهِ قَدْرَكَ خَجَلًا، وَأَهْدَيْتُهَا عَجَلًا، وَفَضْلُكَ يُشْرِفُهَا بِالْقَبُولِ،
وَإِغْنَاءُ الْمَبْدُولِ، فَقَبُولُكَ لَهَا يُشْنَفُ آذَانَهَا، وَيُلْحِقُ بِزُهرِ النُّجُومِ حَوْدَانَهَا، عَلَى
أُنْتِي فِي وَصْفِ حُلَاكَ، وَنَشْرِ عُلَاكَ، كَمَنْ كَاثَرَ الْبَحْرَ بِصُبَابَةٍ وَكَابَرَ اللَّيْثَ بِدُبَابَةٍ،
لَكِنْ فَضْلُكَ يَصْنَعُ وَيُغْضِي وَيَسْمَحُ، أَبْقَاكَ اللَّهُ سَنًا لِلْمُتَّقِينَ، وَسَنَدًا لِلْمُعْتَقِينَ،
وَأَدَامَ عُلوَّكَ، وَوَصَلَ ارْتِقَاءَكَ وَسُموَّكَ، وَالسَّلَامُ الْبَهْجُ الْبِشْرُ، الْأَرْجُ النَّشْرُ،
يَخْتَصِرُ كَمَالَكَ، وَيَعْتَمِدُ جَلَالَكَ مِنْ مُعْظَمِ قُدْرِكَ، وَمُنْظَمِ قَلَائِدِ فَخْرِكَ، فَلَانِ،
مَا أَغْرَبْتَ عَنْ لَيْنِ الْغُصْنِ حَرَكَاتُهُ، وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَكَتَبْتُ جَوَابَ قَصِيدَتِهِ وَكَتَبْتُ مَعَهَا : أَتُحَفَّتَنِي أَعْرَكَ اللَّهُ بِعَقِيلَةِ عَذْرَاءَ،
وَخَمِيلَةِ غَرَاءَ، مَا اكْتَحَلَ طَرْفُ نَاطِلٍ بِمِثْلِهَا، وَلَا تَحَبَّلَ طَالِبٌ بِأَغْزَرٍ مِنْ فَضْلِهَا،
وَشَيْ سَحَابٍ مُنْهَجِرٍ، وَدَرَّ حَابٍ مُقْتَدِرٍ، جَبَاهَا نَوْضَ، وَجَنَاهَا رَوْضَ، السَّحْرُ
حَشْوُ مُقْلَهَا، وَالْكُحْلُ فَاضِلُ كَحْلِهَا، جَاءَتْ مِنَ الْمَغْرِبِ، بِالْفَضْلِ الْمَغْرِبِ.

فَقُلْتُ : أَهْلًا بِأَسَدٍ غَضُنْفَرٍ جَاءَ مِنْ خَيْسِهِ، وَقُمْتُ أَخْذُ مِنَ الْغَرْبِ مَا أودَعَهُ
الْشَّرْقُ مِنْ دُرَرِ الْكُؤَاكِبِ فِي كَيْسِهِ، وَطَفِقتُ أَغْتَرِفُ لِلْغَرْبِ بِفَضْلِهِ، لِمَا رَأَيْتُ
مِنْ أَهْلِهِ، وَلَمَّا بَعَثَ تِلْكَ الْعَقِيلَةَ تَنَاهَدَى فِي تَرْبِهَا، عَفَرَ الْهَلَالَ جَبِينَهُ فِي تَرْبِهَا،
فَرَأَيْتُ أَكْبَرَ آيَاتِهَا وَلَا ضَيْرَ، وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَمَا تَمَّ إِلَّا الْخَيْرُ.

قُلْتُ : وَلَقَدْ أَصْرَبْتُ عَنْ آيَاتِ الْفَصِيدَيْنِ إِذْ كَانَتْ قَصِيدَتُهُ تَتَضَمَّنُ فِي
مِنَ الْمَدْحِ، مَا لَوْ أُثْبِتَتْهُ لَمْ آمَنْ فِي مِنَ الْقَدَحِ، فَمَا تَرَكُهَا هِيَ وَجَوَابُهَا لِقُصُورِ
فِيهِمَا، وَلَا لِشَيْءٍ بِسَبَبِهِ أُخْفِيهِمَا، إِلَّا لِمَا قَالَ فِي قَصِيدَتِهِ فِي مِنَ الْمَدِيحِ، وَإِنِّي
لَا أَقْنَعُ مِنَ الزَّمْرِ بِرِيحٍ، فَهَذِهِ حَالُ قَصِيدَتِهِ، فَأَمَّا قَصِيدَتِي فَأَيُّهَا جَوَابُ، وَإِيرَادُهَا
مِمَّا لَا يَقْتَضِيهِ الصَّوَابُ، عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ بَدْعٍ إِذَا سَتَرْتُ عَوَارِي وَكُنْتُ لَهُ أُوَارِي.
ثُمَّ نَعُودُ إِلَى ذِكْرِ الْبَيْرِ فَنَقُولُ : وَمِنْ ثَرِهِ قَوْلُهُ : وَكِتَابُنَا هَذَا إِلَيْكُمْ وَجَانِبُ

هَذَا الْأَمْرِ قَدْ اتَّسَعَ مَجَالُهُ، وَنُصِرَتْ أَنْصَارُهُ وَرِجَالُهُ وَالْعَدُوُّ قَدْ بَدَتْ أَوْجَالُهُ، وَدَنَتْ بَعُونُ اللَّهِ آجَالُهُ، وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ قَدْ خَفَقَتْ أَعْلَامُهُ، وَسَيْفُ اللَّهِ قَدْ رَاعَ الْأَعْدَاءَ اتِّسَامُهُ، وَالْمَنْحُ قَدْ لَدَّ اتِّسَامُهُ، وَالِدَوْلَةُ قَدْ تَوَلَّى اللَّهُ رَفْعَ مَنَارِهَا، وَارْتِفَاعَ نَارِهَا، وَإِشْرَاقَ أَنْوَارِهَا.

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّا كُنَّا [تَوَجَّهْنَا] نَحْوَ بِلَادِ دَرْعَةِ حَرَسِ اللَّهِ سَاحَتِهَا، وَعَمَرَ بِالْعَافِيَةِ مِسَاحَتِهَا، لِنَمْتَعَ فِيهِمْ نَوَاطِرَ طَرْفِهَا الشُّوقِ، وَنَجْبِرَ مِنْهُمْ قُلُوبًا أَذْنَقَهَا إِلَيْنَا الشُّوقِ، وَقَصَدْنَا تَدْوِيخَ الْبِلَادِ السُّوسِيَةِ كَيْ نَقْرَ أَمْرَهَا فِي نِصَابِهِ، وَنَتَنَزَّعَ حَقًّا فِيهَا مِنْ أَيْدِي غُصَابِهِ، أَخَذْنَا نَسْتَجْلِبُهُمْ بِأَتَمِّ وَجْهِهِ الْاسْتِجْلَابِ، وَنُحْضِئُهُمْ عَلَى الْجَمَاعَةِ الَّتِي هِيَ رَحْمَةٌ وَنُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْفُرْقَةِ الَّتِي هِيَ عَذَابٌ، إِلَى أَنْ نَقَادَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِلطَّاعَةِ عَصِيئَتُهُمْ، وَالْقَيْثُ دُونَ الْقِتَالِ حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّتُهُمْ، وَقُرْبَ دَانِيَهُمْ وَقَصِيئَتُهُمْ، صُنْعًا مِنَ اللَّهِ كَرِيمًا، وَفَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ عَظِيمًا، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾، ثُمَّ غَدْنَا بِالْجَيْشِ الْمُوقِرِ، وَالْجَمْعِ الْمَنْصُورِ الْمُظْفَرِ، بِمَا يَرُوقُ رُوءَاءَ، وَيَحْسُنُ فِي نُصْرَةِ اللَّهِ غَنَاءً.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ : «وَعَرَّسْنَا بُوَادِيَهُ، وَخَيَّمْنَا بِنَادِيَهُ، فَالْجَانَانُ إِلَى حِصْنِهِ الَّذِي يَعْتَصِمُ بِذُرُوتِهِ، وَيَمْتَنِعُ بِصَهْوَتِهِ، فَالْفَيْئَانُ قَدْ فَتَحَ مِنَ الْكِبَرِ الَّذِي أُتِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَكْبَرُ بَابٍ، وَوَشَجَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّقْوَةِ اتِّسَابٌ، وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مِمَّنْ لَمْ يَرُغْ أَوْعَارُ الْجِبَالِ وَلَا أَقْتِحَامُ الْبَحَارِ وَلَا آغْتِسَافُ الْيَابِ، فَسَاعَةً وَصُولُنَا نَاصِبَتَاهُ الْقِتَالِ، وَزَحْفُنَا إِلَى جِلَادِيهِ بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ، وَأَسْغَنَاهُ زُعَافَ الْقِرَاعِ وَالنُّصَالِ، فَتَفَقَّتْ يَوْمَئِذٍ سَوْقُ الْآجَالِ، وَازْدَحَمَتْ فِيهِ الرِّجَالُ عَلَى الرِّجَالِ، وَالنُّصَالُ عَلَى النُّصَالِ، وَكَثُرَ الْقَذْفُ بِالْحِجَارَةِ وَالرَّمْيُ بِالْثَّبَالِ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَمْ يَمَسَّ أَوْلِيَاءَنَا قَرْحٌ، وَلَا تَخَطَّى صَفَقَتَهُمْ رِنَجٌ، بَلْ كَانَ النَّصْرُ مِنْ أَوَّلِ صَدْمَةٍ صَدَمَوْهَا، وَالظَّفَرُ لِأَوْلِيَانَا عَلَى الْعَادَةِ الَّتِي أَلْفَوْهَا وَعَلِمَوْهَا، وَنَاجَزْنَا الشَّقِيَّ غَيْرَ بَعِيدٍ، وَأَرَيْنَاهُ الْعَذَابَ مِنْ غَيْرِ وَعِيدٍ، وَأَذَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ حَرَّ الْحَدِيدِ، وَأَنْزَلْنَاهُ بِهِمْ بِأَسَهِ الشَّدِيدِ، فَلَمَّا رَأَى مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا رَاغَهُ وَهَالَهُ، وَضَاعَفَ حُزْنَهُ وَأَوْجَالَهُ، لَمْ تَجِدْ فِي التَّمَسُّكِ مَطْمَعًا، وَلَا قَالَ قَائِلٌ لَهُ مِنْ عَثَرَتِهِ لَعًا، فَقَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ لِنَفْسِهِ الْخَبِيثَةِ : أَيُّهَا

النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا، ففَصَّتْ لَهَوَاتِهِ بِالْحِمَامِ، وَقَرَعَتْ ظَنَابِيهَ حُبُكَ الْحُسَامِ،
وَوَطِيءَ بَلَدَهُ الْجَيْشُ الْعَرْمَرُمَ، وَشَفَى أَوَامَهُ مِنْهُمْ... اللَّهُدَمَ، وَحَصَلْنَا الدَّخَائِرَ
وَالْأَمْوَالَ، وَالْعُدَدَ وَالْأَنْقَالَ، وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَالْخَيْلِ
الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ مِمَّا ضَيَّقَ عَلَى رَحْبِ الْمَكَانِ أَرْضَهُ، وَفِي أَسْرَعٍ مِنْ كَسْرِ
الطَّرْفِ، لَا بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَمَحِ الطَّرْفِ، مَلَأَ اللَّهُ الْأَيْدِيَ مِنْ طَارِفِهِمْ وَتَلَادِهِمْ
وَأَعَادَ إِلَى الْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَافَرَ أَعْدَادِهِمْ، فَاقْرَأُوا هَذِهِ الْبُشْرَى فِي نَوَادِيكُمْ، وَابْعَثُوا
مِنْهَا نُسَخًا إِلَى بَوَادِيكُمْ، وَاشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى هَذَا الْفَتْحِ الَّذِي نَظَّمَ شَمْلَ الْبَشَرِ،
وَنَثَّرَ سَلَكَ الْمَكْرِ وَالشَّرِّ، فَالشُّكْرُ مِفْتَاحُ الْمَزِيدِ، وَعُتْوَانُ الْخَيْرِ الْعَتِيدِ، وَتَبَقَّنُوا
أَنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ الْأَقْوَى، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقْوَى.
وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

وَأَمَرْنَا أَنْ تَأْخُذُوا فِي مَخْرَجِ هَذَا الْحِصْنِ مِنْ دِيْوَانِ الْوُجُودِ، وَأَنْ تُنْزِلَ بِهِ أُمَّ
الْمَنَآيَا السُّودَ، ثُمَّ إِذَا أَتَمَمْنَا بِمَنْ آلَهِ هَذَا الْعَمَلِ، الْمُفْضِي بِقُوَّةِ اللَّهِ إِلَى بُلُوغِ
الْأَمَلِ، نَأْخُذُ فِي الْإِيَابِ وَنُسْرِعُ فِي الْإِنْقِلَابِ.

11 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ أَبِي الْبَرَكَاتِ السَّلَاجِيِّ⁽¹⁷⁾

قَدِمَ مِصْرَ وَأَوَى إِلَيَّ، وَتَوَى حَوَالِيَّ، وَبَقِيَ بَرْهَةً أُنَيْسَ وَحَدَّثَنِي، وَجَلِيسَ
مَوَدَّتِي، وَكَانَ ظَرِيفًا فِي هَيْئَتِهِ، لَطِيفًا بِخِلَافِ فِتْنَتِهِ.
وَكَانَ الْمَوْسِيقِي جُلًّا مَا يَعْرِفُهُ، وَقَلَّ أَنْ لَا يَأْلِفُهُ، قَالَ لِي : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ

(17) لا توجد له ترجمة في مصدر آخر وهو من البيت السلاجبي المشهور كان بفاس، وقد روى
عنه العمري مراراً في المسالك وتحرف اسمه في المطبوع والمخطوط من هذا الكتاب وقد تحدثت
عنه في بحث لي حول المصادر الشفوية المغربية في كتاب مسالك الأبصار.

تَوَارَثَهُ بَنُوهُ، وَتَدَبَّرَهُ بَعْدَ جَدِّهِ أَبُوهُ، وَأَتَتْهُمْ أَهْلُ انْقِطَاعٍ، مَا فِيهِمْ مَنْ خَدَمَ السُّلْطَانَ فِي مَنْصِبٍ، وَلَا نَالَ مِنْهُ جَنَى مُجْدِبٍ وَلَا مُحْصَبٍ.

أَتَى حَاجِبًا وَقَضَى نُسْكَهُ، وَمَضَى عَلَى أَثَرِهِ فِيمَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْلُكَهُ، فَأَقَامَ بِالْقَاهِرَةِ ثُمَّ تَعَرَّفَ بِي، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى قُرْبِي، وَتَأَكَّدَتْ بَيْنَنَا الْمَعْرِفَةُ حَتَّى صَارَتْ صُحْبَةً، ثُمَّ سَارَتْ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى حَيْثُ قَضَى نَحْبَهُ.

بَلَّغَنِي أَنَّهُ مَاتَ بِقَابَسٍ، وَحَبَسَهُ بِهَا لِلْمَنِيَّةِ حَابِسٍ.

وَكَانَتْ لَهُ فِي الْأَدَبِ مُشَارَكَةٌ مَا قَصُرَ فِيهَا وَلَا طَالَ، وَلَا وُصِفَ فِيهَا سَحَابُهُ بِجَهَامٍ وَلَا هَطَالٍ.

وَكَتَبَ إِلَيَّ: رَضِيَ اللَّهُ عَنِ السِّيَادَةِ السَّيِّئَةِ، وَالْمَجَادَةِ السَّرِيَّةِ، الْمَطِيرَةِ السَّحَابِيَّةِ، الْخَطِيرَةِ الشَّهَائِيَّةِ، الْعَلِيَّةِ الْعُمَرِيَّةِ، نَسَبٍ يَجُرُّ عَلَى الْمَجَرَّةِ ذَيْلُهُ، وَيُجْرِي فِي مِيدَانِ الْإِفْتِحَارِ نُجْبَهُ وَخَيْلُهُ، فَازَ مُجَلِّيًا خِصَالِ سَبْقِهِ، وَجَارَ مُوَالِيًا أَكَارِمَ غَرْبِهِ وَشَرْقِهِ، وَمَنْ ادَّعَى الْجَمْعَ فَفَارَوْقَهُ سَمَى عَلَى تَحْقِيقِ فَرْقِهِ، عِلْمٌ وَآدَابٌ، يُرَى عَلَى الزُّهْرِيِّ ابْنِ شِهَابٍ،.....

وَبَعْدُ، فَلَمَّا تَنَسَّمَ عَبْدُكُمْ نَسَمَاتِ هَذِهِ الْحَمَائِلِ، وَتَعَرَّفَ مِنْ شَمَائِلِهَا مَا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطَافَةِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ، أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَقَرَّبَ بِمَدْحَةٍ مَسْكِيَّةٍ نَسَمَاتُهَا، شَمْسِيَّةٍ قَسَمَاتُهَا، أَغْطَافُهَا أَغْصَانٌ، وَأَرْذَافُهَا كُتُبَانٌ، وَوَجَنَاتُهَا لِحَجَى الْقُطُوفِ بُسْتَانٌ، يَمْدَحُ بِهَا فَتَى قُرَيْشٍ وَابْنُ كَهْلِهَا، وَوَاحِدُ الدُّنْيَا وَابْنُ وَاحِدِهَا هَكَذَا جَدًّا بَعْدَ جَدٍّ بَيْنَ أَهْلِهَا، وَأَكْمَلِهَا جُودًا، وَأَسْعَدَهَا جُودًا، وَمَا أَنَا يَا سَيِّدِي أَدَامَ اللَّهُ نَصْرَكَ، وَأَعْلَى قُدْرَكَ، إِلَّا كَجَالِبِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ وَلَكِنِّي رَدَدْتُ الْبِضَاعَةَ لِمُبْضِعِهَا، وَالْأَمَانَةَ لِمَوْضِعِهَا، إِنْ أَحْسَنْتَ فَإِرْتِضَاؤُكُمْ يُظْهِرُهُ وَيُبْدِيهِ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَأِغْضَاؤُكُمْ يَسْتُرُهُ وَيُخْفِيهِ.

وَكَتَبَ مَعَهَا إِلَيَّ قَصِيدَةً وَمِنْ غَزَلِهَا مِمَّا افْتَتَحَهَا بِهِ مِنْ أَوَّلِهَا:

بَادِرْ إِلَى الرُّوضِ الْأَبْيَقِ الزَّاهِرِ وَاسْرُخْ بِلَحْظِكَ فِي رِيَاضِ أَزَاهِرِ
فَالطَّلُّ مِنْ فَوْقِ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ دُرٌّ يَنْظُمُ فِي عُقُودِ جَاذِرِ
وَبَنْفَسُجُ الرُّوضِ النَّضِيرِ كَأَنَّهُ زُرْقُ الْعُيُونِ بَدَتْ لِعَيْنِ النَّاطِرِ

مَعَ سَوَسَنِ رَاقٍ التُّهَى كَأَنَّمِلِ قَبَضَتْ عَلَى ثِيَرٍ بِهَا مُتَنَائِرِ
 أَيْقِظْ نَدِيمَكَ مِنْ كَرَاهٍ وَعَاطِهُ كَأَنَّ الْحُمَا كَالصَّبَاحِ السَّافِرِ
 مِنْ كَفِّ أَخَوَرٍ بَابِلِيٍّ لَحْظُهُ يَسْبِي الْعُقُولَ لَهُ بِطَرْفٍ سَاحِرِ
 إِنْ كَانَ يَجْحَدُ سَفَكَ سَيْفِ جُفُونِهِ فَبَحْدِهِ أَثَرٌ يَبِينُ لِنَاطِرِ
 (13 : 186)

12 — أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الصَّائِغِ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ⁽¹⁸⁾

أَغْزُرُ مَنْ أَعْرِفُ أَدْبَاءَ، وَأَكْثُرُ فِي تَحْصِيلِهِ دَأْبَاءَ، وَأُنْقِذُ مَنْ رَأَيْتُ لِمَعْنَى، وَأَوْقِذُ
 مَنْ رَضِيتُ ذَهْنًا، هُوَ فِي أَلَلَّةٍ إِمَامٌ مُبَرِّزٌ، لِجَمِيعِ كَلَامِ الْعَرَبِ مُخْرِزٌ، مَعَ نَحْوِ
 مَا تَرَكَ مِنْهُ شُعْبًا، وَلَا خَلَى مِنَ الْعَرَبِيَّةِ ذُلُولًا وَلَا صَغْبًا، مَلِكٌ نَوَافِرِ الْمَلِكِ حَتَّى
 اقْتَادَ جَوَامِئَهَا، وَارْتَادَ مَسَارِحَهَا، وَسَدَّ فِي الْعُرُوضِ خَلَلَ الْخَلِيلِ، وَبَرَزَ عَلَى
 التَّبَرِيزِ فِي مُصَنَّفِهِ الْجَلِيلِ وَطَرَفَ قُدَامَهُ ابْنُ الْحَاجِبِ حَاجِبًا، وَانْقَطَعَ ابْنُ
 الْقَطَّاعِ وَمَا أُدَى وَاجِبًا، وَرَكِبَ بُحُورَهُ وَلَمْ يَخْشَ الْغَرَقَ، وَآتَى بِقَوَائِهِ وَمَا
 أَرْزَعَهَا فِي أَمَاكِنِهَا الْفَلَقَ، وَلَهُ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ مَا فَاقَ الدَّرَرَ، أَدَبٌ وَلَدَيَّ، وَبَثَّ
 فَرَائِدُهُ لَدَيَّ، طَالَمَا آجَنْتَيْتُ مِنْهُ ثَمَرًا، وَاخْتَلَيْتُ قَمَرًا، وَاجْتَلَيْتُ مِنْهُ بِالْمُذَاكِرَةِ
 سَمَرًا، وَهُوَ مِمَّنْ يَأْوِي بِالْمَرِيَّةِ إِلَى بَيْتِ عَرِيقٍ، وَأَصْلُ مَرْوَانِي أَيْنَعُ لَهُ غَصْنٌ
 وَرِيقٌ، ذَكَرَ أَنَّهُ مِنْ وَلَدِ هِشَامِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَأَنَّهُ مِنَ النَّسَبِ الْأُمَوِيِّ فِي السَّنَامِ
 لَا فِي الْوَرَكِ، وَهَذَا هُوَ الْآنَ بِالْقَاهِرَةِ أَحَدُ أَعْلَامِهَا، الْمَطِيبُ لِسَقَامِ آلِهَا وَالْمُطِيبُ
 فِي مَحَاسِنِ كَلَامِهَا، وَمَا الثِّلُّ مِنْ خِلَافَتِهِ الْحَسَنَى بِأَعْدَبٍ، وَلَا الْمَغْنَطِيسُ مِنْ
 إِبْدَاعِهِ بِأَجْذَبٍ، وَمِنْ ثَرَرِهِ قَوْلُهُ :

وَقَفَّ الْحَجَّاجُ وَوَقَفْنَا دُونَ مَا عُهِدَ إِلَيْنَا

(18) له ترجمة جيدة في الوافي بالوفيات 3 : 375-378 وقد أثبت له الصفدي قصيدة لزومية طويلة تدل على قدرته الشعرية العالية، وترجمته أيضا في الدرر الكامنة 3 : 484-486، والكنية الكامنة 88-90 والإحاطة 2 : 433-442.

وَسْعُوا وَسَعَيْنَا فِيمَا تَعُودُ لِأَيْمَتِهِ عَلَيْنَا

وَقَوْلُهُ :

نَفَرُوا وَانْقَلَبْنَا بِالْوِزْرِ عَنِ الْأَرْتِكَاضِ
وَأَفَاضُوا وَأَفْضُنَا بِقِدَاحِ الْقَدَحِ فِي الْأَعْرَاضِ

وَقَوْلُهُ :

رَانَ آلْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ فَفَسَدَ
وَسَرَى الْحَسَدُ فِينَا سَرَى الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ

وَقَوْلُهُ :

قَسَتْ الْقُلُوبُ فَمَا تَتَأَثَّرُ لَزَجِرِ زَاجِرِ
وَحَضَرَتْ مَجَالِسُ الذِّكْرِ وَكَأَنِّي لَسْتُ بِالْحَاضِرِ

وَقَوْلُهُ :

اسْتَيْقِظُوا فَقَدْ لَاحَ نُورُ الصَّبَاحِ
وَأَجِيبُوا فَقَدْ حَيَّعِلَ دَاعِي الْفَلَاحِ
وَأَصْلِحُوا أحوَالَكُمْ فَقَدْ فَازَ بِالْجَنَّةِ أَهْلُ الْفَلَاحِ

وَقَوْلُهُ :

وَاضْرَعُوا إِلَى اللَّهِ فِيمَا يَنْجِيكُمْ
وَتَوَسَّلُوا إِلَيْهِ يُطْمِعْكُمْ فِيمَا لَدَيْهِ وَيُرْجِيَكُمْ

وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ :

حُطِيفَ الْفُؤَادِ يَبْرِقُهَا الْخَطَافِ	بَرْقُ الثَّيْبَةِ أَمْ ثَنَائِكَ الَّتِي
وَهَوَاكَ سُكْرِي لَا كُؤُوسَ سُلَافِ	مَرَاكِ بُسْتَانِي وَذِكْرُكَ مُطْرِبِي
وَرِيَاضُ وَرْدٍ لَوْ دَنَتْ لِقَطَافِ	سَلْسَالُ وَرْدٍ لَوْ يَنَاحُ لِظَامِيءِ
لَمَّا آنَجَلَى فِي فَرْعٍ لَيْلٍ صَافِي	عَارَتْ فَعَارَتْ مِنْهُ أَقْمَارُ الدُّجَى
رَقَّتْ لِرِقَّةِ قَلْبِي التَّرْجَافِ	تَقْسُو عَلَيَّ وَمَا بِهَا لَوْ أَنَّهَا
مَا أَثْبَتَ الْأَغْصَانُ فِي الْأَخْفَافِ	سَائِلُ رِيَاضِ الْحُسْنِ مِنْ وَجَنَاتِهَا

وَقَوْلُهُ :

بُعْدَ الْمَزَارِ وَلَوْعَةَ الْمُشْتَقِ حَكَمًا بِفَيْضِ مَدَامِعِ آلَامَايِ
أُمْعَلِّي أَنْ التَّوَاصُلَ فِي غَدِ مَنْ ذَا الَّذِي لِعِدِّ قَدَيْتِكَ بَاقِ
عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْحِمَى سَقَى الْحِمَى صَوْباً كَصَيْبِ دَمْعِي الرَّقْراقِ
فِيهِ لِذِي الْقَلْبِ السَّلِيمِ وَدَادُهُ قَلْبٌ سَلِيمٌ مَا لَهُ مِنْ رَاقِ
قَلْبٌ غَدَاةَ فِرَاقِكُمْ فَارْقَنُهُ لَا كَانَ فِي الْآيَامِ يَوْمُ فِرَاقِ
(47-44)

13 — مُحَمَّد بن محمد بن عبد الرحمن

أَبْنُ يُوسُفَ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ الْمُتَّقِنِ جَامِعُ أَشْتَاتِ الْفَضَائِلِ رُكْنُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْقَوْبَعِ الْقُرَشِيُّ (19) الْهَاشِمِيُّ الْجَعْفَرِيُّ الْمَالِكِيُّ التُّونُسِيُّ لَبِيبٌ مُبْصِرٌ لَا يَخَافُ مِنْهُ التَّخْيِيطُ، وَطَبِيبٌ مُكْتَبِرٌ لَا يُؤْتَى عَلَيْهِ مِنَ التَّخْلِيطِ، أَتَقَنَ الْعِلْمَ إِثْقَانًا وَدَرَبَ الْعَمَلَ إِذْ كَانَ لَا يَغِبُّ لَهُ اتِّبَانَا هَذَا إِلَى فَضْلِ مُتَسَعٍ وَسَيْفٍ وَرَأَهُ كُلُّ مُتَّبِعٍ جَدِّ فِي الطَّلَبِ حَتَّى كَانَ جَدِيدُهُ الْمُحَكِّكُ وَعَذِيقَةُ الْمَرْجَبِ لَا يُشَكِّكُ، وَكَانَ حِينَ وَخَطَ الْمَشِيبَ عَارِضَهُ وَاسَكَّتْ مَعَارِضَهُ أَشَدَّ مَا كَانَ عَارِضَةً وَأَشَدَّ مُعَارِضَةً لَمْ يَمْتَدِّ مَعَهُ لِمُجَادِلِ نَفْسٍ وَلَا رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ مُنَاطِظٍ إِلَّا نَكَسَ لِثَاقِبِ فِكْرَةٍ حُطَّ عَنْهَا قَنَاعُهَا وَكَثُرَ لِكُلِّ قَرِيعٍ الْخَزْمُ قَرَأَهَا فَتَقَهَّرَ كُلُّ مُتَقَدِّمٍ عَنْ مَكَانِهِ وَعَلِمَ أَنَّ دُونَهُ مَا فِي امْكَانِهِ لَمْ أَرْ لَهُ نَظِيرًا فِي مَجْمُوعِهِ وَاتِقَانِهِ وَاسْتِحْضَارِهِ وَاطْلَاعِهِ كَانَ مُجِيداً فِي الْأُصُولِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْأَدَبِ وَاللُّغَةِ وَالتَّحْوِ وَالْعُرُوضِ وَأَسْمَاءِ الرِّجَالِ وَالتَّارِيخِ وَالشَّعْرِ يَحْفَظُ لِلْعَرَبِ وَالْمَوْلُودِينَ وَالتَّأَخِرِينَ غَايَةَ فِي الطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةِ الْخَطُوطِ خُصُوصاً خُطُوطَ الْمَغَارِبَةِ قَدْ مَهَّرَ فِي ذَلِكَ وَبَرَعَ وَإِذَا تَحَدَّثَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَكَلَّمَ عَلَى دَقَائِقِهِ وَغَوَامِضِهِ وَنُكْتِهِ حَتَّى يَظُنَّ سَامِعُهُ إِنَّمَا أَفْتَى عَمْرَهُ فِي ذَلِكَ الْفَنِّ قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ قَاضِي الْقَضَاةِ أَبُو الْحَسَنِ السُّبُكِيِّ (20) وَهُوَ مَا هُوَ مَا اعْرِفَ أَحَدًا مِثْلَ الشَّيْخِ رُكْنِ الدِّينِ أَوْ كَمَا قَالَ وَقَدْ

(19) له ترجمة موسعة في الوافي بالوفيات 1 : 238-247 والدرر الكامنة 4 : 181-184.

(20) هو والد مؤلف طبقات الشافعية، انظر تعريف ولده به في الطبقات 10 : 139-339.

رَأَى جَمَاعَةً مَا أَتَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِنَظِيرٍ بَعْدَهُمْ مِثْلَ الشَّيْخِ وَحَكَى أَبُو الْفَتْحِ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ (21) أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَهُوَ شَابٌّ حَصَرُ سَوَاقِ الْكُتُبِ وَابْنُ النَّحَاسِ (22) شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ حَاضِرٌ وَكَانَ مَعَ الْمُتَنَادِي دِيوَانُ ابْنِ هَانِي الْمَغْرِبِيِّ فَأَخَذَهُ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ وَأَخَذَ يَتَرْتَمُ بِقَوْلِ ابْنِ هَانِي :

فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ سَيُوفُ أَيْبِكَ وَكُؤُسُ خَمْرِكَ أَمْ مَرَاشِفُ فَيْكِ
وَكَسَرَ الثَّاءَ وَفَتَحَ الْفَاءَ وَالسَّيْنَ وَالْفَاءَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ابْنُ النَّحَاسِ وَقَالَ لَهُ مَاذَا
إِلَّا نَصَبْتُ كَثِيرٌ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ بِتِلْكَ الْحِدَّةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْهُ وَالْمَعْرِفَةِ
أَنَا مَا أُعْرِفُ الَّذِي يَرِيدُ مِنْ رَفْعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَنَّهَا أَخْبَارٌ لِمَبْتَدَأَاتٍ مُقَدَّرَةٌ
أَيُّ هَذِهِ فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ كَذَا أَمْ كَذَا وَأَنَا الَّذِي أَقُولُهُ أَغْزَلُ وَتَقْدِيرُهُ أَقَاسِي
فَتَكَاتَ لِحْظُكَ أَمْ أَقَاسِي سَيُوفُ أَيْبِكَ وَأَرْشَفُ كُؤُسُ خَمْرِكَ أَمْ مَرَاشِفُ فَيْكِ
فَأَخْجَلَ ابْنَ النَّحَاسِ وَقَالَ يَا مُؤَلَّانَا فَلَمْ لَا تَتَصَدَّرُ وَتُشْغِلَ النَّاسَ فَقَالَ اسْتِخْفَافًا
بِالنَّحْوِ وَاحْتِقَارًا وَلَيْشَ هُوَ النَّحْوُ فِي الدُّنْيَا أَوْ كَمَا قَالَ حَكَمِيُّ أَيْضًا قَالَ كُنْتُ أَنَا
وَابْنُ الْكَفَّانِي نَأْخُذُ عَلَيْهِ فِي الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِقِيَّةِ فَأَبِيتُ لَيْلَتِي أَفَكَّرْتُ فِي الدَّرْسِ الَّذِي
نُصَبِّحُ نَأْخُذُهُ عَنْهُ وَاجْهَدُ قَرِيبَتِي وَأَعْمَلُ بِعَقْلِي وَفَهَمِي إِلَى أَنْ يَظْهَرَ لِي فِيهِ شَيْءٌ
اجْزَمُ بِأَنْ الْمُرَادُ بِهِ هَذَا فَإِذَا تَكَلَّمَ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ كُنْتُ أَنَا فِي وَادٍ وَهُوَ فِي وَادٍ أَوْ كَمَا قَالَ وَحَكَى الْمُرَاكُشِيُّ قَالَ قَالَ لِي الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ لَمَّا أَوْقَفَنِي
ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ عَلَى السَّيْرَةِ الَّتِي عَمَلَهَا عَلَّمْتُ فِيهَا عَلَى مِائَةِ وَأَرْبَعِينَ مَوْضِعًا أَوْ
سِتَّةَ وَعِشْرِينَ السَّهْوِ مَنِي أَوْ كَمَا قَالَ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مَرَّاتٍ يُوَاقِفُ ابْنَ سَيِّدِ النَّاسِ
فِي أَسْمَاءِ رِجَالٍ وَيَكْشِفُ عَلَيْهَا فَيُظْهِرُ مَعَهُ الصُّوَابَ قَالَ أَبُو الْصَّفَا (23) وَكُنْتُ
يَوْمًا أَنَا وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ سَيِّدِ النَّاسِ فَقَالَ قَالَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ (24) عَمِلَ
ابْنُ الْخَطِيبِ أَصُولًا فِي الدِّينِ الْأَصُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِرِهَا فَتَفَرَّ الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ وَقَالَ قُلْ

(21) له ترجمة مطولة في الوافي بالوفيات 1 : 289-311.

(22) انظر ترجمته في بغية الوعاة 1 : 13-14.

(23) هو خليل بن أيبك الصفدي.

(24) هو أشهر من أن يعرف به.

لَهُ يَا عُرَّةَ عَمَلِ النَّاسِ وَصَنَعُوا وَمَا افكروا فيكَ وَنَهَضَ قَائِمًا وَوَلَّى مُغَضِبًا قَالَ
وَأَخْبَرَنِي الشَّيْخُ فَتَحَ الدِّينَ قَالَ جَاءَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ يَصْحَحُ عَلَيْهِ فِي أَمَالِي الْقَالِي فَأَخَذَ
الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ يُسَابِقُهُ إِلَى الْفَاطِ الْكِتَابِ فَهَبَتْ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي نَحْوُ
عِشْرِينَ سَنَةً مَا كَرَّرْتُ عَلَيْهَا وَكَانَ إِذَا أُنْشِدَهُ أَحَدٌ شَيْئًا فِي أَيِّ مَعْنَى أُنْشِدَ فِيهِ
جَمَلَةٌ لِلْمُتَقَدِّمِينَ وَالتَّأَخِّرِينَ كَأَنَّهُ كَانَ يُكْرَرُ عَلَيْهِ تِلْكَ اللَّيْلَةُ؛ وَتَوَلَّى نِيَابَةَ الْحُكْمِ
لِلْقَاضِي الْمَالِكِيِّ بِالْقَاهِرَةِ مُدَّةً ثُمَّ تَرَكَهَا تَدِينًا مِنْهُ وَقَالَ يَتَعَذَّرُ فِيهَا بِرَأْيَةِ الذِّمَّةِ
وَكَانَ سِيرَتُهُ فِيهَا حَسَنَةً مَرْضِيَّةً وَكَانَ يَدْرُسُ فِي الْمَدْرَسَةِ الْمُنْكَسَمِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ
وَيَدْرُسُ الطَّبَّ بِالْبِيْمَارِسْتَانِ الْمَنْصُورِيِّ وَيَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ثُمَّ يَسْتَفِيقُ وَقَدْ أَخَذَ رَاحَةً
وَقَدْ أَخَذَ كِتَابَ الشِّفَاءِ لِابْنِ سِينَا يَنْظُرُ فِيهِ لَا يَكَادُ يَحِلُّ بِذَلِكَ قَالَ الشَّيْخُ فَتَحَ
الدِّينَ قُلْتُ لَهُ يَوْمًا يَا شَيْخَ رُكْنَ الدِّينِ إِلَى مَتَى تَنْظُرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فَقَالَ إِنَّمَا
أُرِيدُ اهْتِدِي وَكَانَ فِيهِ سَامَةٌ وَمَلَلٌ حَتَّى فِي لَعِبِ الشُّطْرَنْجِ يَكُونُ فِي وَسْطِ الدَّسْتِ
وَقَدْ نَفَضَهُ وَقَطَعَ لَذَّةَ صَاحِبِهِ وَيَقُولُ سِئِمْتُ سِئِمْتُ وَكَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ
فِي بَحْثٍ وَقَدْ حَرَّرَ لَكَ الْمَسْأَلَةَ وَكَادَتْ تَنْضَجُ فَيَتْرَكُ الْكَلَامَ وَيَمْضِي وَكَانَ حَسَنَ
التَّوَدُّدِ يَتَوَدَّدُ إِلَى النَّاسِ وَيُهْنِيهِمْ بِالشُّهُورِ وَالْمَوَاسِمِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى أَحَدٍ لِأَنَّهُ
كَانَ مَعَهُ مَالٌ لَهُ صُورَةٌ مَا يَقَارِبُ الْخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَكَانَ يَتَصَدَّقُ سِرًّا
عَلَى نَاسٍ مَخْصُوصِينَ وَلَشَغْتُهُ بِالرَّاءِ قَبِيحَةٌ يَجْعَلُهَا هَمْزَةً وَكَانَ إِذَا رَأَى أَحَدًا يَضْرِبُ
كَلْبًا أَوْ يُؤْذِيهِ يَخَاصُمُهُ وَيَنْهَرُهُ وَيَقُولُ لَهُ لِمَ تَفْعَلُ هَذَا أَمَا هُوَ شَرِيكَكَ فِي الْحَيَوَانِيَةِ
وَكَانَ خَطُّهُ عَلَى وَضْعِ الْمَغَارِبَةِ وَلَيْسَ بِحَسَنٍ وَسَمِعَ بِدَمَشَقَ سَنَةً إِحْدَى وَتَسْعِينَ
وَسِتْ مِائَةً عَلَى الْمُسْنَدِ تَقِي الدِّينِ ابْنَ الْوَاسِطِيِّ وَاسْتَعْزَلَتْهُ سَنَةً ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ
وَسَبْعَ مِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ بِاسْتِدْعَاءٍ فِيهِ نَثْرٌ وَنَظْمٌ فَأَجَابَ وَأَجَازَ وَأَجَادَ نَثْرًا وَنَظْمًا
أُنْشِدَنِي لِنَفْسِهِ إِجَازَةً :

جَوَى يَتَلَطَّى فِي الْفُؤَادِ اسْتَعَارَهُ	وَدَمَعَ هَتُونٌ لَا يَكْفُ انْهِمَارُهُ
يَحَاوُلُ هَذَا بَرْدَ ذَلِكَ بِصَوْبِهِ	وَلَيْسَ بِمَاءِ الْعَيْنِ تُطْفَأُ نَارُهُ
وَلَوْعًا يَمْنُ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ	فَحَازَ الْفُؤَادَ الْمُسْتَهَامَ اسَارَهُ
كَلِفْتُ بِهِ بِدْرِي مَا فَوْقَ طَوْرِهِ	وَدَ عَصِي مَا يُشْنِي عَلَيْهِ إِزَارُهُ
غَزَالَ لَهُ صَدْرِي كَنَاسٌ وَمَرْتَعٌ	وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْحُهُ وَعَرَارُهُ

فَازْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبَهَارُهُ
فَيَسْدُو بِأَنْفَاسِ الصَّعَادِ شَرَارُهُ
كَنُورِ الْأَقَاجِي حَفَّهُ جُلَّتَارُهُ
تَقَاوَحَ فِيهِ مَسْكُهُ وَعَقَارُهُ
يَحِيرُ فِكْرِي غَنَجُهُ وَاخْوِرَارُهُ
وَخَصْرًا نَحِيلاً غَالِ صَبْرِي احْتِضَارُهُ
فِيَا شَدَّ مَا يَلْقَى مِنَ الْجَارِ جَارُهُ
تَوَافَتْ بِهِ اَزْهَارُهُ وَتَمَارُهُ
وَعُصْنٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِّي اهْتِصَارُهُ
وَعُودِرَ عِنْدِي سُكْرُهُ وَخَمَارُهُ
وَلَكِنَّ بُعْدَا صَدُّهُ وَنَفَارُهُ
أَحْلَى بِي الْبَلَوَى وَسَاءَ اقْتِدَارُهُ

جَرَى سَابِحاً مَاءَ الشَّبَابِ بِرَوْضِهِ
يَشِيبُ ضِرَاماً فِي حَشَايَ نَعِيمِهِ
وَيَنْظُمُ دَمْعِي مِنْهُ نَظْمَ مُوشِرٍ
يُعَلِّ بِعَذَابٍ مِنْ بَرُودِ رُضَابِهِ
وَيَسْهَرُ أَجْفَانِي بَوْسَنَانِ أَدْعَجِ
حَكَائِي ضَعْفاً أَوْ حَكِي مِنْهُ مَوْثِقاً
مُعْتَى بِرَدْفٍ لَا يَنْوُءُ بِثَقْلِهِ
تَالَفَ فِي هَذَا وَذَا غَصْنَ بَانِهِ
زَلَّالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِّي وَرُودُهُ
وَسِلْسَالُ رَاحٍ صَدَّ عَنِّي كَاسُهُ
دَنَا وَنَاسِي فَالْدَارُ غَيْرَ بَعِيدَةٍ
وَحِينَ دَرَى أَنْ شَدَّ أَسْرِي حُبُّهُ

مِنْهَا :

كَمَا قَدْ حَكَى لَيْلِي ظَلَاماً نَهَارُهُ
وَسُقْمِي تَسَاوَى سُرُهُ وَجَهَارُهُ
أُمَامَ غَرَامٍ قَلَّ فِيكَ اسْتِثَارُهُ
بِمَنْ أَنْ يُعْنِيَ الْقُرْطُ اصْغِي سَوَارُهُ
وَلَمَّا يَقَارِبُ أَنْ يَدْبَّ عِذَارُهُ
وَجَنَّةَ قَلْبِي كَيْفَ مِنْكَ اسْتِعَارُهُ

حَكَّتْ لَيْلَتِي مِنْ فَقْدِي النَّوْمَ يَوْمَهَا
كَتَمْتُ الْهَوَى لَكِنْ بِدَمْعِي وَزَفَرْتِي
ثَلَاثَ سَجَلَاتٍ عَلَيَّ بِأَنْسِي
أُرْوِي بِنَظْمِي فِي الْعِذَارِ وَتَارَةً
وَجَلَّ الَّذِي أَهْوَى عَنْ الْحَلَى رُبَّةً
أَرَاخَةَ قَلْبِي كَيْفَ مِنْكَ عَذَابَهَا

وَتُوفِي الشَّيْخُ رُكْنَ الدِّينِ الْمَذْكُورُ بِالْقَاهِرَةِ فِي تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ
وَسَبْعِ مِائَةٍ وَاعْتَلَّ يَوْمَيْنِ وَمَضَى إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الرَّحِيمِ وَمَوْلَدُهُ سَنَةِ أَرْبَعِ وَسِتِينَ
بِتُونِسَ وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيفِ الَّتِي دَوَّنَهَا تَفْسِيرُ سُورَةِ ق فِي مَجْلَدَةٍ وَلَمَّا تَوَلَّى الْإِعَادَةَ
فِي الْمَدْرَسَةِ النَّاصِرِيَّةِ عَمَلَ دَرْساً فِي قَوْلِهِ إِنْ أَوَّلَ بَيِّنَةٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يَبْكُهُ
مُبَارَكاً وَعَلَّقَ مَا أَمْلَأَهُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ قَرَأَ التَّحْوَةَ عَلَى يَحْيَى بْنِ
الْفَرَجِ بْنِ زَيْتُونِ وَالْأَصُولِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَاضِي تُونِسَ وَقَدِيمَ مِصْرَ
عَامَ تِسْعِينَ وَسَبْعٍ بِدِمَشْقَ مِنْ آبَنِ الْوَاسِطِيِّ وَابْنِ الْقَوَاسِ .

ماحق

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّخَوِيُّ الْمَزْدَغِيّ الْفَاسِيّ⁽¹⁾، يُنسَبُ إِلَى مَزْدَغَةَ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ مِنَ الْبَرْبَرِ، كَانَ أَدِيباً نَحْوِيّاً فَاضِلاً عَارِفاً بِالْأَدَبِ وَالْعَرَبِيَّةِ، قَرَأَ عَلَى أَبِي ذَرٍّ مُصَنَّبَ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْجَبَّانِيَّ، وَأَخَذَ عِلْمَ الْأُصُولِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْكَتَّانِي الْفَاسِيَّ وَقَرَأَ عِلْمَ النَّحْوِ عَلَى أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ زَانِيفٍ، وَتَمَيَّزَ فِي الْعُلُومِ، وَتَصَدَّرَ لِإِفَادَتِهَا وَكَانَتْ لَهُ يَدٌ طَوَّلَى فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَاتِ وَالْآدَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَهُ شِعْرٌ حَسَنٌ، وَمِنْهُ مَا أُنْشَدَنِي الصَّاحِبُ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ ابْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَرَادَةَ الْفَقِيهَ الْحَنْفِيَّ أَيَّدَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ : أُنْشَدَنِي عُبيدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ الْمَرَّاشِي بِسِيَّاسٍ، قَالَ : أُنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَزْدَغِي لِنَفْسِهِ فِي أَخَوَيْنِ : أَحَدُهُمَا جَمِيلُ الصُّورَةِ وَالْآخَرُ أُحْدَبٌ طَوِيلُ السَّاقَيْنِ كَانَا يَحْضُرَانِ مَعَنَا الْحَلَقَةَ عِنْدَهُ :

فِي ابْنِي عَلِيٍّ إِنْ نَظَرْتُ عَجَائِبَ أَخَوَانِ : ظَبْيِي أَخَوْرٌ وَخَوَارُ
فَمِنْ الْجَمَالِ بَوَجْهِ ذَاكَ مُحَاسِنٌ وَمِنْ الْجَمَالِ بظَهْرِ ذَا آثَارُ⁽²⁾
(7 : 396)

(1) ترجمته ومصادرها في الذيل والتكملة 8 : 365.

(2) روى ابن عبد الملك المراكشي أنهما لابن عابد الفاسي، الذيل والتكملة 8 : 335.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
— أ —			
إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت	76	الكهف .	74
من لدي عذرا			
إنك لن تستطيع معي صبرا	67	الكهف .	74
— ت —			
ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا	14	المزمل ..	109
— خ —			
خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا .	2	الملك ...	106
— ذ —			
ذلك الفضل من الله وكفى بالله علما	70	النساء ..	217
— س —			
سنة الله التي قد نزلت من قبل، ولن تجد لسنة الله			
تبديلا	23	الفتح ...	106
— ق —			
قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني مباركا أين			
ما كنت	31-30	مريم	107
— ف —			
فما أتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون	36	النمل	89

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
- لا -			
لا علم لنا إلا ما علّمتنا	32	البقرة ..	174-173
- و -			
وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين	79	الأنعام ..	88
فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا	84	الإسراء .	107
وكان الشيطان للإنسان خذولا	29	الفرقان .	106
والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	228	البقرة ..	132
- ي -			
يا أيها النفس المطمئنة ارجعي	27	الفجر .	74
يا سماء اقلعي	44	هود ..	74

فهرس الأعلام

— أ —

- آدم : 85.
إبراهيم : 90.
إبراهيم الخليل : 88.
الأتراك : 11.
بنو الأثير : 207، 208.
إحسان عباس : 8.
أحمد بن عبد الواحد بن أبي الأصبغ : 27.
أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي : 28،
29، 30.
أحمد بن يوسف الجياني : 31.
أحمد بن يوسف الفرياني : 30.
إدريس المتأيد بن يحيى المعتلي الحسني :
210.
أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم
الأسكندري : 161.
أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الساحلي
المعروف بالطويحين : 207.
أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الكائمي :
25، 26، 27.
أبو إسحاق بن خفاجة الجزيري : 185.
أبو إسحاق بن عبد المؤمن : 175.
إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل البياسي :
54.
- الأشرف الأيوبي : 21.
ابن الأشيري : 6.
الأصفهاني : 5.
ابن أبي أصيبعة : 3.
ابن الأكفاني : 223.
الإمام الشافعي : 70، 81، 197، 209.
الأندلسيون : 8، 12، 21، 72، 104.
أهل البيت : 85، 173.

— ب —

- الباخري : 4.
البحثري : 4.
أبو بحر صفوان بن إدريس : 37.
البربر : 101، 153.
البرشوني : 188، 189.
أبو البركات بن المستوفى : 11، 20، 21،
22، 23، 31، 38، 45.
82، 104، 145، 148.
150، 168.
أبو البسام موسى بن عبد الله بن الحسين :
76.
ابن بطوطة : 6.
أبو بكر بن السراج : 102.

— ح —

- ابن الحاجب : 220.
الحافظ الذهبي : 3.
أبو حامد بشر بن حامد التبريزي : 120.
أبو الحجاج يوسف بن محمد الأندلي : 122.
أبو الحجاج يوسف بن محمد الأنصاري المنصفي : 162، 163.
ابن حجر العسقلاني : 3.
ابن الحداد : 159.
أبو الحسن ثابت بن ثابت الكلاعي : 184.
أبو الحسن رضا بن أحمد المالقي الهمداني : 183.
أبو الحسن السبكي : 222.
أبو الحسن علي : 215.
أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي : 8.
أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي التجيبي الأندلسي : 189، 190.
أبو الحسن علي بن أحمد بن فشتال : 14، 15.
أبو الحسن علي بن أحمد ابن حريق : 39، 53، 54، 202.
أبو الحسن علي بن إيداش : 52.
أبو الحسن علي بن خمير السبتي : 59.
أبو الحسن علي بن سعيد بن حمامة الصنهاجي التلكاقي : 62.
أبو الحسن علي شماس صاحب : 172.
أبو الحسن علي بن عبد الجبار القيرواني : 64.

- أبو بكر يزيد بن صقلاب المري الأندلسي : 39.
أبو بكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : 16، 128.
بنات الروم : 130.
بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلي : 167.
بهاء الدين أبو محمد الحسين بن إبراهيم بن الخشاب : 78.

— ت —

- تاج الدين أبو الحسين محمد بن أحمد بن علي القرطبي : 97، 99.
التبريزي : 220.
التتر : 6، 7، 117، 172.
ابن تغري بردي : 3.
تقي الدين ابن تيمية : 223.
تقي الدين أبو المناقب عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي : 59، 60.
تقي الدين ابن الواسطي : 224، 225.

— ج —

- ابن الجزري : 3.
أبو جعفر : 110.
أبو جعفر أحمد بن عطية : 12، 13.
أبو جعفر أحمد بن محمد ابن خولة السلمي : 178.
جعفر بن محمد بن عبد العزيز : 210.
أبو جعفر المنصور : 67.
ابن جني : 18.

— خ —

- ابن خروف : 42.
خزعل بن عسكر النحوي : 61.
أبو الخطاب بن دحية : 7، 12، 18،
75، 76، 78، 79، 82،
83، 84.
ابن الخطيب : 223.
الخطيري : 4.
خلف بن عبد العزيز بن محمد بن خلف بن
خلف القبتوري الإشبيلي :
210.
ابن خلكان : 3، 11، 12، 18.
الخليل : 220.
خليل بن أبيك الصفدي : 3، 223.
أبو الخير بدل بن أبو المعمر : 172،
192، 193.
أبو الخير بن أبي عمر : 46.
أبو الخير معاذ بن علي بن يونس بن المنصور
المغربي الصنهاجي : 173.

— د —

- داود بن يوسف : 165.
ابن الديبشي : 178.
بنو دحية الكلبي : 79.

— ر —

- أبو الربيع سليمان الموحدى : 12، 18،
32، 34.
ابن رشيد : 7.

- أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن
علي المراكشي : 59.
أبو الحسن علي بن فياض بن علي المغربي
الخليبي : 62.
أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم
القفطي : 62.
أبو الحسن علي بن يوسف بن محمد بن
الصفار المارديني : 30، 197،
198.
أبو الحسن مطرف : 181، 182.
الحسين : 77.
أبو الحسين بن حنيفة الزواوي : 158،
159، 160، 161.
أبو الحسين محمد بن أحمد ابن جبير :
112، 113، 114.
أبو الحسين محمد بن أحمد القرطبي : 60.
أبو الحسين يحيى بن الصايغ السبتي :
128.
أبو الحسين يحيى بن معطي بن عبد النور
المغربي النحوي : 103.
ابن الحصين : 16، 167، 168.
أبو حفص عمر بن الخضمر بن اللمش بن
ألدزمش التركي الدنيسري :
199.
أبو حفص عمر بن كرم بن الحسن
الدينوري : 124.
ابن حمويه : 13، 14، 15، 32، 110،
115.
أبو حيان الغرناطي : 7، 210، 211،
212، 213.

رشيد الدين محمد بن الحافظ عبد العظيم
المنذري : 202.

أبو الرضي أحمد بن طاهر : 117.

رضى الدين الشاطبي : 18.

رضى الشيببي : 22.

ركن الدين : 128.

ركن الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد
الرحمن : 222، 223، 224،

225.

أبو الروح عيسى بن محمد التاكربي
القرطبي : 8، 18، 38، 79،

103، 104، 168، 179.

الروم : 178، 202.

— ز —

أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يوسف بن
أحمد الحسن بن الأندلسي :

177.

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن مكى :
147.

أبو زكريا يحيى الحشني : 11، 145.

الزهري ابن شهاب : 219.

ابن زيدان : 42.

أبو زيد الفازلي المراكشي : 176.

زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن الأسدي
الحلبي : 106.

— س —

السخاوي : 3.

ابن السراج : 176.

سزكين : 4.

أبو السعادات أحمد بن محمد بن يوسف
المهامي الواسطي : 160.

أبو السعادات المبارك بن حمدان الموصلي :
198.

أبو سعد قيس بن عمر بن عمرو الغرابيلي
الدمشقي : 160.

أبو سعيد عثمان بن عبد المومن : 112.

أبو سعيد كوكبوري بن علي بن بكتكين :
11، 12، 18، 76، 77،

145، 173، 177، 188.

السفراء : 15.

سلمان : 126.

ابن السميل : 65.

ابن سناء الملك : 8.

سهل بن محمد بن أيوب بن مالك : 35.
سيبويه : 59.

السيد أبو الحسن : 15.

السيد أبو يحيى : 143.

— ش —

ابن شاعر الكندي : 3.

ابن الشجري : 4.

الشديد بن عمر القفصي : 51، 52.

ابن شرف : 183.

ابن الشعار : 4، 5، 7، 8، 10، 11،

13، 14، 15، 16، 17،

18، 19، 20، 21، 22،

23.

شمس الدين محمود بن قليج الحلبي : 166.
شهاب الدين القوصي : 49.

— ص —

أبو الصفا = خليل بن أبيك.
ابن صقر : 90.

صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن موسى
ابن يوسف بن أيوب بن
شادي : 46، 51، 52، 62،
164.

— ط —

أبو طالب بن يوسف : 117.
أبو طاهر بن أبي الركب : 171.

— ع —

أبو العباس أحمد بن أبي القاسم
الإسكندري : 177.

أبو العباس أحمد بن محمد الشريشي
المراكشي : 191.

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الأسدي
البيغي : 144.

أبو العباس أحمد بن المستضيء لأمر الله :
82.

أبو العباس أحمد بن مسعود السبتي : 36.
أبو العباس أحمد بن مسعود الأنصاري :
197، 198، 199.

أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي :
199، 200، 201، 202.

أبو العباس بن الشريسي : 27.

أبو العباس الفقيه : 103.
عبد الحق : 159.

عبد الرحمن بن علي : 42.

عبد الرحمن بن محمد الجزولي : 34.

عبد الرحمن بن يخلفتن : 41.

عبد السلام بن عبد الرحمن : 45.

عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن
عبد الرحمن النفزي الشاطبي
القصار : 91.

أبو عبد الله : 204.

عبد الله بن أحمد بن يوسف الفرياني
اللخمي : 78، 83، 92،
147.

عبد الله بن جحش : 87.

عبد الله بن حاتم الطائي : 127.

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب :
163.

أبو عبد الله الديلمي : 117.

أبو عبد الله الرصافي : 186.

أبو عبد الله السبتي : 184.

عبد الله بن عمرو الجويني الدمشقي : 25.

عبد الله المأمون : 85.

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن يوسف
الطننجي : 177، 178.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سليمان
الزهري الأندلسي : 117،

171، 172.

أبو عبد الله محمد بن إدريس ابن مرج
الكحل : 182.

أبو عبد الله محمد بن موسى بن عمران بن
سليمان القيسي : 175.

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن معنصر :
125، 190.

أبو عبد الله محمد بن يحيى المغربي : 27.
أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن عبد
المومن : 192.

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
البرزالي الغرناطي : 154،
155، 174.

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد
المنصفي الأنصاري : 163.

عبد الله بن مسلمة : 40.
أبو عبد الله النفزي : 183.

ابن عبد الملك : 17.

عبد المنعم بن عمر الجلياني : 46، 49،
50، 51، 52، 95.

عبد المومن : 12، 13، 173، 174.
بنو عبد المومن : 102، 147.

عبد الواحد التميمي المراكشي : 6.
عبد الوهاب بن علي المالقي : 182.

العجم : 171، 174.

ابن العديم =

العرب : 53، 132، 153.

عرب برقة : 200، 201.

ابن عربي الحاتمي : 7، 16، 202.

ابن العريف : 204.

العرزي : 5.

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد
الفاصي : 168.

أبو عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش :
128.

أبو عبد الله محمد بن سعيد بن زرقون
الأنصاري : 128، 171.

أبو عبد الله محمد بن سعيد الواسطي :
117.

أبو عبد الله محمد بن الصائغ الأموي :
220.

أبو عبد الله محمد بن عبد الظاهر بن هبة
الله بن الجمني : 120.

أبو عبد الله محمد بن أبي العباس أحمد بن
علي القسطلاني : 203.

أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن
الإدريسي : 118.

أبو عبد الله محمد بن عبد القاهر بن هبة
الله بن النصيبي : 84، 95.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن
علي بن عبد الواحد السبتي :
59، 60، 163.

أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد العقيلي
البيري : 215، 216.

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن
أبي العافية البلنسي : 38،
122.

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي البركات
السلالجي : 218.

أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن
البغدادي : 49.

- بنو عصرون : 70.
بنو عطية : 13.
عقيل بن أبي طالب : 215.
عكاشة بن محصن : 87.
علي بن أحمد بن فشتال : 58.
علي بن أحمد بن محمد الإشبيلي المعروف بالقسطار : 8، 60.
علي بن أبي بكر (عتيق بن محمد بن علي بن خلف بن أيوب الأنصاري) : 70.
أبو علي بن الحداد : 171.
أبو علي حسن بن علي بن شماس الإربلي : 192.
أبو علي الحسن بن المبارك بن محمد الزبيدي : 124، 192.
أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عبد الواحد بن عبد السيد : 188.
أبو علي الحسن بن أبي محمد عبد الصمد ابن الحسين بن عبد الحليم بن يوسف الماجري الدكالي : 193.
أبو علي الحسيني بن أحمد الحداد : 17.
علي بن سعيد بن حماسة التلكاتي : 61.
أبو علي ابن سينا : 105.
علي بن عبد الجبار بن محمد القيرواني المعروف بابن الزيات : 71.
علي بن عبد الرحمن بن إبراهيم الغطار : 165.
علي بن عبد الله ابن ورياش : 55، 56.
أبو علي عمر بن السلطان أبو سعيد : 215.
أبو علي عمر بن عبد المجيد بن عمر الأزدي : 186.
علي بن محمد بن أحمد المعروف بابن البياني الغرناطي : 67.
علي بن محمد بن يوسف بن مسعود القرطبي القيسي القبذاقي المعروف بابن خروف : 63، 64، 65.
أبو علي بن المهدي : 117.
العماد الأصفهاني : 22.
العماد الحنبلي : 3.
عماد الدين عثمان بن يوسف بن أيوب : 73.
العماد الكاتب : 14، 58.
العماد بن النوري : 166.
عمر : 52.
أبو عمران الموحدي : 18.
العمرى : 22.
عمر بن الخطاب : 122.
عمر بن عبد النور بن ماخوخ بن يوسف اللزني البجائي الصنهاجي : 89، 90.
عمر بن يوسف بن أبي بكر المعروف بابن التنسي : 95.
أبو عمرو بن غياث الأندلسي الشريسي : 181، 182.
عيسى بن سليمان بن عبد الله الرعيني الرندي : 96، 97، 99.

عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت
اليزدكنسي : 101، 103،
159.

— غ —

غازي بن يوسف : 16.
أبو الغنائم بن المهدي : 117.
غياث الدين غازي بن يوسف بن أيوب :
63، 167.

— ف —

فتح الدين : 224.
أبو الفتح ابن سيد الناس : 223.
أبو الفتح محمد بن بدل التبريزي : 67،
150.
أبو الفتح مسعود بن أبي الفضل النقاش
الحلي : 29، 197، 198.
الفتح بن موسى بن حماد : 7، 10، 105.
أبو الفتح نصر الله بن أبي العز ابن أبي
طالب الصفار الشيباني : 56.
أبو الفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر
البغدادى : 49.
أبو الفرج عبد القاهر بن عفيف بن عبد
القاهر بن سكرة الحلبي
الاسرائيلي : 64، 65.
أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن
كليب : 117.
أبو الفضل بن أبي الحجاج الأعمى : 184.
أبو الفضل عبد السلام بن بكران : 192.
أبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد

بن بلال الداهري : 105،
124.
أبو الفضل عمر بن علي بن محمد بن
عبيرة : 121.
فلك الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن هبة
الله بن علي المسيري : 105.
ابن فهد : 90.

— ق —

أبو القاسم بن أبي جعفر بن عطية : 13،
14، 110.
أبو القاسم بن الحصين : 117.
أبو القاسم خالد بن كامل الخفاف : 117.
أبو القاسم خالص بن أحمد بن خالص بن
أبي العباس الغافقي : 202،
203.
أبو القاسم الزرخشري : 7، 105.
أبو القاسم عبد الرحيم بن أحمد بن علي بن
طلحة الأنصاري السبتي : 41.
أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن
عساكر : 173.
أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن
العدم : 51، 95، 103،
155، 159.
أبو القاسم محمد بن محمد بن إبراهيم بن
الحسين بن سراقه الأنصاري :
123، 192.
أبو القاسم محمد بن محمد الشاطبي : 54.
أبو القاسم بن أبي النجيب بن أبي زيد
التبريزي : 89.

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن شداد
الموصلي : 94.

محمد بن علي : 76، 77، 87، 89.

أبو محمد : 152.

محمد بن إبراهيم بن أمية بن علي بن خلف
العبدري : 141.

محمد بن إدريس القللوسي : 212.

محمد بن أحمد بن إبراهيم الصديقي الشيبلي :
211.

محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي :
213.

محمد بن أحمد بن سليمان الزهري
الأندلسي : 117، 118.

محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن
سحمان البكري الشريسي :
140.

محمد بن أبي بكر بن أيوب : 78.

أبو محمد الحريري : 159.

أبو محمد بن حزم : 184.

محمد بن الحسين الطغرائي : 16.

محمد بن خالد الصديقي التلمساني : 131.

أبو محمد عبد الخالق بن عبد الوهاب ابن
الصابوني : 117.

محمد بن عبد الرحمن : 225.

أبو محمد عبد الرحمن بن بركات بن
شحاتة : 52.

أبو محمد عبد الصمد بن محمد التوزري :
213.

أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن عبد

القاضي الفاضل : 14، 58.

القاضي أبو القاسم : 79.

القالبي : 224.

القرطبي الدمشقي : 99.

قريش : 219.

ابن القطاع : 220.

القفطبي : 3.

القنجايري : 17.

ابن القواس : 225.

قضيب البان : 204.

القيسي : 178.

— ك —

الكردي : 59.

الكساد الشيبلي : 212.

كسرى : 85.

كمال الدين أبو المعالي موسى بن يونس :
90.

ابن الكويك : 207، 208.

— ل —

ابن لهيب : 64.

لؤلؤ بن عبد الله : 111.

— م —

مالك بن أنس : 39، 59، 124، 140.
المتنبي : 18.

أبو المتوكل الهيثم بن جعفر الشيبلي
الأندلسي : 187.

- العزیز ابن ہلالۃ المغربی
الأندلسی : 172.
- محمد بن عبد العزیز بن أبي القاسم بن
حمود : 119، 120.
- أبو محمد عبد القادر الرهاوي : 171.
- أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف
البغدادی : 200.
- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر
الشاطبي : 53.
- أبو محمد عبد الله الأنصاري السلاوي :
174، 175.
- أبو محمد عبد الله بن بري : 102، 159.
- محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك
الطائي : 7، 126.
- أبو محمد عبد الله بن عبيد الله الحنجري :
128.
- أبو محمد عبد الواحد بن عمر : 13،
110.
- أبو محمد بن عريد النحوي : 199.
- محمد بن علي البلنسي : 8.
- محمد بن علي بن محمد بن أحمد العربي
الحاتمي الطائي : 127، 130،
132، 133.
- محمد بن علي بن محمد بن علي القرموني
الأندلسي : 121.
- محمد بن عمر العماري الميورقي : 118.
- محمد بن قاسم بن عبد الكريم الفاسي :
128.
- محمد بن محمد بن محمد الطائي القفصي :
209.
- أبو محمد المراكشي : 91، 92، 95.
- محمد بن المفرض المصري : 179.
- المرزباني : 4.
- مسعود بن عبد الله التكروري : 172.
- المشاركة : 5، 8، 13.
- المظفر تقي الدين بن شاهنشاه : 62.
- مظفر الدين أبو الفتح موسى بن أبي بكر
ابن أيوب : 150.
- أبو المظفر المبارك بن طاهر الخزاعي :
171.
- أبو المظفر منصور بن سلم بن منصور
الاسكندري : 111.
- أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن أيوب :
200.
- المعتلي : 120.
- المعتمد بن عباد : 21، 149.
- ابن معط الزواوي : 7.
- أبو المعمر بن إسماعيل التبريزي : 124.
- المعمر أبو عيسى لب بن محمد : 185.
- المغاربة : 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12،
13، 18، 22، 224.
- المقري : 15.
- المقريزي : 3.
- ابن مقلة : 94.
- الملك الزاهر : 165، 166.
- ملوك الأندلس : 53.
- ملوك المغرب : 15.
- أبو المنصور ظافر بن الحسين المالكي
المصري : 102.

المنصور الموحدى : 11.
ابن منقذ الاسكندري : 111.
المهدي بن تومرت : 17.
المهذب بن الدخوار الدمشقي : 64، 66.
الموحدون : 6، 13، 14، 110.
أبو موسى : 101.
أبو موسى الجزولي : 7، 17.
أبو موسى عيسى بن سلامة الاسكندري :
112.
أبو موسى عيس بن يونس الغساني : 183.
المولى إدريس : 3.
مؤيد الدين أبو نصر إبراهيم بن يوسف بن
إبراهيم الشيباني : 156.

— ه —

ابن هانيء المغربي : 223.
هاشم بن حبيب البيهقي : 143، 144.
هاشم بن عبد الملك : 220.
ابن هود : 188.
الهيثم بن جعفر : 145.

— و —

وجيه الدين الأسكندري : 59.
أبو الوفاء الحسن بن علي بن الموصلي :
104.
أبو الوليد إسماعيل بن عبد الله بن إسماعيل
البياسي : 113.
أبو الوليد محمد بن الحسين الطغرائي :
167.
أبو الوليد يونس بن موسى السلاوي : 9.

— ي —

ياقوت الحموي : 12.
أبو يحيى : 19، 189.
يحيى : 79.
يحيى بن إسحاق الميورقي : 146.
يحيى بن سليمان بن شاذول الحريري :
148، 149، 150.

— ن —

ناصر الدين أبو المعالي محمد بن أبي بكر بن
أيوب : 76، 83، 159.
ناهض بن إدريس الوادي آشي : 19،
143.
أبو النجا الأندلسي : 203، 204.
نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين ابن
المجاور الدمشقي : 73.
نجم الدين أبو الفضل إلياس الإربلي :
127.
أبو النجم فرقد بن عبد الله بن ظافر بن عبد
الواحد الكتاني الاسكندري :
167.
ابن النحاس : 223.
نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن

- يحيى بن عهد الواحد بن عمر بن يحيى
التهتاني : 152.
- يحيى بن غانم الخزرجي : 154.
- يحيى بن الفرج بن زيتون : 225.
- يحيى بن محمد بن علي بن مازن بن مالك :
156.
- يحيى بن معطى : 158.
- يزيد بن صقلاب المري : 168.
- ابن اليسع : 6.
- أبو اليمن زيد بن الحسين الكندي : 80،
- 159، 200.
- يهودا الحريزي : 20، 21.
- يوسف : 72.
- يوسف بن رافع بن تميم الموصل : 76.
- يوسف بن محمد ابن المثلث : 165.
- أبو يوسف يعقوب بن عبد المومن : 14،
25.
- يونس بن موسى الأنصاري السلاوي :
166، 167.

فهرس الأماكن

— أ —

آمد : 104، 200.

إربل : 5، 7، 8، 10، 11، 12، 18،

20، 41، 45، 67، 76،

104، 105، 112، 122،

124، 125، 148، 150،

160، 171، 173، 174،

176، 179، 188، 190،

192، 193، 198.

أرزن : 104.

أسفي : 193.

الاسكندرية : 112، 113، 116،

153، 159، 200، 214.

إشبيلية : 9، 117، 174، 211.

أصهان : 117، 171.

أغمات : 14، 58، 78.

افريقية : 74، 95، 152، 199، 200.

ألبيرة : 165، 166.

أم القرى : 86.

الأندلس : 4، 8، 11، 14، 17، 21،

46، 58، 63، 70، 78،

79، 97، 112، 120،

140، 141، 147، 153،

172، 178، 182، 183،

185، 188، 189، 193،

212، 213.

— ب —

باب أجياد : 131.

باب الحزورة : 131.

بادية سبتة : 42.

بجاية : 147، 158.

بخارى : 7.

برجة : 183.

بروجرد : 117، 172.

بشكير : 97.

البصرة : 173.

بصرى : 85، 87.

بعلبك : 161.

بغداد : 5، 42، 59، 79، 117، 118،

128، 140، 171، 178،

192.

بلاد التكرور : 207.

بلاد الجبل : 117.

بلاد درعة : 217.

بلاد الروم : 128.

بلاد المغرب : 5، 6، 32، 52، 56.

بلّش : 213.

بلمالة : 97.

بلنسية : 70، 162، 182.

بونت : 39.

بياسة : 55.

الحجاز : 140.
حلب : 5، 15، 16، 20، 50، 54،
60، 62، 63، 64، 70،
79، 84، 92، 95، 103،
104، 106، 113، 120،
126، 129، 131، 141،
144، 147، 148، 154،
156، 161، 164، 167،
168، 197، 198، 202،
204.

حماة : 61.

— خ —

خراسان : 18، 76.
خوارزم : 173.

— د —

دار الحديث : 175، 176.
دار السلام : 67.
داريا : 56.
دانية : 78.
دجلة : 72.
دمشق : 5، 16، 32، 46، 49، 55،
56، 60، 67، 97، 98،
99، 113، 114، 121،
126، 128، 159، 160،
164، 167، 173، 200،
203، 204، 207، 224،
225.
دمياط : 109.
دنيسر : 5، 28، 197، 199.
ديار بكر : 104.

البيت الحرام : 214.
البيت العتيق : 210.
بيت المقدس : 46، 52.
بيرة : 188.
بيسان : 52.
بيغو : 143.
بیمارستان دمشق : 65.
البیمارستان المنصوري : 224.

— ت —

تاكرنا : 104، 179، 183.
ترمز : 7.
تلمسان : 15، 153، 156، 215.
تنس : 95.
تونس : 72، 153، 225.
تيفاش : 199.

— ج —

جبل قاسيون : 126، 128.
جرجرا : 158.
الجزائر : 159.
جزولة : 101.
الجزيرة الخضراء : 105.
جزيرة شقر : 185، 202.
جزيرة فوة : 204.
جليانة : 46، 52.
جيان : 126.

— ح —

حارة روبة : 113.

ديار مصر : 97، 140، 159.

— ط —

طبرية : 164.

طبيرة : 172.

طليطلة : 5، 20، 148.

طنجة : 10.

— ر —

رأس عين : 105.

رية : 187.

— س —

سبتة : 12، 36، 78، 79، 163.

سجلماسة : 32.

سلا : 15، 105، 166، 174، 175.

سمرقند : 178.

سميساط : 164، 165.

السند : 88.

السودان : 25، 32.

السوس الأقصى : 72.

سوسة : 71.

— ظ —

ظاهر حلب : 29.

— ع —

العراق : 6، 76، 204.

عمان : 87.

— غ —

غانة : 25، 32.

الغرب : 87، 120.

غرناطة : 19، 36، 46، 143، 144،

145، 154، 178، 179،

181.

غزنة : 178.

الغور : 178.

— ش —

شاطبة : 39، 40، 123، 192، 193.

الشام : 6، 9، 15، 42، 56، 63، 72،

76، 79، 85، 97، 115،

140، 159، 164، 204،

207.

شتل : 10، 100.

الشرق : 6، 21، 87، 193.

شقر : 182.

— ف —

فاس : 42، 105.

فريانة : 30.

— ق —

قابس : 218.

القاهرة : 78، 189، 200، 201،

202، 209، 213، 216،

— ص —

صنعاء : 87.

الصين : 6.

.201، 200، 153، 78
مصر : 6، 8، 73، 78، 79، 101،
102، 207، 208، 209،
210، 213، 215، 218،
.225
المغرب : 5، 6، 14، 15، 21، 25،
32، 61، 74، 102، 124،
126، 147، 153، 159،
166، 173، 174، 176،
.216

المغرب الأقصى : 153.
مقبرة الجامع العتيق : 72.
مكة : 85، 117، 131.

ملطية : 128.
المنصف : 162.
الموصل : 5، 11، 72، 90، 161،
.204
مينارة : 175.
ميورقة : 141، 146، 188، 189.

— ن —

نسا : 7.
نشاوور : 171.
نيسابور : 173.

— ه —

هراة : 178، 179.
الهند : 6، 88، 178، 197.

— و —

وادي آش : 19، 143.
ودان : 146.
وهران : 55.

.225، 224، 220، 218
قرطبة : 16، 104، 128، 179.
قزوين : 7.
قسطنطينية : 125.
قسطنطينية الهواء : 190.
القصر الكبير : 7، 10.
قصر كتامة : 105.
قفصة : 199، 200، 201.
قونية : 128.
القيروان : 30.

— ك —

كرمان : 178.
الكعبة : 160.

— م —

مالقة : 10، 96، 97، 100.
المدرسة البدرية : 72.
المدرسة الشهاية : 197، 199.
المدرسة المنكنمرية : 224.
المدرسة الناصرية : 225.
المدرسة النظامية : 7، 105.
المدينة : 204.

مدينة السلام : 105، 111، 124.
مراكش : 13، 14، 25، 32، 41،
59، 78، 101، 102،
108، 110، 193.

مرسية : 127، 202.

المرية : 52، 102، 168، 184.

المسجد الأقصى : 86.

المسجد الحرام : 86.

المشرق : 6، 7، 12، 14، 15، 21،

فهرس الأشعار

26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	— البسيط	3	— شرف	ما بعد
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	— الطويل	2	— اعجم	سمعت
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	— البسيط	4	— صبر	غيري
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	— البسيط	2	— هاجي	وقائل
26	إبراهيم بن يعقوب الكاظمي	— الوافر	2	— حجاب	أزال
27	ابن الشريسي	— الطويل	8	— ودليلها	يكلفني
28	ابن الشريسي	— الكامل	2	— مقيم	يا غائباً
28	ابن الشريسي	— غ البسيط	2	— تمادا	عمر ك
29	أبو العباس القرطبي	— الكامل	5	— العشاق	وقع
29	أبو العباس القرطبي	— الطويل	8	— بمغناكم	أرى
29	أبو العباس القرطبي	— الطويل	4	— خمرا	أعانقه
30	أبو العباس القرطبي	— غ البسيط	2	— واجد	راض
30	أبو العباس القرطبي	— الوافر	2	— عجب	وفي
30	أبو العباس القرطبي	— الرجز	2	— الأجل	يا ظبي
31	أبو العباس أحمد الفرياني	— البسيط	2	— والصحف	أما
31	أبو محمد الجياني	— الطويل	8	— عميد	أحبات
33	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	— الكامل	19	— الطلع	هبت
34	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	— الوافر	14	— جديداً	لقاؤك
35	أبو الربيع سليمان بن عبد الله	— الكامل	8	— مشغولا	يا سائلي
36	سهل بن مالك	— الكامل	3	— حاله	لما
36	سهل بن مالك	— غ البسيط	3	— بين	يا من
36	ابن أبي الحسن سهل بن مالك	— غ البسيط	3	— زين	يا واحد
38	صفوان بن إدريس	— الكامل	13	— حركاته	يا حسنه
39	صفوان بن إدريس	— السريع	2	— سلماً	سلم
39	البونتي	— الخفيف	5	— نظاما	ما حبيب
40	عبد الله بن مسلمة	— المتقارب	2	— حضر	غدا

أشبهت	— وليّتا	— 2	— المتقارب	— عبد الله بن مسلمة	40
أزید	— الوجد	— 10	— الطويل	— أبو زيد الفازاري	41
وافى	— فآثره	— 14	— البسيط	— عبد الرحمن بن علي الغماري ..	42
سرث	— الصبح	— 7	— الطويل	— عبد الرحمن بن علي الغماري ..	43
عبث	— نواره	— 26	— الكامل	— عبد الرحمن بن علي الغماري ..	43
رويدك	— الغرور	— 12	— الوافر	— عبدالسلام بن عبدالرحمن الفرياني	45
لقد	— التأبدا	— 41	— الطويل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	46
يا ساهراً	— محكم	— 6	— مخ البسيط	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	48
عجبت	— الرجال	— 4	— الوافر	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	48
قالوا	— متعرض	— 3	— الكامل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	49
أشد	— داء	— 4	— المتقارب	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	49
قالوا	— ورغ	— 4	— البسيط	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	49
إن	— والآراء	— 2	— البسيط	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	49
وصفراء	— ذائب	— 2	— الطويل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	50
حاول	— أولاً	— 2	— الكامل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	50
وقائلة	— فلان	— 9	— الطويل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	50
قالت	— الفندا	— 8	— البسيط	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	50
قالوا	— عزيز	— 10	— الكامل	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	51
وقائلة	— لباسا	— 5	— المتقارب	— عبد المنعم بن عمر الجلياني	52
عبروني	— الهيام	— 6	— الخفيف	— عبد المنعم الجلياني	53
لم	— وأسنى	— 2	— الخفيف	— ابن حريق	54
وكتب	— تكلم	— 2	— الرجز	— ابن حريق	54
يا ويح	— بالمشرق	— 3	— الكامل	— ابن حريق	54
يا ليلة	— دهري	— 3	— مخ البسيط	— ابن حريق	54
يا صاحبي	— الأدمع	— 8	— الكامل	— ابن حريق	55
أصبحت	— شتام	— 3	— البسيط	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	56
أما	— طليق	— 4	— الوافر	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	56
ويوم	— يتفلق	— 3	— الطويل	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	56
علي	— فلسين	— 4	— الطويل	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	57
وراهب	— ذهبة	— 2	— البسيط	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	57
لله	— يرتقص	— 2	— البسيط	— علي بن عبد الله ورياش الوهرائي	57

هبت	— وصبا	— 13	— البسيط	— علي بن عبد الله ورياش الهمراني	57
رأيتُ	— غد	— 2	— الطويل	— علي بن أحمد بن فشتال	58
خلعتُ	— الخلع	— 9	— الطويل	— علي بن عبد الرحمن المراكشي ..	59
إذا	— المكرم	— 7	— الطويل	— ابن خنير السبتي	60
سقاني	— أشربُ	— 2	— الطويل	— القسطار	60
يا سائلي	— سكنا	— 3	— البسيط	— القسطار	60
جرت	— متعينُ	— 3	— الكامل	— القسطار	61
لهفي	— العدا	— 6	— الكامل	— القسطار	61
ولابسة	— ومسكنا	— 5	— الطويل	— علي بن سعيد بن حمامة	62
غنى	— لها	— 6	— البسيط	— علي بن سعيد بن حمامة	63
باناء	— الأشقر	— 2	— الكامل	— علي بن سعيد بن حمامة	63
ابن	— النبيه	— 2	— المجتث	— أبو الحسن علي بن خروف	64
بهاء الدين	— والحسب	— 4	— مع الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	64
إن	— والعملا	— 4	— البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
ما أعجب	— أدواحُ	— 3	— البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
أنت	— طبا	— 1	— غ البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	65
أيا	— الرثاء	— 3	— الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	65
مولاي	— والخوف	— 2	— السريع	— أبو الحسن علي بن خروف	65
ومنوع	— لباميه	— 4	— الكامل	— أبو الحسن علي بن خروف	65
لله	— وصداح	— 5	— البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	66
يا من	— الفروحا	— 2	— غ البسيط	— أبو الحسن علي بن خروف	66
أنا	— روحُ	— 2	— مع الرمل	— أبو الحسن علي بن خروف	66
تجرر	— نجله	— 2	— الوافر	— أبو الحسن علي بن خروف	66
لك	— واللهزم	—	— الكامل	— أبو الحسن علي بن خروف	67
حرمُ	— مسلم	— 53	— الكامل	— ابن البياني	67
ثق	— ويرشدُ	— 20	— الكامل	— أبو الحسن الأنصاري	70
يا جامعُ	— تجمعُ	— 3	— الكامل	— أبو الحسن الأنصاري	71
أبطرفه	— حريقه	— 14	— الكامل	— ابن الزيات	72
منعت	— يحجبا	— 23	— الكامل	— ابن الزيات	73
شفق	— ربيعهُ	— 9	— الكامل	— ابن الزيات	75
وأعيد	— صواحيه	— 3	— البسيط	— ابن الزيات	75

77 ابن دحية	الكامل	11	—	مخايل	—	ملك
80 ابن دحية	الطويل	5	—	دما	—	ففرجسها
80 ابن دحية	البسيط	3	—	ولييث	—	لما
81 ابن دحية	الكامل	25	—	ومقيد	—	هذا
82 ابن دحية	الكامل	3	—	العباس	—	ترتاح
82 ابن دحية	مج الكامل	16	—	ما وهموا	—	لولا
83 ابن دحية	البسيط	—	—	الوان	—	ألا
83 ابن دحية	الطويل	—	—	براكب	—	يفتحك
84 ابن دحية	الوافر	—	—	ذراكا	—	فديتك
84 ابن دحية	الطويل	—	—	أقصد	—	فوالله
84 ابن دحية	المديد	11	—	يتبع	—	أيها
90 عمر بن عبد النور	الكامل	2	—	الخيلائ	—	وبعقر
90 عمر بن عبد النور	الطويل	2	—	صدا	—	كستني
90 عمر بن عبد النور	الكامل	2	—	أزهر	—	هني
90 عمر بن عبد النور	الطويل	2	—	يرام	—	أليس
90 عمر بن عبد النور	الطويل	3	—	يطمخ	—	كال
91 عمر بن عبد النور	الوافر	3	—	والرسوم	—	نجر
91 عمر بن عبد النور	الطويل	13	—	المواقع	—	أغراك
92 أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم	البسيط	55	—	السمر	—	يا من
95 أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم	الكامن	7	—	الكساب	—	اصبر
96 ابن التنسي	الطويل	11	—	أصغرا	—	وقائلة
97 عيسى بن سليمان المالقي	الطويل	31	—	فاعل	—	لك
98 عيسى بن سليمان المالقي	البسيط	14	—	واخترعوا	—	قل
99 عيسى بن سليمان المالقي	الكامل	4	—	سنان	—	من
100 عيسى بن سليمان المالقي	البسيط	8	—	والوطن	—	هذا
100 عيسى بن سليمان المالقي	الوافر	9	—	شقاقي	—	أهيم
100 عيسى بن سليمان المالقي	الطويل	15	—	يجدي	—	خليلي
103 أبو موسى الجزولي	السريع	8	—	مستكبر	—	أقول
105 الفتح بن موسى بن حماد	الكامل	5	—	وقرار	—	يا إربل
107 الفتح بن موسى بن حماد	البسيط	37	—	ولا تعد	—	ما شئت
109 الفتح بن موسى بن حماد	البسيط	21	—	والصليب	—	الله

112	محمد بن أحمد بن جبير	— 14 —	الرميل	—	منى	يا وفود
113	محمد بن أحمد بن جبير	— 2 —	الوافر	—	بذار	أراك
113	محمد بن أحمد بن جبير	— 2 —	الوافر	—	وشابا	ينيل
113	محمد بن أحمد بن جبير	— 7 —	الكامل	—	أهواه	يا زائرا
114	محمد بن أحمد بن جبير	— 1 —	المتقارب	—	نابا	صحت
114	محمد بن أحمد بن جبير	— 2 —	المتقارب	—	وتأى	أقصر
114	محمد بن أحمد بن جبير	— 11 —	المتقارب	—	اعتذار	خلعت
114	محمد بن أحمد بن جبير	— 7 —	الوافر	—	الحداد	بني
118	محمد بن سعيد الواسطي	— 5 —	الطويل	—	الزهري	إذا
118	أبو عبد الله الزهري	— 7 —	الطويل	—	والخير	أيا
120	أبو جعفر الحسني	— 3 —	البيسط	—	إبليس	كل
121	أبو جعفر الحسني	— 5 —	الكامل	—	الاسلام	بدلائل
121	محمد بن علي اليحصبي	— 9 —	مج الكامل	—	أبا الحسن	يا طالبا
122	أبو عبد الله البنسي العمري ...	— 7 —	الكامل	—	فتكائه	ومنهف
123	أبو عبد الله البنسي العمري ...	— 9 —	الكامل	—	متم	يا سيدا
124	محمد بن محمد بن سراقه الشاطبي	— 5 —	الطويل	—	لا تقضى	إلى
124	محمد بن محمد بن سراقه الشاطبي	— 13 —	طويل	—	حبور	لقاؤك
125	محمد بن يحيى القسطنطيني	— 5 —	الكامل	—	يريني	إن
126	محمد بن يحيى القسطنطيني	— 2 —	الكامل	—	عنادي	لو
126	ابن مالك	— 2 —	البيسط	—	مرتقبا	يفر
126	ابن مالك	— 2 —	الكامل	—	فحرام	ما
127	ابن مالك	— 4 —	الخفيف	—	فعل	اسم
127	ابن مالك	— 2 —	الطويل	—	يعرب	عجبت
127	ابن مالك	— 5 —	المجث	—	ظنونا	وفتية
127	ابن مالك	— 2 —	بسيط	—	بيستان	قالت
127	ابن مالك	— 4 —	الكامل	—	صدره	الاعتراف
128	ابن مالك	— 2 —	الطويل	—	مخلدا	هبوط
128	ابن مالك	— 3 —	الطويل	—	وجودها	خلوت
129	ابن مالك	— 7 —	الطويل	—	أشجاني	ألا
130	ابن مالك	— 4 —	مج الرمل	—	ملكوا	ليت
132	ابن مالك	— 9 —	طويل	—	يلملم	خيلي

133 ابن مالك	— طويل	6 —	— يسلم	سلام
133 ابن مالك	— طويل	8 —	— معتجرات	وزاحني
134 ابن العربي	— الكامل	11 —	— البلقع	قف
134 ابن العربي	— مج الرجز	20 —	— الأجرع	بين
135 ابن العربي	— الوافر	4 —	— الشجون	أطارح
135 ابن العربي	— الكامل	3 —	— الغيد	عند
135 ابن العربي	— طويل	3 —	— معتجرات	ثلاث
136 ابن العربي	— البسيط	8 —	— والحجر	نفسى
136 ابن العربي	— بسيط	14 —	— حرب	بين
137 ابن العربي	— السريع	5 —	— الفضا	جماعة
137 ابن العربي	— الرجز	13 —	— بالمدرج	يا حادي
138 ابن العربي	— الطويل	8 —	— العهد	ألا
139 ابن العربي	— متقارب	15 —	— الساحر	لطيفة
140 محمد البكري الشريسي	— البسيط	5 —	— وتنثرها	ما إن
140 محمد البكري الشريسي	— طويل	4 —	— قائم	لقد
140 محمد البكري الشريسي	— الكامل	13 —	— جميل	هلا
141 محمد البكري الشريسي	— الكامل	15 —	— وسريه	عج
142 محمد البكري الشريسي	— طويل	11 —	— هبا	سلام
142 محمد البكري الشريسي	— الطويل	2 —	— عتابه	أشم
143 محمد البكري الشريسي	— الطويل	7 —	— مطالع	خليلي
143 ناهض بن إدريس الواداشي	— طويل	4 —	— أقواس	ألا
144 أبو الوليد هاشم بن حبيب	— الكامل	5 —	— مناما	بان
145 الهيثم بن جعفر	— بسيط	2 —	— العار	بأرض
145 الهيثم بن جعفر	— الخفيف	3 —	— بن رشد	هل
146 يحيى بن أحمد بن يوسف	— بسيط	6 —	— هتان	يا دوحة
146 يحيى بن اسحاق	— الخفيف	1 —	— نعالاً	حفيت
147 يحيى بن أبي بكر بن مكى	— البسيط	3 —	— وتفترض	يا خامس
147 يحيى بن أبي بكر بن مكى	— طويل	10 —	— ما أهدى	بكيت
149 يحيى بن سليمان بن شاذول	— طويل	16 —	— سري	أما
150 يحيى بن سليمان بن شاذول	— الكامل	9 —	— نصول	بسيوف
150 يحيى بن سليمان بن شاذول	— الكامل	27 —	— قضباؤها	ارض

وضعت	—	الذهب	—	4	—	الخفيف	—	يحيى بن سليمان بن شاذول ...	153
حنانيك	—	مضرماً	—	9	—	الطويل	—	يحيى بن سليمان بن شاذول ...	153
خليلي	—	مطلب	—	12	—	الطويل	—	يحيى بن غانم	154
الحمد	—	وراحتُهُ	—	10	—	البسيط	—	يحيى بن غانم	155
لولا	—	بالذون	—	12	—	الكامل	—	يحيى بن غانم	155
سرورك	—	عصيمُ	—	21	—	الطويل	—	أبو زكريا الخزرجي	156
ومنزه	—	وبهائيه	—	6	—	الكامل	—	أبو زكريا الخزرجي	157
ومهفف	—	والذبلُ	—	3	—	الكامل	—	أبو زكريا الخزرجي	158
أنامله	—	فيرسمُ	—	2	—	الطويل	—	أبو زكريا الخزرجي	158
وباكية	—	مراسها	—	2	—	الطويل	—	أبو زكريا الخزرجي	158
كل	—	بنفسج	—	2	—	الكامل	—	أبو زكريا الخزرجي	158
ولما	—	جفاكا	—	4	—	الطويل	—	يحيى بن معطى	160
ولما	—	نقابها	—	3	—	الطويل	—	يحيى بن معطى	160
نزلنا	—	خلودنا	—	2	—	الطويل	—	يحيى بن معطى	160
رأي	—	أقربُ	—	2	—	الطويل	—	يحيى بن معطى	160
يقولُ	—	عبد النور	—	16	—	الرجز	—	يحيى بن معطى	160
ذهب	—	البيهي	—	17	—	الكامل	—	يحيى بن معطى	161
بين	—	فتكاث	—	22	—	الرمل	—	محمد بن يوسف المنصفي	163
قالوا	—	لهمُ	—	2	—	البسيط	—	يوسف بن الملمم	164
لا	—	وعلي	—	4	—	البسيط	—	يوسف بن الملمم	165
شوقي	—	يُجَمِّلُ	—	4	—	مج الكامل	—	يوسف بن الملمم	165
يا ملك	—	وذريّة	—	2	—		—	يوسف بن الملمم	166
قل	—	بالطبع	—	4	—	السريع	—	يوسف بن الملمم	166
أملت	—	وتفنيذ	—	22	—	البسيط	—	أبو الوليد الأنصاري	166
قُلْ	—	تشعر	—	4	—	السريع	—	أبو الوليد الأنصاري	168
أهدى	—	فما	—	2	—	الكامل	—	يزيد بن صقلاب	168
جاءتك	—	تبتخر	—	4	—	الكامل	—	أبو طاهر ابن أبي الركب	171
اتيتُ	—	وخيماً	—	2	—	المتقارب	—	أبو عبد الله الزهري	172
يا ذا	—	إلها	—	2	—	الكامل	—	الفقيه الصنهاجي	173
أحباب	—	لديكمُ	—	2	—	الطويل	—	أبو محمد عبد الله الأنصاري ...	175
ألا	—	المحاجر	—	4	—	الطويل	—	أبو عبد الله السلاوي	176

176 أبو زيد الفازازي	الطويل	7	—	الصَّب	لعمرى
177 الواعظ المغربي	البسيط	6	—	هتَان	يا دوحة
177 المغربي الطنجي	البسيط	3	—	كانا	يا طنجة
178 المغربي الطنجي	الطويل	3	—	ويحسن	تركت
178 ابن خولة	الوافر	4	—	واكتئابُ	إذا
179 ابن المفرض	الكامل	1	—	تحكيه	بركات
179 أبو الروح	الكامل	3	—	فيه	هذا
180 أبو الروح	البسيط	2	—	وأسحارا	إن
180 أبو الروح	الكامل	4	—	سميعا	أوصيت
180 أبو الروح	البسيط	2	—	والقمرا	يا رب
180 أبو الروح	البسيط	5	—	حلكا	سفرت
180 أبو الروح	الكامل	2	—	قرارُ	يا قلب
181 أبو الروح	البسيط	4	—	يشهره	وزائر
181 ابن غياث	الطويل	3	—	الصَّبَا	صوت
181 ابن غياث	السريع	3	—	في أضلعي	أودع
181 مطرف الغرناطي	الخفيف	2	—	جواد	أنا
182 مطرف الغرناطي	السريع	4	—	تسجع	وفي فروع
182 عبد الوهاب المالقي	المتقارب	2	—	أخضر	كان
182 ابن مرج الكحل	الوافر	3	—	مدام	وعندي
182 ابن مرج الكحل	الوافر	2	—	ريشي	أبا
183 غانم المالقي	السريع	2	—	الوقار	الصبر
183 غانم المالقي	البسيط	2	—	للمحبين	صبر
183 ابن شرف	الطويل	2	—	اليأس	مواعيدكم
183 ابن شرف	الكامل	3	—	وتكرم	صنم
184 أبو الفضل الأعلام	الكامل	2	—	خَدَه	وعشية
184 ابن حزم	الطويل	2	—	الهند	أنمُ
184 أبو عبد الله السبتي	المنسرح	9	—	عين	ينخرك
185 ابن خفاجة	الكامل	3	—	وتدمث	وعشي
185 ابن خفاجة	السريع	2	—	دارا	يدير
185 ابن خفاجة	الخفيف	2	—	الغمام	كلما
185 ابن خفاجة	الطويل	6	—	السكر	تعلقته

186 الرصافي البنسي	— الكامل	2 —	— لقائه	ومفهف
186 الرصافي البنسي	— الطويل	2 —	— ذيول	بدا
186 الرصافي البنسي	— الكامل	3 —	— لصفائه	ومرقق
186 الرصافي البنسي	— الطويل	3 —	— صفر	عذيري
187 الهيثم الاشيلي	— البسيط	2 —	— العار	بأرض
187 الهيثم الاشيلي	— الخفيف	3 —	— رشد	هل
187 أبو الروح التاكري	— الطويل	3 —	— العمر	سلم
188 أبو الروح التاكري	— الكامل	3 —	— سعود	يا ماجداً
189 أبو علي الأندلسي	— الكامل	7 —	— فتنجلي	يا ماجداً
189 الحرالي	— الكامل	7 —	— توحشا	وهويت
190 الحرالي	— الخفيف	4 —	— صد	بأي
190 التلكاتي	— الكامل	7 —	— يبريني	إن
191 التلكاتي	— الكامل	2 —	— عنادي	لو
191 الشريشي	— الكامل	2 —	— ماجد	لو
191 الشريشي	— الطويل	8 —	— ودليلها	تكلفني
192 ابن سراقه	— الطويل	5 —	— لا تقضى	إلى
192 ابن شماس	— الخفيف	1 —	— نعم	تلك
192 ابن سراقه	— الخفيف	3 —	— تعمى	بأي
192 ابن سراقه	— الطويل	13 —	— حبور	لقاؤك
194 أبي علي الدكالي	— الطويل	14 —	— عجائب	ألا
194 أبو علي الدكالي	— الطويل	1 —	— المراميا	يقيم
197 أحمد بن مسعود القرطبي	— الطويل	4 —	— خمر	أعانقه
198 أحمد بن مسعود القرطبي	— الطويل	3 —	— عهدنا	أبا الفتح
198 أحمد بن مسعود القرطبي	— الوافر	2 —	— عجيب	وفي الوجنات
198 أحمد بن مسعود القرطبي	— الرجز	2 —	— الأجل	يا ظبي
198 أحمد بن مسعود القرطبي	— البسيط	2 —	— واجد	راضر
201 التيفاشي	— الخفيف	4 —	— سعيد	سعد
201 التيفاشي	— البسيط	10 —	— الشجر	يا طيب
202 ابن حريق	— البسيط	5 —	— دهري	يا ليلة
203 ابن خالص	— الطويل	6 —	— جاهد	سرت
203 ابن خالص	— الوافر	3 —	— هين	لا هل

208 الساحلي	— الكامل	7 —	— الأحداق	والخال
208 الساحلي	— البسيط	18 —	— مضطرم	تألق
210 محمد القفصي	— المتقارب	2 —	— الجارية	سقى
210 القبتوري	— البسيط	2 —	— وآمالي	واحسرتا
211 جعفر الإدريسي	— البسيط	2 —	— نصبا	يا أهيل
211 الصدي الاشيلي	— البسيط	3 —	— آخره	ما بي
212 الكساد	— البسيط	4 —	— الشعر	كان
212 القللو سي	— البسيط	2 —	— والفكر	لا تنكرون
213 محمد التجيبي	— الكامل	2 —	— شيان	أحوى
219 السلاجي	— الكامل	7 —	— أزاهر	بادر
221 ابن الصائغ	— الكامل	6 —	— الخطاف	برق
222 ابن الصائغ	— الكامل	5 —	— الآماق	بعد
223 ابن هانيء	— الكامل	1 —	— فيك	فتكات
224 ابن القويع	— الطويل	23 —	— انهماره	جوى

فهرس الكتب

التنوير في مولد السراج المنير : 18، 76،
77.

— ج —

جمع العلوم الكميات في قوله الأعمال
بالنيات : 78.
الجمهرة : 159.

— ح —

حلية السرين من خواص الدينسرين :
199.
الحين إلى الأوطان الغالب على النفس هواه
والهوى سلطان : 9، 97، 99.

— خ —

خريدة القصر : 4.

— د —

الدرة الألفية : 160.
الدرة الفائقة في محاسن الأفارقة : 152،
200.
دمية القصر : 4.

— ر —

الروضة الأنيقة : 20.
الروض الممطور في أوصاف الخمور وما
يتعلق بها من الشذور : 8،
122.

— أ —

الابتهاج في أحاديث المعراج : 78.
الأحكام : 120، 159.
الأخبار في علم الأخبار : 18.
الاختيار في علم الأخبار : 197.
آداب ما وجب في بيان وضع ما ورد في
رجب : 78.
الارتقا إلى أفضل الرق : 78.
الاشادة : 5.
الاشارات : 7، 105.
أمالى القالى : 224.
الآيات البينات فيما خص الله تعالى به
أعضاء نبيه من المعجزات : 78.
الإيضاح : 172.

— ب —

بستان الألباب : 89.
البسيط : 192.

— ت —

تاريخ النقد العربى : 8.
تحفة الوزراء : 4.
تفسير سورة ق : 225.
تقريب المطالب والقوانين في أصول الدين :
18.
التلقين : 140.

— ز —

زناد المقتبس في ملح أهل الأندلس : 62.
زينة الدهر : 4.

— ش —

الشافي في علم العروض والقوافي : 122.
الإيضاح : 117.
شرح الجمل : 159.
شرح اليميني : 117.
الشفاء : 224.

— ص —

الصباح : 159.
صحيح مسلم : 79.

— ع —

العُتبي اليميني : 172.
العلم المشهور في فوائد الأيام والشهور :
77، 80.

— غ —

الغاية في النحو : 159.

— ف —

الفتوحات المكية : 127.
الفصيح : 159.

— ق —

القبس في علم العروض : 159.

— م —

مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربين :
76، 77.

المطرب في أشعار أهل المغرب : 78.
معجم الشعراء : 4.

المغرب : 201.
المفصل : 7، 105.
المقامات : 20، 148.
المقدمة الجزولية : 105.
المستوفى في شرف المصطفى : 78.
مناح المادح وروضة المآثر والمفاخر من
خصائص الملك الناصر : 51.
من ألقم الحجر إذ كذب وفجر : 78،
79.
الموطأ : 79.

— ن —

النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس : 77،
82.
نثر الدرر في فضل من تمسك بسنة سيد
البشر : 78.
نفائس الأعلاق في مآثر العشاق : 62.
النكت العربية في شرح الجزولية : 122.

— ه —

الهندي إلى ضلال الكندي : 78.

— و —

وهج الجمر في تحريم الخمر : 78.

— ي —

يتيمة الدهر : 4، 8.

مراجع المقدمة والتحقيق

- أبو المطرف ابن عميرة، دراسة جامعية لمحمد بن شريفة، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط 1966.
- الإحاطة، في أخبار غرناطة لابن الخطيب 4 أجزاء، نشر محمد عبد الله عنان، ط. القاهرة 1973.
- اختصار الأخبار، عما كان بسببته من سني الآثار للأنصاري، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، الرباط، الطبعة الثانية.
- اختصار القُدح المَعْلَى لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة 1959.
- أزهار الرياض للمقري، ط. القاهرة 1939-1942.
- الاستقصا للناصر، ط. دار الكتاب، الدار البيضاء 1954.
- إعتاب الكتاب لابن الأبار، تحقيق د. صالح الاشتري، دمشق 1961.
- أعلام مالقة لابن عسكر وابن خميس (مصورة خاصة).
- أعمال الأعلام لابن الخطيب، ط. دار المكشوف، بيروت 1956.
- أمثال العوام في الأندلس 1-2 دراسة وتحقيق د. محمد بن شريفة، مطبعة جامعة محمد الخامس، فاس.
- برنامج شيوخ الرعيني، تحقيق إبراهيم شيوخ، ط. دمشق 1962.
- بغية الطلب لابن العديم، إصدار فؤاد سركين.
- بغية الملتبس للضبي، ط. مجريط.
- بغية الوعاة للسيوطي 1-2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
- البيان المغرب لابن عذارى، قسم الموحدين.

- تاريخ إربل لابن المستوفى.
- تاريخ الدولتين للزرکشى، ط. تونس 1966.
- تحفة القادم لابن الأبار، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- التكملة لابن الأبار 1-2، نشر الحسينى.
- التكملة لابن الأبار 1-2، ط. مجريط.
- الحلة السراء 1-2، تحقيق د. حسين مونس، مصر 1963.
- الدرر الكامنة لابن حجر، ط. مصر 1966.
- ديوان ابن خفاجة، تحقيق السيد غازي، دار المعارف 1960.
- الذخيرة لابن بسام، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك 1-2-8، تحقيق د. محمد بن شريفة.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك 4-5-6، تحقيق د. إحسان عباس.
- رايات المبرزين لابن سعيد، تحقيق د. النعمان 1973.
- الروض المعطار للحميري، تحقيق د. إحسان عباس.
- زاد المسافر لأبي بحر التيجيبي، تحقيق ع. محداد، بيروت 1939.
- صلة الصلة لابن الزبير، الرباط 1937.
- صلة الصلة لابن الزبير، نشر وزارة الأوقاف.
- طبقات الحفاظ للسيوطي، القاهرة 1973.
- عنوان الدراية للغريني، ط. الجزائر 1910.
- غاية النهاية لابن الجزري، ط. القاهرة 1932-1933.
- الغصون الياقة لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري.
- الفارسية لابن قنفذ، الدار التونسية للنشر 1968.
- فهرسة ابن خير، ط. بيروت 1963.
- فوات الوفيات لابن شاكر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد.

- قلائد الجمان لابن الشعار، إصدار فؤاد سزكين 1990.
- مسالك الأبصار للعمري، إصدار فؤاد سزكين.
- المطرب لابن دحية، تحقيق الأبياري ومن معه، القاهرة 1954.
- معجم البلدان لياقوت الحموي.
- نفح الطيب للمقري، تحقيق الدكتور إحسان عباس.
- الوافي بالوفيات، نشر جمعية المستشرقين الألمانية.
- وفيات الأعيان، تحقيق الدكتور إحسان عباس.

فهرس التراجم والفهارس

3	(تقديم
25	(1 إبراهيم الكائمي
27	(2 ابن أبي الأصبغ الشريشي
28	(3 ابن مسعود القرطبي
30	(4 أبو العباس الفرياني
31	(5 أبو محمد الجياني
32	(6 أبو الربيع الموحدي
35	(7 سهل بن مالك
37	(8 صفوان بن إدريس
39	(9 أبو محمد الشاطبي البونتي
40	(10 أبو محمد الشاطبي
41	(11 أبو زيد الفازازي
42	(12 عبد الرحمن الغماري
45	(13 عبد السلام الفرياني
46	(14 عبد المنعم الجلياني
53	(15 أبو الحسن ابن حريق
55	(16 أبو الحسن الوهراني
58	(17 أبو الحسن ابن فشتال
59	(18 أبو الحسن المراكشي
59	(19 أبو الحسن ابن خمير
60	(20 أبو الحسن القسطار
61	(21 أبو الحسن ابن حمامة
63	(22 ابن خروف القرطبي

67	ابن البياني الغرناطي	(23)
70	أبو الحسن الأنصاري البلنسي	(24)
71	ابن الزيات القيرواني	(25)
75	ابن دحية الكلبي	(26)
89	ابن ماخلوخ البجائي	(27)
91	أبو محمد القصّار المراكشي	(28)
95	ابن التنسي القفصسي	(29)
96	عيسى بن سليمان الرعيني	(30)
101	أبو موسى الجزولي	(31)
103	أبو الروح التاكرني	(32)
105	الفتح بن موسى الكتامي	(33)
110	أبو القاسم ابن عطية	(34)
111	لؤلؤ الرومي المغربي	(35)
112	ابن جبير	(36)
117	أبو عبد الله الزهري	(37)
118	العماري الميورقي	(38)
119	أبو جعفر الإدريسي	(39)
121	أبو عبد الله القرموني	(40)
122	أبو عبد الله البلنسي العمري	(41)
123	ابن سراقّة الشاطبي	(42)
125	أبو عبد الله القسنطيني	(43)
126	ابن مالك الطائي	(44)
127	الشيخ محيي الدين ابن العربي	(45)
140	ابن سحمان الشريشي	(46)
141	أبو عبد الله العبدري الميورقي	(47)
143	ناهض الوادي آشي	(48)
143	أبو الوليد البيغي	(49)

145 الهيثم الاشبيلي	(50)
145 أبو زكرياء الخشني الواعظ	(51)
146 الأمير أبو زكرياء الميورقي	(52)
147 أبو زكرياء التميمي الكاتب	(53)
148 أبو زكرياء الحريري اليهودي	(54)
152 الأمير أبو زكرياء الهنتاتي	(55)
154 أبو زكرياء الخزرجي الغرناطي	(56)
156 أبو زكرياء التلمساني	(57)
158 ابن معطى النحوي	(58)
162 أبو الحجاج المنصفي	(59)
164 يوسف المثلث	(60)
166 أبو الوليد الأنصاري السلاوي	(61)
168 يزيد بن صقلاب	(62)
171 أبو عبد الله الزهري	(63)
172 ابن هلاله الطبري	(64)
173 أبو الخير الصنهاجي	(65)
174 البرزالي	(66)
174 أبو محمد الأنصاري السلاوي	(67)
175 أبو عبد الله السلاوي	(68)
177 أبو زكرياء الغرناطي الواعظ	(69)
178 ابن خولة السلمي	(70)
179 أبو الروح التاكرني	(71)
188 أبو علي الحسن البيري	(72)
190 أبو عبد الله القسنطيني	(73)
192 ابن سراقه الشاطبي	(74)
193 أبو علي الدكالي الماجري	(75)
197 أبو العباس الأنصاري القرطبي	(76)

199 أبو العباس التيفاشي	(77)
202 ابن خالص الاشبيلي	(78)
203 أبو النجا الأندلسي	(79)
207 إبراهيم الساحلي	(80)
209 محمد الطائي القفصي	(81)
210 خلف القبتوري	(82)
210 جعفر الإدريسي	(83)
211 الصدي الاشبيلي	(84)
212 الكساد الاشبيلي	(85)
212 القلّوسي	(86)
213 التجيبي البلشي	(87)
213 عبد الصمد التوزري	(88)
215 أبو عبد الله العقيلي البّيري	(89)
218 أبو عبد الله السلاجي	(90)
220 ابن الصائغ الأموي	(91)
222 ابن القوبع التونسي	(92)
225 محمد بن علي المزدغي	(93)



الأيدياع القانوني رقم : 1370/1996
ردمك 4 - 2 - 9943 - 9981

هذا الكتاب

مجموع يشتمل على نحو مائة من أعلام المغرب والأندلس،
جلهم ممن رحلوا في القرن السابع الهجري إلى المشرق، وقد
انتقوا من مصادر مشرقية خطية ؛ والمجموع يحفل بكم ضخمة
من الأخبار والأشعار الأندلسية والمغربية التي لم يسبق نشرها،
وهي تنفع الباحث في الأدب والتاريخ بالأندلس والمغرب،
ويعتمد عليها المهتم بالتواصل بين المغرب والمشرق.